المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي





الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي

المجلد الرابع عشر

الأقليات المسلمة في العالم المعاصر

«القسم الأول»

[آسيا، إفريقيا، أستراليا ونيوزيلندة]

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

طبع بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

أشرفت على طباعته ونشره الإدارة العامة للثقافة والنشر بالجامعة

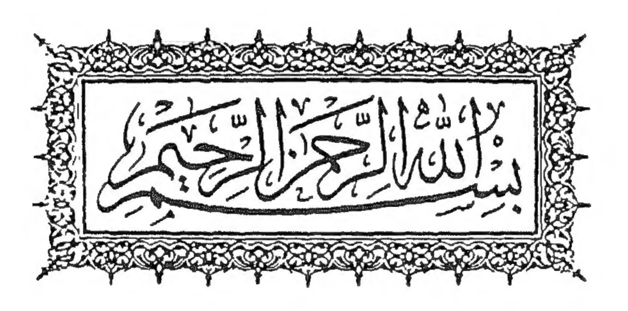
الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي

الأقليات المسلمة في العالم المعاصر

الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي
الأقليات المسلمة في العالم المعاصر

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. عمادة البحث العلمي
الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي .ـ الرياض
٦٠٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم.
ردمك ٣ - ٢٧٢- ٠٤- ٩٩٦٠ (مجموعة)
٤ ـ ٢٨٠ ـ ٠٤ ـ ٩٩٦٠ (ج١٤).
المجلد الرابع عشر: الأقليات المسلمة في العالم (القسم الأول)
١ ـ العالم العربي ـ جغرافيا ـ موسوعات
٢ ـ العالم الإسلامي ـ موسوعات أ ـ العنوان.
ديوي ٩١٠,٣ ١٩/٣٠٦٣
رقم الإيداع : ١٩/٣٠٦٣
ردمك ٣ ـ ٢٧٢ – ٠٤ ـ ٩٩٦٠ (مجموعة)
٤ ـ ٢٨٠ ـ ٠٤ ـ ٩٩٦٠ (ج١٤).

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ / ١٩٩٩م


بسم الله الرحمن الرحيم

هيئة الإشراف

هيئة التحرير

المحتـــوى

- مفهوم الأقليات في الإسلام وحقوقها .

الدكتور / عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان

- الأقليات المسلمة في قارة آسيا .

الأستاذ / سيد عبدالمجيد بكر

- الأقليات المسلمة في قارة أفريقيا .

الدكتور / تاج السر أحمد حرَّان

- الأقليات المسلمة في قارة أستراليا ونيوزيلندة .

الدكتور / إبراهيم بن حمد القعيِّد

الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي

الأقليات المسلمة في العالم المعاصر

«القسم الأول»

[آسيا، إفريقيا، أستراليا ونيوزيلندة]

مفهوم الأقليات في الإسلام وحقوقها

الدكتور / عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان

فهرس الموضوعات

• • • • • •

خلفية عامة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله ، وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

فقد بعث الله تعالى محمداً ﷺ نبياً ورسولاً ، وأنزل عليه القرآن الكريم، وأمره بالدعوة إلى الإسلام ، وتبليغ رسالته فقال : ﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك ﴾[1] ، وقام رسول الله ﷺ بدعوة جميع الناس، تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾[2]، ونهض رسول الله ﷺ بالدعوة ، فبلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده ، فمن استجاب لدعوة الإسلام وآمن برسالة محمد ﷺ فهو المسلم، ومن لم يستجب لها ولم يؤمن بها فهو غير المسلم . وقد عاش غير المسلمين مع المسلمين في بلد واحد ، وأقاموا معهم في أوطانهم، وصاحب ذلك الدولة الإسلامية منذ تأسيسها حيث كان في مجتمع المدينة غير المسلمين فكتبت الوثيقة التي نظّمت علاقة المسلمين ببعضهم وعلاقتهم بغيرهم. ومنذ ذلك الوقت تكون المجتمع الإسلامي من فريقين : المسلمين وغير المسلمين، وتعايش الفريقان منذ بداية الهجرة وفي بداية الدولة الإسلامية الأولى في المدينة، وفي ظل الخلافة الراشدة ، والدولة الأموية والعباسية والحكومات المتلاحقة، وحتى العصور الحاضرة ، وتقرر لغير المسلمين حقوق وواجبات وشرع الإسلام لهم أحكاماً خاصة في التشريع والتعامل .

ولم يخل المجتمع الإسلامي - في كل عصوره - من غير المسلمين، ولاعجب في ذلك ، فهذه الظاهرة تتناسب مع عدالة الإسلام ، وعدم الإكراه على اعتناقه، وتقرير مفهوم العيش مع غير المسلمين في مجتمع واحد يسوده

نظام محكم دقيق يستند إلى النصوص الشرعية . والمراد بالمفهوم هنا هو بيان المقصود بالأقليات غير الإسلامية وبيان حقوقها وواجباتها من وجهة النظر الشرعية[٣]، أما الحقوق فهي جمع حق والحقّ نقيض الباطل، وحق الأمر إذا وجب وثبت ولزم[٤]، قال تعالى: ﴿لقد حقّ القول على أكثرهم فهم لايؤمنون﴾[٥] أي ثبت ووجب عليهم، والحق عند الفقهاء يطلق ويراد به معنى عاماً وهو الملك، أو معنى خاصاً كالحقوق المطلقة، مثل حق الشُفعة والخيار[٦].

وكلمة الواجبات: مأخوذة من وجَبَ وجوباً وهو الثبوت والاستحقاق[٧]، وهو عند الفقهاء : ما ثبت وجوبه بدليل شرعي ، يثاب بفعله ويعاقب بتركه أو يذم[٨] . أما كلمة الأقليّات : فمأخوذة من القلَّة ضد الكثرة يقال : تقلَّل الشيء واستقلّه ، وتقالَّه إذا رآه قليلاً[٩] .

والأقليّات مأخوذة من هذا المعنى فهي في مقابل الأكثرية .

والأقليّات قد تكون عرقية ، أو لغوية ، أو دينية . . . إلخ[١٠] .

والمراد بها هنا والأقليّات التي تدين بغير الإسلام وهي تعيش في بلاد إسلامية يحكمها الإسلام وهناك أنواع مختلفة من الأقليات غير الإسلامية تشمل الذميين والمستأمنين أو المعاهدين وذلك على النحو التالي :

أ - الذمّيون أو أهل الذمة :

الذّمة في اللغة : الأمان والعهد ، والكفالة والضمان والحرمة[١١] .

يقال في ذمتّه كذا أي في ضمانه ، وأنت في ذمّة الله أي في كنفه وجواره وأمانه .

وورد في السنّة الصحيحة قوله ﷺ: (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمّتهم أدناهم)[١٢] أي بالأمان .

وسُميَّ المعاهد ذميًا نسبة إلى أهل الذمّة بمعنى العهد ، كما يقال: أهل الذمّة أي أهل الأمان؛ لأنهم التزموا شروطه فأمنوا على دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

وفي الاصطلاح : أهل الذمة هم المعاهدون من النصارى واليهود وغيرهم ممن يقيم في دار الإسلام .

وجاء في كشاف القناع : « إقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الملة »(١٣) .

وعلى هذا يمكن القول بأن عقد الذمة عقد بمقتضاه يصير غير المسلم في ذمة المسلمين أي في عهدهم وأمانهم على وجه التأبيد وله الإقامة في دار الإسلام على وجه الدوام .

ولهذا قال الفقهاء : « يلزم لهم ببذلها - أي الجزية - حقان : أحدهما: الكف عنهم ، والثاني : الحماية لهم ، ليكونوا بالكف آمنين ، وبالحماية محروسين(١٤) .

وأصل هذه التسمية جاءت من قوله ﷺ: (... يسعى بذمتهم أدناهم...). وفيما رواه نافع عن ابن عمر قال : « كان آخر ما تكلم به النبي ﷺ: (... احفظوني في ذمتي) »(١٥) .

والذمة بمعنى العهد والأمان تشمل ثلاثة أقسام :

الأول : المعاهدون في ترك القتال وهم الحربيون وهذا أمان مؤقت ينتهي بانتهاء شروطه .

والثاني : أصحاب العهد والأمان المؤقت الذي يعطى للحربيين أثناء إقامتهم في دار الإسلام ، وتسمى هذه الفئة بالمستأمنين ، ولهم أحكام خاصة، وشروط معينة تأتي الإشارة إليها .

والثالث : أصحاب العهد والأمان الدائم الذي يعطى لغير المسلمين لإقامتهم في رعاية الدولة الإسلامية بصفة دائمة ، وتمنحهم حق الرعوية أو الجنسية في البلاد الإسلامية .

وإذا أطلق اصطلاح « الذمة شرعاً » فيراد به القسم الثالث فقط ، ويكون المعنى الشرعي أخص من معناه اللغوي ، وتسمى هذه الفئة أهل الذمة أو الذميين[١٦] .

وعقد الذمّة يشبه التجنس في وقتنا الحاضر ، وتتولى الدولة بيان الشروط المطلوبة من الراغب في الجنسية ، وتدرس الجهات المختصة طلبه ثم تقرر منحه الجنسية أو رفض طلبه[١٧] . وأرى أن ينص فيها على ديانته حتى لا يلتبس أمره بالمسلمين عند من لا يعرفه وإلا فيميز كان يمنح إقامة دائمة بدل الجنسية المطلقة.

وإذا تأملنا استعمال لفظ الذمّة - فيما ذكر - لانجد مايدل على الانتقاص أو الامتهان ، وإذا ضممنا إلى ذلك قول النبي ﷺ: « من آذى ذميّاً فأنا خصمه»، علمنا قطعاً أن القصد من هذا اللفظ : (إن أولئك يكونون في كنف الله وعهدته وحمايته ، وأن من تعرض لهم بأي نوع من أنواع الأذى أو الاضطهاد ، بدون وجه حق ، يكون قد خالف الإسلام وانحرف عن طريقه السوي واستحق ماتقضي به أحكام الإسلام في مثل هذه الحالات .

ب - المستأمنون :

في اللغة : يقال : استأمنه طلب منه الأمان[١٩] .

والمستأمِن بكسر الميم هو الطالب للأمان، ويصح بالفتح بمعنى اسم مفعول، والتاء للصيرورة أي صار آمناً .

والأصل في الأمان قوله تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾[٢٠] .

وفي الاصطلاح : هم الذين يعطون عقداً مؤقتاً للبقاء في دار الإسلام لغرض شرعي ، كسماع كلام الله ، أو تجارة أو سفارة[٢١] .

وعرفهم ابن القيم -رحمه الله- بأنهم الذين يقدمون بلاد المسلمين من غير استيطان لها وهم أقسام : رسل ، وتجار ، ومستجيرون ، وطالبوا حاجة من زيارة أو غيرها . وحكم هؤلاء ألا يهاجَروا ولايقتلوا ، ولاتؤخذ منهم الجزية، وأن يُعرض على المستجيرين منهم الإسلام والقرآن : فإن دخلوا فيه فذاك ، وإن أحب اللحاق بمأمنه ألحق به ، ولم يعرض له قبل وصوله إليه ، فإذا وصل مأمنه عاد حربياً كما كان[٢٢] .

جـ- المعاهدون :

في اللغة : مأخوذ من العهد وهو الموثق ، واليمين ، والضمان[٢٣] .

وقيل من معانيه أيضاً : حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال[٢٤] .

وهو واجب الوفاء لقوله تعالى: ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً ﴾[٢٥] .

وفي الاصطلاح : العهد نوع من الأمان المؤقت ، يعقد مع غير المسلمين على ترك القتال ويسمى بالمعاهدة ، والمسالمة ، والمهادنة[٢٦] .

وله معنى أشمل في عرف الشرع حيث يختص بمن يدخل من الكفار في عهد المسلمين[٢٧] ، وبهذا يدخل فيه الأصناف الثلاثة المتقدمة ؛ لأن كل واحد داخل بعهد ، والمعنى الأول أدق .

علاقة المسلمين بغير المسلمين

أولاً : أسس العلاقة بغير المسلمين :

تقوم العلاقة بغير المسلمين أيا كان وضعهم على أسس منها :

الكرامة الإنسانية ، الرحمة ، التسامح ، البر ، والبراءة . وذلك على النحو التالي :

١ - الكرامة الإنسانية :

فالكرامة الإنسانية قررها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾[٢٨] .

قال ابن كثير - رحمه الله - : « يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها »[٢٩] .

وقال أبو السعود بعبارة أصرح وأوضح : « ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ قاطبة تكريماً شاملاً لبَرِّهم وفاجِرِهم ، أي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على مافي الأرض ، والتمتع به ، والتمكين من الصناعات وغير ذلك مما لايكاد يحيط به نطاق العبارة »[٣٠] .

وتظهر الكرامة الإنسانية في أمور من أبرزها تساوي الناس في :

أ - القيمة الإنسانية .

ب- الطهارة الجسمية « فقد توضأ النبي ﷺ من مزادة مشركة »[٣١] .

جـ- الخطاب بالتي هي أحسن : ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ .

د - خلقهم ورزقهم وتفضيلهم على الأجناس الأخرى كما في الآية السابقة.

هـ - وجوب العدل في التعامل بين الناس مهما كانت الفوارق بينهم : ﴿ولايجرمنكم شنآن قومٍ على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[٣٢].

و - الوفاء بالعهود والعقود مع جميع الناس : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ [٣٣].

فالعلاقة بغير المسلمين تقوم على أساس التكريم الإلهي للإنسان ، والكرامة الإنسانية تعني الاحترام المتبادل والتأدب في المعاملة والمخاطبة ، والمساواة في القيمة الإنسانية .

٢ - الرحمة:

ونعني بها الرحمة بالإنسان من حيث هو إنسان يستحق العطف والرحمة به في هدايته إلى الحق ورعايته عند الحاجة وحمايته من الاعتداء عليه وصيانة حقوقه وهذا ما حدث فعلاً لغير المسلمين الذين عاشوا في المجتمعات الإسلامية، فمن البر بالوالدين المشركين إلى البر والإقساط إلى المخالفين الذين لم يقاتلوا المسلمين، إلى إطعام الأسرى من المشركين، إلى الإنفاق على الأقارب والجيران من غير المسلمين وصلتهم، وفي عفو النبيﷺعن أهل مكة عام الفتح رغم إيذائهم له وللمسلمين، ومحاولة إنقاذهم من الموت على الكفر والشرك، وكما فعل عمر -رضي الله عنه- حيث أمر بإدخال اليهودي العاجز عن الكسب في الضمان الاجتماعي بحيث يصرف له مايكفيه من بيت المال، ومن أمره وهو في طريقه إلى الشام لما مر بمجذومين فأمر لهم بمساعدة من بيت المال. إلى غير ذلك من الأمثلة والشواهد على امتداد التاريخ الإسلامي التي تدل على مبلغ الرحمة والتسامح من المسلمين مع غيرهم إذا لم يكن منهم

مضـرة على الإســلام والمسلـمين وهذه وقـائع قد شـهد بـها المنـصفـون من المستشرقين .

٣ - التسامح :

القرآن الـكريم حافل بالدعـوة إلى التسـامح ومن مظاهرها الـرفق واللين بالمدعوين: ﴿ادع إلى سبيل ربك بـالحكمة والموعظة الحسنة﴾(٣٤) . ومن مظاهره إجارة المشرك وحمـايته، والتسامح مع المشركين أثناء عـقد الصلح وفي الحرب وفي حسن المعاشرة، ولطف المعاملة، ورعاية الجوار وفي الدفاع عن أهل الذمة واعتبار أعراضهم وحرماتهم وحقوقهم كحرمات وحقوق المسلمين .

كمـا يظهر التسـامح في الإسلام مع مـخالفيه بـالدعوة إلى السهـولة في الخطاب وفي مطلق التعامل في الأخذ والـعطاء والتصرف فهو من الرفق الذي أمر به الـدين. كما يظهـر في حل طعام أهل الـكتاب ونكاح نسـائهم، وفي تخيير غير المسلمين بين الإسلام والجزيـة والقتال ، والاستفادة منهم في مجال العلوم والخبرات الإنسـانية، والمعاملات التجارية، وجواز مـخالطتهم لأغراض مشروعة. كل ذلك وغيره كثير من الأمـثلة التي حفل الإسلام بها في تسامحه مع غير المسلمـين حيث لا إكراه في الدين، لإتاحة الفرصة أمـام غير المسلمين للاطلاع والتأمل والقناعة بالإسلام قبل الدخول فيه .

٤ - البـــر :

هو الإحسان والفـضل ، والإقساط ، وبذل المعروف وكظم الـغيظ وحسن الخلق وإكـرام الضيف ، وجمـيع هذه الأخلاق من البـر الذي يستـحب بذله لجميع الخلق بدون ذلة .

والإسلام يدعو إلى البـر والإقساط مع غير المسلمين مـاداموا في سلم مع

المسلمين فيقول سبحانه . ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم من يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾[٣٥] .

كما يدعو إلى البر والصلة بالوالدين ولو كانا مشركين كما في حديث أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت : قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا ، فأتيت النبي ﷺ فقلت : يارسول الله ، إن أمي قدمت وهي راغبة ، أفأصلها ؟ قال : (نعم صلي أمك)[٢٦] .

٥ - البراءة من الشرك وأهله :

إذا كان من أسس العلاقة بغير المسلمين الاحترام المتبادل القائم على الإنسانية ، والتسامح ، والرحمة ، والبر ، على التفصيل الذي ذكرنا ، فإن ذلك يتطلب وجود البراءة وهي التخلص والتباعد عن الشرك والمشركين ، كما فعل إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقوله : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون ﴾[٣٧] .

فالبراءة من جميع المعبودات غير الله في جميع أنواع العبادات هو معنى التوحيد لا إله إلا الله .

وإذا كان حب الله ورسوله وحب مرادهما من مقتضى العبودية كما في قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا حباً لله ﴾[٣٨] ، إذا كان ذلك كذلك ، فإن هذا يقتضي بغض مايضاده ، وهو الباطل وأهله أو الشيطان وحزبه .

ويندرج تحت البراءة عدة أمور منها :

أ - إنكار الباطل والتبري منه .

ب - البغض والعداوة له .

جـ - عدم الموالاة ، والموالاة المنهي عنها نوعان :

-**قلبية** : وهي الميل إلى الكفار تعظيماً وحباً ، أو اعتقاد صحة ماهم عليه أو التشبه بهم .

-**عملية**: وهي مداهنة الكفار وتقريبهم من دون المسلمين وجعلهم بطانة، وطاعتهم في غير شرع الله ، ومناصرتهم والإقامة بين ظهراني المشركين من غير حاجة ، ومشاركتهم في الأعياد .

وتتفاوت هذه الأعمال في المفسدة فمنها مايصل إلى حد الكفر ومنها ماهو معصية صغيرة [٣٩] .

ثانياً : مقاصد العلاقة بغير المسلمين :

للعلاقة بغير المسلمين مقاصد وأهداف من أبرزها :

إظهار الدين ، الدعوة إلى الله ، إبطال الكفر وأمور الجاهلية ، وتبادل المنافع. ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالي :

١ - إظهار الدين :

من أعظم مقاصد الإسلام تبليغ الدعوة إلى الله إلى جميع الناس لقوله تعالى: ﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته﴾ [٤٠] ، وقوله ﷺ: (بلّغوا عني ولو آية) [٤١] ، فالدين الإسلامي هو الدين الحق ورسالته رسالة عالمية ودعوته عامة لجميع البشر وهو الدين الخالد الذي يجب أن يسود جميع الأرض قال تعالى: ﴿هو الذي أرسل

رسوله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[٤٢] .

فالمسلم وهو يتعامل مع غير المسلمين بالقول أو العمل يهدف في تعامله كله إلى إظهار دين الله وإعلائه ، وهكذا كان سلوك السلف الصالح من علماء ودعاة وتجار . فالله عز وجل يريد أن تكون كلمته هي العليا وأن تصل كلماته إلى جميع الناس وأن يظللهم النور والهدى وتظهر لهم المحجة وتقوم عليهم الحجة .

وتبليغ دين الله ينبغي أن يتم بكل الوسائل الممكنة والدعوة تكون بالتي هي أحسن . فالإسلام كله محاسن وفضائل فما أن تصل دعوته إلى القلوب إلا وتستجيب لها وتذعن لها النفوس وتنقاد لها الجوارح .

٢ - الدعوة إلى الله :

هذا المقصد من المقاصد العظيمة والأهداف الجليلة ، فهداية البشر إلى الخير ودلالتهم على الحق ، وتخليصهم من الكفر والنار ، من أهم الأعمال وأفضلها عند الله ولذلك كان الرسل عليهم السلام أفضل البشر وأهداهم سبيلاً والدعاة إلى الله أحسن الناس قولاً : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾[٤٣] ، وقال النبي ﷺ : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئاً)[٤٤]، وقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب: (فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُرِ النَّعم)[٤٥] .

فدعوة الإسلام دعوة إنقاذ للإنسانية ورسالته تصحيح وإصلاح فهو آخر الشرائع الإلهية ورسالته خاتمة الرسالات السماوية ، ودعوته خالدة باقية والمسلم يحب الخير لغيره ، سواء في الحاضر الدنيوي أم في المستقبل

الأخروي، فهو حريص على إنقاذهم وإصلاح أوضاعهم ، فقيام المسلم بالدعوة إلى الله أعظم خدمة للإنسانية ، وأكثر نفعاً وتحقيقاً للبشرية من الطعام والشراب لأن النفس أحوج للغذاء الروحي من الغذاء المادي ، ففقدان الغذاء الروحي يؤدي إلى الهزات النفسية والاجتماعية والاضطراب والقلق الذي يؤدي بدوره إلى كثرة الانتحار وانتشار الجرائم وهذا الأمر واضح بشكل جلي في بيئة الحضارتين الغربية والشرقية المعاصرتين ، وذلك بسبب فقدان الأمن والرخاء والطمأنينة النفسية حيث يؤدي فقدانها إلى القلق . الأمر الذي يوجب على المسلمين السعي للتبصير بالإسلام دين الوسطية ورسالة التوازن بين الروح والمادة ففيه إنقاذ للإنسان من ضياعه وضلاله وتدرج به في مدارج الكمال الإنساني الذي يكسبه السعادة في الدارين ، وواجب الدعوة إلى الله يقع بالدرجة الأولى بعد الأنبياء على ورثتهم وهم العلماء والدعاة المصلحون ثم بعد ذلك يكون شاملاً لجميع أفراد الأمة فليس في الإسلام طبقة معينة هي المسؤولة وحدها عن نشر الإسلام وتعاليمه - كطبقة رجال الدين أو « الإكليروس » كما في النصرانية بل على كل من علم من الإسلام شيئاً صحيحاً وفهمه فهماً سليماً أن يبلغه إلى غيره وهو مسؤول أمام الله عز وجل عن ذلك لقوله ﷺ : (بلغوا عني ولو آية)[٤٦] ، وقوله ﷺ : (نضَّر الله امرأ سمع منا حديثاً ، فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه)[٤٧] ، وكان النبي ﷺ يأمر الوفود التي تفد إليه بتبليغ الإسلام وما سمعوه منه إلى من خلفهم .

لذلك كان قيام المسلم بواجب تعليم الإسلام ونشره أنفع عمل وأرجى له عند الله عز وجل لأنه بذلك ينفع نفسه ويدفع الضرر عن غيره ضرر التخبط في ظلمات الكفر والضلالة .

والرسول ﷺ يقول : (خير الناس أنفعهم للناس)[٤٨]، وقال أيضاً : (الخلق

كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله)[٤٩] أي بالهداية إلى الله، وتعليم مايصلحهم وقضاء حوائجهم ، وكان من أثر ذلك أن أصبح كل مسلم تقي داعية إلى دين الله في الماضي والحاضر وفي مختلف بقاع العالم حيث انتشر الإسلام في جنوبي شرقي آسيا وفيما وراءهما وفي أفريقيا وفي أمريكا وأوربا بالقدوة وبالدعوة بالتي هي أحسن وبالنقاش الهادئ والحوار القائم على الإقناع والبرهان . وهذه مهمة المسلم أيا كان تخصصه أو نوع عمله سواء كان طالباً أو أستاذاً أو تاجراً أو سفيراً لدولته ينبغي أن يستشعر أنه قدوة وأنه يمثل الإسلام وأنه داعيةً إليه بالقول أو العمل أو بهما جميعاً وهكذا كان سلفه رضوان الله عليهم ، فلم ينسوا دعوتهم وهم يجوبون الأرض تجاراً أو طلاباً وسفراء وغيرهم .

٣ - إبطال الكفر وأمور الجاهلية :

القضاء على الكفر وإزالته أو كسر شوكته وإضعاف قوته من مقاصد الإسلام ، وكذا أمور الجاهلية لأن الكفر والشرك إفساد للفطرة وتشويه للطبيعة البشرية التي خلقها الله في أحسن تقويم ، وفي ظهورهما وقوتهما تحريض على نشر الفساد والإفساد في الأرض الأمر الذي جاءت جميع الرسائل السماوية لمحاربته والقضاء عليه .

يقول الله عز وجل مبيناً للمسلمين الهدف من مواجهة الكافرين وذلك في سياق الحديث عن غزوة بدر: ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾[٥٠]، وأمر الله بمقاتلة الكفار حتى يسلموا أو يخضعوا للمسلمين ، فقال تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾[٥١] ، والصغار معناه : الخضوع لأحكام

الإسلام .

ومن أهداف الجهاد في الإسلام كسر شوكـة الكفر وإذهاب سلطة الكافرين لإفساح المجال أمام الدعوة إلى الله لتـصل إلى قلوب الناس وعقولهم وكذلك إزالة الظـلم والعدوان النـاتج عن تسلط الكـافرين وبطشـهم فهـذا هو هدف المسلمين من حروبهم مع أعداء الإسـلام ، لم يكن الدافع لهم الطمع أو حب السيـطرة والعلو في الأرض ، بـل كان الهدف الأسـاس هو فتح المجـال أمام أبصار النـاس وعقولهم حتـى ترى النور وتعرف الحق فـيؤمنوا به فتـخبت له قلوبهم وتنقـاد له جوارحهم . وهكذا كان حيث دخـل مئات الآلاف من أبناء البلاد المـفتوحـة في الإسلام أو تحت حكمـه دغبة فـيه وفي عـدله . وهكذا الإسلام إذا خـالطت بـشاشـته القلـوب وعرفت الحـق الذي فيـه العـقول . وماحجب كثـير من شعوب العالم عن الدخول فـي الإسلام أفواجاً إلا سلوك المسلمـين وأخلاقهم ، وزهدهم فـي الإسلام وأسلوبهم فـي التعامل مع غـير المسلمين في جميع مجالات الحياة مما زاد فـي نفرة كثير من الراغبين فيه ، في تركه والعدول عنـه فضلاً عن الذين لم يفكروا فيـه ، وما أصاب الإسلام في هذا العصر من أبـنائه أشد وأنكى مما أصابه عن طريق أعـدائه لذلك سلط الله عليهم أعداءهم فنهبوا خيرات بلادهم وأشـاعوا الفوضى والتخلف في حياتهم وهكذا سيظلون حتـى يراجعوا دينهم : ﴿ إن الله لايغير ما بقـوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾[٥٢] .

٤ - تبادل المنافع :

من الأهداف المقررة في الإسـلام من علاقة المسلمين بغيـرهم تبادل المنافع الدنيوية مـن أمور التجارة والصنـاعة وغيرهما من الـعلوم النافعة التـي يحتاج إليها الناس في معاشهم. فقد درج المسلمون على التعامل مع غير المسلمين في

أمور المعاش، والتعامل مع غير المسلمين وفق الضوابط الشرعية لم يرد في القرآن والسنة مايدل على منعه، بل الثابت خلافة: (فقد عامل رسول الله ﷺ أهل خيبر، وهم يهود، على نصف مايخرج من أراضيهم، على أن يعملوها بأموالهم وأنفسهم، وهذه شركة في الزرع والغرس والثمر، وقد ابتاع رسول الله ﷺ طعاماً من يهودي بالمدينة ورهنه درعه، ومات عليه السلام ودرعه رهن عنده، فهذه تجارة مع اليهود، ومعاملتهم جائزة، ومن خالف فلا برهان له)(٥٣).

واستمر العمل كذلك في تبادل المنافع العلمية والتجارية ونقل الخبرات بين المسلمين وغيرهم سواء كانوا داخل البلاد أم خارجها منذ ذلك العصر إلى عصرنا الحاضر. وعلماء السلف يفصلون تلك العلاقة ويحددون معالهما كما سيأتي في حقوق غير المسلمين وواجباتهم.

• • • • • •

حقوق غير المسلمين في الإسلام

إذا قبل غير المسلمين الدخول مع الدولة الإسلامية في عهد يلتزمون بموجبه الخضوع لسلطانها والانقياد لأحكام الإسلام فيهم ، فلا شك أن ذلك يمنحهم حقوقاً قريبة من حقوق المسلمين بل قد تكون مساوية لها إلا فيما استثني .

وذلك أن بعض الحقوق في الإسلام يشترط لها توافر الإسلام كما سيأتي تفصيله .

ويمكن تقسيم حقوق الأقليات في الإسلام إلى قسمين : عامة وخاصة ، وذلك على النحو التالي :

أولاً : الحقوق العامة :

ونقصد بها الحقوق الضرورية للإنسان باعتباره فرداً في مجتمع ولايمكنه الاستغناء عنها ومنها :

١ - الحقوق الشخصية .

٢ - الحقوق الاقتصادية والوظيفية .

٣ - الحقوق الدينية والفكرية .

٤ - الحقوق السياسية .

وتفصيلها على النحو التالي :

١ - الحقوق الشخصية :

ويندرج تحتها جملة من الحقوق من أهمها :

أ - حق الأمن والحماية للنفس والمال والعرض .

ب - حق الحركة والتنقل والاجتماع داخل حدود الدولة .

جـ - حق المأوى والسكن وحرمته .

د - عدم حبس المعاهد وتوقيفه ومعاقبته إلا بمقتضى الشرع .

هذه الحقوق وغيرها مما ستأتي الإشارة إليه قد قررها الفقهاء وأجمعوا على وجوب الوفاء بها استناداً للنصوص الشرعية الواردة في ذلك من الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الإسلام، ويمكن شرحها كالآتي :

أ - حق الأمن والحماية للنفس والمال والعرض :

فالمعاهد له حق الأمن على نفسه وماله وعرضه وحق الحماية له من أي اعتداء يقع عليه من الداخل أو الخارج مادام في دار الإسلام لقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾[٥٤]، وقوله تعالى: ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم، ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ﴾[٥٥] .

فالأمر بالوفاء بموجب العهد في هاتين الآيتين موجه للمسلمين على وجه الخصوص ، وهو تكليف أقره الشارع لمصلحة المعاهدين سواءً كانوا أهل ذمة أو مستأمنين . ومن لوازم الوفاء بموجب عقد الذمة وعقد الأمان ، وجوب الحماية للحقوق الناشئة عنهما ، وذلك بتمكين صاحب الحق من الاستمتاع به على وجه الكمال وفي حدود النظام العام ، ويمنع الغير من العدوان على هذا الحق .

ومما جاء في السنة مما يدل على وجوب حماية المعاهد - سواء كان ذمياً أو مستأمناً - قوله ﷺ :(من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة)[٥٦]، وقوله ﷺ : (ألا لا تحل أموال المعاهدين إلا بحقها)[٥٧] .

وفي عهد النبي ﷺ لأهل نجران: (ولايؤخذ منهم رجل بظلم آخر)[٥٨] .

وعلى هذا المنهج سار الخلفاء الراشدون فجاءت أقوالهم وصدرت أوامرهم للولاة والعمال بلزوم رعاية أهل الذمة . فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي خليفته من بعده بقوله : (وأوصية بذمة الله وذمة رسوله أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وألا يكلفوا إلا طاقتهم)[٥٩] .

وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حق أهل الذمة : « إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا »[٦٠] .

ونقل أبو عبيد في الأموال : « أن عمر رضي الله عنه كان يتفقد أهل الذمة ويسأل الوفود عنهم ، ويستوثق من ولاته أنهم لم يظلموا »[٦١] .

وجاء الفقهاء من بعدهم فسلكوا المسلك نفسه ونهجوا المنهج نفسه فقرروا الأحكام التي تقضي بحماية الذمي في نفسه وماله وعرضه وجميع حقوقه حتى أنهم لم ينسوهم عند ذكر واجبات المحتسب فقالوا « إن عليه أن يمنع المسلمين من التعرض لهم بسب أو أذى ، ويؤدب من يفعل هذا بهم »[٦٢] .

ومن وصايا أبي يوسف إلى هارون الرشيد : « وقد ينبغي يا أمير المؤمنين أيدك الله الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ والتقدم لهم حتى لايظلموا ، ولايؤذوا ، ولايكلفوا فوق طاقاتهم ، ولايؤخذ من أموالهم إلا بحق وجب عليهم »[٦٣] .

ويقول ابن قدامة -رحمه الله-: « وإذا عقد الذمة فعليه -أي الإمام- حمايتهم من المسلمين وأهل الحرب وأهل الذمة، لأنه التزم بالعهد حفظهم»[٦٤] .

ويقول الماوردي : « ويلزم لهم - يعني أهل الذمة - ببذل الجزية حقان :

أحدهما : الكف عنهم ، والثاني : الحماية لهم ، ليكونوا بالكف آمنين ، وبالحماية محروسين »[٦٥] .

ونختم هذه النقول عن الفقهاء بقول القرافي في الفروق حيث يشير إلى ضرورة كف الأذى عنهم بكل أنواعه وأشكاله فيقول : « إن عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لهم ، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا وذمة الله تعالى وذمة رسوله ودين الإسلام ، فمن اعتدى عليهم ، ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم ، أو نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك ، فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ وذمة الإسلام »[٦٦] ، فأي رعاية أو أي عدل في رعاية الحقوق لأهل الذمة فوق هذا العدل وفوق هذه الرعاية .

بل إذا بدر من حكام المسلمين شيء يؤذي الذميين فإن الفقهاء ينكرون عليهم. ومن ذلك إنكار الإمام الأوزاعي على الوالي العباسي عندما أجلى قوماً من أهل الذمة من جبل لبنان بعد أن ثبت من بعضهم التجسس لحساب الروم واللحاق بهم. فكتب إليه ينكر عليه ، ومما جاء في رسالته هذه: « . . . وقد كان من إجلاء أهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه ممت قتلت بعضهم ورددت باقيهم إلى قراهم ماقد علمت . فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم، وحكم الله تعالى: ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ ثم يقول له في رسالته: فإنهم ليسوا بعبيد فتكون في تحويلهم من بلد إلى بلد في سعة، ولكنهم أحرار أهل ذمة»[٦٧] .

والحق أن الإمام الأوزاعي ضرب المثل الرائع في دفاع الفقهاء عن أهل الذمة بالرغم من اختلافهم معه في الدين، وستبقى عبارات (وحكم الله « ألا تزر وازرة وزر أخرى ». . . فإنهم ليسوا بعبيد. . .ولكنهم أحرار أهل ذمة)

مفخرة من مفاخر التاريخ الإسلامي قلما نجد لها نظيراً في دساتير العالم الحديث النظرية فضلاً عن العملية .

والتزام الإسلام بالمحافظة على أهل الذمة لايقف عند حد حمايتهم من الاعتداءات الداخلية من قبل المواطنين أو من قِبَل موظفي الدولة ، بل يمتد إلى حمايتهم من أي عدوان خارجي قد يتعرضون له وحدهم ، ولهذا رد أبو عبيدة ابن الجراح الجزية التي استوفوها من بعض قرى أهل الذمة في الشام لما غلب على ظنه عدم قدرته على حمايتهم لاحتمال عودة الروم ومهاجمتهم لهذه القرى. وأمر آخر وهو : إذا ما وقع الذميون أسرى بيد العدو فعلى الدولة الإسلامية استنقاذهم ولو بدفع الفداء عنهم من بيت المال. قال الفقية الكبير الليث بن سعد فقيه مصر: « أرى أن يفدوهم من بيت المال ويقرون على ذمتهم»[٦٨] ، وقد شاع بين الفقهاء القول المشهور في الذميين : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا »، و « من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا »[٦٩] .

ومن الوقائع العملية التي تثبت حقهم في الحماية ، أن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - حين تغلب التتار على الشام - وكان قائدهم قد أظهر الإسلام- وأسروا جماعة من المسلمين وأهل الذمة، ذهب إلى قائدهم «غازان» وكلمه في إطلاق سراح الأسرى، فأطلق أسرى المسلمين، ومنع أسرى أهل الذمة، فأبى الرجوع إلا بافتكاك أسرى أهل الذمة وحصل له ما أراد حيث قال: «غازان» لشيخ الإسلام : لكن هنا نصارى أخذناهم من القدس. فهؤلاء لايطلقون فرد عليه شيخ الإسلام : بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا ؛ فإنا نفتكهم ، ولاندع أسيراً لا من أهل الملة، ولا من أهل الذمة »[٧٠] .

ويشارك المستأمنون أهل الذمة معظم الحقوق التي لهم ما داموا في دار

الإسلام فهم بمنزلة أهل الذمة إلا فيما استثنى، إذ يجمعهم اسم «المعاهدون»، فلهم من الحماية ورعاية الحقوق ما للذميين فيجب حمايتهم من كل عدو يقصدهم ومنع أي ضرر يتوجه إليهم من الداخل أو الخارج . وقد ألحقهم الفقهاء بأهل الذمة يقول الإمام السرخسي في شرح السير : « ولو أن قوماً من أهل الحرب لهم منعة دخلوا دارنا بأمان فشرطوا علينا أن نمنعهم مما نمنع منه المسلمين وأهل الذمة ، فعلينا الوفاء بهذا الشرط » ، وذكر أنه : «لو أغار أهل الحرب على دار الإسلام وأسروا المستأمنين فإنه يلزم أهل دار الإسلام استنقاذهم من أيدي الذين قهروهم، كما يجب ذلك للمسلمين وأهل الذمة»[٧١] ، بل وذهب إلى أبعد من ذلك بحيث لو تطلب الأمر إنقاذ حياة مسلم عند العدو وفكه من الأسر بناءً على طلبهم أو هددوا بتعريض ابن البلد للخطر فإنه لايجوز للمسليمن فعل ذلك . حيث يقول : « لايجوز مفاداة المستأمن بالأسير المسلم ولو طلب أهل الحرب ذلك ، ولا تسليمه إلى أهل الحرب ولا إلى أهل دولته ، ولو هددوا بقتالنا إذا لم نسلمه إليهم، لأنه في حماية دار الإسلام وأمانها ، وينبغي توفير الأمان له حتى يرد إلى مأمنه، واعتبر تسليمه في كل ماسبق عذراً لا رخصة فيه »[٧٢] .

وأساس ذلك كله قوله تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾[٧٣] ، يقول صاحب أحكام القرآن في معنى الآية : « يدل على أن على الإمام حفظ الحربي المستجير وحياطته ، ومنع الناس من تناوله بشر »[٧٤] ، ورغم قسوة غير المسلمين اليوم في معاملتهم للمسلمين في بعض البلاد غير الإسلامية ومنعهم من ممارسة أبسط حقوقهم ، فلا ينبغي أن يحمل ذلك البعض منا إلى أن يدعو أو يعمل على معاملة غير المسلمين في بلادنا بمثل مايعامل به المسلمون في تلك البلاد تجاوباً مع سياسة المعاملة بالمثل .

فليس ذلك من العدل ولا من الوفاء في الإسلام ، فالقاعدة في الإسلام تقوم على عدم الظلم : ﴿ وألا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ فغير المسلمين في بلاد الإسلام قد دخلوا في أمان المسلمين وثبتت لهم حقوق وواجبات بموجب هذا الأمان فيجب رعايتها وحفظها كما تقدم مهما كانت الظروف والأحوال .

ب - حق الحركة والتنقل والاجتماع داخل حدود الدولة :

ويحق لغير المسلمين التنقل في داخل الدولة الإسلامية من غير أن يتعرض لهم أحد بحجز أو عقاب عدا الحرم المكي فلا يجوز دخولهم إياه كما في قول جمهور الفقهاء ، كما لهم الحق في السكنى والإقامة في أي بلد شاءوا إلا بلاد الحجاز ، كذلك في قول جمهور الفقهاء ، لكن إذا كان هناك مفسدة في تنقلهم فلولي الأمر أن يضع من القيود مايدرأها[٧٥] .

أما الاجتماع والتقاء بعضهم بعضاً فهو حق لهم كغيرهم ، فيلتقون بحسب عوائدهم وتقاليدهم ، سواء في بيوتهم أو مدارسهم أو معابدهم أو في أعيادهم أو ما إلى ذلك .

ولايمنعون من شيء من ذلك إلا إن كان فيه ضرر واضح على الدولة أو على المجتمع .

جـ - حق المأوى والسكن وحرمته :

ومن حقوق غير المسلمين أيضاً وجود سكن يأوون إليه وهم آمنون كغيرهم من المسلمين، ولا يجوز دخول مساكنهم إلا بإذن أهلها ، ولا التلصص عليهم فيها ولا اقتحامها بلا مسوغ شرعي ما داموا محافظين على القواعد الشرعية المرعية، لأن مسكن الإنسان موضع أسراره، ومحل حياته الخاصة مع أسرته وفيه أمواله، فلا ينبغي الاعتداء عليها، لأن ذلك اعتداء على الشخص نفسه

وقد دل على ذلك عموم الأدلة الواردة في ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾[٧٦] .

وقوله ﷺ: (من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقأوا عينه)[٧٧] ، فالبيوت في الآية والحديث عامة تشمل مساكن المسلمين ومن في حكمهم ولم يرد مايخصصه من جهة الشرع

د - عدم حبس المعاهد أو توقيفه أو معاقبته إلا بمقتضى الشرع :

فإلحاق شيء من ذلك به فيه أضرار عليه وعلى مصالحه وفيه جناية عليه بغير حق ، وفيه عدوان : ﴿ والله لايحب المعتدين ﴾[٧٨] ، كما أن فيه ظلم والله عز وجل قد حرم الظلم مطلقاً سواء للمسلم أو غير المسلم ، والرسول ﷺ يقول: (من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه)[٧٩] ، وقوله ﷺ: (من آذى ذمياً فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة)[٨٠] .

ومن القواعد الشرعية : « أنه لاجريمة ولا عقوبة إلا بنص الشرع » ، وتقتضي النصوص والقواعد الشرعية أنه لايجوز القبض أو الحبس أو المعاقبة إلا بأمر يستوجب ذلك .

٢ - الحقوق الاقتصادية والوظيفية وكفالة بيت المال :

أ - الحقوق الاقتصادية :

لأهل الذمة ومن في حكمهم في دار الإسلام حرية العمل ومباشرة النشاط الاقتصادي الذي يرغبون فيه ومزاولة العمل الذي يريدونه ، وحق التملك

والكسب بشرط ألا يخالفوا أحكام الشريعة الإسلامية ، فهم كالمسلمين في أحكام المعاملات وسائر التصرفات ، ويدخل في الحق الاقتصادي : التمتع بمرافق الدولة العامة كوسائل المواصلات ، والاتصالات ، والماء ، والكهرباء ونحوها إذا التزموا بما عليهم من الواجبات كالجزية والخراج والعشور فلا يجوز أخذ شيء من أموالهم غير الجزية وما صولحوا عليه كالضيافة وتعشير المال ونحوهما ، وأما الزيادة على ذلك فكما يقول الإمام أبو عبيد - رحمه الله : «ما علمنا أحداً رخص فيها في قديم الدهر ولا حديثه »[٨١] ، وقد سار الوضع على رعاية حقوق أهل الذمة في هذا الجانب كغيره من الجوانب طوال فترة الحكم الإسلامي حتى صار منهم أصحاب الصنائع التي تدر أرباحاً وفيرة كما كان منهم الصيارفة والأطباء وأصحاب الضياع[٨٢] .

ب - الحقوق الوظيفية :

قبل الدخول في الحديث عن هذا الحق نذكر نظرة الإسلام إلى الوظائف العامة. فالإسلام يعتبر الوظيفة تكليف تكلف به الدولة الفرد إذا كان أهلا لها فهي بالتالي أمانة عظيمة ومسؤولية كبيرة ، فلا تسند إلا للكفء الناصح ، فهي بالتالي ليست حقاً ولا تشريفاً ولا مكافأة بل عبئاً وتكليفاً .

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي فقال أحد الرجلين: يارسول الله : أمِّرنا على بعض ما ولآك الله عز وجل ، وقال الآخر مثل ذلك، فقال: (إنا والله لانولي على هذا العمل أحداً سأله، ولا أحداً حرص عليه)[٨٣] . وفي الصحيحين أيضاً عن عبدالرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: (ياعبدالرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها[٨٤] .

ففي هذين الحديثين دلالة ظاهرة على أنه لاينبغي للإنسان أن يطلب العمل والولاية، وفيهما دلالة صريحة أن تولي الـوظائف العامة ليس حقاً للفرد ، إذ لو كانت حقاً له لما كـان طلب الوظيفة أو الولاية سبباً لمنع طـالبها منها ، لأن صاحب الحق لايمنع من حقه إذا طلبه أو طالب به أو حرص عليه[٨٥] .

ويجوز الاستثناء مـن هذه القاعدة على من يجد في نفسـه الكفاية ويتعين عليه العمل ، وبـعض الوظائف العامة لايجوز أن يتولاهـا إلا مسلم لاشتراط الإسلام فـيها أو لأن طبيـعتها تـتطلب ذلك . أما الوظـائف التي ليس فيـها خصوصية فيجوز للذمي توليهـا بشرط أمن جانبه وأن لايكون فيها تسلط على المسلمين .

وقد درج الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من العلماء على جواز إسناد بعض الوظائف لأهل الذمة مـاداموا أهل ثقة وكفاية ، وفي هذا تسـامح وتساهل مع المخالفين في الدين لايوجد له نظير فـي القديم ولا في الحديث وقد اعترف به مؤرخو الغرب أمثال : آدم متز وغيره[٨٦] .

ولايشـارك المستأمـنون أهل الذمة فـي حق تولي الوظـائف العامـة لأنهم أجانب ولايتمتعـون بجنسية الدولة الإسلامية ، كما أن لـلدولة أن تقيد حرية المستأمن بنوع من العمل ، أو أن تحظر عليهم ذلك بخلاف أهل الذمة ، الذين صارت لهـم جنسية أهل الـبلد كما لهـم حق التمتـع بالحقوق المشـروعة وفق الضوابط الشرعية .

وللعلمـاء خلاف طويل في جـواز إسناد الأعمال والوظـائف العامة لغـير المسلمين حيث ذهب الكثيرون إلى منـعه وتحريمه ، لئلا تكون لهم ولاية وعلو وسلطة عـلى المسلمين ، وذهـب بعض منهم إلى الـقول بجوازه ، واشـترط

آخرون لجوازه اختفاء العداوة والبغضاء والحقد ، وهو مافعله الخلفاء والحكام والأمراء الذي أدخلوا غير المسلمين في بطانتهم وأسندوا إليهم بعض الوظائف والأعمال في الدولة الإسلامية وهو الراجح إذا دعت الحاجة إليه وفق الضوابط الشرعية وفي الأمور التي لايشترط فيها الإسلام .

جـ- كفالة بيت المال للذمي :

وإلى جانب ذلك يتمتع الذمي بكفالة الدولة الإسلامية له عند العجز أو الفقر أو الشيخوخة حيث وجد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- شيخاً يهودياً يسأل الصدقة ، فسأله عن ذلك، فأجاب بأنها الحاجة والسن ، فأخذ عمر بيده وذهب إلى منزله وأعطاه شيئاً، ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال له: « انظر هذا وأمثاله فو الله ما انصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم» [٨٧] .

وكتب خالد إلى أهل الحيرة : « وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام» [٨٨] ، وهذا الأمر الذي هو كفالة أهل الذمة وسد حاجتهم أمر محل إجماع الصحابة ومن بعدهم ومما يؤكد ذلك أن عمر بن الخطاب عند مقدمه إلى الشام مر بقوم مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا من بيت المال وأن يجرى عليهم القوت » [٨٩] .

وعمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - كان يتحرى أوضاع أهل الذمة ، ويأمر ولاته بالتحري عن المحتاجين منهم حيث كتب إلى عامله على البصرة عدي بن أرطأة : « أما بعد . . وانظر من قبلك من أهل الذمة من قد كبرت

سنه ، وضعفت قوته ، وولت عنه المكاسب ، فأجر عليه من بيت مال المسلمين مايصلحه »[٩٠] .

ومما سبق يمكن القول إن الدولة الإسلامية التزمت إعالة المحتاجين من أهل الذمة على أنه حق من حقوقهم وهذا الحق الذي هو إعالة الذمي من بيت المال لايشمل المستأمنين بمطلق عقدهم ، لأنهم ليسوا من أهل دار الإسلام ، وإقامتهم فيها مؤقتة ، غير أنه لايجوز إسلامهم إلى الهلاك لأن الإسلام يأمر بالإحسان وإعانة المحتاجين والرحمة بهم ، وليست هذه المعاني مقصورة على المسلم بل تشمل كل حي كما يدل عليه قوله ﷺ :(في كل كبد رطبة أجر)[٩١] ، فضلاً عما في الإحسان إلى المستأمن من تأثير بالغ في نفسه وتعريف له بمحاسن الإسلام .

٣ - الحقوق الدينية والفكرية :

ويندرج تحتها بقاء المعاهدين على عقيدتهم بحيث يتركون ومايدينون، وحق التعلم والتعليم ، وحق إبداء الرأي . ويمكن توضيح ذلك كالآتي :

أ - فالمعاهد له حق البقاء على دينه وعقيدته ، ولايكره على دخول الإسلام في قول عامة الفقهاء ، وذلك لأنه خضع لحكم الإسلام . وللمعاهدين إظهار شعائرهم الدينية في أمصارهم وأحيائهم الخاصة ومعابدهم وفي مواسم أعيادهم وغيرها . فقد قال تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾، وقد قرر الفقهاء ترك أهل الذمة ومايدينون .

ومما يدل على ذلك ماجاء في كتاب النبي ﷺ إلى أهل اليمن : (أنه من كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لايفتن عنها وعليه الجزية)[٩٢] .

وفي عهده لأهل نجران : (ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد ﷺ

على أموالهم وأنفسهم ، وأرضهم وملتهم ... وبيعهم ...)[٩٣] .

وقد سار على هذا المنهج الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ومن بعدهم كما في عهد عمر رضي الله عنه إلى نصارى بني تغلب ، ونصارى القدس، وخالد بن الوليد إلى أهل دمشق ، وحبيب بن مسلمة لأهل تفليس[٩٤] ، وكلها شواهد ناطقة بأن لأهل الذمة ومن في حكمهم ممارسة عباداتهم وإظهار شعائرهم في أمصارهم وأحيائهم الخاصة بهم ، وليس لأحد أن يتعرض لهم بمنع أو إكراه على غير مايحبون ، مادام ذلك في نطاق الاعتقاد والعبادة وإظهار الشعائر ، دون أن يؤذوا المسلمين أو يتعرضوا لعقائدهم بالسوء أو ينتج عنه أمر يضر بالإسلام أو الدعوة إليه[٩٥] .

وكما يجوز لهم البقاء على عقائدهم وإظهار شعائر دينهم كذلك لا يمنعون من بيع الخمر والخنزير والصليب وضرب الناقوس في قرية أو موضع ليس من أمصار المسلمين[٩٦] .

ومما يلحق بحقوقهم الدينية بقاء معابدهم التي صولحوا على بقائها ولهم إعادة ما انهدم منها ورمه . وللعلماء في المسألة أقوال أجملها فيما يلي :

- ما أنشأ المسلمون من المدن والقرى ابتداءً وكذلك جزيرة العرب لا يجوز إحداث المعابد فيها ولا إقرار بقائها مطلقاً ، وذلك لنهيه ﷺ عن ذلك.

- ما أقر من المعابد فيجوز إصلاحه وتجديده وإعادة ما انهدم منه على القول الراجح .

- ما فتحه المسلمون عنوة فلا يجوز الإحداث فيه مع جواز الإقرار للمعابد القائمة وبقائها على قول الجمهور .

أما ما فتح صلحاً فيكون بحسب الاتفاق [٩٧] .

ب - حق التعلم والتعليم : ليس في نصوص الشريعة وقواعدها العامة مايمنع غير المسلمين من قيام الذميين بالتعلم لدينهم وتعليمه لأولادهم إذ لايمنعون من ذلك ولهم إنشاء المدارس الخاصة لذلك ، ولكن يمنعون من تعليم المسلمين تعاليم دينهم أو نشره بين المسلمين لما فيه من الضرر على الإسلام والمسلمين .

هذا في العلوم الشرعية ، أما العلوم الدنيوية فالأمر فيها واسع .

جـ - حق إبداء الرأي : يحق للذميين ومن في حكمهم إبداء الرأي فيما يخص شؤونهم كما يحق لهم إبداء النصح لأي أحد من الناس ، أو إبداء وجهة نظر حول أمر من أمور الحياة الدنيا أو أمر من أمور دينهم هم ماداموا يريدون العدل والحقيقة وتحقيق المصلحة .

وهذا الحق والذي قبله مقيد بعدم إساءة استخدامه كأن يدعوا لدينهم بين أبناء المسلمين أو يقوموا بالتجوال في أنحاء العالم الإسلامي لحمل المسلمين على الردة عن الإسلام بحجة التعليم وإبداء الرأي ، فالردة جريمة في نظر الإسلام ولايجوز المساهمة في وقوع الجريمة .

وكما أسلفنا فإن إبداء آرائهم مخصوص في شؤونهم الخاصة. وفيما لاعلاقة له بالأمور الإسلامية، وفي حدود القواعد الشرعية والمصالح الإسلامية، فليس من حقهم الطعن في دين الإسلام، أو شعائره أو نبيه ﷺ، أو في سيرة الصحابة وعلماء الإسلام بحجة إبداء الرأي ، لأن ذلك كله مخالف للنظام العام ، ويمنع منه المسلمون فضلاً عن غير المسلمين .

٤ - الحقوق السياسية :

اختيار الحاكم في الإسلام يتم عن طريق أهل الحل والعقد ، وهم إذا تم

تعيينهم عن طريق الاختيار فيشترط فيهم مايشترط في الإمام نفسه . وحق اختيار الحاكم ونوابه ووزرائه وأمرائه من حق المسلمين أنفسهم ولم يرد أن أحداً من أهل الذمة اشترك في اختيار أحد من الخلفاء الراشدين . كما لم ينقل أن أهل الذمة أو واحداً منهم طالب بهذا الحق ، مما يدل على أن المفهوم لدى الجميع أن هذا الحق مقصور على المسلمين دون غيرهم .

إلا أنه يجوز لولي الأمر أن يستشير الذمّي في تعيين ذمي آخر في الوظائف المسموح بها لهم .

من ناحية أخرى فإن لغير المسلمين حق النصيحة أو المراقبة ، والمراد بهذا الحق مناصحة ولاة الأمر ومراقبة تصرفات الحاكم أو أحد ولاته . فهذا أمر مشروع وهو من حق الفرد لقوله ﷺ : (الدين النصيحة ، قيل لمن يارسول الله قال : الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[٩٨] ، فغير المسلمين لهم حق المناصحة ، فإذا رأى أحد منهم تصرفات غير سليمة فله أن يتقدم بها إلى المسؤولين .

٥ - ضمانات حماية تلك الحقوق :

عندما قررت الشريعة الإسلامية لغير المسلمين كل تلك الحقوق ، وكفلت لهم الحريات ، وزادت على ذلك بتأكيد الوصية بحسن معاملتهم ومعاشرتهم بالتي هي أحسن ، ضمنت لهم الوفاء بتنفيذ هذه الحقوق وتحقيق هذه الوصايا .

وهذا الكلام حق وصدق إذا نصرنا إلى الدساتير الأرضية والقوانين الوضعية التي تنص على المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات ثم تظل حبراً على ورق ، لغلبة الأهواء والعصبيات التي لم تستطع القوانين أن تنتصر

عليها ، لأن الشعب لايشعر بقدسيتها ، ولايؤمن في قرارة نفسه بوجوب الخضوع لها والانقياد لحكمها .

أما الشريعة الإسلامية فهي شريعة الله الذي لاتبديل لكلماته ولا جور في أحكامه، ولايتم الإيمان إلا بطاعته، والرضا بحكمه لقوله تعالى: ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾[٩٩] .

فهذا ضمان الإيمان والعقيدة إذ يحرص كل مسلم يتمسك بأحكام دينه على تنفيذ أحكام هذه الشريعة ووصاياها، ليرضي ربه وينال ثوابه، لايمنعه من ذلك عواطف ولا مصالح، ولا مشاعر مودة أو عداوة لقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾[١٠٠] .

وهناك ضمان آخر وهو رقابة المجتمع الإسلامي بما فيه من علماء ودعاة ومصلحين فهم حرّاس الشريعة وحماتها ، فإذا قصّر بعض الناس أو انحرف أو جار أو تعدى وجد في المجتمع المسلم من ينبهه ومن يرده إلى الحق ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ، ويقف إلى جانب المظلوم المعتدى عليه ولو كان مخالفاً له في الدين كما مر معنا في موقف الإمام الأوزاعي من الوالي العباسي، وغيره كثير . وأمثلة التاريخ وشواهده كثيرة في رعاية المسلمين لحقوق أهل الذمة وحمايتها وإنصافهم ممن ظلمهم سواء كانوا من أفراد الرعية أو من الولاة والأمراء، ومن أمثلتها : قصة شكوى أحد الرهبان في مصر إلى واليها أحمد بن طولون أحد قواده، فأنصفه منه وقصة القبطي مع عمرو بن العاص - رضي الله عنه - وإنصاف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه له قصة مشهورة ، وكذلك قصة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مع النصراني الذي أخذ درعه لما سقط من بعيره أمام القاضي شريح ، وقضاؤه

بالدرع للنصراني لعدم وجود بينة لأمير المؤمنين على أنها له، مما دعا النصراني إلى الإسلام قائلاً: أما أنا أشهد أن هذه أحكام أنبياء ! أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه فيقضي لي عليه! أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، الدرع درعك يا أمير المؤمنين. اتبعت الجيش وأنت منطلق من صفين ، فخرجت من بعيرك الأورق . فقال علي رضي الله عنه أما إذا أسلمت فهي لك[1 1] ، وهي قصة تغني عن كل تعليق وتكفي عن كل شاهد .

ثانياً : الحقوق الخاصة :

نقصد بالحقوق الخاصة تلك التي تنشأ من علاقات الأفراد فيما بينهم ، سواء كانت علاقات عائلية أم مالية ، فمن الحقوق العائلية حق الزواج والطلاق ونحوهما ، ومن الحقوق المالية حق التملك ، ومباشرة سائر التصرفات المشروعة على أعيان أملاكهم ، أو مع غيرهم من الأشخاص دائنين كانوا أو مدينين[2 1] .

فغير المسلمين كالمسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين في كل الحقوق الخاصة التي لايشترط فيها الإسلام ويتساوى في ذلك الذمي والمستأمن.

وقد أشار ابن القيم - رحمه الله - إلى صحة أنكحة غير المسلمين وثبوت آثارها .

وأشار أيضاً إلى جواز توارث أهل الدين الواحد ولو اختلفت أوطانهم ودولهم[3 1] .

وخلاصة القول أن لغير المسلمين من الحقوق الخاصة ما يناظر حقوق المسلمين إلا ماكان الإسلام شرطاً في جوازه - كما أسلفنا - فيتميز به المسلمون عن غيرهم، ولذلك جاز لغير المسلمين بيع الخمر والخنزير بحسب معتقدهم فيها، ويمنع من ذلك المسلمون .

واجبات غير المسلمين في الإسلام

إذا كان غير المسلمين في البلاد الإسلامية لهم حقوق فمن طبائع الأشياء آن يكون عليهم واجبات يؤدونها للمسلمين ، ولعل من أبرزها :

١ - الالتزام بدفع الجزية .

٢ - الخضوع لأحكام الإسلام .

٣ - ترك مافيه ضرر على المسلمين .

٤ - الالتزام بأنظمة البلاد ومراعاة الآداب ، وعدم جرح شعور المسلمين.

٥ - عدم إظهار المنكرات .

ويمكن شرح ذلك كالآتي :

١ - الالتزام بدفع الجزية :

يقترن عقد الذمة في الغالب بدفع الجزية من البالغ العاقل الذكر الحر القادر على دفعها مرة كل سنة ثم يلحق به نساؤه وأولاده دون أن يدفعوا شيئاً وذلك مقابل حمايته وأسرته من الاعتداء ومقابل الدفاع عن البلاد حيث لايجب عليه ذلك ، كما يجب عليه أن يدفع ضريبة على أمواله التجارية وهي التي يسميها الفقهاء بالعشور وكذلك الخراج على الأرض الخراجية .

فالجزية إذاً مبلغ ضئيل من المال يدفعه الذمي كل سنة للدولة في مقابل حمايته والدفاع عنه كما أسلفنا ، ومقابل مشاركته في المصالح العامة ، والاستفادة من المرافق العامة ، وهي رمز الولاء للدولة والتزام الأحكام المطبقة فيها ، وهي في مقابل الزكاة التي تؤخذ من المسلمين فالمسلم مطالب بدفع الزكاة والجهاد والدفاع عن البلاد والذمي لايلزم بشيء من ذلك .

فالجزية رمز للطاعة من جهة ، ومظهر للعدالة الاجتماعية بين المواطنين من جهة أخرى[104] .

يقول ابن القيم – رحمه الله – : « فإن الجـزية أثبتت له الأمان على نفسه وأهله وماله في المقام والسفر »[105] .

ويجوز عقد الـذمة دون دفع الجزية كما فعل عمـر بن الخطاب رضي الله عنه مع نصارى بني تغلب ، حيث أخذها منهـم باسم الصدقة مع تضعيفها ، وبشروط أخرى[106] ، وإذا شارك الذمـي بأعباء القـتال وانخرط في صـفوف الجيش مع المسلمين وشـارك في الخدمة العسكرية فلا تؤخذ مـنه الجزية ، كما ترد الجزية إلى أصحابهـا إذا تعذر القيام بحمايتهم كما فـعله أبو عبيدة –رضي الله عنه– وغيره في حمص وعلى حدود الروم[107] .

٢ – الخضوع لأحكام الإسلام:

ويدخل تحـته المعامـلات المدنية ، والجنائـية بحيـث تسري عليـهم أحكام الإسلام لما لهذه الأحكام مـن ارتباط وثيق بالمجتمع وأمنه بما فـيه من مسلمين وغيرهم .

ولذلك قرر فـقهاء الإسلام أن مـعاملات غيـر المسلمين يجب أن تـخضع لأحكام الشريعـة ، صحةً ، وفساداً ، وبطلاناً ، لأن المعـاملات أساس النظام المدني والاقتصادي في المجتمع ، ولكونها تقوم على تبادل المنافع بين أفراده ، ولايمكن أن ينعـزل غير المسلمـين عن المجتمع الذي يعـيشون فيـه ، وأسواقه وأنشطته المختلفة ، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمقصد عام من مقاصد الشريعة ، وهو بتحقيق الحـاجيات التي من شأنها أن تيسر سبـل الحياة وترفع الحرج عن الناس ، ولو فرضنا قـيام نظام خاص بغير المسلمين فـي المجتمع الإسلامي ، للزم من ذلك قيام دولة داخل الدولة وهـذا ينافي الاندماج والولاء للدولة التي التزمت بتحقيق أمنهم وأمانهم[108] .

ويستثنى من سريان أحكام الإسلام عليهم في باب المعاملات جواز تبايعهم بالخمر والخنزير ما لم يكن أحد أطراف المعاملة مسلماً ، أو كان تعاملهم بها مجاهرة في أمصار المسلمين .

أما في جانب الأحكام الجنائية : فإنه يلزم غير المسلمين الامتناع عن جرائم القتل والزنا والسرقة والقذف والحرابة ، ونحوها ، لأنها تمس أمن المجتمع مباشرة . . . وهي تتناقض مع الضرورات التي جاءت الشريعة لصيانتها ، وفعلهم لها مخالف لمقتضى عقد الذمة وعقد الأمان ويعود عليه بالنقض .

وعقد الذمة الأصل فيه أنه لمصلحة من يعقد له وأخذ الجزية منهم ليس لرغبة المسلمين فيها أو حاجتهم إليها أو لطمع منهم في ذلك كما لاحظنا في تطبيقاتها ، بل دعوة أهل الذمة إلى الإسلام ، ليخالطوا المسلمين ، فيتأملوا في محاسن الإسلام وشرائعه ، وينظروا فيها ، فيجدوها مؤسسة على ماتحتمله العقول ، وتقبله ، فيدعوهم ذلك إلى الإسلام فيرغبون فيه ، فكأن عقد الذمة لرجاء الإسلام(١٠٩) .

وهكذا نرى أن عقد الذمة وطلب الجزية تحت أي اسم كانت هو أحد وسائل الدعوة لنشر الإسلام ، وتبليغ الدعوة ، وإنقاذ الناس من الضلال والانحراف والفساد ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور .

وهذا فيما مضى وفيما سيأتي - إن شاء الله - إذا عادت الغلبة والشوكة للمسلمين . أما في العصر الحاضر ، فلم يبق عقد الذمة موجوداً بصورته القديمة التي تحدث عنها الفقهاء وقعَّدوا لها ، حيث اختلفت الأسس والأنظمة التي تنظم علاقات الدول مع بعضها ، وعلاقة الدولة مع المواطنين القاطنين في أرضها بمختلف فئاتهم .

وإذا أردنا أن نطبق عقد الذمة في عصرنا الحاضر فلابد من التفريق في أحكامه بين حالتين :

الحالة الأولى : تطبيقه في العلاقات الدولية وفي ظل القانون الدولي في وقتنا الحاضر حيث لم يبق مجال لتطبيق عقد الذمة ودفع الجزية لعدم تعارف الدول عليه حالياً وزوال استعماله في التعامل الدولي ، حيث الالتزام بمبدأ المعاملة بالمثل ، وفي هذه الحالة يتطور عقد الذمة بما يتناسب مع الأنظمة العالمية بدون دفع الجزية ، وهذا جائز شرعاً ، فيجوز لولي الأمر أن يعقد اتفاقات ومعاهدات وعقوداً تحقق المصالح العامة للمسلمين ، ومركزهم المناسب في المجتمع الدولي ، بما لا يتعارض مع أحكام الإسلام .

الحالة الثانية : تطبيق عقد الذمة ودفع الجزية في الأنظمة والقوانين الداخلية على المواطنين القاطنين في أرض الدولة ، فهنا لا نجد غضاضة من تطبيقه مع الاختلاف في الألفاظ والمصطلحات ، لأن عقد الذمة تنظيم داخلي لفئة من المواطنين ، ويتضمن دفع ضريبة معينة على فئة من الناس ، ويقابلها التزامات أخرى على بقية الفئات ، وهذا لاغبار عليه وقد جرى به العرف في أنظمة الدول قديماً وحديثاً فللدولة أن تشرع من الأنظمة ما يناسبها ويحقق مصالحها وتفرض القيود التي تراها (١١) .

٣ - ترك مافيه ضرر على المسلمين :

يجب على غير المسلمين أن يتركوا من الأقوال والأفعال مافيه ضرر على المسلمين ويشمل عدة أمور ذكر منها ابن قدامة(١١١) :

أ - الاجتماع على قتال المسلمين .

ب - الزنا بالمرأة المسلمة أو إصابتها باسم النكاح .

جـ - فتنة المسلم عن دبنه أو دعوة الناس إلى دينهم وترغيبهم فبه فإنه كما قال ابن القيم -رحمه الله-: « أولى الأشياء أن ينتقض العهد به، فإنه حراب الله ورسوله باللسان ، وقد يكون أعظم من الحرب باليد»[١١٢] .

د - قتل المسلم ، وقطع الطريق أو التجسس لحساب العدو أو إيواء جاسوس الأعداء .

هـ - معاونة أعداء الإسلام بدلالتهم على عورات المسلمين أو مكاتبتهم بذلك.

و - ويلحق بذلك إيذاء المسلمين بأي وجه كان كالضرب أو السب أو الإهانة ونحو ذلك .

٤ - الالتزام بأنظمة البلاد ، وعدم جرح شعور المسلمين :

فعلى غير المسلمين أن يمتنعوا عما يُعد إخلالاً بالنظام العام للدولة الإسلامية وذلك بعدم التعرض لأمور الدبن وأحكامه بالنقد أو السخرية أو الاستهزاء ، أو الإخلال بأمن البلد ، أو نشر الشائعات ، أو التحريض على الفوضى ، أو دعم الإرهاب أو المنظمات المشبوهة المعادية للدين وأمن البلد ، أو تبني أنشطة تسيء إلى الإسلام أو فيها جرح لمشاعر المسلمين ، أو إيذاء لله ورسوله أو أحد الأنبياء أو فيها طعن في كتاب الله أو تحريف فيه . كما عليهم أن يمتنعوا عما فيه إخلال بآداب الإسلام وأخلافه من الفحش في اللباس أو التعري في الأماكن العامة أو ممارسة بعض المحرمات في مجامع المسلمين أو أمام أنظارهم .

٥ - عدم إظهار المنكرات :

لايجوز لغير المسلمين إظهار المنكرات الجائزة حسب معتقدهم بين المسلمين، كإظهار بيع الخمور والخنازير في بلاد المسلمين أو إدخالها فيها على

وجه الشهرة والظهور أو شربها أو أكلها بين المسلمين .

كما لايجوز لهم إظهار منكر يعتقدون حرمته كالفواحش ونحوها وكذلك أكل الربا لأنه محرم في ديانتهم كما هو محرم في ديننا لقوله تعالى: ﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه﴾. قال أبو يوسف: « ولايمكن المستأمنون من مبايعة الخمر والخنزير، أو المبايعة بالربا وما أشبه ذلك في دار الإسلام، لأن حكمه حكم الإسلام وأهله ولا يحل أن يبايع في دار الإسلام ماحرم الله»(١١٢).

كذلك يمنعون من إحداث البِيَع والكنائس وأماكن العبادة في الأماكن التي تقدمت الإشارة إلى عدم جواز الإحداث فيها .

كما يمنعون من الإعلان بعباداتهم وفحشهم للمسلمين ، بل يسروها لئلا يؤذوا مشاعر المسلمين ، أو يتأثر بهم رعاع الناس ، ولايجوز لهم استيطان الحجاز ، ويحرم عليهم دخول حرم مكة ، كما تقدمت الإشارة إليه .

• • • • • •

الخاتمة

وهكذا نصل في نهاية البحث إلى نتائج من أبرزها :

١ - أن غير المسلمين في المجتمع الإسلامي نوعان : أهل ذمة وهؤلاء لهم الإقامة الدائمة في دار الإسلام ولهم حق التمتع بجنسيتها لقاء جزية يؤدونها بدل حمايتهم، وأهل أمان ويطلق عليهم لفظ «المستأمنون». وعرفنا مفهوم هذه المصطلحات كل في موضعه من البحث .

٢ - يثبت لأهل الذمة على الخصوص من الحقوق مايقرب من المسلمين وجوب حمايتهم من كل عدو يقصدهم من الداخل أو الخارج ، كما يثبت لهم وللمستأمنين حق العصمة في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وحق السفر إلا إلى مكة والإقامة حيث شاءوا إلا الحجاز ، كما يثبت لهم حق التمتع بحريتهم الفكرية والعقدية وشعائرهم الدينية ، دون أن يحدثوا بذلك فتنة في المجتمع أو يعرضوه لذلك ، كما يثبت لهم حق العمل ومزاولة الأنشطة التجارية والاقتصادية وغير ذلك من التصرفات المشروعة ماداموا في دار الإسلام .

٣ - يحظر على أهل الذمة مايحظر على المسلمين في المجتمع الإسلامي من الأفعال والأقوال ، ويجب عليهم الالتزام بالواجبات المقررة ، كما يلزمون بالعقوبات المقررة على كل فعل أو تصرف اعتبر جريمة .

٤ - ظهور سماحة الإسلام ورحمته وحبه الخير لجميع الناس من خلال ماظهر لنا في أسس العلاقة ومقاصدها بغير المسلمين وأن الإسلام بلغ من التسامح مع غير المسلمين غايته ، كما بلغ حفظ الحقوق ورعايتها أعلى درجات الكمال .

الهوامش

١ - سورة المائدة ، الآية : ٦٧ .

٢ - سورة الأعراف ، الآية : ١٥٨ .

٣ - انظر: لسان العرب ٢/١١٤١، والمفردات في غريب القرآن، ص٣٨٦٠، والقاموس ٣/٥٣١ .

٤ - المفردات ص : ١٢٦ ، ولسان العرب ص : ٦٨٠ .

٥ - سورة يس ، الآية : ٧ .

٦ - انظر : أحكام الذميين والمستأمنين ، ص : ٧٦ .

٧ - القاموس المحيط ص ٤/٥٧٤ ، والمفردات ص ٥١٢ .

٨ - التعريفات للجرجاني ، ص : ٢٢٢ .

٩ - القاموس المحيط ص ٦٨١ ، ولسان العرب ص ٣/١٥٤ ، والمفردات ص ٤١٠ .

١٠- راجع مفهوم الأقليات :

أ - الأقليات بين العروبة والإسلام ، ص : ٩ .

ب - الأقليات الإسلامية في العالم ص : ٥ .

جـ - الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة ص ٣٣٢ .

١١- انظر: القاموس المحيط. ج٤، ص ١١٥، ومقاييس اللغة ص ٢/٣٤٦، والنهاية في غريب الحديث ٢/١٦٢ .

١٢- أخرجه البخاري في الصحيح ١/٢٢٠ ، وكذلك مسلم ص ٩/١٤٣ ،

وأبو داود ١/٤٦٩ ، والترمذي ٦/٣٢٤ ، والنسائي ٨/١٨ ، وابن ماجة ٢/٨٩٥ في السنن والإمام أحمد في المسند ١/٨١ .

١٣- كشاف القناع ص : ٧٠٤ ، ج١ .

١٤- الأحكام السلطانية ص : ١٦٢ .

١٥- المرجع السابق ، ص ١٦٢ ، ولتخريج الحديث انظر : تخريج الهامش رقم (١٢) .

١٦- القاموس الفقهي ، ص : ١٣٨ .

١٧- انظر : أحكام الذميين والمستأمنين ص : ٣١ .

١٨- أخرجه أبو داود في السنن٣/٢٣١، والبيهقي كذلك في السنن٩/٢٠٥ .

١٩- لسان العرب ص ١/١٤١ .

٢٠- سورة التوبة ، الآية : ٦ .

٢١- انظر : فقه الاحتساب على غير المسلمين ، ص : ١٤ .

٢٢- أحكام أهل الذمة ١/٣٣٦ ، ومجموعة بحوث فقهية ص : ٧٥ .

٢٣- ترتيب القاموس ، ص : ٣/٣٣٥ .

٢٤- المفردات ، ص : ٣٥٠ .

٢٥- سورة الإسراء ، الآية : ٣٤ .

٢٦- المرجع السابق الصفحة نفسها .

٢٧- المغني ص ٨/٣٦٨ ، .

٢٨- سورة الإسراء ، الآية : ٧٠ .

٢٩- تفسير القرآن العظيم ص ٥١/٣ .

٣٠- تفسير أبي السعود ١٨٦/٥ .

٣١- أخرجه البخاري في كتاب التيمم (باب ٦) ، ومسلم في كتاب المساجد (الحديث رقم : ٣١٢) .

٣٢- سورة المائدة ، الآية : ٢٨١ .

٣٣- سورة المائدة ، الآية : ١ .

٣٤- سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

٣٥- سورة الممتحنة ، الآيات : ٨-٩ .

٣٦- البخاري في الهبة (٢٨ ، ٢) ، وفي الجزية (٢٨ ، ٢) ، ومسلم في الزكاة (١٥ ، ١١) .

٣٧- سورة الزخرف ، الآية : ٢٦ .

٣٨- سورة البقرة ، الآية : ١٥٦ .

٣٩- انظر : فقه الاحتساب على غير المسلمين ، ص : ٣٢ .

٤٠- سورة المائدة ، الآية : ٦٧ .

٤١- أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء(الباب: ٥٠)،والإمام أحمد(١٥٦/ ٢)، والترمذي في كتاب العلم (باب ١٣) عن عبدالله بن عمر .

٤٢- سورة الصف ، الآية : ٩ ، والتوبة : ٢٣ .

٤٣- سورة فصلت ، الآية : ٣٣ .

٤٤- أخرجه مسلم في كتاب العلم (حديث رقم : ١٦) ، والترمذي كذلك في (كتاب العلم : باب ١٥) .

٤٥- أخرجه البخاري في كتاب الجهاد (باب : ١٠٢) .

٤٦- أخرجه البخاري والإمام أحمد عن عبدالله بن عمر كما تقدم، انظر ص:١٧ .

٤٧- أخرجه الترمذي في كتاب العلم : باب ٧ ، وأبو داود في كتاب العلم: باب ١٠ ، والإمام أحمد ١/ ٤٣٧ ، عن زيد بن ثابت .

٤٨- رواه السيوطي في الجامع الصغير ، ج٣ ، ص ١٢٤ ، وقال عنه الألباني حديث حسن كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة ص ١/١٦٨ حديث رقم ٤٢٧ .

٤٩- أخرجه التبريزي في المشكاة في كتاب الآداب (باب الشفقة والرحمة على الخلق) (ج/٣ ص ١٣٩٢) ، وقد ضعفه الإمام النووي وغيره راجع: (إسماعيل العجلوني : كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ط٣ ١٤٠٨هـ ، جـ١، ص: ٣٨١).

٥٠- سورة الأنفال ، الآية : ٨ .

٥١- سورة التوبة ، الآية : ٢٩ .

٥٢- سورة الرعد ، الآية : ١١ .

٥٣- انظر: المحلى لابن حزم ١٢٥/ ٨/١٢٦ ، والمغني لابن قدامة ١/٥٦٧ .

٥٤- سورة المائدة ، الآية : ١ .

٥٥- سورة النحل ، الآية : ٩١ .

٥٦- أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب ١٧٤ .

٥٧- مسند الإمام أحمد ٤/٨٩ ، وأبو داود في الأطعمة ٣/٣٥٦ .

٥٨- انظر : كتاب الخراج لأبي يوسف ، ص ٠ ٧٢ .

٥٩- انظر : الخراج ليحيى بن آدم ، ص : ٧٤ .

٦٠- سنن الدارقطني ص ٢/٣٥٠ ، والمغني لابن قدامة ١٠/٦٢٣ .

٦١- كتاب الأموال لأبي عبيد ، ص ٥٤ .

٦٢- الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٤٧ .

٦٣- كتاب الخراج لأبي يوسف ص ١٢٤ - ١٢٥ .

٦٤- المغني ص ٨/٥٣٥ .

٦٥- الأحكام السلطانية : ١٤٣ .

٦٦- الفروق ٣/١٤ .

٦٧- الأموال لأبي عبيد ص ١٧٠ - ١٧١ ، وتاريخ البلاذري ص ٢٢٢ .

٦٨- الأموال لأبي عبيد ص ١٢٧ ، ومجموعة بحوث فقهية لعبدالكريم زيدان ص : ٧١ .

٦٩- المصدر السابق ، ص : ٧٠ .

٧٠- مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٢٨/٦١٩ .

٧١- شرح السير ٥/١٨٥٨/١٨٥٧ .

٧٢- المصدر السابق ١٦١٢ - ١٦١٧ .

٧٣- سورة التوبة ، الآية : ٦ .

٧٤- أحكام القرآن للجصاص ، ص ٤/٢٧٣ .

٧٥- انظر : الجامع للقرطبي ٨/١٠٤ ، والمغني لابن قدامة ٨/٥٢٩ ، ومراتب الإجماع لابن حزم ، ص : ١٢٢ .

٧٦- سورة النور ، الآية : ٢٧ - ٢٨ .

٧٧- أخرجه مسلم في كتاب الآداب ، باب تحريم النظر في بيت غيره .

٧٨- سورة البقرة ، الآية : ١٩٠ .

٧٩- سنن أبي داود جـ٢ ، ص ٢٥٥ ، والبيهقي في السنن ٩/٢٠٥ .

٨٠- الجامع الصغير ، جـ٢ ، ص : ٥٤٧ ، وقال إسناده حسن .

٨١- الأموال لأبي عبيد ص ١٧٠ .

٨٢- انظر أهل الذمة في الإسلام تأليف أ.س ترتون ، ترجمة حسن حبش ، ط١٩٤٩م ، ص : ١٦٩ .

٨٣- أخرجه البخاري في كتاب الأحكام حديث رقم (٧١٤٩) ، ومسلم في الإمارة واللفظ له حديث رقم : ١٤.

٨٤- انظر : تخريج الحديث السابق .

٨٥- انظر : أحكام الذميين والمستأمنين ، ص : ٧٨ .

٨٦- انظر : أحكام الذميين والمستأمنين ، ص : ٨١ .

٨٧- كتاب الخراج ، ص : ١٤٤ .

٨٨- الخراج لأبي يوسف ، ص: ١٤٤ .

٨٩- تاريخ البلاذري ، ص : ١٧٧ .

٩٠- الأموال لأبي عبيد ، ص: ٥٧ .

٩١- أخرجه البخاري في كتاب المسافات (باب : ٩) ، وأخرجه مسلم في كتاب السلام (باب: ١٥٣)، وأبو داود في كتاب الجهاد(باب: ٤٤).

٩٢- الأموال لأبي عبيد ، ص : ٢١٣ .

٩٣- كتاب الخراج ، ص : ٧٢ .

٩٤- أحكام أهل الذمة لابن القيم ، ص ٢/١١٦ ومابعدها .

٩٥- انظر : معاملة غير المسلمين في الإسلام ، ص ١/٢١٧ .

٩٦- البدائع للكاساني ، ص ٩/٣٣٦ .

٩٧- أحكام أهل الذمة ، ٢/١٣٢ .

٩٨- أخرجه مسلم (١/٥٢) ، أبو داود رقم (٤٩٤٤) ، والنسائي (٢/ ١٨٦) .

٩٩- سورة الأحزاب ، الآية : ٣٦ .

١٠٠- سورة النساء ، الآية : ١٣٥ .

١٠١- البداية والنهاية لابن كثير ، ص ٨/٥٠٤ .

١٠٢- أحكام الذميين والمستأمنين ، ص : ١٣٠ .

١٠٣- أحكام أهل الذمة ، ص : ٤٤٢ - ٤٤٤ / ٢ .

١٠٤- الحكومة الإسلامية، ص : ١٠٠، والمجتمع الإنساني، ص: ١٩٧ .

١٠٥ - أحكام أهل الذمة ، ص : ١٥٧ .

١٠٦- المرجع السابق ، ص : ٧٥ ، والأموال ، ص : ٣٩ .

١٠٧- أحكام الذميين والمستأمنين ، ص : ١٥٧ ، والخراج ، ص : ١٣٩ .

١٠٨- أحكام الذميين والمستأمنين ، ص : ٢٠٩ .

١٠٩- انظر : بدائع الصنائع للكاساني ، ص : ٩/٤٣٢٩ .

١١٠- انظر : النظم الإسلامية ،ص:٣٦٤ ، ومعاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ،ص : ١٢٦ .

١١١- انظر : المغني ١/٦١٨ .

١١٢- أحكام أهل الذمة ، ص : ١٦٠ .

١١٣- أحكام الذميين والمستأمنين ، ص : ٢٠٩ .

• • • • • •

المراجع

- القرآن الكريم .
- أبو العباس، أحمد بن إدريس المشهور بالقرافي (د.ت)، الفروق، دار المعرفة، بيروت .
- أبو بكر، علي بن أحمد بن يحيى بن جابر (د.ت) ، تاريخ البلاذري، المسمى فتوح البلدان، مكتبة النهضة المصرية .
- أبو عبدالله، محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، (١٤١٠هـ)، المغني، دار هجر ، القاهرة .
- أبو عبدالله، محمد بن أبو بكر ابن قيم الجوزية، (١٤١٥هـ)، أحكام أهل الذمة، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى .
- أبو عبيد، القاسم بن سلام، (١٩٧٢م)، الأموال ، طبعة دار الفكر، القاهرة، الطبعة الثانية.
- أبو محمد ، علي بن أحمد ، (١٣٩٦هـ) ، مراتب الإجماع ، مكتبة القدس .
- أبو محمد، علي بن حزم، (د.ت)، المحلى، تحقيق: حسن طلبة، مكتبة الجمهورية ، مصر .
- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم ، (١٣٨٢هـ) ، الخراج ، المطبعة السلفية، القاهرة ، الطبعة الثالثة .
- أحمد بن حنبل ، (١٤١٣هـ) ، المسند ، الناشر ، مؤسسة الرسالة .

- أحمد عبدالحليم بن تيمية ، (١٣٩٨هـ) ، الفتاوي ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم ، الطبعة الأولى .
- أحمد بن علي الرازي ، (د.ت) ، المشهور بالجصاص - أحكام القرآن، الناشر دار المصحف ، القاهرة .
- أحمد بن فارس، (د.ت) ، معجم مقاييس اللغة ، دار الكتب العلمية.
- أحمد بن الحسين البيهقي،(١٣٥٥هـ)، السنن الكبرى، الطبعة الأولى.
- أحمد بن شعيب النسائي ، (د.ت) ، سنن النسائي ، طبعة دار الدعوة .
- أحمد بن محمد الحوفي، (د.ت)، سماحة الإسلام،مكتبة نهضة مصر.
- إسماعيل بن عمر بن كثير :
  - (د.ت) تفسير القرآن العظيم ، طبعة دار الفكر ، بيروت .
  - البداية والنهاية ، الطبعة الثانية .
- بحوث، المجمع الملكي، (١٩٨٩م)، عمان، معاملة غير المسلمين في الإسلام .
- ترتون، أ.س ، (د .ت)، أهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبش، بيروت .
- جلال الدين السيوطي،(١٤٠١هـ)، الجامع الصغير، الناشر دار الفكر، بيروت .

- الحسين بن محمد ، المعروف بالراغب الأصفهاني ، (د.ت) ، المفردات في غريب القرآن ، دار المعرفة ، بيروت .
- سليمان بن أحمد الطبراني ، (١٩٧٩م) ، معجم الطبراني ، تحقيق : حمدي السلفي ، الدار العربية ، بغداد ، الطبعة الأولى .
- سليمان بن الأشعث السجستاني ، (د.ت) ، سنن أبي داود ، طبعة دار الدعوة .
- سليمان الحقيل ، (١٤١٤هـ) ، حقوق الإنسان في الإسلام ، الطبعة الأولى .
- صبحي الصالح ، (١٣٨٥هـ) ، النظم الإسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت: الطبعة الأولى .
- الطاهر أحمد الرازي ، (١٩٨٠م) ، ترتيب القاموس ، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة .
- عبدالله بن إبراهيم الطريقي، (١٤١٦هـ) ، فقه الاحتساب على غير المسلمين، طبعة دار المسلم .
- عبدالكريم زيدان :
  - (١٣٩٦هـ)أحكام الذميين والمستأمنين،الطبعة الثانية،طبع دار الرسالة.
  - (١٣٩٦هـ) مجموع بحوث فقهية ، الناشر ، مكتبة القدس .
- عبدالوهاب أحمد عبدالواسع ، (١٤١٤هـ) ، الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة، الطبعة الأولى ، طبع دار الطاير ، الرياض .
- عبدالكريم النملة ، (١٤١٤هـ) ، الإلمام في مسألة تكليف الكفار بفروع الإسلام، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى .

- علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، (د.ت) ، الأحكام السلطانية ، دار الكتب العلمية .
- علي بن محمد أبو الحسن الجرجاني (١٣٥٧هـ) ، التعريفات ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .
- علاء الدين ، أبو بكر بن مسعود الكاساني ، (د.ت) ، بدائع الصنائع في تريب الشرائع ، مطبعة الإمام بالقاهرة ، الناشر زكريا علي يوسف .
- مجد الدين بن المبارك بن محمد الجزري ، (د.ت) ، النهاية في غريب الحديث، المكتبة الإسلامية .
- مجد الدين الفيروز أبادي ، (١٣٥٧هـ) ، القاموس المحيط ، مطبعة دار المأمون، الطبعة الرابعة .
- محمد بن أحمد القرطبي ، (د.ت) ، الجامع لأحكام القرآن ، الناشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- محمد بن إسماعيل البخاري ، (١٩٧٩م) ، الجامع الصحيح ، المكتبة الإسلامية، اسطنبول .
- محمد بن الحسن الشيباني ، (١٩٧١م) ، كتاب السير الكبير ، وشرحه لمحمد بن أحمد بن سهل ، تحقيق : صلاح الدين المنجد .
- محمد أبو زهرة، (د.ت) ، المجتمع الإنساني، دار الفكر ، بيروت .
- محمد بن علي ضناوي ، (١٤١٣هـ) ، الأقليات الإسلامية في العالم، الطبعة الأولى ، طبع دار الريان ، بيروت .

- محمد بن عيسى الترمذي ، (د.ت) ، سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي، تحقيق أحمد محمد شاكر .
- محمد فؤاد عبدالباقي ، (١٣٧٨هـ) ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطابع الشعب .
- محمد السماك ، (١٩٩٠م) ، الأقليات بين العروبة والإسلام ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى .
- محمد بن يزيد القزويني، (د.ت)، سنن ابن ماجة، طبع دار الدعوة.
- مسلم بن الحجاج القشيري ، (د.ت) ، الجامع الصحيح، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- منصور بن إدريس ، (١٣١٩هـ) ، كشاف القناع عن متن الإقناع ، المطبعة الشرقية ، مصر القديمة الأولى .
- المودودي ، أبو الأعلى ، (١٣٩٧هـ) ، الحكومة الإسلامية ، الناشر المختار الإسلامي ، الطبعة الأولى .
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، (١٤٠٦هـ) ، الأقليات المسلمة في العالم الإسلامي .
- يوسف القرضاوي ، (١٣٩٧هـ) ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، الطبعة الأولى .



الأقليات المسلمة في قارة آسيا

الأستاذ / سيد عبدالمجيد بكر

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة

مدخل إلى جغرافية القارة

الملامح العامة:

آسيا اسم قديم أطلقه الإغريق على الأراضي التي تقع إلى الشرق من موطنهم في البلقان (Philip, 1991, vol. 14, 158) . فلقد أطلق الإغريق كلمة (ASU) على الأراضي الواقعة شرق بحر إيجه ، وتعني عندهم أرض الشرق أو مشرق الشمس، (الزوكة ، ١٩٨٦م ، ١٧) ، وقارة آسيا تمثل حوالي ٣٠٪ من مساحة اليابس ، حيث نبلغ مساحتها (٠٠٠ر٠٠٠ ٤٤ كيلو متر مربع) ، لذا تعتبر أكبر القارات مساحة واتساعاً . ويشغل المحيط الهادي حدها الشرقي بما في ذلك مجموعات الجزر المتناثرة في شرقيها ، وجنوبيها الشرقي . أما حدها الغربي، فيساير السفوح الشرقية لجبال أورال ويتجه نحو الجنوب الغربي حتى شمال بحر فزوين، ويصل إلى نهر "كاما" أحد روافد نهر الفولجا ، ثم يسير الحد الغربي إلى بحر أزوف، شمال شرق البحر الأسود . بعد ذلك يتجه إلى سواحل آسيا الصغرى، ثم الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، ويتجه جنوبا ليضم برزخ السويس، ثم سواحل شبه الجزيرة العربية . أما حدها الشمالي ، فيطل على المحيط المتجمد ، قرب دائرة العرض ٨٥° شمالا . وأما حدها الجنوبي ، فيشرف على لقاء المحيطين الهادي والهندي، قرب دائرة عرض ١٠° جنوبا (Philip, 1991, vol. 14, 151) .

تتصدر آسيا قارات العالم من حيث ارتفاع السطح باستثناء قارة أنتاركتيكا ، وكذلك من حيث تعدد القمم الجبلية . وتشغل آسيا فلكياً حوالي ٩٢ دائرة عرضية بين الشمال والجنوب ، كما تضم حوالي ١٤٥ خط طول . وبذلك تكون أوسع القارات امتداداً واتساعاً . وبآسيا أعمق أجزاء اليابس بالنسبة لمستوى سطح البحر ، فعمق البحر الميت حوالي ٤٠٠ متر ، تحت مستوى سطح البحر ، كما بها أعلى قمة جبلية على سطح اليابس (إفرست ٨٨٤٨ متر) . وقرب ساحل آسيا الشرقي ، يوجد أعمق خندق محيطي (ماريانا ٢٢ر١١ كيلو متر) تحت مستوى سطح البحر . وفي آسيا أكثر بقاع اليابس المعمور برودة ، ففي منطقة فرخويانسك أقصى شمال

شرقي روسيا، سجلت أدنى درجة حرارة تحت الصفر .(الزوكة ، ١٩٨٦م ، ٢٦ - ٢٧) .

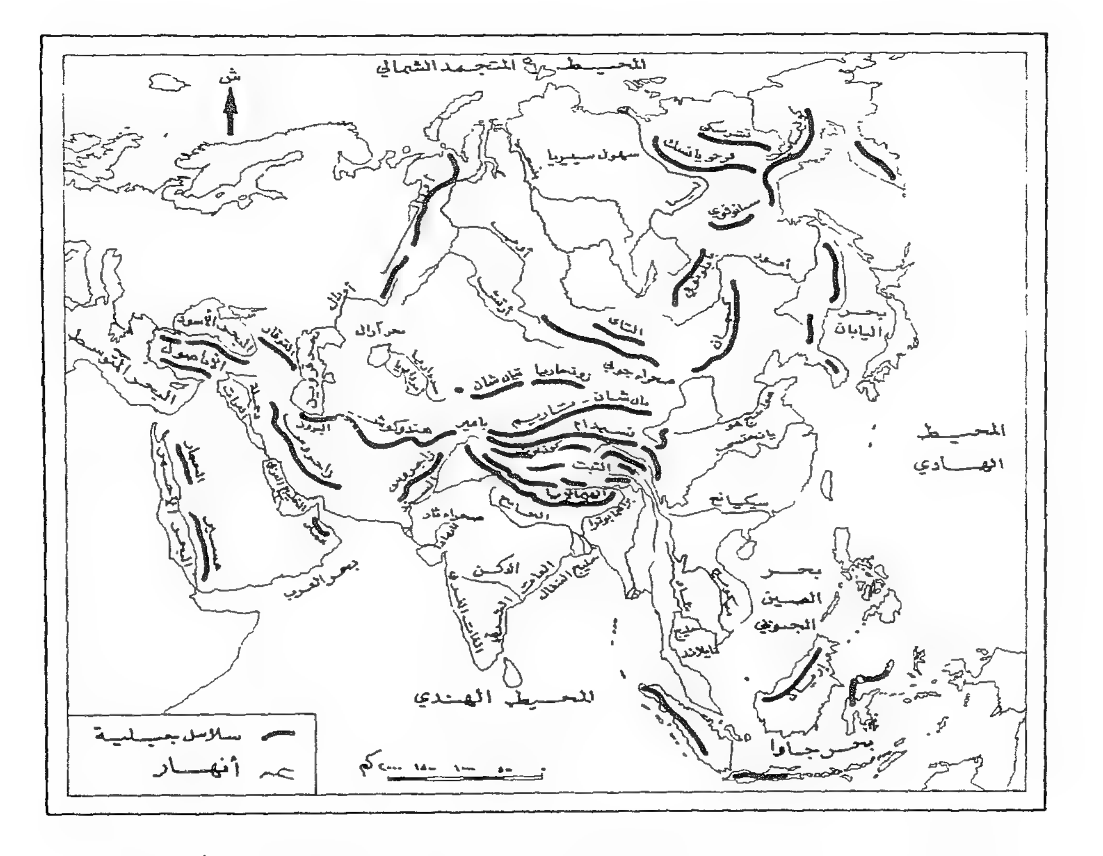
وتضم آسيا في هيكلها مجموعات كبيرة من الجزر في المحيطين الهادي في الشرق والمحيط الهندي في الجنوب ، كما تجمع العديد من أشباه الجزر شمالا وشرقا وجنوباً . ولقد وفر امتداد آسيا وعظم اتساعها كل أنواع الأقاليم المناخية ، وما يتبعها من الأقاليم الحيوية النباتية والحيوانية . وتشمل القارة إقليم المناخ القطبي في أقصى الشمال ، ثم تتدرج الأقاليم المناخية حتى تصل إلى الإقليم الاستوائي في أقصى الجنوب (Philip, 1991, vol. 14, 157) .

مظاهر السطح:

تنقسم أراضي القارة حسب تنوع مظاهر سطحها إلى ما يلي(شكل رقم١) :

أولا : **الأراضي المنخفضة الشمالية** ، وتشكل مثلثاً ضخما يتسع في الشمال على شاطىء المحيط المتجمد الشمالي . وهذه ليست سهلا مستوياً تمام الاستواء . ففي الشمال الشرقي ، تتقطع بسلاسل من الجبال بينما تأخذ في الوسط شكل هضبة . وفي الغرب ، تظهر الأراضي على شكل سهل فسيح ، تفصله عن السهل الأوروبي جبال أورال . والجزء الأكبر من هذه السهول ينصرف نحو المحيط المتجمد الشمالي ، حيث أنهار أوب وينسي ولينا (موسى والحمادي ، د.ت ، ١٩١ - ١٩٢) .

ثانيا :**مرتفعات وهضاب وسط آسيا**: تشغل هذه المنطقة أكثر من خُمس القارة، وهي متنوعة السطح ، تعرضت لعوامل تكتونية وتحاتية في فترات مختلفة، وتتكون من الهضاب والأحواض التي تحفها الجبال . ومعظم مرتفعات هذا القسم التوائية حديثة . وإذا أخذنا عقدة بامير كمركز، نجد أنها تتشعب إلى جبال الهيملايا الشاهقة الارتفاع نحو الجنوب الشرقي، وجبال كن لن نحو الشرق ، وجبال تيان شان نحو الشمال الشرقي،وإلى الشمال الغربي جبال آلاى وهيسار ،



شكل (١) السلاسل الجبلية والأنهار الرئيسية في قارة آسيا

وإلى الجنوب الغربي هندكوش، وتمتد غربا إلى جبال البرز ، وتستمر إلى عقدة أرمينيا ثم جبال بنطس. كمات تمتد جبال كلجيت وسليمان أيضا نحو الجنوب الغربي، ثم جبال زاجروس حتى عقدة أرمينيا ثم جبال طروس جنوبي هضبة الأناضول. أما الهضاب والأحواض المحصورة بين هذه السلاسل الجبلية الوسطى، فهي هضبة التبت وحوض تسيدام وحوض تاريم وحوض زونجاريا، ثم جوبي شمال التاي . أما هضاب غربي آسيا ، فأبرزها هضبة إيران وهضبة آسيا الصغرى وهضبة شبه الجزيرة العربية (صادق، ١٩٧٠م ، ٥ - ٧) .

ثالثا : **الهضاب القديمة** تتمثل في هضبة شبه الجزيرة العربية بحافتها الغربية المرتفعة حيث جبال البحر الأحمر ، وهضبة الدكن بحافتيها المتمثلة في جبال غات الشرقية وغات الغربية وهضبة يوننان وهضبة الهند الصينية في الجنوب الشرقي (موسى والحمادي ، د.ت ، ١٩٨) .

رابعا: **أودية الأنهار الكبري**: مجموعة من الأنهار تندرج ضمن أهم الأنهار في العالم ، وتنقسم إلى أربع مجموعات رئيسة:

١ - مجموعة الأنهار الشمالية وتشمل أنهار سيبيريا في شمالي القارة وتنصرف إلي المحيط المتجمد الشمالي ، وفي الشمال الشرقي نهر أمور (عامور) وينصرف إلى المحيط الهادي .

٢ - مجموعة الأنهار الشرقية وتضم أنهار الصين ، ومنها هوانج هو (النهر الأصفر) ، ويانجتسي كيانج ، وتنصرف إلى المحيط الهادي .

٣ - مجموعة الأنهار الجنوبية ، وتضم أنهار شبه جزيرة الهند الصينية وشبه جزيرة الهند - الباكستانية ، وتشمل أنهار ميكونج إيراوادي وسلوين وبراهمابترا والجانج والسند، وتنصرف إلي المحيط الهندي .

٤ - مجموعة الأنهار الجنوبية الغربية ، أبرزها دجلة والفرات وروافدهما ، ويتجهان إلى الخليج العربي (الزوكة ، ١٩٨٦م ، ١١٩ - ١٢١) .

المناخ :

يتأثر مناخ آسيا بالعديد من العوامل ، منها موقعها الفلكي والمساحة الشاسعة للقارة وأشكال السطح ، لاسيما المرتفعات الوسطى التي تفصل بين شمالي القارة وجنوبيها . وكذلك يتأثر المناخ بنطاقات الضغط المختلفة الداخلية والخارجية ، ونتيجة لمساحة آسيا الشاسعة ، تختلف درجات الحرارة ، وتظهر المتناقضات في الأحوال الحرارية في فصل الشتاء . ففي فرخويانسك شمال شرقي سيبيريا ، سجلت معدلات حراة أقل من درجة الصفر المئوي ، بينما في المناطق المدارية سُجلت درجات حرارة (٢٠ درجة مئوية) في بعض المناطق ، و (٢٥ درجة مئوية) في المناطق الاستوائية ، وفي فصل الصيف ، توجد أعلى متوسطات درجات حرارة (٣٠ درجة مئوية) في غربي آسيا وفي صحراء ثار وصحراء تكلا ماكان ، ويرتفع خط درجة الحرارة المتساوي (٢٠ درجة مئوية) إلى دائرة العرض (٥٠° شمالا) ، وينخفض خط الحرارة المتساوي (٢٠ درجة مئوية) نحو الجنوب قرب شواطىء المحيط الهادي . وعلى السواحل الشمالية لآسيا فتنخفض الحرارة إلى دون (١٠ درجات مئوية) (Philip, 1991, vol. 14, 173) .

ويختلف موسم المطر من جهة إلى أخرى ، كذلك تختلف كميات المطر السنوية، فتتلقى مناطق جنوبي ، وجنوب شرقي آسيا معظم أمطارها في فصل الصيف ، بينما تتلقى مناطق غربي وجنوب غربي آسيا أمطارها في فصل الشتاء . وتسبب الرياح الموسمية الصيفية هطول أمطار على جنوبي وجنوب شرقي آسيا . ويبلغ أقصى معدل سنوي للأمطار في المناطق الاستوائية في جنوبي وشرقي آسيا ، التي تتلقى أمطاراً في معظم الفصول . ومن المناطق التي تتلقى أمطاراً غزيرة مرتفعات غات الغربية ودلتا نهر الجانج ، وجبال أسام وشبه جزيرة الملايو وجنوب شرقي الصين وجزر أندونيسيا وجزر اليابان . وتقل الأمطار في الصحراء العربية وصحراء إيران وراجبوتانا (ثأر) وصحاري وسط آسيا (موسى والحمادى ، د.ت ، ٢٠٦) .

وتضم القارة معظم أنماط الأقاليم المناخية ، حيث يوجد ·

١ - **النمط الاستوائي** : يسود أقصى جنوب القارة ، ويضم النمط الاستوائي الجزرى . وهو يتسم بارتفاع الحرارة ، وغزارة الأمطار . ويتمثل الغطاء النباتي السائد في الغابات الاستوائية (صادق ، ١٩٧٠م ، ٢١) .

٢ - **النمط الموسمي** : يتمثل في جنوبي وجنوب شرقي آسيا ، ويتحول إلى النمط الموسمي المعتدل في جنوبي الصين ، وتسقط معظم أمطاره صيفاً . وتنقسم السنة إلى ٣ فصول ، أشدها حرارة الفصل الجاف الذي يسبق الفصل المطير ويتمثل الغطاء النباتى في النمط الموسمي (Philip, 1991, vol. 14, 175) .

٣ - **النمط الصحراوي** : يشمل صحاري شبه الجزيرة العربية وراجبوتانا (ثار) وأدنى حوض السند . ويعتبر الإقليم من أعلى مناطق العالم حرارة (في الصيف) ، وأمطاره شحيحة (صادق ، ١٩٧٠م ، ٢١) .

٤ - **نمط الصحاري المعتدلة** : يندرج تحت هذا المسمى عدة أنواع ، منها نمط بارد في التبت ، كذلك صحراء جوبي وحوض التاريم ، كما يشمل صحاري إيران والتركستان ، وأمطاره قليلة ، ويميل إلى البرودة في الشتاء ، وينصف بالفروق الحرارية الكبيرة .

٥ - **النمط المعتدل الدفيء** : يشمل النطاق الواقع بين دائرتى عرض ٣٠° و ٤٠° شمالاً ، وينقسم إلى نطاقين . نطاق غربي على سواحل البحر المتوسط وهو حار جاف في الصيف ، معتدل مطير في الشتاء ، ونطاق شرقي القارة في جنوب ووسط الصين ، أمطاره معظم شهور السنة (صادق ، ١٩٧٠م ، ١٣٨) .

٦ - **النمط المعتدل البارد** : يسود شمالي الصين ، ووسط اليابان ، وجنوب

منشوريا ويتسم بالشتاء البارد ، والصيف الدفيء تنتشر فيه الغابات النفضية والصنوبرية .

٧ - **النمط المعتدل القاري** : يسود وسط آسيا ، ويوصف بارنفاع مدى التغير الفصلي .

٨ - **النمط البارد** : يوجد وسط وشمالي منشوريا ، وشمالي اليابان ، والمعدل الحراري لا يزيد على ١٠ْ م ، وهو يتصف بالبرودة الشديدة في الشتاء وتنتشر به الغابات الصنوبرية (الزوكة ، ١٩٨٦م ، ١٣٩) .

٩ - **النمط القطبي** : يتمثل في أقصى المناطق الشمالية من القارة ، ويتصف بالشتاء الطويل والبرودة القارصة والصيف القصير الذي ترتفع الحرارة فيه قليلاً، ويتعرض لرياح شديدة البرودة ، والنبات السائد هو التندرا (الزوكة، ١٩٨٦م ، ١٤٠) .

السكان :

بلغ عدد سكان آسيا في سنة ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) حوالي (٣٫٤٠٣٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة) . وبلغت حصة المسلمين من سكان آسيا حوالي ٢٨٪ (٩٦٨ مليون نسمة) وحوالي ثلثي عدد المسلمين في العالم . ويمثل سكان القارة حوالي ٦٠٫٤٪ من جملة سكان العالم (u.n., 1995) . وأغلب السكان يتجمعون في آسيا الموسمية ، حيث يعتبر هذا الإقليم من أعظم أقاليم العالم اكتظاظا بالسكان، وتعتبر آسيا موطن الأعراق البشرية الرئيسة ومهد الإسلام ، ومهبط الديانات السماوية ، غير أن الهجرة وسياسة التهجير الإجباري ، أدت إلى اختلال الأعراق، وأثرت في البنية البشرية للقارة ، خصوصا في المناطق التي خضعت للاستعمار الروسي ، ويمكن أن نميز الأعراق الرئيسة التالية :

١ - **العناصر المغولية** : تنتشر في النطاقات الباردة وفي الأجزاء الوسطى والشمالية

من آسيا وبخاصة في منغوليا ، كما تظهر الصفات المغولية بين العديد من الشعوب ، كالصينيين الشماليين واليابانيين والكوريين ، كما تظهر في سيبريا (موسى ، سابق ، ٢٢١) . ولقد انتشر الإسلام بين مغول وسط وشمالي آسيا وغربي الصين ، وفي الهند حيث نشأت دولة المغول ، وحكمت معظم شبه القارة الهندية الباكستانية لأكثر من ثلاثة قرون .

٢ - **العناصر الملايووية** : توجد في القسم الجنوبي من الصين ، والهند الصينية ، والفيلبيين ، وأندونيسيا والملايو (الزوكة ، ١٩٨٦م ، ١٦٩) وينتشر الإسلام بين الشعوب الملايووية في ماليزيا وأندونيسيا وجزر المحيط الهادي.

٣ - **العناصر التركية** : تنتشر في غربي آسيا ووسطها ، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات فرعية ، وإلى العديد من المجموعات الثانوية ، ومن أبرزها المجموعة الغربية ، وتشمل التركمان والأتراك في إيران وتركيا ، وسكان التركستان . والمجموعة الثانية ، توجد في الوسط ، حيث المناطق الجبلية ، ومنهم القرغيز ، أما المجموعة الثالثة ، ففي الشرق (الزوكة ، ١٩٨٦م ، ١٧١) والإسلام دين الغالبية العظمى من الشعوب التركية .

٤ - **العناصر القوقازية** : تنقسم إلى مجموعتين ، مجموعة جنوب غربي آسيا ، حيث سلالة البحر المتوسط ، السلالة الإيرانية ، والسلالة الأرمينية . وينتمي العرب إلى سلالة البحر المتوسط والإسلام دين الغالبية العظمى من هذه المجموعة . والمجموعة الثانية هي مجموعة شبه القارة الهندية الباكستانية ، ويشكل هؤلاء معظم سكان الهند والباكستان وبنجلاديش ويتحدثون اللغات (الهندو - أوروبية) وينتشر الإسلام بين هذه المجموعة في الباكستان وبنجلاديش ، وبين الأقليات المسلمة بالهند ، وفي شبه القارة مجموعة أخرى تختلف عن المجموعة السابقة وهي المعروفة بالسلالة الدرافيدية في جنوبي الهند (الزوكة ، د.ت ، ١٧١ ، ١٧٢) .

٥ - **عناصر أخرى** : بالإضافة إلى العناصر السابقة ، ثمة عناصر آخرى مثل : ننتسي "Nentsi" ونجاناسابي "Nganasani" ، ويعيشون في الأجزاء القطبية من القارة ، والإينو "Ainu" الذين يقطنون شمالي اليابان وجزيرة سخالين ، وهم من العناصر القديمة بالإضافة إلى الميلانيزيون والبولينيزيون والأقزام والميكرونيزيون ، وهذه الجماعات تعيش في جزر المحيط الهادي (الزوكة ، د.ت ، ٧٣) (أبو العينين ، ١٩٧٩م ، ٥٥٠ - ٥٥٢) .

والإسلام ينتشر بين جميع الأعراق في آسيا ، ولا يميز بين عرق وآخر .

التوزيع الجغرافي للكثافة البشرية :

في آسيا أقاليم مرتفعة الكثافة السكانية تتركز في جنوبي وشرقي آسيا ، حيث أكثف مناطق العالم سكاناً . وهناك مناطق متوسطة الكثافة ، مثل هضبة الدكن شمال غربي الهند ، وجهات متفرقة في الهند الصينية وشمالي وجنوبي الصين ، وتوجد مناطق منخفضة الكثافة ، مثل بعض المناطق المدارية في جنوب شرقي آسيا ومناطق الاستبس وبعض الأقاليم الباردة في شمالي القارة والأقاليم الحدية والمناطق المعقدة التضاريس . كما توجد مناطق نادرة السكان ، مثل صحاري المناطق الحارة والصحاري الجليدية والأقاليم الجبلية (الزوكة ، د.ت ، ١٨٣ - ١٨٥) .

• • • • • •

محاور انتشار الإسلام في القارة

المحاور البحرية :

لقد سلك الإسلام في وصوله إلى جنوبي آسيا وجنوبها الشرقي محاور بحرية (شكل رقم ٢) إذ عبر من الجنوب الغربي للقارة "كمركز إرسال" إلى الهند والملايو "كمراكز استقبال" . وتركَّز في بؤر مشعة لاسيما في "الملايو" . فإذا كان المسلمون قد أوصلوا الإسلام إلى الملايو التي أصبحت مركزاً للإشعاع ، فإن الملاويين والإندونيسيين حملوا مشعل الدعوة إلى باقي جزر شرقي آسيا ، ثم إلى الصين والفيلبين ، وأدى التجار المسلمون دوراً مهما في انتشار الدعوة .

المحاور البرية :

لقد سلك الإسلام محاور برية أساسية ، تفرعت عنها أخرى فرعية ؛ فلقد نشر العرب الإسلام فيما يعرف الآن بالعالم العربي ، وبثوا دعوة الحق إلى آفاق أبعد من ذلك، حيث أوصلوا مشعل الإسلام إلى فارس ووسط آسيا ، وذلك عبر محور شرقي رئيس، ووصلوا به إلى مراكز مشعة ثانوية ، تولت دفع الإسلام إلى آفاق مكانية أبعد. ثم تحملت مسؤولية الدعوة شعوب مسلمة أخرى (حمدان، ١٩٧١م، ٥٢) .

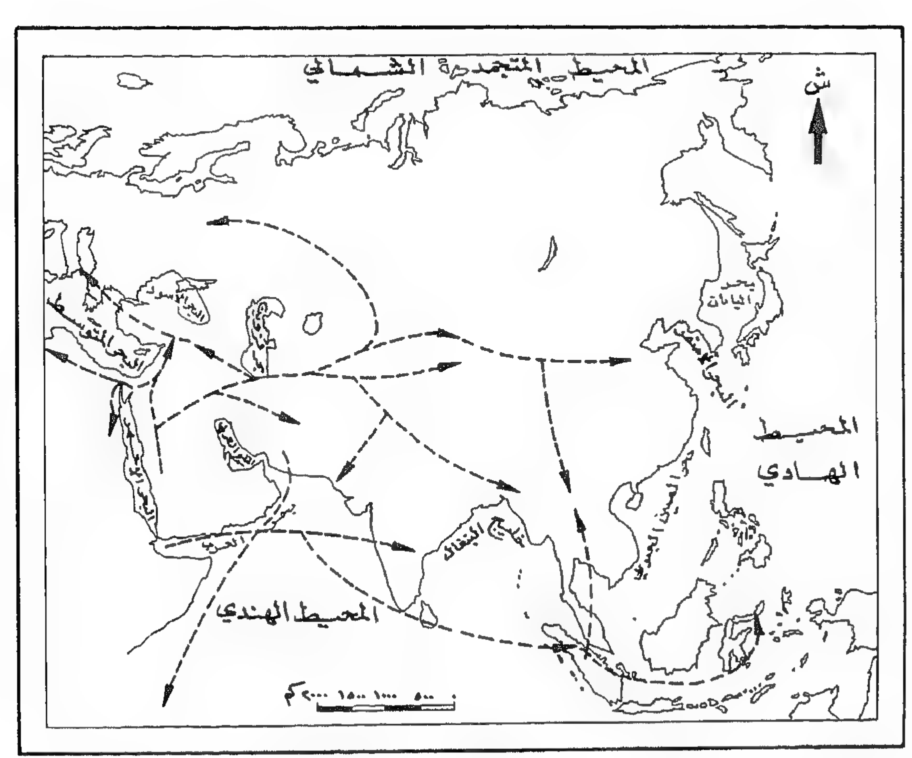
وحمل الإسلام عَبر محور شرقي عَبَر به أرض فارس حتى وصل إلى ممر خيبر وإلى شبه القارة الهندية الباكستانية، وكان العرب نواة البداية. ثم عبر الإسلام إليها من وسط آسيا في موجتين،الأولى تركية- أفغانية، استمرت من أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) في تتابع إلى منتصف القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي).ثم جاء دور الموجة الثانية، حيث مكَّن المغول الإسلام من شبه القارة الهندية الباكستانية في الفترة من منتصف القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) إلى القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي).ولم يتوقف الانتشار إلا عندما جاء الاستعمار الأوروبي إلى المنطقة(Philip, 1991, vol. 14, 230) وعرقل حركة انتشار الإسلام،ولم يواصل

هذا المحور حركته إلى شبه جزيرة الهند الصينية لأسباب جغرافية طبيعية بحته، حيث يتحول كوع جبال الهيملايا في هذه المنطقة من محور عربي- شرقي إلى محور جنوبي- شمالي، ويقوم كحائط شاهق شديد الوعورة، ويشارك في هذا الكثافة النباتية المتمثلة في الغابات، لهذا أوقفت هذه العوائق تقدم هذا المحور نحو الشرق، بحيث اعتمد وصول الإسلام إلى جنوب شرقي آسيا على المحور البحري (حمدان، ١٩٧١م، ٤٣)

لقد خرجت من المحور البري الرئيس السابق محاور فرعية انبثقت من بؤرة ثانوية تكونت في وسط آسيا ، حيث خرج محور آخر إلى سهول التركستان شرق بحر الخزر - على شكل قوس عظيم ، يطوي ما وراء النهرين (سيحون - وجيحون) متجها إلى حوص نهر الفولجا وتخوم البحر الأسود ، وأصبح محوراً من محاور انتشار الإسلام في شرقي أوربا . ومن البؤرة السابقة التي خرج منها محور التركستان ، خرج أيضا المحور الصبني وتفرغ إلى شعبتبن ، واحدة شمالية عبر ممر "زونجاريا" والأخرى إلى "طورفان" حيث سلك طريق الحرير التجاري إلى الصين، ثم تلتقي الشعبتان شمال غربي الصين . وظهر أخيراً محور غربي آخر عكس الاتجاه الشرقي ، حيث نقل الأتراك العثمانيون الإسلام إلى آسيا الصغرى ثم أوربا (حمدان، ١٩٧١م ، ٥٥ - ٥٧) وهكذا حملت هذه المحاور مشعل الإسلام إلى أنحاء القارة الآسيوية .

إن محصلة ما سبق هي وجود هذا العدد الكبير من الدول الإسلامية في آسيا، والتي تضم أكثر من ٦٦٨ مليون مسلم (١٩٩٤م) . وهي تتوزع على أقاليم غربي وجنوب غربي، وشرقي وجنوب شرقي آسيا ، ثم وسطها هذه المنظومة من الدول الإسلامية بآسيا، نتجت كثمار لجهود عظيمة قام بها السلف الصالح من المسلمن ، الذين حملوا مشعل الإسلام إلى جميع أنحاء آسيا ، الني تعد من أكبر القارات مساحة وسكانا ، حيث غطى الإسلام فيها مساحاتٍ شاسعةً ، ليس لأى دين سماوي آخر نظير لها .

وخارج حدود الدول الإسلامية، ينتشر المسلمون في بقية الدول الآسيوية ولكن بنسب قليلة من إجمالي عدد سكانها، وذلك كما توضع بيانات الجدول رقم(١).



شكل (٢) محاور إنتشار الاسلام في قارة آسيا

المصدر: حمدان، جمال، العالم الاسلامي المعاصر، ١٩٧١م

Templar Book, New World Atlas, Templer Company, London, 1992.

جدول رقم (١) الأقليات المسلمة في بعض الدول الآسيوية غير الإسلامية (١٩٩٤م)

الدولة	عدد السكان	نسبة المسلمين	عدد المسلمين
بورما "ميانمار"	٤٤ر٠٠٠ر٠٠٠	١٥٪	٦ر٦٠٠ر٠٠٠
تايلاند	٥٩ر٠٠٠ر٠٠٠	١٤ر٨٪	٨ر٧٣٢ر٠٠٠
سريلانكا	١٧ر٨٠٠ر٠٠٠	٩ر٥٪	١ر٦٩١ر٠٠٠
سنغافورة	٢ر٩٠٠ر٠٠٠	١٥٪	٤٣٥ر٠٠٠
كوريا الجنوبية	٤٤ر٦٠٠ر٠٠٠	ر٠١٢٪	٥ر٣٥٢
كمبوديا	٩ر٥٠٠ر٠٠٠	٢٪	١٩٠ر٠٠٠
اليابان	١٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠	ر٠٦٪	٧٥ر٠٠٠
نيبال	١٩ر٦٠٠ر٠٠٠	٤ر٣٪	٨٤٢ر٨٠٠
الهند	٩٢٨ر٠٠٠ر٠٠٠	١٤٪	١٢٩ر٩٢٠ر٠٠٠
الصين	١ر٢٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠	١٠٪	١٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠
الفيلبين	٦٧ر٠٠٠ر٠٠٠	١٩ر٤٪	١٢ر٩٩٨ر٠٠٠
روسيا الاتحادية	١٤٧ر٠٠٠ر٠٠٠	١١٪	١٦ر١٧٠ر٠٠٠
المجموع	٢ر٦٦٤ر٤٠٠ر٠٠٠		٢٩٧ر٦٥٩ر١٥٢

المصدر .

اعتمد الباحث في حساب عدد المسلمين على النسب المئوية الواردة في المصادر التاليـة:

- **الحداد ، السيد (١٩٨٥م)** : المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، عالم المعرفة ، القاهرة.
- **السمرائي ، صالح (١٩٩٠م)** . عن المسلمين في اليابان ، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية ، جدة .
- **بكر ، سيد عبدالمجيد**: الأقليات المسلمة في آسيا واستراليا ، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية ، حدة .
- **غلاب ، محمد السيد وآخرون (١٩٧٩م)** البلدان والأقليات المسلمة ، حامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .
- Europa Publication Limited (1996), The Europa World Year-Book, Vol. I &Vol. II
- The Korean Muslim Federation (1977), Facts About Islam in Korean, Seol

ورغم أنه لا توجد دولة آسيوية تـخلو من المسلمين ، إلا أن الدول التي وردت في الجدول رقم (١) هي التي يتمثل فيها المسلمون بنسب تذكر .

ويستفاد من بـيانات هذا الجدول ، أن كلاً من الهند والصين وروسـيا والفيلبين على التوالي ، تعد من أكبر الدول الآسيوية غير الإسلامية من حيث عدد المسلمين، أما عن نسـبة المسلمين إلى إجـمالي عدد سكان هذه الـدول ، فتأتي الفيـلبين على رأسها جميعاً ، حيث يمثل المسلمون فيها أكثر من ١٩ ٪ من إجمالي عدد سكانها ، ويلي الفيلبين كل من تايلاند والهند وروسيا والصين على التوالي.

ولأن مجال البحث لا يتسع لبحث حـالة الأقليات المسلمة في كل الدول المشار إليهـا ، فستقـتصر الدراسة علـى الدول التي تضم أكثـر الأقليات المسلـمة عدداً ، وهي: الهند والصين وروسيا والفيلبين .

• • • • • •

الأقلية المسلمة في الهند

مدخل إلى جغرافية الهند

الملامح العامة :

سابعة دول العالم مساحة والثانية سكانا ، وتعرف في اللغة الهندية باسم "بهارات فارشا" ، وهي تتكون من اتحاد مجموعة من الولايات والأراضي التابعة لها، تبلغ مساحتها حوالي (٣٫٢٨٧٫٧٨٢ كيلو متر مربع) . وتمتد أرضها بين دائرتي عرض ٨ْ ، ١٥َ - ٣٣ْ شمالا وخطي طول ٥َ - ٦٨ْ ، ٢٥َ - ٩٧ْ شرقا ويحدها من الشمال الصين ومملكة نيبال وبوتان . ومن الشمال الغربي الباكستان. ومن الشرق ميانمار (بورما سابقا) وبنجلاديش . ويقع خليج البنغال في شرقها ، وبحر العرب في غربها، وتشرف برأس كومورين "Comorin" وخليج منار على المحيط الهندي. وتتبعها جزر أندمان ونكوبار في خليج البنغال ، وجزر لاكشاد ويب (Lakshad weep) في بحر العرب .

وبلغ عدد سكان الهند في تعداد عام ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٨٤٤٫٣٢٤٫٢٢٢ نسمة (Europa(A), 1993, 293) ، وفي تقدير سنة ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) حوالي ٩٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة (Europa(B), 1996, 1540) .

وعاصمة الاتحاد الهندي هي نيودلهي، ويبلغ عدد سكانها سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٧٫٢ ملايين نسمة. وأما أكبر مدن الهند، فهي بومبي (٩٫٩ ملايين نسمة)، بومبي الكبرى (١٢٫٥ مليون نسمة) وكلكتا (٤٫٤ ملايين نسمة)، وكلكتا الكبرى (١٠٫٩ ملايين نسمة)، يضاف إلى هذا العديد من المدن المليونية (Europa (A.), 1993, 293).

التضاريس :

تعد الهند أكبر الوحدات السياسية في شبة القارة الهندية الباكستانية مساحة،

لذا تصور لنا تضاريها أبرز معالم الجغرافيا الطبيعية لشبه القارة . وبصفة عامة تنقسم ملامحها التضاريسية إلى ثلاثة أقسام تضاريسية كبرى هي :

١ - **المرتفعات الشمالية** : تتكون من جبال الهيملايا التي تمتد على شكل قوس، ويقدر طولها بحوالي (٢٥٠٠ كم) ، وتضم أعلى قمم العالم الجبلية ، وهي قمة إفرست (٨٨٤٨ متر) في نيبال . والهيملايا من الأقاليم الجبلية المعقدة التضاريس ، وتمتد من جامو وكشمير غربا عبر نيبال إلى أسام شرقا ، ومن شلالاتها المتدفقة ، تنبع معظم أنهار شبه القارة الهندية - الباكستانية . ويكاد يفصل هذا الحائط الجبلي العظيم الهند عن التبت وباقي آسيا (أبو العينين ، ١٩٧٩م ، ٢١٨) . ولقد وصل الإسلام إلى هذه الجبال ، واستقر في جامو كشمير .

٢ - **السهول الشمالية** : تمتد من شمالي الهند وحتى قاعدة مثلث الدكن جنوبا ، وتتكون من سهل الجانج والحوض الأدنى من براهمابترا . وتشكل هذه السهول أخصب أراضي الهند الزراعية ، وتضم أكثف مناطق التجمع البشري بالهند، ويجري عبر هذه السهول نهر الجانج وروافده العديدة ، ومن أهمها جومنا وجوجرا ، ونهر السند وروافده ، وأهمها جالوم وشيناب ورافي وبياس وسوتاج، فضلا عن نهر برهمابترا ، الذي ينبع من هضبة التبت ويصب جنوبا في خليج البنغال (سكل رقم ٣) . وفي السهول الشمالية ، نشأت معظم الدول الإسلامي التي حكمت الهند .

٣ - **هضبة الدكن** : مثلثة الشكل تشغل الأراضي الواقعة جنوبي السهول الشمالية، ويفصل بينهما العديد من الجبال . وتظهر على الحواف الشرقية للدكن مرتفعات الغات الشرقية ، وعلى الحواف الغربية مرتفعات الغات الغربية ، وتفصل جبال الغات الغربية عن بحر العرب سهول ضيقة . كذلك

يفصل الغات الشرقية عن خليج البنغال سهل ساحلي . وتنصرف معظم مياه هضبة الدكن شرقا نحو خليج البنغال . بواسطة أنهار مهاندى وجودافرى وكرشينا وكوفرى ، بينما لا ينصرف غرباً سوى نهرى نادابادا وباتى . ولقد استقر الرعيل الأول من الدعاة المسلمين بموانىء السهول الساحلية للدكن .

المناخ :

تقع شبه القارة الهندية - الباكستانية في نطاق المناخ الموسمي ، إلا أن درجة الحرارة ومواسم سقوط الأمطار تختلف من مكان إلى آخر ويحكم المناخ نظام الرياح الموسمية المطيرة . وتشير مصلحة الأرصاد الهندية إلى أربعة فصول هي : الفصل البارد نسبيا من ديسمبر إلى مارس ، الفصل الحار من إبريل إلى مايو ، الفصل المطير من يونيو إلى سبتمبر ، فصل عودة الرياح الموسمية الجنوبية الغربية من أكتوبر إلى نوفمبر . وفي الفصل البارد ، تنخفض الحرارة في الشمال ، وترتفع كلما اتجهنا إلى الجنوب ، وتسجل أعلى درجات الحرارة في شهري ابريل ومايو . ويختلف طول الفصل المطير من مكان إلى آخر حسب الموقع الفلكي ، ونظام التضاريس (أبو العينين ، ١٩٧٩م ، ٢٢٥) .

هذا وتختلف الحرارة باختلاف المناطق ، سمتها في ذلك سمة الأمطار. فأعلى متوسط لدرجات الحرارة سُجل في منطقة تاميل نادو (٥ر٢٥ درجة مئوية) وفي نيودلهي (٢٦ درجة مئوية) وفي مدراس (٢٩ درجة مئوية) وفي بومبي (٢٨ درجة مئوية) . وأقل درجات حرارة سجلت فوق مرتفعات الهيملايا (Philip, 1991, vol. 21, 3) .

الغطاء النباتي :

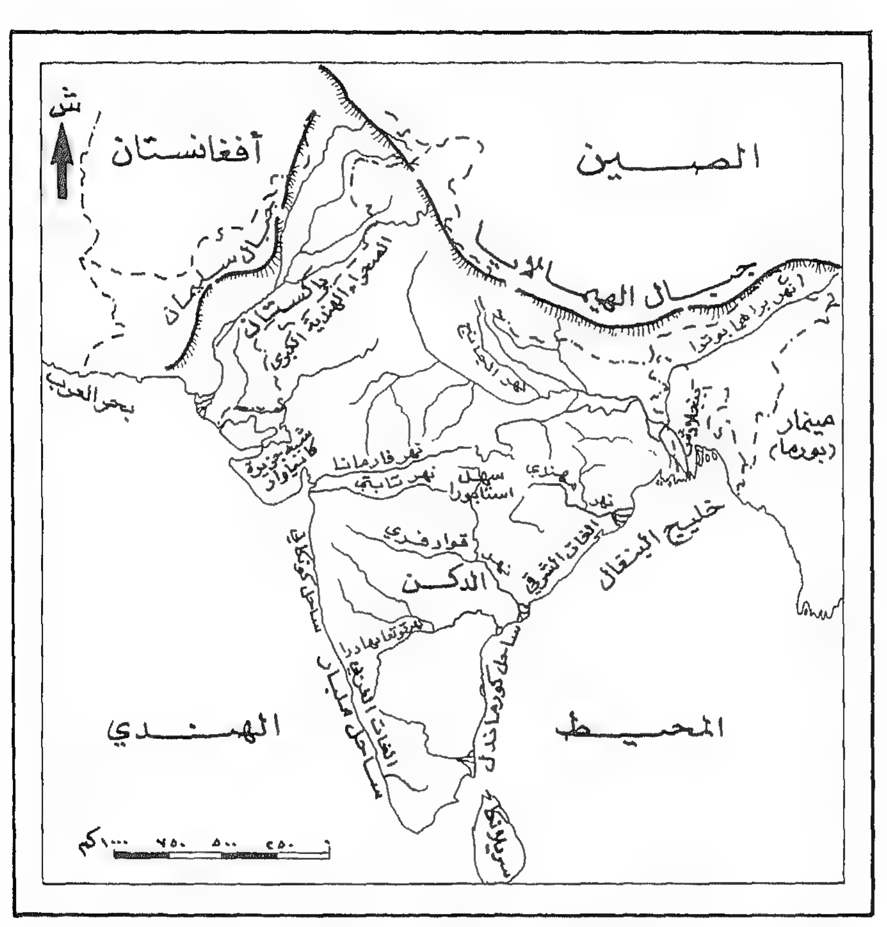
نستطيع أن نتبين عدة أقاليم نباتية ممثلة في : (١) المناطق غزيرة الأمطار حيث

توجد غـابات دائمة الخـضـرة ، خصوصا في المناطق المرتفعـة المـواجهـة لهبوب الرياح المـطيرة على الـسواحل المواجـهة لجبـال الغات الغـربية وعلى أراضـي أسام وشرقي البنغال والسـفوح الجنوبية للهيملايا . هذه المناطق ، تـنتج أنواعاً جيدة من الأخشاب الصلبة ، لاسـيما في الجنوب وعلى سفوح الغات الغـربية ، (٢) تنتشر الغابـات الموسمية في المناطــق التي تزيد أمطارها علـى (١٠٠٠ ملم) ، حيث أشجار السـاج (التيك) خصوصـا فوق هضبة الدكـن ، يضاف إليها أشـجار السال والصندل، (٣) في المناطق الجافة وشبه الجافة، تنمو الشجيرات الشوكية والحشائش، (٤)ويختلف الغطـاء النباتي فوق الجبال فوق الجـبال تبعا للموقع الـفلكي ، ووفقا للارتفاع (Philip, 1991, vol. 21, 4) .

السكان :

تشيـر تقديرات عام ١٩٩٥م إلـى أن عدد سكان الهنـد يبلغ ٩٣٦ر٥٤٥ر٨١٤ نسمة ، وهذا العدد يمثل ٢٧ر٥٪ من إجمالي عدد سكان قـارة آسيا ، الذي يقدر بنحو ٣ر٤٠٣ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمـة . ويمثل المسلمون ١٤٪ من إجمالي عدد سكان الهند ، وهم بذلك يأتـون في المرتبة الثانية بعد الهـندوس الذين يشكلون ٨٠٪ من إجمالي السكان (Famighett, 1996, 772) .

وتتألف الهند من مجموعات لغوية عديدة ، حيث تعرضت على مدى تاريخها الطويل إلى عدة غزوات أتـت بالعديد من الهجرات . فقد وفـدت إلى الهند خلال المراحل الأولى من تعميرها عناصر بشريـة قديمة ، عرفت باسم (ما قبل الدرافيديين Pre Davidian) ، ومنها أيضا عناصر يطلق عليـها ما قبل الأستراليين الأصليين ، استقرت في مناطق العزلة ، ثم وفدت إليها العناصر الدرافيدية ، التي تتميز بالبشرة السوداء ، واسـتقرت في جـنوب الدكن . ثم وفدت العـناصر الآرية من الشـمال الغربي، وهذه تنتمي إلى العناصر "الهندو - أوروبية" ، وتتركز هذه العناصر في



شكل (٣) أنهار شبه القارة الهندية

المصدر:
An Historical Atlas of Islam, 1981

القطاع الشمالي الغربي . ووفدت العناصر المغولية عبر ممرات الهيملايا ، وهي تنتشر في مناطق متفرقة في بوتان وأسام ، ثم وفدت عناصر مغولية أخرى أثناء حكم المغول الإسلامي للهند (أبو العينين ، ١٩٧٩م ، ٢٠٨).

تعتبر الهند متحفا لغويا ، فأثناء الاحتلال البريطاني ، استطاع السير جورج جريرسون "George Grierson" إحصاء ٧٢٣ لغة ولهجة بالهند ، غير أن حكومة الهند تعترف بعدد (١٥) لغة إقليمية . ويمكن اختصار هذه اللغات إلى أربع عائلات لغوية رئيسة، هي عائلة اللغات الدرافيدية، وعائلة اللغات الهندو - آرية، وعائلة اللغات الصينو - تبتية، ثم عائلة اللغات الاسترو - آسيوية ، وأغلب السكان يتحدثون لغات العائلة الدرافيدية ، والعائلة الهندو - آرية (Philip, 1991, vol. 21, 10) ، (أبو العينين ، ١٩٧٩م ، ٢١٠) .

وعندما اتسع نفوذ الإسلام بالهند ، استخدمت اللغة الفارسية خصوصا في شمال الهند ، وذلك من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادي) وما بعده ، لاسيما أيام حكم أباطرة المغول ، وأصبحت اللغة الشعبية في شمالي الهند ، وتأثرت بها اللغات المحلية ، مثل الهندوستانية ، والتي تطورت إلى لغتين الهندية التي تأثرت بالسنسكريتية ، والأردية التي تأثرت بالفارسية والتركية وبعض الكلمات العربية ، ثم تأثرت هذه اللغات بالإنجليزية في عهد الاستعمار البريطاني . ولقد استخدمت الأردية الحروف العربية في كتابتها . أما الهندية ، فتستخدم حروف تعرف بالدفنجارية Devanagari . وبعد الاستقلال تقرر أن تكون اللغة الهندية هي اللغة العامة في الهند ، كما أن الإنجليزية تعد أيضاً لغة رسمية (Philip, 1991, vol. 21, 10) (النمر ، ١٩٩١م ، ٢١ - ٢٢) .

المـوارد :

تتميز الهند بتنوع مواردها الطبعية من المعادن والخامات الحيوية من الموارد الغابية والزراعية والحيوانية ، وذلك على النحو التالي :

١ – **الخامات المعدنية** : تتنوع موارد الهند من الثروة المعدنية والطاقة، وأبرزها الفحم، الذي يعد المصدر الأول للطاقة بالهند ، ويكفي الاستهلاك المحلي لعدة سنوات مقبلة. حيث إن هناك احتياطياً كبيراً في مناطق مختلفة. وبلغ إنتاجها من الفحم سنة ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) حوالي ٢٥٤ر٥ مليون طن. وتشتهر الهند بوفرة خام الحديد، ولهذا تعتبر من الدول المهمة في تصدير الفحم. وبلغ إنتاجها من الحديد سنة ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) حوالي ٦٠ر٧ مليون طن، كذلك يتوافر خام المنجنيز. والهند فقيرة بصفة عامة في الموارد البترولية والغاز (Europa (B),1996,vol.11,1542) (Philip,1991,vol.21,13)

٢ – **الموارد الحيوية** : تشغل الزراعة حوالي نصف مساحة الهند ، وأهم المحاصيل (عام ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) الأرز ٨١ر٢ مليون طن والقمح ٦٥ر٢ مليون طن . وبلغت جملة الإنتاج من الحبوب الغذائية ١٧٧ر٤ مليون طن . كما بلغ الإنتاج من البذور الزيتية ٢٢ر٣ مليون طن ، ومن القطن ١١ر٧ مليون بالة ، ومن الجوت ٨ر٢ مليون بالة ، ومن الشاي ٧٣٧ ألف طن ، ومن قصب السكر الخام ٢٥٩ مليون طن ، وقد بلغت نسبة العاملين في الزراعة ٦٧٪ من إجمالي القوى العاملة عام ١٩٩٠م .

وتشغل المراعي العشبية مساحة لا بأس بها من الهند. ورغم هذه الإمكانات، تعاني الثروة الحيوانية العديد من المشاكل التي تنعكس على الإنتاج، أبرزها استخدام الأساليب التقليدية ، والتعاليم الدينية خصوصا عند

الهندوس. وبلغت الثروة الحيوانية عام ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) حوالي ١٩٢ مليون رأس من الماشية ، ٤٤ مليون رأس من الأغنام ، ١١٨ مليون رأس من الماعز. وبلغت جملة الصيد البحري والنهري ٤ر١ مليون طن (Europa (B), 1996, vol. 11, 1541) .

وتشغل الغابات حوالي ٢٠٪ من مساحة الهند ، وحوالي ٧٥٪ من هذه المساحة تمتلكها الدولة أو تدخل في نطاق المحميات . ومن أنواع الأشجار ذات القيمة الاقتصادية ، التيك أو "الساج" ، "البامبو" . وقدرت منظمة الفاو إنتاج الهند من كتل الخشب في سنة ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) بحوالي ٢٧٤ مليون متر مكعب (Europa (A), 1993, 1295) (Philip, 1991, vol .21, 13) .

الصناعة :

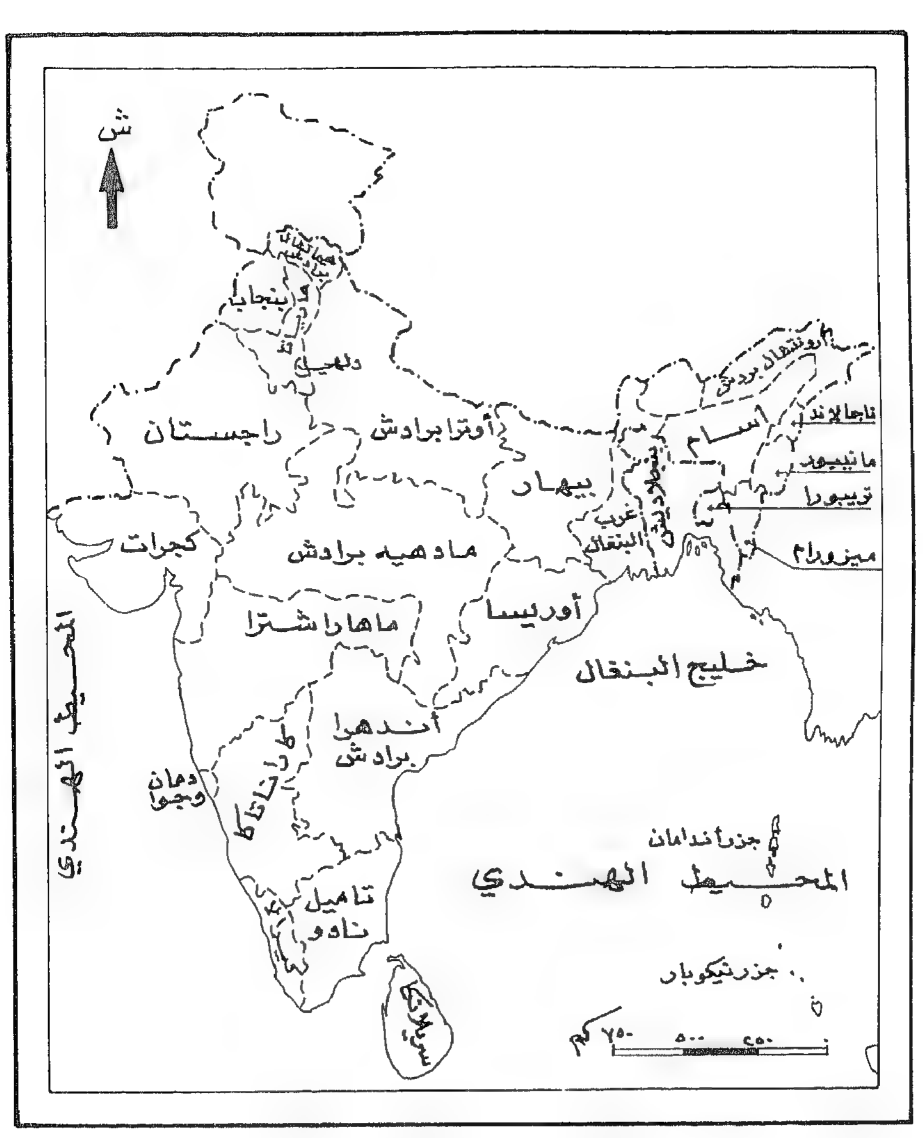
تقدمت الصناعة في الهند بعد الحرب العالمية الثانية ، وأهم الصناعات في سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) : المنسوجات القطنية ٤ر١٣ مليار متر ، الجوت ٤ر١ مليون طن ، السكر ٨ر١١ مليون طن، المخصبات ٩ ملايين طن ، ومنتجات البترول ٨ر٤٨ مليون طن . وبلغت قيمة الصادرات في سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٥ر٣٢٥ تريليون روبية ، والواردات ٩ر٤٣١ تريليون روبية (Europa (A), 1993, 297) .

نظام الحكم والأقسام الإدارية :

الهند جمهورية ديمقراطية ، تسمى جمهورية الهند ، أو اتحاد الهند ، أو الاتحاد الهندي .صدر دستورها بعد الاستقلال في عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) . وتعتبر أول جمهورية تنضم لعضوية الكومنولث . وتتولى حكومة الاتحاد الدفاع ، والشؤون

الخارجيــة ، والنقل والمواصلات ، وإصدار العــملة ، والقضاء في الأمــور العليا ، بينمــا تتولى الولايات أمور الشــرطة ، والشؤون الصحــية ، والتعليم ، ومــختلف الشــؤون المحليــة . وتنقــسم البــلاد إلى ٢٥ ولاية (شــكل رقم ٤) ، هذا خــلاف الممتلــكات ، حيث توجد ســبع مناطق من الممــتلكات التابعــة لها تتمــثل في جزر اندمان ونيكوبــار ، شنديجارا ، ودادرا ، ونجارها فيل ، دمــان وديو ، لاكاديف، فضلا عن العاصمة نبودلهي (أبو العينين ، ١٩٧٩م ، ٢١٢) (Philip, 1991, vol. 21, 18) .

• • • • • •



شكل (٤) الولايات الهندية

المصدر :

An Historical Atlas of South Asia, 1993.

انتشار الإسلام

كان العرب على صـلات تجارية بالهند قبل الإسلام ، وذلـك في رحلاتهم بين موانىء غـربي الهند والخلـيج العربي وبين مـوانىء جنوبي شبـه الجزيرة العـربية ، خصوصا صلانهم بساحلي مليبار وكيرالا . وقيل إنها كانت منذ عهد النبي سليمان عليه السلام . ولذلك حـينما انتشر الإسلام في شبه جزيرة الـعرب ، حمل التجار العرب والمسلمون من الحضارة وغيـرهم الإسلام إلى موانىء الهند منذ القرن الأول الهجـري ـالسابع المـيلادي) ، . واستقـروا على سواحلـها الغربيـة بأعداد كبـيرة، وتزوجوا من هنديات، واجتهدوا في نشر الإسلام بين الهنود في الموانىء المطلة على بحر العرب (ثقافـة الهند ، ١٩٦٢م) . وكذلـك اتجه الإسلام إلى الهند عبر محور بري، تخللتـه فتوح المسلمين في شـمالي الهند ، ولهذا أخذ الإسـلام في الوصول إلى الهند عبر محورين بحري وبري. وذلك على النحو التالي (شكل رقم ٥) :

١ - المحور البحري :

كان العرب يقومون بالوساطة التجارية عن طريق نقل التجارة بين بلاد الشام في حوض البحر المتوسط وبين الإقليم الموسمي جـنوبي آسيا ، لاسيما الهند ، فكانت سفنهم تحمل التجارة من الخليج العربـي والبحر الأحمر إلى موانىء السند وساحلي مليبـار وكيرالا . وقد عرف العـرب كيرالا قبل الإسلام واسـتقرت جاليـات عربية بموانىء هذا الساحل ، فـكونّوا فرشة بشرية ، ثم نقلـوا الإسلام إلى هذه المناطق ، وبنـــوا المساجـد والمدارس الإسلامية ، ونشطوا في بث الدعوة عـبر موانىء غربي الهند . وفي بحث نشره د. تاراشند في مجلة (ثقافة الهند ، ١٩٥٠م ، مارس) ، ذكر الباحث العديد من الأمثلة على استقرار الجاليات العربية المسلمة بموانىء ساحل مليـبار، وأشـــار إلى أن هذا الـنشاط في بث دعـوة الإسلام بدأ من القرن الـثامن

الميلادي، وشهد بهذا الرحالة المسلمون الذين زاروا الهند فيما بعد ، أمثال المسعودي الذي زار الهند في عام ٣٠٤هـ (٩١٦م) ، ووجد حوالي عشرة آلاف مسلم في سي مور (شول)، وأشار إلى هذا أيضا أبو دلف المهلهل ، وابن سعيد (النمر ، ١٩٩١م، ٦٧ - ٦٨) ، وتدل هذه الروايات على وصول مبكر للدعوة الإسلامية .

لقد كان هناك طريق بحري بين الهند والخليج العربي ، وآخر بينها وبين البحر الأحمر ، ويتحد هذان الطريقان مع طريق الصين البحري عبر المحيط الهندي ، وكانت أبرز موانىء الهند التي يصلها الطريقان ، والتي استقرت فيها أسر عربية هي موانىء : كمباي في ولاية كوجرات ، وديو ، وسورات ، ودمان ، وشول ، وكنانور وقاليقوط في ولاية كيرالا ، فضلا عن جوا وكانت هذه الموانىء تتعامل تجاريا مع موانىء هرمز وسيراف وقيس والأبلة والبصرة على الخليج العربي ، هذا فضلا عن مسقط وعدن. وقيل إن الجالية العربية كانت تشكل حوالي خُمس سكان هذه الموانىء. وقد ثبت المسلمون من العرب والفرس أقدامهم بهذه الموانىء منذ زمن بعيد، ونشروا الإسلام بين الأهالي، وكذلك اللغة العربية، كما كان ميناء قاليقوط أبرز هذه الموانىء، واشتهر بتجارة التوابل والأحجار الكريمة ، ومنها كان يذهب المسلمون إلى موانىء الصين. وقد زار قاليقوط البحار الصيني المسلم (ماهون) في القرن ١٥م ووصفها في رحلاته. وسكن العرب ميناء كمباي أعظم موانىء الهند قديما في تجارة التوابل، وكانت السفن العربية تصلها محملة بالخيول ومنتجات حوض البحر المتوسط، وتعود محملة بالتوابل والخشب والبخور والكشمير والأحجار الكريمة. وكانت ديو مخرج إقليم كجرات ،وقد سكنتها جاليات مسلمة من العرب والفرس، وكان يصلها حوالي ٢٤ ألف تاجر سنويا،(فهمي، ١٩٧٣م، ١٦١ - ١٦٦).

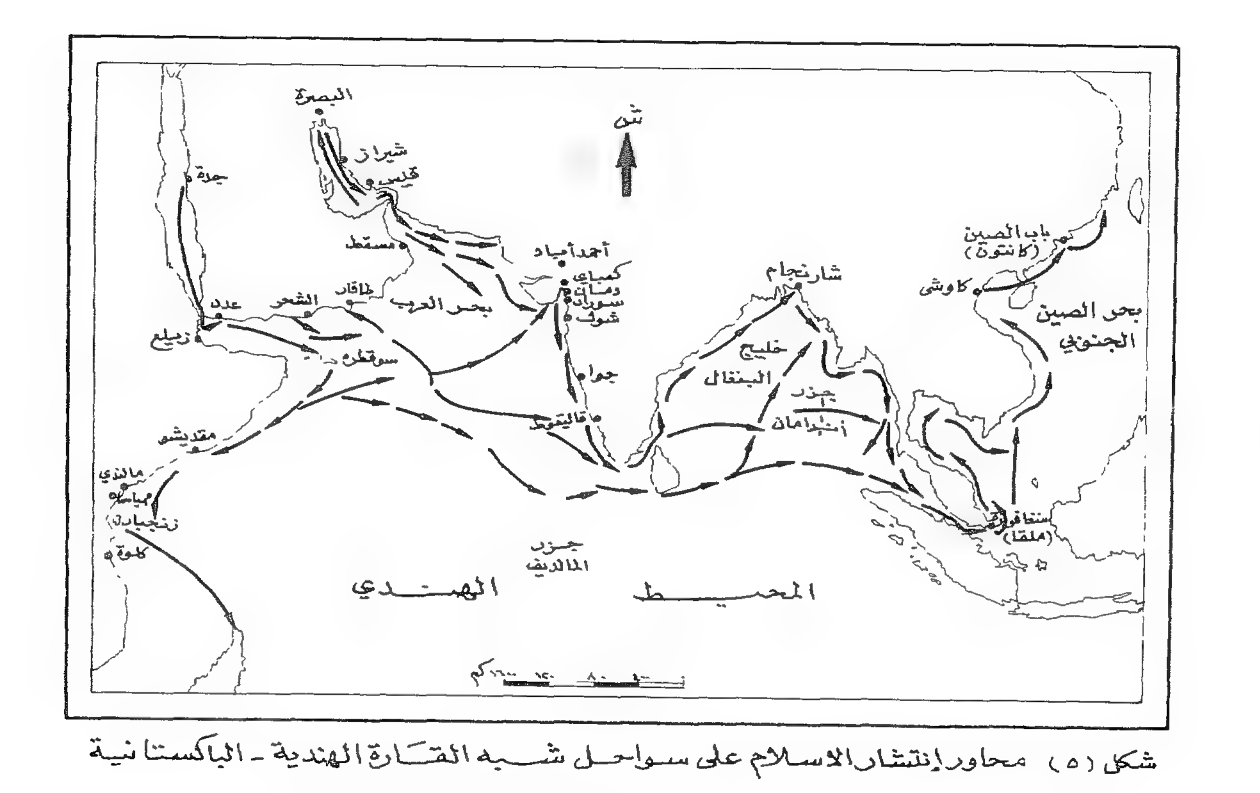
كذلك كان وصع ميناء جوا - في ولاية جوا حـاليا - حيث كانت تصلها سفن جدة وزيلع وعدن وهرمز ، وسكنـتها حاليات عربية وفارسية وصينـية . ولأهميتها التجارية ، احتلـها البرتغال بعد معركة ديو الـبحرية (٩١٥هـ/ ١٥٠٩م) ، وتحوّلت التجارة إلى رأس الرجاء الصالح ، بعد أن مـكثت تحت سيطرة العالم الإسلام حتى نهاية القـرن الخامس عشر الميلادي (فهـمي ، ١٩٧٣م ، ١٧١) . وهكذا نشط هذا المحور البحري في نشر الإسلام على السواحل العربية لشبه القارة الهندية الباكستانية سلمـاً عن طريـق التـجـار والحجاج . ونـشطـت الدعـوة الإسلامية تحـت جنـاح السلم، وتمركزت جـاليات عربية وفـارسية في العـديد من موانىء الساحـل الغربي للهند والجزر القريبة منه ، وكان للدعاة تأثير كبير في نشر الإسلام بهـذه المنطقـة، وأورد توماس قصة إسلام أحد ملوك مليبار على يد شرف بن مالك وأخيه ورفاقهما (توماس، ١٩٧٠م، ٢٨٥) . وعندمـا شظهر البرتغـاليون أمام الساحـل الغربي في مـعركـة ميـناء شـو عام ٩١٤هـــ (١٥٠٨م) ، وحدث تـعاون بين المـلوك المحلـيين والأسطول المملوكـي. ولكن بعد هزيمة الأسطول المـلوكي في معركة ديو الـبحرية سنة ٩١٥هـ (١٥٠٩م)، تأكد النفوذ البرتغالي في المحيط الهندي (فهمي ، ١٩٧٣م، ١٧٢) .

٢ - المحور البري :

وصل الإسلام عـبر هذا المحور إلى شـمال غربي الهنـد، حيث قدم إليـها من وسط آسيا بواسطـة الفتوح الإسلامية والدعاة، وتـأثر بالعناصر التركيـة والفارسية، ولكن أحداث الانتشار الأولى قامت على جهود المسلمين الأوائل. فلقد بدأ التمهيد بفتوح السند أيام الخـليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ذلـك أن عثمان بن أبي العاص الثـقفي حاكم الـبحرين وعُمـان أرسل أخاه (الحكم) علـى رأس جيش إلى (تانـه) علـى سـاحل الـهنـد. كـما أرسـل أخـاه المغـيـرة بـن أبي الـعـاص إلى

خور "الديبل" غربـي دلتا نهر السند، فكان هذا أول بعث عسكري إلى الهند. وفي خلافة على بن أبي طالب رضي الله عنه، أرسـل الحارث بن مرة العبدي إلى السند فأغـار على أطرافهـا. وفي خلافـة معاويـة، غزا المهلب الـهند فوصل إلـى (بته) و "لاهور". في عهده أيضا، سار عبدالله بن سواد العبدي إلى القيطقان في القطاع الجبلي غربي حوض السند، ثم أرسل زياد بن أبيـه سنان سلمة الهذلي لفتح مكران ففتحها. وجـعل سنان ولاية الثغر (السند) ولاية قائمة بذاتهـا، وجعل عليها راشد ابن عمر، فغزا "الميـد" جنـوبي غربي السند، وامتـدت الفتوحـات إلى البوقان غربي السند (مؤنس، ١٩٧٠م، ١٣١ , ١٣٢).

• • • • • •



شكل (٥) محاور إنتشار الاسلام على سواحل شبه القارة الهندية - الباكستانية

المصدر: مؤنس ، حسين أطلس تاريخ الاسلام ، الزهراء للاعلام ، القاهرة (١٩٨٧م).

Paul, E Lydolph Geography of U.S.S R., 1979

فتح السند : كانت الغزوات السابقة على هوامش حوض السند ، ولكن التوغل الفعلي داخل السند بدأ أيام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق، فأرسل محمد بن القاسم لفتح السند ، فتقدم إلى الديبل وازال منها البوذية ، وتحول أهلها إلى الإسلام فبنى بها المساجد ، وأسكن فيها ٤٠٠٠ مسلم ، ثم فتح (قند) شمالي دلتا السند ، ثم "داور" شمال قند ، وأنشأ المسلمون مدينة المنصورة شمال شرقي دلتا السند ، ثم فتح "الملتان" في الحوض الأوسط من السند ، وهكذا أكمل محمد بن القاسم فتوح السند وبسطت غزواته سلطان العرب على مجرى السند الأعلى والبنجاب الأسفل ، ثم عُزل محمد بن القاسم من ولاية السند ، فعاد أهله إلى شق عصا الطاعة وعدم الخضوع للدولة الإسلامية ، واضطربت الأمور في أواخر دولة بني أمية (مؤنس . ١٩٨٧م ، ٢٣٥) ، (الشنتناوي ، ١٩٣٣م ، ح٤ ، ٢٠) .

ولقد مرت فترة توقف فيها هذا المحور البري عن التوغل في صميم شبه القارة الهندية الباكستانية ، ثم عادت الأمور سيرتها الأولى .

فتوح محمود الغزنوي : نشط هذا المحور مرة أخرى بزعامة تركية قامت في مرحلة ضعف الدولة العباسية . وكانت بداية نشاطه في عهد سبكتكين مؤسس الدولة الغزنوية ٣٦٦هـ - ٣٨٧هـ (٩٧٧م - ٩٩٧م) (النمر ، ١٩٩١م ، ٢٨١) ، فاستولى على بلاد الميد الواقعة بين إقليم مكران ودلتا نهر السند ، وهزم التحالف الهندي الذي قاده الملك الهندوسي "جبال" ، وسار إلى لمغان وبيشاور ، التي جعلها عاصمة لولاية استحدثها . وخلفه ابنه محمود الغزنوي ، الذي واصل فتوحاته في شمالي الهند، حتى أصبح من عظماء الفاتحين في تاريخ الإسلام ، فاستولى على بلاد الغور وأدخلهم في الإسلام وأرسل إليهم الأئمة والدعاة . وفي

كل ناحية فتحها ، كان يزيل المذاهب الخارجة على مذهب السنة والجماعة ، وأسهم بدور إيجابي في الفتح، حتى مد حدود دولة الإسلام في الشرق ، فشملت شمالي الهند ، وقام بحوالي ٢٠ غزوة في الفترة ٣٩١ - ٤١٨هـ (١٠٠١م - ١٠٢٧م) ، وأسس في البنجاب القسم الشرقي من مملكته (الساداتي، ١٩٧٠م ، ٧٩) (مؤنس، ١٩٨٧م ، ٣٥) .

لقد أخذت فتوحات محمود طابع الجهاد الإسلامي ، وفي هذه المرحلة كان المسلمون يتراجعون في الأندلس في الغرب ويتقدمون في الشرق . ومن المناطق التي وصلها ، الملتان على رافد السند (دجلهم) . وهزم محمود تحالف ملوك الهندوس واستولى على قلعتهم في "بيهيمنكر" على سفوح جبال الهيملايا ، ودخل إقليم الرجبوت في طاعته ، وهم مجموعة من الراجات كانوا يحكمون بعض الإمارات شمالي الهند ، وبدأ الإسلام الصحيح يسيطر على شمالي الهند . كما فتح كشمير (٤٠٨هـ / ١٠١٧م) فتحولت إلى الإسلام . وفتح إقليم الكجرات ، ووصل الإسلام إلى سمنات في شبه جزيرة كيشياوار ، وأكمل إجتياح السند والبنغال (مؤنس ، ١٩٨٧م ، ٢٣٥) ، (الساداتي ، ١٩٧٠م ، ٩٠).

ولقد تولى الحكم بعد محمود الغزنوي حكام ضعاف ، فسقطت الدولة الغزنوية، تحت ضربات السلاجقة . وتعتبر الدولة الغزنوية من أكبر الدول الإسلامية التي مدت مملكة الإسلام نحو الشرق .

دولة الغوريين في الهند : حلت دولة الغوريين محل الدولة الغزنوية حيث كانت نشأتها في المنطقة المحصورة بين غزنة وهرات . ولقد نمت قوتها العسكرية سريعا في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) وأسس دولتهم محمد الغوري (غياث الدين) ، وغزا شمالي الهند ، وقاد هذا الغزو معه قائده قطب الدين أيبك . وانتصر محمد الغوري على التحالف الهندوسي في معركة تراوري

"Taraori" شمال غربي دهلي ، مما أدى إلى فتح الطريق إلى دهلي التي استولى عليها الغوريون . ومنذ ذلك التاريخ ، أصبحت عاصمة للدول الإسلامية في الهند، وظلت تحتفظ باسمها "دهلي" حتى حولها الانجليز إلى "دلهي" . وواصل الغوريون فتوحاتهم في حوض الجانج الأعلى ، ومد الغوريون نفوذ الدولة الإسلامية إلى البنغال في عهد شهاب الدين الغوري ، الذي تولى الحكم بعد غياث الدين ، وامتدت دولتهم من السند غربا إلى البنغال شرقا (Philip, 1991, vol. 21, 50, 51) ، (النمر، ١٩٩١م، ١٠٠ - ١٠٣) .

دولة المماليك في الهند : لقد تلى الفترة السابقة فترة أخرى جاء فيها دور دولة المماليك ، التي أسسها قطب الدين أيبك (٦٠٢هـ - ٦٠٧هـ/ ١٢٠٦م - ١٢١٠م) ، وخلفه شمس الدين إلتمش (٦١٧هـ - ٦٣٣هـ / ١٢١١م - ١٢٣٥م)، الذي أمضي ربع قرن في حروب لاستتباب أمن مملكة الإسلام ، ثم جاء من بعده سلاطين ضعاف . وفي أواخر حكم أسرة التمش ، ظهرت جماعة الأربعين من المماليك الذين كانوا يتلاعبون بالحكم ، فانتقل الحكم إلى أسرة غياث الدين بلبن "Balban" (٦٦٥هـ - ٦٨٥هـ/١٢٦٦م - ١٢٨٦م) وقضى على جماعة الأربعين .

وفي أواخر حكم أسرة التمش ، بدأ غزو المغول يلوح في الأفق واستطاع بلبن أن يقضي على ثورة البنغال ، وبذل جهوداً في تعمير البلاد ، واضطربت الأمور من بعده بسبب الخلافات والتنافس على العرش (الساداتي ، د ت ، ١٢٦ - ١٢٧) . (Philip, 1991, vol. 21, 51, 52)

دولة الخلجيين : جاء دور الخلجيون لتولي الحكم في الهند بعد ضعف حكم أسرة بلبن ، حيث تولى جلال الدين خلجي الحكم خلال الفترة (٦٨٩ - ٦٩٥هـ / ١٢٩٠ - ١٢٩٦م) ، ولكن لم يدم حكمه طويلا . وجاء من بعده ابن أخيه علاء الدين الخلجي (٦٩٦ - ٧١٦هـ / ١٢٩٦ - ١٣١٧م) ، الذي صد غارة المغول

على دهلي . ،اتسعت دولة الإسلام في عهـده ، فضم الدكن ، واستعاد الكجرات والرجابوت ، ووصلت حدود دولة الإسلام إلى ماطـق لم تكن وصلتها من قبل . ولقد ظـهر في عهده مـجموعة مـن علماء الدين ، مـثل نظام الدين البـدايوني ، واجتهد في بث الـدعوة الإسلامية ، وتولى الحكم بعض أولاده ولكـنهم كانو على درجة كـبيرة مـن الضعف والفـساد ، ثم إنتـقل الحكم إلى أسـرة تغلق (النـمر ، ٩٩١م، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠) (Philip, 1991, vol. 21, 53) .

وأبرز ماتم من أعمال علاء الدين الخلجي ، اتساع دولة الإسلام في الهند وكثرة العلماء الذين نشروا الإسلام ولكن في نهـاية حكم الخلجيين ، اغتصب أحد قواده (خسرو) الحكم وهو مـسلم من أصل هدنوسي بالكجرات ، فقـتل الأمراء وانتهك الحرمـات ، بهدف إحياء الـديانة الهندوسيـة ، فقضى علـيه ملك تغلق أحـد قادة الخلجيين .

دولة آل تغلق : تولى مـلك تغلق الحـكم باسم غـياث الدين تـغلق (٧٢١ - ٧٢٥هـ / ١٣٢١ - ١٣٢٥م) ، فأسس الأسرة التغلقيـة التي حكمت الهند حوالي (١٠٠سنة) ، واسترد الأقاليم التي انفصلت عـن سلطان دهلي ، واجتهد في إحياء تعاليم الإسلام . وتولى مقاليد الأمـور من بعده ابنه محمد تغلق (٧٢٥ - ٧٥٢ / ١٣٢٥ - ١٣٥١م) . وقد زار الهند في هذه الفترة الرحالة ابن بطوطة . وعاش في الهند ٨ سنوات تولى خلالها قضاء مدينة دهلـي . وكان السلطان محمد نغلق محبا للعلوم والفنون ، وأغدق الكثير على العلمـاء . ولقد كان عهده قمة عهد سلاطين دهلـي . وكانت الـدولة في الـفتـرة من ٧٢٥هـ (١٣٢٥م) إلـى ٧٥٢هـ(١٣١٥م) تتكون من ٢٣ مقـاطعة ، وهذا أقصى امتـداد جغرافي لها في عهـده . وبعد سنة ٧٥٢هـ (١٣٥١م) ، انفـصل جنـوبي الهند، بـينما سـادت المقـاطعات الشـمالـية الاضطرابات . وهاجم المغول دولته حتى وصلوا إلى أبواب دهلي، فاضطر أن يدفع لهم أموالا كثـيرة حتى ارتدوا عن البلاد. ونقل مـحمد تغلق العاصـمة إلى ديوكر

(دولت أباد) . وخلف فيروز شاه ابن عمه محـمد، فقام بالعديد من الإصلاحات، فأكثر من بناء المساجد والمدارس وحفر الترع، وصرف معاشا للمقعدين والعاجزين، وألغى ديون المزارعين، فعم اليسر والرخاء والعدل بين الناس، وانشأ ديوان الخبرات لمساعـدة الناس في الزواج، والعلاج، وبلغ عـدد دور الشفاء ١٠٠ مشـفى، كانت تقدم العلاج والدواء مـجاناً وتشدد مع الملحدين والمذاهب الخـارجة، وباشر الدعوة للإسلام الصحيـح، وكان يعفي من الضرائب كل من يعتنـــق الإسلام (الساداتي، د.ت ، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٢)،(النـمـر،١٩٩١م، ١٣٥، ١٣٨) (Philip, 1991, vol. 21, 53) .

حكـم السـادات : بعد أن انـفرط عقد دولة آل تـغلق ، سار خضـر خان إلى دهلي واستولى عليها في سـنة ٨١٧هـ (١٤١٤م) ، وأسس أسرة حكمت حتى سنة ٨٥٨هـ (١٤٥١م) ، وعـرفت هذه الفـترة بحكـم السادات . وكـانت فتـرة مليـئة بالفتن، وتقلص فيها نفوذ دهلي واستقلت إمارات كثيره ، وهيمن عصر من التفكك وظهرت إمارات مستقلة ، وعرفت هذه الفترة بعصر أمراء الطوائف .

دولة المغول : انتهى حكم أسـرة لودهي التي خلفت حكم السادات بـاستيلاء المغول على دهلـي بقيادة بابر وأسس دولة المغول فـي الهند سنة ٩٣٢هـ (١٥٢٦م) وبدأ عـهد جديد لـدولة حكمت الـهند من سنة ٩٣٢هــ (١٥٢٦م) إلى ١٢٧٣هـ (١٨٥٧م) ، أي ماينيف على ثلاثـة قرون ، حكمت الدولة الإسلامية فيـها معظم شبه القارة الهـندية - الباكستانية ، خصـوصا في عهد السلطان محمـد أكبر . ففي عهده ، احتلت دولة الهند الإسلامية مـكانة عالية بين الدول الآسيوية والأوروبية ، وأصبحت واحدة من أقوى وأغنى دول العالم ، وسـعت كل من البرتغال وبريطانيا وفرنـسا وهولندا لـكسب صداقـة الدولـــة الإسلاميـــة بالهـنـــد ، (مـؤنس، ١٩٨٧م، ٢٥٧) (Philip, 1991, vol. 21, 63) .

ولقد بدأت دولة المغول في عهد مؤسسهـا بابر ، فوحَّد شمالي الهند بالغزو أو

التحالف ، وذلـك كما فعل مع بقايا الـلودهيين بعد أن خاض معهـم حربا انهكت قواهـم، ثم انتصـر على الراجـبوتين الهنـدوس في معـركة قنوة في سـنة ٩٣٣هـ (١٥٢٧م) وكان انتصاراً حاسماً ، وبذلك شـملت دولته كل شمالي الهند ، وتولى الحكـم من بـعـده ابنه هـمـايون (٩٣٧هـ (١٥٣٠م) (نوار ، ١٩٩١م ، ٥١٥)، (مؤنس، ١٩٨٧م ، ١٢٥٧) .

إن أهم مرحلة في تاريخ توسع دولة المغول الإسـلامية في الهند هي تلك التي حكم فيها جلال الدين محمـد أكبر بن همايون في الفترة ٩٦٣و ١٠١٤هـ (١٥٥٦ - ١٦٠٥م) فلقد بلغت دولة المغول الإسلامية في عهده أقصى توسع بلغته في عهد حاكم مسلم، وبلغت ذروتها من حيـث الاتساع والقوة والحضارة والرخاء ، وحقق ذلك في حـكم دام قرابة نصـف قرن .غيـر أن الدعوة الإسلامـية واجهـت أخطر منعرج في تاريـخ دولة المغول الإسلامية بالهـند ، وهذا المنعرج الخطير جاء نـتيجة تخبط أكبر في أمور الـدين وهذا عَّوق مسار الدعوة الإسلامية بالهند نتـيجة ماسماه أكبـر "بالدين الإلهي" ، الـذي اشنغل به حـى أواخر أيامـه، فانحرف عـن جادة الصـواب، ولم يوفق فـيما كـان يدعو إليـه. ورغم أن عصـره كان عـصر نهـضة وازدهار، إلا أنه كان عصر نكسة دينية. (نوار، ١٩٩٧م، ٥١٦، ٥٢٠)، (مؤنس، ١٩٨٧م، ٢٥٨).

وفي عهـد أكبر ، بدأت اللغـة الأردية المكونة من الهندية والـفارسية والتـركية والعربية تبرز إلـى الوجود ، وكانت الفارسـية لغة الإدارة والعلـوم ، والعربية لغة الدين . وقد خلف أكبر على عرش المغول ابنه سليم الذي لقب بجهانكير ، فحكم في الفترة ١٠١٤ - ١٠٣٧هـ (١٦٠٥ - ١٦٢٧م) ، ولم يزد فـي مساحة الهند إلا قليلا، ولكنه تمكن من الحفاظ على الـدولة التي تركها والده ، وألغى فكرة "الدين الإلهي" الذي ابتـدعه "أكبر" . وفي عـهده ، ظهر الصراع الأوروبي عـلى الهند (مؤنس ، ١٩٨٧م ، ٢٥٨) (النمر ، ١٩٩١م ، ٢٤١) .

تولى الحكم بعد جهانكير ابنه شاه جيهان من سنة (١٠٣٧هـ (١٦٢٧م) حتى ١٠٦٨هـ (١٦٥٧م) واستطاع الحفاظ على الدولة ، وحارب البرنغاليين وانتصر عليهم سنة (١٠٤٠هـ / ١٦٣٠م) ، وكانوا قد أسرفوا في ظلم الهنود ، واشتغلوا بتجارة الرقيق ، فحرر ١٠ آلاف هندي أعدهم البرتغاليون للبيع . ومن أبرز آثار شاه جيهان، القعلة الحمراء ومسجد اللؤلؤة داخل القلعة والمسجد الجامع في دهلي ومقبرة تاج محل في أكرا . وتولى الحكم من بعده ابنه أبو المظفر محيي الدين أورنكزيب عالم كير في الفترة ١٠٦٨ - ١١١٩هـ (١٦٥٨ - ١٧٠٧م)، حيث حكم حوالي ٥١ سنة، وأمضى معظم سنوات حكمه في إقرار السلم في أنحاء السلطنة ، وسمح للبريطانيين بإقامة مركز لهم عند قرية كلكتا ، التي أصبحت فيما بعد عاصمة الامبراطورية البريطانية في الهند قبل انتقالها إلى دهلي ، ولقد قضى أورنكزيب على العديد من الثورات ، منها ثورة فقراء الهنود (جماعة ستنامي) ، وثورة الرجبوات ، وانتصر على "المراهتا" على الساحل الغربي ، واستولى على مملكتي بيجابور وكولكندة في الجنوب وكان أورنكزيب آخر الأباطرة العظام في دولة المغول بالهند ، وخلفه ابنه شاه عالم (بهادور شاه) الأول (١١١٨هـ - ١١٢٣هـ / ١٧٠٧م - ١٧١١م) (مؤنس ، ١٩٨٧م ، ٢٥٨) (النمر، ١٩٩١م ، ٢٩٠ ، ٢٩١، ٢٩٢ ، ٢٩٣) .

تولى الحكم بعد بهادور شاه ملوك ضعاف ، تعرضت في عهودهم الدولة المغولية لغزو خارجي قام به نادر شاه ملك الدولة الإيرانية ، وفي هذه المرحلة عمت الفوضى وتقدم البريطانيون في البنغال ، وفرضوا سيطرتهم على ملوك دهلي من آل تيمور ، وعينوا للسلاطين رواتب سنوية ، فأصبحوا ملوكاً دون ممالك ، وكان آخر ملوك دولة المغول المسلمة بالهند بهادور شاه الثاني ، (النمر ، ١٩٩١م، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣١٤) .

ولقد كانت نهاية آخر ملوك المغول مأساة دامية . ففي أواخر أيامه ، قامت ثورة

عارمة ضد البريطـانيين شارك فيها المسلمون والهندوس ، واختـار القادة بهادور شاه قائـدا أعلى للثـورة رغم سنه المتقدم ، فكـان مجرد رمـز فلمـا هزم الثوار قـبض البريطانيون علـى الملك في مقبرة همايون هو وأولاده وزوجتـه وساقوهم إلى دلهي مقـيديـن في ذلة وإنكـسار ، وقـتلوا من أولاد المـلك ثلاثة ، وقـطعوا رؤوسـهم ووضعوها في وعاء على مائدة الملك ، فلما كشف الغطاء وجد رؤوس أبنائه ، وقد غطيت وجوهم بالدم ، ثم أخذ البريطانيون هذه الرؤوس وعلقوها على بوابة خوني دروازه (بوابة الدم) في دلـهي ، وهكذا كانت نهايـة بهادور شاه الثانـي آخر أباطرة المغول الذين حكموا الهند أكثر من ثلاثة قرون ، وحاكموا الملك المسن الضعيف في سنة ١٢٧٥هـ (١٨٥٨م) ، وقضت المحكمة بإعدامه ، ثم استبدل الحكم بالنفي إلى رانجون في بورما وظل هناك حتى توفى في سنة ١٢٧٩هـ (١٨٦٢م) . وهكذا انطفأ آخر مصبـاح في الأسرة التيمورية الـتي أسست أعظم ممالك المسلمـين بالهند والتي استمر حكمها حوالي ٣٣٢ سنة . وفي نوفمبر ١٨٥٨م ، تم في عهد ملكة بريطانيا (فيكتوريا) نقل حكم الهند من شركة الهند الشرقية إلى الحكومة البريطانية مباشرة ، وتم تعيـين لورد "كايننـكك" أول حاكم عام بـريطاني على الـهند مكافـأة له على المجازر التي ارتكبهـا في الهند . وظلت تحت عبء الاستعمار الـبريطاني منذ ذلك التـاريخ حتى الاسـتقـلال سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٧م) أي حـوالي ٩٠ سنة (النـمر ، ١٩٩١م ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣)، (مؤنس ، ١٩٨٧م ، ٢٦٠) .

جهود الدعاة في نشر الإسلام :

أما عن دور الدعـاة في انتشار الإسـلام في ظل السلام ، فلقـد أشار إلى ذلك لين بول "Lane Poale" في كتـابه (Medieval India ، ص ٤) ، حيث قال : "إن الإسلام ببـساطتـه يلائم العقلـية الهنديـة أكثر من النـصرانية ، وأن الحـكومة الإسلامية مهمـا يكن من عيوبها كانت أفضل الحكومات التي عـرفتها الهند ، وقد أدى هذا بالسكان إلى الـدخول في هذا الدين وطاعة أصحـابه " . وهكذا لم تكن

الفتـوحات والغزوات والحروب الـتي خضاها المسـلمون ، هي التي سـاعدت على انتشار الإسلام وحـدها أو طموح فريق من أهل البلاد للحـصول على المناصب في الدول الإسلامية بـالهند إنما كان العامل الأول في انتشـار الإسلام في هذه البلاد ، ودخول الكـثير من أهلـها فيه هو مـا لمسوه من المسـاوة التامة بـين أهل الإسلام ، وانعدام نظام الـطبقات الذي كان يعانـي منه الهنود . وإن كان المحور الشـمالي قد شهد حروبا وغزوات للهند استغـرقت قرونا ، إلا أن أغلب السلاطين تركوا للناس حرية اخـتيار الدين ، وفرضـوا الجزية على من ظل عـلى دينه ، باستثـناء قلة من السلاطين المـسلمين الذين استـخدموا الشدة مـع الوثنيين . فلقد حـل تاريخ ملوك الهند المسلمين من المغول وغيرهم بالذين تركـوا الناس على مللهم واكتفوا بالجزية، ولولا هذا ما عاشت الهنـدوسية أو البوذية أو السيخية ، وغـيرها من الملل والنحل طيلة الحكم الإسلامي للهند .

ولقد بذل بعض السلاطين جهودا سلمـية في نشر الإسلام . وهناك العديد من الأمثلة ، فالـسلطان محمد الغوري بذل جـهداً سلميا في نشـر الإسلام بين شعب الجكهر "Ghakkard" ، وهو شـعب متـبربر يسـكن المقاطعـات الجبلـية شمـالي البنجاب. اعـتنـق الإسـلام . وذكر ابن بطويـه (٧٠٤/٧٧٩هـ) - الذي مكث في الهند ٨ سنوات - أن سلاطين الخلجيين شـجعوا الناس على الدخول في الإسلام ، فسنوا عادة تقديم الشخص الذي يعتنـق الإسلام إلى السلطان ، فكان يكسوه كسوة حسنة ويعطـيه قلادة وأساور من ذهب . كما أعلـن السلطان فيروز شاه تغلـق فيما كتـبه عن تاريخ حـياتـه. لقـد شجعـت رعـايـاي الكفـــار على اعتنــاق الدين الإسلامــي واعتنق الـهندوس الإسلام زرافـات ووحدانا . وقـال الأسقف لـوفري "Lefory" : إن الإسلام لـم ينتصـر فحسب فـي هذه المعركـة ، بل غدا البـلسم الشافي الذي سرى في شريان الحياة والفكر في بلاد الهند العليا (توماس، ١٩٧٠م، ٢٩٠) .

ولقد نقل المحور البحري الذي أدخل الإسلام إلى جنوبي الهند عبر التجارة مع سواحلها ، الدعوة في ظل السلام ، فارتكزت على ما بذله هؤلاء من جهد في نشر الدعوة الإسلامية في ظل السلام بجهود الدعاة الذين تعاملوا مع سكان جنوبي الهند، وتجاوز الأمر هذا إلى هجرة عناصر عربية وفارسية مسلمة استقرت في جنوبي الهند. وقد شجع ملوك هذه المناطق الجماعات المسلمة التي هاجرت إليها على الاستقرار، وقد قابل ابن بطوطه العديد من الدعاة المسلمين في جنوبي الهند على ساحل مليبار. وفي القرن الخامس عشر الميلادي ، كان المسلمون يشكلون خُمس سكان مليبار، ولولا قدوم البرتغاليين إلى جنوبي الهند ، لتحول كل أهالي هذا الساحل إلى الإسلام. ويحفل التاريخ الإسلامي بالعديد من الدعاة الذين وصلوا إلى جنوبي الهند ونشروا الإسلام بين سكانه (توماس، ١٩٧٠م، ٢٩٩ / ٣٠٠) .

لقد ظل انتشار الإسلام في جنوبي الهند في معظم الأحوال ينتشر سلميا ، ذلك أن الإسلام خلّص الطبقات المستضعفة من استغلال نظام الطبقات في الهندوسية. كما أن الإسلام وصل إلى جزر خليج البنغال عن طريق التجار والدعاة. ومن الدعاة الذين وصلوا هذه الجزر ، يوسف شمس الدين وممباملايكا . وفي الدكن أمثلة عديدة من الدعاة الذين نشروا الإسلام في هذه المناطق. وشهدت الفترة ٧٥٨ - ٨٦٦هـ (١٣٤٧ - ١٤٩٠م) ، قدوم دعاة عرب من ذوي الغنى واليسر يلتمسون القيام برحلات دعوية لأجل الدعوة إلى الإسلام . وهناك أمثلة أخرى تدل على انتشار الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة في مناطق الملتان والسند والكجرات والبنغال حيث وجد دعاة المسلمين ترحيبا عظيما. وفي بيهار، اعتنقت الإسلام قبائل عديدة بسبب عدالة الإسلام ومساواته بين الناس، وكونه مثلا أعلى للأخوة الإنسانية. ومن الدعاة في البنغال جلال الدين التبريزي، وكان تلميذاً لشهاب الدين السهر وردي الداعية الإسلامي، كذلك كثر عدد الدعاة في إقليم راجبوتانا (توماس، ١٩٧٠م، ٢٩٦، ٣٠٢ ، ٣٠٦) (King Abdul Aziz Univ, 1984, v11, No. 2, 134) .

ظهر في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) نشاط في الدعوة الإسلامية فكان يعتنق الإسلام سنويا عشرات الآلاف من الهنود. وعندما تغلغل نفوذ شركة الهند الشرقية البريطانية ، وأخذت تهيمن على مقاليد الأمور في الهند ، تصدى لهذه الهيمنة العديد من العلماء المسلمين الأوفياء لدينهم، برز منهم في نهاية القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) وأوائل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) شاه ولي الله الدهلوي، كعالم مسلم اجتهد في التدريس، فأعطاه السلطان محمد شاه بناءً كبيراً ليصبح مدرسة (دار العلوم) فدّرس فيها شاه ولي الله ، وخرَّج جيلا من الدعاة . وكان قد عاصر تسعة من سلاطين الدولة المغولية بالهند ، فعاصر الدولة وهي تحتضر ، فركز شاه ولي الله جهاده في التدريس، فكان صاحب مدرسة لها أثرها في تطوير الفكر في الهند، وتوفي سنة (١١٧٦هـ (١٧٦٣م) بعد أن كوَّن مدرسة من أولاده وتلاميذه ، استكملوا رسالته في الدعوة الإسلامية وتحرير الهند من رق الاستعمار البريطاني ، الذي استفحل أمره حتى أعلن مندوب شركة الهند البريطانية سنة ١٢١٨هـ (١٨٠٣م) مقولته الشهيرة : "أن الخلق لله ، والملك للملك ، والحكم للشركة" فهب شاه عبدالعزيز ولي الله ١١٥٩ - ١٢٤٠هـ (١٧٤٦ - ١٨٢٤م) يدعو للجهاد في سبيل إبقاء الحكم الإسلامي بالهند، فأصدر عدة فتاوي تحض على الجهاد ، كذلك ترجمت معاني القرآن إلى اللغة الأردية (النمر، ١٩٩١م،٤١٣ - ٤١٦) . (Hohn, 1995, vol 2, 189)

مقاومة نفوذ السيخ والبريطانيين :

لقد انتشرت أفكار المدرسة التي أسسها شاه ولي الله وأتباعه من بعده والتي تحض على تعاليم الإسلام الصحيح ومقاومة الاستعمار البريطاني ، انتشرت مبادئها في مختلف أنحاء الهند ، وتجاوز دور العلماء النصح والإرشاد والتوعية الإسلامية إلى دور تكوين الجيوش والجهاد ضد أعداء الإسلام . ومن أمثلة هؤلاء سيد أحمد

(باريلوي) "Barelwı" ١١٩٥هـ (١٧٨٠م) - ١٢٤٩هـ (١٨٣١م) أحد تلاميذ مدرسة ولي الله الذي هب لمقاومة ظلم السيخ للمسلمين بزعامة ملكهم رانجيف سينغ "Ranjif Singh" وبذل سيد أحمد جهوداً ممتازة في تصحيح مفهوم الإسلام ، كما قاتل السيخ في البنجاب ، واستشهد في إحدى المعارك ومعه إسماعيل الدهلوي في سنة ١٢٤٦هـ (١٨٣١م) وعرفا بالشهيدين . وانتشرت دعوتهما في شمالي الهند (النمر ، ١٩٩١م ، ٤١٩ - ٤٢٠) . لقد كان لهذا الفكر أثر كبير في الدعوة الإسلامية وتطهير العقيدة من المعوقات . كما كان لهذه المدرسة الأثر الأكبر في مقاومة أعداء المسلمين من البريطانيين والسيخ ، وشملت هذه الدعوة شمالي الهند والبنغال ، وكان هذا تمهيداً لثورة عارمة ضد الاحتلال البريطاني .

الهندوس في ظل الحكم الإسلامي :

بعد أن غمرت حضارة المغول الإسلامية البلاد، وأصبح للهند كيان سياسي دولي، شهدت الهند علاقات طيبة بين المسلمين والهندوس، رغم الاختلافات الدينية. وشغل الهندوس في ظل حكم المغول مناصب سامية في الدولة . وقدم الإسلام نموذجا عمليا في القضاء على التفرقة العنصرية والتمييز الطبقي ، ولقد شهد بهذا رئيس وزراء الهند الأسبق جواهر لال نهرو ، حيث قال . إن دخول الإسلام قد ساهم في كشف الفساد في أوساط المجتمع الهندوسي الذي خربته الطائفية والطبقية، حيث قدم الإسلام نظرية الأخوة الإسلامية وأثر بذلك على الهندوس .

الثورة في الهند ضد الاستعمار :

ظهر تنافس الدول الأوروبية على احتلال مراكز من سواحل الهند ، فنافست هولندا البرتغال في الشرق ، وكونت شركة الهند الهولندية (١٠١١هـ/ ١٦٠٢م)،

واستولى الهولنديون على باتافيا "Batavia" في جزيرة جاوا . ثم دخل البريطانيون الحلبة فكونوا شركة الهند الشرقية البريطانية ، فسعت لنيل موطىء قدم على ساحل الهند ، فـأنشأت مركزاً لهـا في سورات "Surat" سنة ١٠٢١هـ (١٦١٢م) ، تم حصلت على مركز آخر فـي البنغال ، تمثل في هوغالي "Haghly" سنة ١٠٤٩هـ (١٦٣٩م) ، وسعـت لنيل مـراكز أخـرى في بمبي سنـة ١٠٧٢هـ (١٦٦١م) . ثم دخلت فرنـسا حلبة السـباق الاستعـماري فكونت شـركة الهند الشـرفية الفرنـسية (١٠٧٥هـ/١٦٦٤م) ، فاشـتد الصراع عـلى استعـمار الهند (الـنمر ، ١٩٩١م ، ٣٣٩، ٣٤٤ ، ٣٤٥) (Philip, 1991, vol. 21, 77 - 79) .

لقد أخذت شركـة الهند الشرقية البـريطانية في احتلال مراكـز أخرى بالهند ، وذلك خلال القـرنين الثامن عـشر والتاسع عشـر الميلاديين ونتج عـن هذه الأطماع التوتر في العلاقـة بين الشركة ودولة المغول بالهند ، ونشبت حـروب بينهما ، ومن أبرزها معركة بلاسي سنة ١١٧١هـ (١٧٥٧م) ، وانتصـرت فيها الشركة على قوات الامبـراطور المغولي ، وفتـح لها هذا البـاب التوسع في البـغال وبيهـار وأوريسا ، وأخذت تتدخل في شؤون الحكم خصوصا في الفترة ١١٧٤ - ١٢٧٣هـ (١٧٦٠ - ١٨٥٦م)، وأصبـح سلاطين المغـول تحت سـيطرة الشـركة . ثم تكـشفت مـطامع البريطـانيين بعد أن استـولت على المناطق الإسـلامية والهنـدوسية ، وكانت مـحنة المسلمين في ظل حـكم الشركة أشد قسـوة ، خاصة بعد أن أخذت الشـركة جانب الهندوس، وأطلقوا أيديـهم للعمل ضد المسلمين ، لسوموهـم العذاب ، فلقد نجح اليريطانيون في الاستيلاء على الهنـد برجال الهندوس وأموالهم ، بل استولت على الهند بجنود ثلاثة أرباعـهم من الهندوس ، وكان السيخ والمراهتا أكـثر الهنود قسوة على المسلمـين، ووقعت مذابح عديدة راح ضـحيتها آلاف من المســلمين ، فكانت حملة شرسة أراد البـريطانيون بها تحويل ما يمكن تحويلـه من المسلمين عن دينهم ، فعطلوا التعلـيم الإسلامي ، واستولوا على الأوقاف ، وفتحـوا أبواب التعليم على

النظم اليريطانية للهندوس ، ونشطت حركات التنصير بتمويل من التركة . وهكذا أصبح المسلمون في أوضاع سيئة (Philip, 1991, vol. 21, 81 - 83) (نوار، ١٩٩١م ، ٥٥٠ - ٥٥٥) .

لقد أدت الأحداث السابقة إلى ظهور المصلحين من علماء الدين الإسلامي بالهند، فعملوا على توعية الناس وترسيخ الدين في قلوبهم ، وحثهم على التكاتف ضد قوى الإبادة التي سيطرت على الساحة ممثلة في السريطانيين والسيخ، فزاد السخط بعامة على البريطانيين والسيخ الذين انضموا إليهم من التحدي ضد المسلمين. وأيقن المسلمون والهندوس أن قبضة اليريطانيين أخذت تشتد حول أعناقهم وتزلزل عقائدهم. وقد عبر عن هذه الحالة المتدنية بعض البريطانيين ومن بينهم القاضي "ميكلم لويتس" أحد القضاة البريطانيين في مدراس، فقال : "نحن أذللنا الذوات من أهل الهند ، ومسخنا قانون وراثتهم ، وغيرنا قواعد الأعياد وعقود الزواج ، وجعلنا شعائرهم سخرية، وأخذنا أوقاف المساجد وخربنا البلاد بالسلب والنهب والقتل ، وفرضنا الضرائب الباهظة ، وهكذا أصبحت أنهار الثروة في الهند تصب في لندن ، حتى أصبحت الهند جسماً بلا روح ، وأصيبت البلاد بالقحط والمجاعات، ومات الملايين جوعا" . وأما في النواحي الدينية ، فلقد فتح البريطانيون الأبواب أمام بعثات التنصير، وكان المنصِّرون يتقاضون رواتبهم من الشركة ، وامتدت يد اليريطانيين إلى عقائد الناس فأفسدتها، وسخرت منها ، وقضوا على حكم إسلامي دام أكثر من ثمانية قرون ، وفتح البريطانيون مدارس التنصير ، بينما أغلقت مدارس المسلمين بمصادرة الأوقاف الإسلامية وأبطلوا العمل بالشريعة وعزلوا القضاة (النمر ، ١٩٩١م، ٣٨٣ ، ٣٩٠، ٣٩٧ ، ٤٠١) .

أسباب ثورة المسلمين ضد البريطانيين :

لقد لخص هنتر "W.W.Henter" أسباب الثورة في الهند في كتابه "مسلمو الهند" الذي نشر سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) فيما يلي : (١) أغلق البريطانيون على سكان الهند أبواب المعيشة الطيبة ، (٢) قضوا على التعليم الإسلامي ، (٣) عطلوا

القضاء بعزلهم القضاة ، (٤) عرقلوا قيام المسلمين بواجباتهم الدينية ، (٥) صادروا الأوقاف . وعلق على ذلك بقوله " إن المسلمين صـادقون في اتهاماتهم " ، ولقد زاد البريطانيـون من لهيب المشاعر عـندما أنذروا ملك الهند الشـرعي بهادور شاه ، المسن القابع فـي قلعته ، بأنه سيكـون آخر ملوك المغول المسلمين بـالهند ، وسوف تكون الـقلة ثكـنة للجـيش البريـطاني . كـذلك زاد من لهـيب مشـاعر المسـلمين والهندوس أمـر الضباط البـريطانيين لجنودهم مـن المسلمين والهندوس بـإزالة شحم الخنازير والأبقار الذي كـان يغلف (الخراطيش) بأسنانهم ، وفي هذا احـتقار لمشاعر المسلـمين والهندوس الديـنية ، فكان هـذا العمل احـتقاراً لـلمشاعـر الدينيـة عند الطرفين. مما ألهب المشاعر خصوصا بعد محاكمة الجنود الذين رفضوا إطاعة الأوامر (النمر، ١٩٩١م ، ٤٢٦ ، ٤٢٧) (Philip, 1991 , vol. 21, 91) .

وهكذا بدأت الثورة ضد البـريطانيين ، وانتهت بالفشل وإعلان الهند مـستعمرة بريطانية في سنة ١٢٧٥هـ (١٨٥٨م) .

• • • • • •

توزيع المسلمين

يستفاد من الجدول رقم (٢) والشكل رفم (٦) ، أن المسلمين ينتشرون في جميع الولايات والأقاليم الهندية ، غير أن عددهم أو نسبتهم تختلف من منطقة إلى أخرى . فعلى سبيل المثال ، تختص ولايات أوتر برادش وغربي البنغال وبيهار بنسبة ٥٠٪ من إجمالي عدد مسلمي الهند عام ١٤١١هـ (١٩٩١م) . ويلاحظ أن هذه الولايات الثلاث تتركز في حوض السند الذي كان يعرف قديما بهندستان . وإذا تتبعنا توزيع المسلمين بالهند حسب الولايات والأقاليم ، نجد أن أهمها جميعا من حيث عدد المسلمين هي:

١ - ولاية أوتربرادش :

توجد في أقصى شمالي الهند ، وتشغل حيزا كبيراً من حوض نهر الجانج . وبلغ عدد المسلمين في هذه الولاية حسب التعداد الرسمي لحكومة الهند في سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي (١٧ر٢ مليون نسمة) ، وفي تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي (٢٤ مليون نسمة) ، لذا تعتبر الأولى من حيث عدد المسلمين بين الولايات الهندية . ويتركز المسلمون بنسب عالية في أربع نواح إدارية من الولاية ، هي: مراد أباد "Morad abad" وساهارانبور "Saharanpour" وبيجنور "Bijnor" ورامبور "Rampur" . ويشكل المسلمون النسب التالية حسب ترتيب النواحي السابقة: ٣٨ر٠٦٪ ، و٣١ر٥٧٪ ، و٣٩ر٤٥٪ ، و ٤٧ر٢٢٪ . وتضم اوتربرادش أكبر عدد من سكان الولايات الهندبة فسكانها حسب تعداد سنة ١٩٩١م حوالي (١٣٩ مليون نسمة) ، فتشغل المركز الأول بين الولايات الهندية ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ١٥ر٥٪ فأصبحت ١٧ر٣٪ في سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) ، وتضم حوالي خُمس عدد المسلمين بالهند.

٢ – ولاية غربي البنغال :

توجد في القطاع الشرقي من الهند ، في غـرب جمهورية بنجلاديش ، وضمن ولايات الشـمال . وحسـب التعـداد السابق (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ، وصـل عدد المسلمين بـهذه الولاية حوالي ٨ر١١ مليـون نسمة ، وفي تعـداد سنة (١٤١١هـ / ١٩٩١م) ١٦ مليون نسمة ، وتـشغل المركز الثاني بالنسبة لـعدد المسلمين بالولايات الهندية . ويشكل المـسلمون أغلبية السكان في ٦ نواح مـن الولاية . هي : مرشد أباد "Murshidabad" ومـالدا "Malda" وغـربي دينـاوبور "West Dinajpur" وبيروبهو "Birbhum" وبارجـاناس "Parganas" وناديا "Nadia" ، ونسبهم بين سكـان هذه الـنواحـي ٧ر٥٨٪، ٣ر٤٥٪، و ٨ر٣٥٪، ٣١٪ ، و ٩ر٢٣٪ علـى التوالي . وبصفة عـامة، يتركز المسلمون على ضفـتي نهر هوجلي "Hoogli" على حدود بنـجلاديش. وتأتي ولايـة غربي البنـغال في المرتبـة الثالثـة من حيث نسـبة المسلمين بين سكان الولايات الهندية ، حيث بلغـت نسبة المسلمين بين سكانها سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حـوالـي ٥ر٢١٪ ، وفي سـنة ١٤١١هــ (١٩٩١م) وصلـت نسبتهم٦ر٢٣٪ .

٣ – ولاية بيهار :

ضمن ولايات شـمالي الهند، وإحـدى ولايات حوض الجانج ، وتحـتل المركز الثالث من حيث حجم عدد المسلمين بالولايات الهندية، فلقد وصل عددهم حسب تعداد ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حـوالي ٨ر٩ مليون نسـمة، وفي تعداد نسـبة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حـوالي ٧ر١٢ مليـون نسـمة. ويـتركـز المسلـمون في نـواحي بورنيـه "Purnia"، حـيث شكـلوا في تـعـداد ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حـوالي ٦ر٤١٪ بين سكانها. وقد انقسمت هـذه الناحية إلى ثلاث نواح في سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) ، منها ناحيـة كيشنجانج "Kishanganj" ، التي تعتبر ثالثـة أعلى النواحي من حيث التركـز العددي للمسلـمين في الهند (٧٥ر٦٤٪ بين سكانها) . ومـن بعدها تأتي مرشد آباد في غربي البنغـال ومالابورام في كيرالا . وكذلك يتركز المسلمون بنسب عاليـة في نواحي باتنا

جدول رقم (٢)

المسلمون في الولايات والأقاليم الهندية حسب تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م)

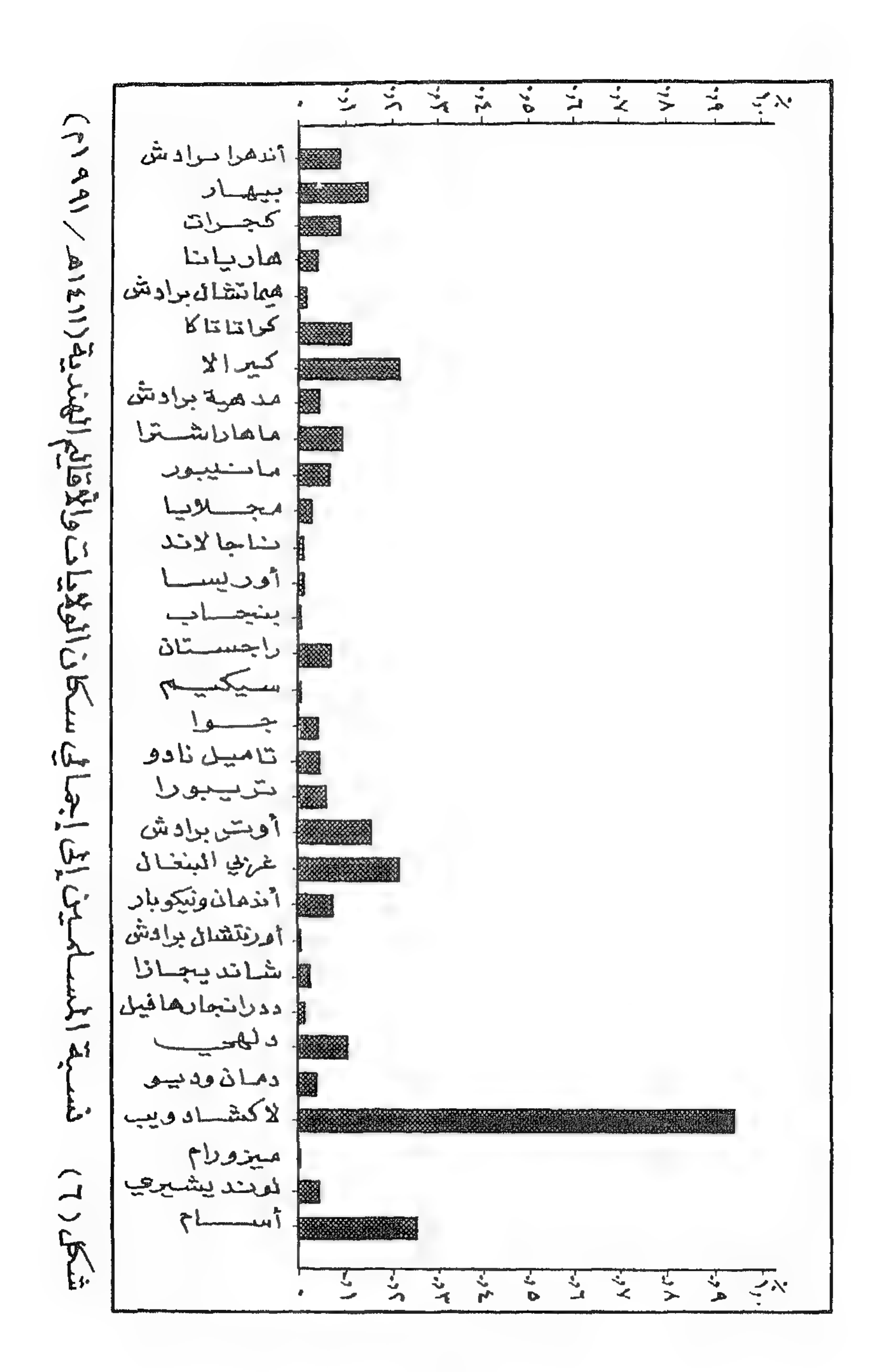
الولايات والأقاليم	إجمالي السكان	نسبة المسلمين (٪)	عدد المسلمين (نسمة)
اندهرابرادش	٦٦٫٥٠٨٫..٨	٨٫٩١	٥٫٩٢٥٫٨٦٣
بيهار	٨٦٣٧٤٤٦٥	١٤٫٨١	١٢٫٧٩٢٫٠٥٨
كجرات	٤١٣٠٩٥٨٢	٨٫٧٣	٣٫٦٠٦٫٣٢٦
هاريانا	١٦٤٦٣٦٤٨	٤٫٦٤	٧٦٣٫٩١٣
هيماتشال بردش	٥١٧٠٨٧٧	١٫٧٢	٨٨٫٩٣٩
كراناتاكا	٤٤٩٧٧٢٠١	١١٫٦٤	٥٫٢٣٥٫٣٦٤
كيرالا	٢٩٠٩٨٥١٨	٢٣٫٣٣	٦٫٧٨٨٫٦٨٤
مدهيه بردش	٦٦١٨١١٧٠	٤٫٩٦	٣٫٢٨٢٫٨٠٠
ماهاراشترا	٧٨٩٣٧١٨٧	٩٫٦٦	٧٫٦٢٥٫٣٣٢
ماتيبور	١٨٣٧١٤٩	٧٫٢٧	١٣٣٫٥٦٠
مجلايا	١٧٧٤٧٧٨	٣٫٤٦	٦١٫٤٠٧
ناجالاند	١٢٠٩٥٤٦	١٫٧١	٢٠٫٦٨٣
أوريسا	٣١٦٥٩٧٣٦	١٫٨٢	٥٧٦٫٢٠٧
بنجاب	٢٠٢٨١٩٦٩	١٫١٨	٢٣٩٫٣٢٧
راجستان	٤٤٠٠٥٩٩٠	٨٫.١	٣٫٥٢٤٫٨٧٩
سيكيم	٤٠٦٤٥٧	٫٩٥	٣٫٨٦١
جوا	١١٦٩٧٩٣	٥٫٢٥	٦١٫٤١٤
تاميل نادو	٥٥٨٥٨٩٤٦	٥٫٤٧	٣٫٠٥٥٫٤٨٤
تريبورا	٢٧٥٧٢٠٥	٧٫١٣	١٩٦٫٥٨٨

الولايات والأقاليم	إجمالي السكان	نسبة المسلمين (٪)	عدد المسلمين (نسمة)
أوتربرادش	١٣٩١١٢٢٨٧	١٧٫٣٣	٢٤٫١٠٨٫١٥٩
غربي البنغال	٦٨٠٧٧٨٣٦	٢٣٫٦١	١٦٫٠٧٣٫١٧٧
اندمان ونيكوبار	٢٨٠٦٦١	٧٫٦٧	٢١٫٥٢٦
ارونتشال بردش	٨٦٤٥٥٨	١٫٣٨	١١٫٩٣٠
شاتديجارا	٦٤٢٠١٥	٢٫٧٢	١٧٫٤٦٣
ددرواونجارهافيل	١٣٨٤٧٧	٢٫٤١	٣٫٣٣٧
دلهي	٩٤٢٠٦٤٤	٩٫٤٤	٨٨٩٫٣٠٨
دمانوديو	١٠١٥٨٦	٨٫٩١	٩٫٠٥١
لاكشاد ويب	٥١٧٠٧	٩٤٫٣١	٤٨٫٧٦٤
ميزورام	٦٨٩٧٥٦	٫٦٦	٤٫٥٥٢
بوند يشيرى	٨٠٧٧٨٥	٦٫٥٤	٥٢٫٨٢٩
آسام	٢٢٤١٤٣٢٢	٢٨٫٤٣	٦٫٣٧٢٫٣٩١
المجموع	٨٣٨٫٥٨٣٫٨٥٩		١٠١٫٥٩٥٫١٧٦

المصادر :

- Muslim India, (April 1997, Neq Delhi, India .
- Radiance (1992) , News Weekly. vol. xxvii, no. 24, 5 - 11 April.
- Europa Publication Limited (1993) . The Far East and Australia.
- Famighelti, R, (1996) , The Wold Almanac and Book of Facts .

بكر ، سيد عبدالمجيد ، ١٩٨٨م . الأقليات المسلمة في أستراليا وآسيا ، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ، جدة .



شكل (٦) نسبة المسلمين إلى إجمالي سكان الولايات والأقاليم الهندية (١٤١١هـ/١٩٩١م)

ونالاندا "Nalanda" وأورانج أباد وبوهجبور "Bhohpur" وروهتاس "Rohtas" ومونجير "Munger" ورانشي "Ranchi" وجُملا "Gumla" وسينجهبوم "Singhbhum" ، وترتيب ولاية بيهار السادسة من حيث نسبة المسلمين بين سكان الولايات الهندية ، وبلغت نسبة المسلمين بين سكانها سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) ٣ر١٤٪ ، فأصبحت سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) ١ر١٤٪ .

٤ - ولاية ماهاراشترا :

تشغل المركز الرابع من حيث حصة أعداد المسلمين في الولايات الهندية ، وتوجد في القطاع الغربي من هضبة الدكن . وبلغ عدد المسلمين بها في تعداد سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) ٨ر٥ ملايين نسمة ، وفي تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) ٦ر٧ ملايين نسمة . ويشكل المسلمون أكثر من ١٠٪ من سكان ٩ نواح بهذه الولاية ، منها مدينة بمبي وجالجاون "Jalgaon" واوران اباد "Auranabad" وباربهاني "Parbhani" ونانديد "Nanded" ، وعثمان آباد "Osmanabed" وبولدنا "Buldana" وأمر فاتي "Amravati" ، وهي تعتبر من أقدم المناطق التي وصلها الإسلام مبكراً عبر المحور البحري ، وتعد ماهاراشترا الثامنة من حيث نسبة المسلمين في الولايات الهندية ، حيث بلغت نسبة المسلمين بين سكانها في سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٢ر٩٪ ، وفي سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٦ر٩٪ .

٥ - ولاية كيرالا :

تأتي في المرتبة الخامسة من حيث عدد المسلمين بالولايات الهندية ، حيث بلغ عدد المسلمين بها في تعداد سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٤ر٥ ملايين نسمة ، وفي تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٧ر٦ ملايين نسمة ، وهي توجد في أقصى جنوب غربي الدكن . وتبلغ نسبة المسلمين قرابة ٢٣٪ بين سكان الولاية .

التي تعتبر من أكثر المناطق ارتفاعاً في الكثافة السكانية بالهند . ويتجمع عدد كبير من المسلمين في القطاع الشمالي من ساحل مليبار . ومن أكثر النواحي التي يتجمع بها المسلمون بالولاية، ناحية مالابورام "Malappuram" (حوالي ٥ر٦٥٪ من سكانها). وناحية كوزهيكودي"Kozhikode" (حوالي ٩ر٣٣٪) ، وناحية كتنانور (٧ر٢٥٪) وناحية ويماد "Waymad" (حوالي ٦ر٢٤٪) . وتشتهر هذه الولاية بوجود المسلمين من ألموبلا "Mopla"ولهم ذكر في تاريخ المنطقة ، وجاء ترتيب كيرالا الرابعة من حيث نسبة المسلمين في الولايات الهندية، فكانت نسبتهم بين سكانها في سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٢٥ر٢١٪، بينما وصلت في سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) إلى ٢ر٢٣٪.

٦ - ولاية اندهر برادش :

تشغل المرتبة السابعة من حيث عدد المسلمين بالهند ، وتوجد في القطاع الجنوبي الشرقي من الدكن . ويبلغ عدد المسلمين بها في تعداد سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٥ر٤ ملايين نسمة ، وفي تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٥ر٩ ملايين نسمة ، وأكثر تجمعات المسلمين توجد في ناحية حيدر أباد (حوالي ٢٧٪ من السكان) ، وتبلغ نسبة المسلمين في ناحية كورنول "Kurnool" حوالي ١٧٪ من سكانها ، كما تصل نسبة المسلمين أكثر من ٥٪ من سكان خمس نواح بالولاية، وتشغل اندهر برادش المرتبة العاشرة من حيث نسبة المسلمين في الولايات الهندية، حيث بلغت نسبة المسلمين بين سكانها في سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٤٧ر٨٪ وفي سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٩ر٨٪ .

٧ - ولاية آسام :

تعتبر إحدى الولايات السبعة في شمال شرقي الهند ، وقدرت حصة المسلمين

بين سكانها بحوالي ٢٤٪ وقدر عددهم في سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) بحوالي ٥ر٤ ملايين نسمة (Muslim India, March, 1985) ، وعددهم في سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) بحوالي ٣ر٦ ملايين نسمة ، ويتركز المسلمون في ناحية جاولبارا "Gaolpara" فتصل نسبتهم حوالي ٤٢٪ ، وتم تقسيمها إلى أربع نواح ، وأعلى نسبة تجمع للمسلمين في هذه النواحي الأربع ، توجد في ناحية دهبري "Dhubri" كما يشكل المسلمون حوالي ٤٪ من سكان ناحية كاشار "Cachar" جنوبي الولاية، وكذلك يشكل المسلمون حوالي ٤٠٪ من سكان ناحية ناجون "Nagaon" . وجدير بالذكر، أن النواحي سالفة الذكر تم تقسيمها إلى نواح أصغر نتيجة للاضطرابات التي حدثت في آسام في الآونة الأخيرة ، وما تزال الولاية مصدراً للصراعات الطائفية، وتأتي ولاية آسام الثانية من حيث نسبة المسلمين بين سكان الولايات الهندية، والسادسة من حيث عدد المسلمين فرغم ما نعانيه من مشاكل ، تتصاعد نسبة المسلمين بها، حيث كانت تمثل سنة ١٣٧١هـ(١٩٥١م) حوالي ٦ر٢٢٪ ، وفي سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م) حوالي ٢٤٪ ، وفي سنة ١٤١١هـ(١٩٩١م) حوالي ٤ر٢٨٪ .

٨ - ولاية كاراناتاكا :

توجد جنوب غربي الدكن ، وبلغ عدد المسلمين في هذه الولاية في تعداد سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ١ر٤ ملايين نسمة ، وفي تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) ، وصل عدد المسلمين إلى حوالي ٢ر٥ ملايين نسمة ، ويشكل المسلمون من ٥٪ إلى ١٠٪ في ثمان نواح من الولاية ، وأكثر من ١٠٪ في ١٠ نواح ، وحوالي ١٩٪ من سكان ناحية بيدار "Bidar" وحوالي ١٨٪ من ناحية جولبارجا "Gulbarga" وتحتل كارناتاكا المرتبة السابعة من حيث نسبة المسلمين بين سكانها ، فكانت هذه النسبة في سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٠٥ر١١٪ فأصبحت في سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٦ر١١٪ .

٩ - ولاية كجرات :

توجد غـربي الهند ، ولقـد بلغ عدد المسلـمين في هذه الولاية في تعـداد سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حـوالي ٢ر٩ مـليـوني نسـمـة ، وفي تعـداد سنـة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالـي ٣ر٦ ملايين نسـمة . وتـقدر نسـبة المسلـمين في ناحـية كـاشه "Kachh" بحوالي ١٩٪ من جمـلة سكانهـا ، وحوالي ١٦٪ من سكان ناحـية باروتش "Baruch" وحوالي ١٢٪ من سكان ناحية جامنكار "Jamngar" ، وأكثر من ١١٪ من سكان آحـمد أباد ، وتشغل ولايـة كجرات المرتبـة الثانية عـشرة من حيث نسبة المسلمين بين سكان الولايات الهنديـة ، فكانت نسبتهم بين سكانها سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٥٣ر٨٪ وفي سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٧ر٨٪ ، والمرتبة التاسعة من حيث عدد المسلمين .

١٠ - ولاية تاميل نادو :

توجد في أقصى جنوب شرقي الدكن ، وقدر عدد المسلمين بها في إحصاء سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) بحـوالي ٢ر٥ ملـيوني نسـمة . وفي إحـصاء سـنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) وصل عدد المسلمين إلى ٣ ملايين نسمة ووصلت نسبتهم ٤ر٥٪ وشغلت بهذا الرقـم المرتبة السابعـة عشرة من حيـث عدد المسلمين في الولايـات الهندية ، وتصل حصة المسلمين أكثر من ١٠٪ من جملة السكان في بعض النواحي ، وأقل نسبة للمسلمين بهذه الولاية في نواحي سالم "Salem" ، وبيريار "Peruyar" .

١١ - ولاية مدهية براديش :

توجد شمالي الدكن ، وتعتبر أكبر الولايات الهندية مساحة ، بلغ عدد المسلمين بها في تعداد سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٢ر٥ مليوني مسلم ، وفي تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالـي ٣ر٣ ملايين نسمـة ، وتصل نسبـة المسلمين أكـثر من

١٠٪ في نواح راتلام "Ratlam" ، ويوجـايين "Uijain" ، وإندوري "Indore" وناحية شرق نيمار "Nimar" ، وأكثر عدد من المسلمين في ناحية بهوبال ، وبلغت نسبة المسلمين سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٩٦ر٤٪ .

١٢ - ولاية راجستان :

ثانية الولايات الهندسة مساحة ، توجد شمال غربي الهند ، وبلغ عدد المسلمين في إحصاء سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٤٩ر٢ مليـوني نسمة ، وفي تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٥ر٣ مـلايين نسمة ، وتـزيد نسبة المسـلمين على ١٠٪ من سكان الـولاية في نواح بيكـانير "Bikaner" وسيكار "Sikar" ، وجودهبور "jodhpur" ، ونجايور "Nagaur" وبارمير "Barmer" ، وأعلى نسبة لـلمسلمين في جايسـالمير "Jaisalmer" حيث تـصل نسبتـهم إلى ١ر٢٣٪ بين سكان هذه الناحية، وأكبـر عدد من المسلمين في الولاية يوجد في ناحـية جايبور "Jaipur" ، حيث وصل عددهم في سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) قـرابة ربع مليون نسمة ، رغم أن نسبتهم بين سكان الناحية حوالي ٧٪ ، وهي بهذه النسبة تحتل المـرتبة الثالثة عشرة بين الولايات والأقاليم في تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) .

• • • • • •

التعليم الإسلامي

طبقا لنظام التعليم العام في الهند ، تبدأ الابتدائية من سن ٦ سنوات إلى ١١ سنة، وهذه المرحلة مجانية في جميع أنحاء الهند ، ويبدأ التعليم المتوسط من سن ١١ سنة إلى ١٤ سنة ؛ وهي مرحلة مجانية في معظم الولايات الهندية. كما تبدأ المرحلة الثانوية من ١٤ سنة إلى ١٧ سنة ، وهي أيضا مجانية ، ويواجه التعليم مشاكل عديدة، منها زيادة الأعداد، وتدني المستوى وتعدد اللغات .

وتتحمل حكومات الولايات الهندية بالتعاون مع حكومة الاتحاد الهندي الجانب الأكبر من مسؤولية التعليم حتى مرحلة التعليم العالي ، كما أن الحكومة الاتحادية تدير بعض الجامعات ، مثل جامعة عليكرة الإسلامية في عليكرة ، وجامعة باناراس الهندية في فاراناسي "Varanasi" وجامعة فيزفا "Visva" بهاراتي في سانتينيكيتان "Santiniketan" ، وجامعة جواهر لال نهرو في نيودلهي ، وجامعة حيدر أباد في حيدر أباد، وجامعة التلال الشمالية الشرقية في شيلونج. ويدير المكتب المركزي الاستشاري سياسة التعليم في الهند ، ويتشكل من أربع لجان تسوس التعليم المتوسط والتانوي والجامعي والاجتماعي (Philip, 1991, vol. 21, 19) .

ورغم الجهود الكبيرة المبذولة في مجال التعليم ، إلا أن نسبة الأمية في الهند وصلت إلى ٤٨٪ من مجموع السكان سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) (Esposito, 1995,vol. 1, 415) .

ويقوم التعليم الإسلامي في الهند على الجهود الذاتية التي تبذلها الهيئات والجمعيات والمؤسسات الخيرية الإسلامية ،كما تسهم الأوقاف بنصيب وافر في ذلك.

لقد بدأ التعليم الإسلامي غداة انتشار الإسلام ، وبجهود حكومات إسلامية مستقرة ، مثل الدولة الإسلامية الغزنوية والدولة الغورية في أواخر القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، فأنشأ الغوريون المدارس الابتدائية ، ومنها على سبيل المثال مدرسة شهاب الدين الغوري ، التي شيدها قطب الدين أيبك بجوار المسجد الجامع في دلهي في مستهل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي). وعلى غرارها أنشئت المدارس الإسلامية في مناطق عديدة من الهند . كذلك انتشرت المدارس الإسلامية في عهد دولة المماليك بالهند ، فأنشأ السلطان شمس الدين التمشي المدرسة الناصرية في دلهي سنة ٦٣٥هـ (١٢٣٧م) ، وكذلك المدرسة الفيروزية في دلهي أيضا . وانتشرت مدارس عديدة في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية بالهند في هذه الفترة (Radiance, 1992, xxvii,24) .

توالت عملية إنشاء المدارس في عهد الدولة الخلجية في أوائل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وطيلة القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، وتم إنشاء أكثر من ١٠٠٠ مدرسة إسلامية في هذه الفترة . ولقد زار الرحالة ابن بطوطة الهند في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ومارس التعليم بمدارس دهلي ، وأشار إلى أن عدد المدارس بإحدى مدن الهند (هناور) ١٣ مدرسة للبنات ، ٢٣ مدرسة للبنين ، كما كتب عن المدرسة الفيروزية (اللواتي ، ١٩٨٥م ، ٦٧) . واستمرت عملية إنشاء المدارس طيلة عهود الدول الإسلامية بالهند . ولقد سبقت الإشارة إلى حالة التعليم في عهد الدولة المغولية عندما نشط العديد من علماء المسلمين في النهوض بالتعليم الإسلامي ، وبرز منهم شاه ولي الله ، فأنشأ المدرسة الرحمانية في دلهي ، التي على غرارها تم إنشاء العديد من المدارس الإسلامية ، وتابع رسالته تلاميذه ، فاهتم بالتعليم نظام الدين وغيره من علماء المسلمين .

التعليم الإسلامي في عهد الاحتلال البريطاني :

عندما سيطر الاحتلال البريطاني أغلق العديد من المدارس الإسلامية ، بينما ساهم في افتتاح مئات المدارس التنصيرية (Radiance, 1992, xxvii, 24) وعندما زحف الاحتلال البريطاني إلى حوض الجانج ، نشط البريطانيون في غلق المدارس الإسلامية ولم يبق في دلهي غير مدرستين ، المدرسة الرحمانية ومدرسة نظام الدين .

ونشطت بريطانيا في نشر التعليم حسب النظام البريطاني وباللغة الإنجليزية ، وأضافت اللغة العربية ذرأ للرماد في العيون ، . وساعد الاحتلال البريطاني على نشر وتمويل مدارس التنصير ، فأصبحت هنالك شبكة من هذه المدارس في أنحاء مختلفة، في قاليقوط والبنجاب ، ودلهي ، وحلت العلوم الغربية محل العلوم الإسلامية ، واللغة الإنجليزية محل اللغة الفارسية والعربية ، ولهذا ساد السخط العام . ثم توالت الأحداث ، فكانت ثورة سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٧م) ، وفي هذه المحنة أنسئت "دار العلوم" (ديوباند لحماية العلوم الإسلامية . ومدارس الفقه في دار النظام ، نم توالى افتتاح المدارس والجامعات بجهود ذاتية (Radiance, 1992, xxvii, 24) .

مراحل التعليم الإسلامي ومؤسساته :

كانت لغات التعليم حينئذ الفارسية وأحيانا العربية (أو السنسكريتية) ، وينقسم التعليم الإسلامي بصفة عامة إلى مراحل : المرحلة الأولى (الابتدائية) ودعامتها (الكُتّاب) أو المسجد ، حيث ينلقى صبيان المسلمين دروس تحفيظ القرآن الكريم ومبادىء الإسلام، بالإضافة إلى تعليم القراءة والكتابة ودراسة العلوم الحديثة. ثم تأتي المرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية . وقد بذل المسلمون من خلال جهودهم

الذاتية الكثير لنشر التعليم المتوسط والجامعي بين أبناء المسلمين وتطويره . ففي الهند، أكثر من ٢٥٠٠ مدرسة ومعهد وجامعة إسلامية تنتشر في جميع أنحاء الولايات الهندية وهذه نماذج من المدارس العليا والجامعات الإسلامية الهندية

١ - **جامعة عليكرة** : توجد في مدينة عليكرة في غرب أوتربرادش جنوب دلهي. بدأ تأسيسها في سنة ١٢٩٢هـ (١٨٧٥م) على يد "السير" سيد أحمد طاف، وبدأت بكلية إسلامية عصرية ، ثم تطورت إلى جامعة ، وازدهرت في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي ، خصوصا بعد أن تحولت إلى جامعة في سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) ، وتضم حاليا ١٠ كليات ، و ٦٦ قسما دراسياً ، وفيها أكثر من ١٥ ألف من الطلاب والطالبات وأصبحت مؤسسة علمية عالمية عصرية ، والدراسة بها باللغة الإنجليزية والأردية والعربية ، وتشتمل الدراسة على : العلوم والطب والهندسة إلى جانب الدراسات الإسلامية والعربية (Radiance, 1992, xxvii, 24) (Esposite, 1995, vol. 4, 74) .

٢ - **الجامعة الملّيه الإسلامية** : توجد في نيودلهي ، وتأسست في سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) ، وهي تضم عدة مدارس عليا ومدرسة متوسطة ومدرسة ثانوية . كما تضم كلية : العلوم الإنسانية واللغات ، العلوم الاجتماعية، العلوم الطبية، الهندسة التكنولوجيا ،ومعهد الدراسات الإسلامية (Radiance, 1992, xxvii, 24) .

٣ - **الجامعة العثمانية** : توجد في حيدر أباد ، في ولاية اندهر برادش تأسست في سنة ١٣٢٧هـ (١٩١٨م) على يد عثمان علي خان ، وأخذت اسمه فيما بعد. وتضم ٧ كليات داخل الحرم الجامعي و ١٢ كلية خارجه ، وبها حوالي ٢٤٢٠ طالبا، و١١٤ طالبة، وتمارس تعليم الفنون والعلوم، والعلوم الاجتماعية والطبية والهندسة والحقوق.

٤ - **جامعة همدرد** : توجد في دلهي وقد أنشئت في سنة ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م)، وتضم كلية للصيدلة ، وكلية لتاريخ الطب والأبحاث الطبية ، وكلية الدراسات الإسلامية والإنسانية ، وكلية العلوم ومدرسة للتمريض .

٥ - **دار العلوم "ديوباند"** : أسسها مجموعة من علماء الدين الإسلامي في سنة ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م) ، وكانت أول الأمر مدرسة ثانوية تهتم بدراسة الحديث ، وبنهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، أسست مجموعة من المدارس . وتصدر دار العلوم مجلتين ، هما مجلة العلوم وتصدر باللغة الأردية ، والثانية دعوة الحق ونصدر باللغة العربية (Esposito, 1995, vol. 2, 191) (بكر، ١٩٨٨م، ٢٣٦) .

٦ - **دار العلوم في لكنو** : تتبع ندوة العلماء ، وتصدر العديد من الدوريات، مثل مجلة الرائد باللغة العربية ، والبعث الإسلامي بالعربية أيضا .

٧ - **الكليات الإسلامية في (كيرالا)** : توجد مجموعة من الكليات الإسلامية في ولاية كيرالا، وهي أقرب ما تكون إلى المدارس العليا . ويصل عددها إلى حوالي ٥٥ كلية إسلامية موزعة عبر الولاية ، وتمارس التعليم في عدة اختصاصات، منها كليات لتعليم اللغة العربية مثل مدينة العلوم - أنوار الإسلام (للبنات)، ودار العلوم ، وكلية الأنصار العربية ، والكلية العربية السلفية، وكلية دار النجاة العربية ، وكلية نُصرة الإسلام ، وكلية لجنة الإرشاد العربية، هذا إلى جانب الكليات المتخصصة في الدراسات الإسلامية .

٨ - **جمعية الأمين التعليمية في بانجالور** : تمارس هذه الجمعية التعليم الإسلامي عن طريق عدد من المدارس العليا هذا إلى جانب تخصصات مختلفة منها كلية الأمين لفنون والعلوم في بانجالور ، وكلية الأمين للصيدلة في بانجالور ، ومعهد الأمين للتدريب الفني (مسائي) ، وكلية غوشيا الهندسية ، فضلا عن العديد

من التخصصات . وتدير الجمعية بالإضافة إلى ما سق حوالي ٨ مؤسسات نعليمية أخرى وعدداً من المعاهد ، منها كلية متوسطة، وأخرى جامعية للنساء، وكلية علمبة متوسطة للرحال ، وأخرى فنية، وكـذلك ثلاث مدارس أولية للأطفال، ومدرستين تانويتين للأولاد (Muslim India, August, 1984) .

ولقد اهـتمت كليـات وجامعـات شمالي الهـنـد بالعلوم الإسـلامية والـلغات والتاريخ أكثـر من أهتمامها بالتعـليم المهني وعلى العكس ، كان اهنـمام المعاهد العلمية والجامـعات في جنوبي الهند منصبا على التعلـيم الفني والحرفي ، وظهرت كليات عـديدة في القطاع الجنوبي من الهنـد ، ثم كلية فاروق في قاليـقوط ، التي افتتحت بعد الاستـقلال في كيرالا ، والكلية العثمانية فـي كورنول ، وكلية جمال محـمد في تـربشي، ثم كـلبة الهـدابة. وفي ولاية تـاميل نـادو حوالي ٩ كلـيات إسلامية، منها كليتان للهندسة. كما انتشرت الكلبات في جنوبي كيرالا وحبدر أباد وكارناتاكـا ، وفي ولاية ماهارا شتـرا . كما عنيت هذه الـنهضة النعـليمية بتـعلبم البنـات إلي آخر المستوى الجامـعي ، وخرّجت هـذه الكليات الأطـباء والصيـادلة والمهندسين والمحامين والمحاسبين ورجال الأعمـال ، وحصيلة هذا أصبح في الفطاع الجنوبي مـن الهند · كليـات هندسة ، كليـتان للطب ، ٣ كـلياب للصيـدلة ، ٤ كليات للحقـوق ، كليتان للمدرسين ، ومعاهد فنـية وتدريبية (Radiance, 1992, xxviin 24) .

وهناك مجموعة من المعاهد والكليات في غربي الهند ، حيث توجد دار العلوم الأشرفية في مدينـة نانديز (بمبي) ، والجامعة الحسنية في رانديز ، والجـامعة العربية الإسلامية في سورتْ .

ورغم هذه النهضة السريعة في التعليم الإسلامي ، إلا أن هناك عقبات تعترض مسيرة هذا التعليم بالهند ، منها :

١ - تدني دخول المسلمين في المناطق الحضرية ، حيث بنتج عنه انخفاض دخل الأسـر ، مما يدفع هـده الأسر إلي تـشغـيل الآطفـال تحت سن ١٢ سـنة للمعاونة ، وهذا يحرم الأطفال من التعليم في المرحلة الابتدائية .

٢ - عدم اعتراف الـدولة بالعديد من المؤسســات التعليمية الإســلامية ، وهذا يحرمها من المساعدات المالية .

٣ - يشكل المسلمون في المناطق الحضرية نسبة أعلى من المعدل العام في الهند، لهذا ينبغي مراعاة ذلك في توزيع النسب في المعاهد النعليمية .

٤ - يواجه أبناء المسلمبن القادمين من الريف إلى المؤسسات التعليمية في المدن، العديد من الصعوبات في الحصول على السكن والإعاشة المناسبين

٥ - عندما تتلقى المؤسســات التعليمية مساعدات حكومـية ، يكون هذا مقابل التدخل في مناهج وبرامج التعليم الإسلامي .

وهناك عدة اقتراحات لرفع مستوى التعليم الإسلامي في الهند ، لعل من أهمها ما يلي (The American The Loyical Lib. Ass.,, 1993, vol. xiv, no. 1) .

١ - الترويج لزيادة النـعليم الإجباري بين أبناء المسلمـين ، وذلك بزيادة شبكة المدارس الابتدائية .

٢ - العمل على نخفيض نسبة التسرب بين أبناء المسلمين في المرحلة الأولى ، وذلك في المناطق المتدنية الدخول أو مناطق الفقر .

٣ - التوسع فـي التعليم المهنـي، وذلك بتعليم نـسبة من أبناء المسـلمين بعض الحرف، مثل صناعـة السجاد، وأعمال ورش إصلاح السـيارات ، وغيرها من الحرف.

٤ - إتاحة الفرص لأبناء المسلمين القادمين من الريف لمواصلة تعليمهم ، وذلك بتقديم المساعدات في السكن والإعاشة .

٥ - تحقيق العدالة بمراعاة حصة أبناء المسلمين في التعليم المهني الحكومي ، وإنشاء كليات للتعليم المهني في المناطق الإسلامية .

٦ - العمل على نشر التعليم المهني في شمالي الهند أسوة بنشاط هذا النوع من التعليم في جنوبي الهند .

٧ - التوسع في تعليم اللغة العربية .

٨ - تعميم الدراسات الإسلامية في مختلف المجالات والمراحل الدراسية، وذلك بنشر الكتب والمطبوعات عن التاريخ الإسلامي والعلوم الإسلامية والمواد الشرعية.

٩ - إنشاء دراسات لبنات المسلمين حول التربية الإسلامية والعلوم المنزلية .

١٠ - إنشاء معاهد للبحث في مجالات التعليم الإسلامي بتعليم اللغات والآداب والثقافة.

١١ - تعديل مناهج التعليم الإسلامي ، وذلك بعقد المؤتمرات حول تنظيم وارتقاء هذا التعليم.

• • • • • •

المؤسسات والهيئات الإسلامية

يوجد بالهند العديد من المؤسسات والهيئات الإسلامية، وبلغ عددها أكثر من ٤٠٠ هيئة ومؤسسة إسلامية، وتسبب هذا في إثارة العديد من المشكلات، مما أدى إلى تفتيت وحدة المسلمين ، وأضعف من كيانهم، مما حرم المسلمين من مظلة تحميهم وتحافظ على هويتهم الإسلامية ومن أمثلة الهيئات والجميعات والمؤسسات الإسلامية ما يلي:

١ - لجنة الأحوال الشرعية لعموم مسلمي الهند (A. I. M. P. L. B):

بدأ تشكيلها باجتماع عقد بمدينة ديوباند في سنة ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) برئاسة قاري محمد طيابي ، ثم عقدت اجتماعات في مناطق عديدة بالهند ، منها اجتماع حيدر أباد في سنة ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) واجتماع رانتشي في سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) ، والنجالور في سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) ، ثم توالت الاجتماعات ، وكان أول رئيس لها قاري محمد طيابي ، وبعد وفاته ، رأسها مفتي عتيق الرحمن، ثم الشيخ سيد أبو الحسن الندوي . ومهمة هذه اللجنة، حماية الأحوال الشرعية لمسلمي الهند ، وتقوية الجهود للدفاع عنها ، ومنع التدخل المباشر وغير المباشر فيها. ومقر اللجنة في باتنا في ولاية بيهار (Radiance, 1992, xx vii, 24)
.

٢ - مجلس المشاورات الإسلامي لعموم الهند (A. I. M. M. M.) .
تشكل في سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) ليجمع بين مختلف مدارس الفكر الإسلامي والجمعيات والهيئات الإسلامية ، ولتقوية وتوحيد الأمة الإسلامية بالهند وحل مشاكلها والنضال لمواجهة الموقف العام للمسلمين بها ، ويضم المجلس أكثر من ١٢ هيئة وجمعية ، منها جماعة الهند الإسلامية ، ورابطة اتحاد مسلمي الهند، وجماعة علماء الهند الملي ، ومجلس عموم مسلمي الهند، وغيرها من الجماعات والهيئات

الإسلامية . ومقر المجلس في دلهي (Muslım India, November, 1984) .

٣ - **الجماعة الإسلامية بالهند** (J. I. H) · حركة إسلامية معروفة، وتعتبر من أقوى وأوسع الهيئات الإسلامية بالهند. تشكلت سنة ١٣٦٨هـ (١٩٤٨م) في مدينة الله أباد،حيث شكلها من تبقى من أعضاء الجماعة الإسلامية التي تكونت في سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) وحلت بعد استقلال الهند، وتكوين الباكستان. تعاقب على رئاستها العديد من علماء الهند، منهم الشيخ سيد أبو الأعلى المودودي والشيخ أبو الليث الندوي والشيخ محمد سيراج الحسن. وتتبنى الجماعة عدة مبادىء، منها اتخاذ القرآن الكريم والسنة قاعدة لنشاطها الإسلامي، والدعوة إلي الإسلام، والقيام بالخدمات الاجتماعية، ولهذا أنشأت ١٦٧ مركزا لجمع الزكاة ، ٨٨ مركزاً صحياً، ٣ مزارع، ١٧ مركزاً للنصاعات الخفيفة، ١٠ معاهد فنية، وعدة مكتبات (Radiance, 1992, xxvil, 24), (Esposito, 1995, vol. 2 , 326) .

٤ - **جمعية علماء الهند** (J. U. H.): شكلها مفتي كيفاية الله في سنة ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) في دلهي ، وتبنت عدم التعاون مع سلطات الاستعمار البريطاني ، وقبض البريطانيون على العديد من علمائها في سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) . ونادت بالاستقلال في سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م)، وتعافب على رئاستها الكثير من علماء المسلمبن بالهند ، وقاومت حركة الاسنيلاء على المسجد البابري ، ورفعت الأمر إلى القضاء الهندي ، وقدمت العديد من الوثائق حول قضية هذا المسجد ، وتعمل على نشر الدعوة الإسلامية ، واسترجاع أولئك الذين ضلوا الطريق من مسلمي راجستان ، وإفتتحت حوالي ٩٠ كُتَّابا في ولاية راجستان وحدها . وتتبنى الجماعة عدة مبادىء ، منها تأمين المساجد للمسلمين في مناطق عديدة ، والنضال من أجل حقوق المسلمين في التعليم ، وتحصيل الثقافة ، وحقوق المواطنة، كذلك إصلاح التعليم ، وإنشاء المعاهد الإسلامية . والعمل على نشر

العلوم العربية والإسلامية (Radiance, 1992, xxvil, 24), (Esposito, 1995, vol. 2 , 192) .

٥ - **رابطة اتحاد مسلمي الهند (.I. U. M. L)**: تكونت في سنة ١٣٦٨هـ (١٩٨٤م) على إثر اجتماع عقد في مدينة مدراس، وتبنت الايديولوجية الإسلامية ووحدة الأمة الإسلامية في الهند ، والحفاظ على الثقافة الدينية ، والمطالبة بحقوق التعليم والحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأبناء الأمة الإسلامية بالهند ، والأقليات الأخرى . قد تعاقب على رئاستها العديد من علماء الهند . وفي البداية، ركَّزت الرابطة نشاطها في الولايات الهندية الجنوبية ، ثم مارست نشاطها في ١٢ ولاية في شمالي الهند ، منها آسام وغربي البنغال وبيهار واتربرادش وراجستان ومهاراشترا واندهرا برادش ، وكذلك في دلهي وبونديشيري ولاكشادويب (Radiance, 1992, xxvil, 24), (Esposito, 1995, vol. 2 , 193)

٦ - **مجلس عموم الهند "التعمير الملى"** تشكل في سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) في حيدر أباد برئاسة سيد خليل الرحمن حسيني ، كمنظمة تعمل على غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الشباب . ولذلك فهو كهيئة شبابية ، قام بمساعدة الطلاب الفقراء على إكمال تعليمهم ، ومقاومة الشيوعية والمبادىء الهدامة في ولاية اندهرا برادش ، وركز المجلس على توفير الإمكانات لتعليم أبناء المسلمين بنين وبنات . ولتحقيق ذلك، أنشأ المدارس في المساجد والأماكن الأخرى . كذلك اهتم المجلس بتنمية الأحوال الاقتصادية للمسلمين (Radiance, 1992, xxvii, 24) .

٧ - **منظمة الطلاب المسلمين الهنود (.S. I. O)** . أكبر المنظمات الطلابية الإسلامية بالهند ، وهي تعمل تحت إشراف الجماعة الإسلامية بالهند ، تكوَّنت في سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) ، ولها نشاط متنوع في مجال التعليم ، وتضم أكثر من ٣٠ ألف طالب .

٨ - **الحركة الطلابية الإسلامية بالهند (S. I. M.)** : تكونت في سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) في مدينة عليكرة ، وضمت عدة منظمات طلابية وشبابية أخرى وتنبعث مبادئها من القرآن الكريم والسنة ، وتعمل على تعميق المفاهيم الإسلامية الدينية من خلال المعلومات المتعمقة عن الإسلام والاهتمام بالعقيدة في تدريس الإسلام والعبادات ، وبناء الشخصية الإسلامية ، وتقوية روح الجهاد .

• • • • • •

المساجد والآثار الإسلامية

واكبت حركة بناء المساجد انتشار الدعوة الإسلامية وصاحبت الفتوح الإسلامية لهذا نشطت حركة إقامة بيوت الله مع انتشار الإسلام على سواحل غربي الهند ووصول الدعوة الإسلامية إلى داخل شبه القارة الهندية - الباكستانية . كما صاحبت حركة إقامة المساجد الفتوح الإسلامية في حوض السند ، وتوغلت معها نحو حوض الجانج في الشرق وهضبة الدكن في الجنوب ، ولما استقر الإسلام في ربوع شبه القارة الهندية - الباكستانية اتسعت عملية بناء المساجد ، وتفنن سلاطين الهند في بناء وزخرفة المساجد . ولا تزال المساجد العريقة بالهند تشهد بروعة الحضارة الإسلامية . وبالهند آلاف المساجد المنتشرة عبر الولايات والأقاليم ، واتخذت كمدارس لتعليم أبناء المسلمين تعاليم الإسلام وشريعته ، وبث العلوم الإسلامية في نفوس أبناء الأمة الإسلامية . الجدول رقم (٣) .

ولقد أثرت الحضارة الإسلامية الهند بالكثير من الآثار المعمارية الرائعة . فإلى جانب المساجد التاريخية ، توجد آثار ذائعة الصيت ممثلة في القلاع والقصور . وأبرز الآثار الإسلامية تاج محل الذي بناه السلطان شاه جيهان ، وموضعه خارج مدنية أجرا على شاطىء نهر جُمنا ، تلكم التحفة الفنية الرائعة التي لا نظير لها ، والتي تنطق برقي الفن ويُعد أحد عجائب الدنيا السبع . ومن أبرز القلاع الإسلامية بالهند، القلعة الحمراء ومدينة الفتح بسكري والتي بناها السلطان أكبر لتكون عاصمة جديدة ، وشيد بها دواوين الحكومة وقصراً للسلطان (آرامكو ، ١٩٨٨م) ، ومن أشهر المساجد الإسلامية الأثرية مسجد ينسب إلى عهد السلطان علاء الدين الخلجي في رامسورام"Rameswaram" في جزيرة بمبان "Pamban" ، كذلك مسجد السلطان قطب الدين أيبك في دلهي .

ولقد اهتم سلاطين دولة المغول المسلمة بالهند بالعمارة بصفة عامة، وعمارة المساجد بصفة خاصة، فضلا عن إنشاء القصور والقلاع. ومن أبرز أعمالهم، المسجد الجامع في نيودلهي، ومسجد اللؤلؤة بالقلعة الحمراء، وتاج محل. ويعتبر

المسجد الجامع في نيودلهي أفخم مسجد بناه سلطان بالهند. وهناك العديد من المساجد الأثرية، منها زينة المساجد وقد قامت ببنائه ابنة السلطان أورانكزيب (الساداتي، ١٩٧٠م، ١٦٧)

وقد درج الهندوس والسيخ على مهاجمة المساجد بالهند، منذ انهيار دولة المغول الإسلامية، ورسوخ أقدام الاحتلال البريطاني بالهند. فقد زاد هذا الاحتلال من توسعة شقة الخلافات بين المسلمين والهندوس، واتضح هذا من الخطاب الذي ألقاه (ب. ن. باندي) محافظ ولاية أوريسا أمام البرلمان المركزي الهندى في شهر يوليو ١٩٧٧م، فقد ذكر أن المؤرخين البريطانيين قاموا بتأليف كتب حاولوا فيها تحريض الهندوس والمسلمين ضد بعضهم البعض. ويضح هذا أيضا من خطاب وجهه سكرتير الحكومة (وود) إلى اللورد "ايلكن" في٣ مارس سنة ١٨٢٢م، قال فيه: "إننا حافظنا على سيطرتنا على الهند بإضرام نار العداوه بين المسلمن والهندوس، فينبغي استمرار هذه السياسه، وبذل الجهود لكي لا تتحقق بينهم الوحدة". وجاء في خطاب مماثل وجهه جورج فرانسيسي هملثن إلى اللورد كرزن في مارس ١٨٨٦م" إن علينا أن نقسم الهند إلى قسمين تختلف أفكارهما، لذا ينبغي أن نقوم بتدريس الكتب التي توسع هوة الخلاف بين أهل هذه البلاد". (العالم الإسلامي،١١ شعبان ،١٤١١هـ)

هكذا زادت هوة الخلاف بين الهندوس والمسلمين، وأخذت أحداث العنف والعدوان الهندوسي مأخذاً خطيراً، ونمت روح تدمير ممتلكات المسلمين ومساجدهم. وأبرز ما يثير عواطف المسلمين، الاعتداء على المساجد، والحرمات، وظهرت هذه التحديات في أعقاب تقسيم شبه القارة الهندية. ففي غربي الهند، هاجم الهندوس المساجد وأحرقوا القرى بمساجدها وسكانها، واغتصبوا الكثير من المساجد واحتلوا مساجد كثيرة في الولايات الهندية، خصوصا في ولايتي البنجاب وهاريانا (العالم الإسلامي، ربيع الأول، ١٤١٥هـ) .

جدول رقم (٣) عدد المساحد وتوزيعها حسب الولايات والأقاليم الهندية ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م)

م	الولاية/ الإقليم	عدد المساجد	ملحوظات
١	أندهرا برادش	١٠	جميعها أثرية فيما عدا ٣ مساجد مستخدمة للصلاة
٢	أسام	١	في تلال رانجماتي وهو مستخدم للصلاة
٣	بيهار	٣	مستخدمة للصلاة
٤	مدينة نيودلهي	٢٩	جميعها أثرية فيما عدا ٦ مساجد فقط مستخدمة للصلاة، ومن بينها مسجد السلطان شرشاه والمسجد الجامع الذي يعتبر من أفخم مساجد الهند، وقد بناه السلطان شاه جيهان بني سنة ١٠٥٠هـ (١٦٤٠م)، ومعظم هذه المساحد في المناطق الأثرية الإسلامية بنيودلهي
٥	جوا ودمان وديو	٢	يستخدمان للصلاة منهما المسجد القديم.
٦	كجرات	٤٤	منها ٣٢ مسجداً مستخدماً للصلاة، ومن بينها ١٩ مسجداً في مدينة احمد أباد وحدها، ومنها مسحد احمد شاه والمسجد الجامع ومسجد مالك علام ومسجد قطب شاه
٧	هاريانا	٥	جميعها أثرية غير مستخدمة للصلاة، منها مسجد السلطان همايون
٨	هيماتشال برادش	١	في قلعة كانحرا بمدينة كانجرا
٩	جامو وكشير	٤	منها/ ٣ مساجد مستخدمة للصلاة، كمسجد حمدان شاه في سرينجار

م	الولاية/ الإقليم	عدد المساجد	ملحوظات
١٠	كاراناتاكا	٣٧	منها ٢١ مسجدا مستخدما للصلاة، وفي مدينة بيجابور وحدها ٢٨ مسجداً من جملة مساجد هذه الولاية.
١١	مدهية برادش	٢١	منها ٥ مساجد مستخدمة للصلاة، ومن جملة مساجدها ٩ مساجد في مدينة ماندو.
١٢	ماهاراشترا	١١	من بينها ١٠ مساجد مستخدمة للصلاة، منها ٣ مساجد في مدينة احمد ناجار، بينما يقع مسجد السلطان محمد تغلق في خان بور.
١٣	بنجاب	٢	يستخدمان للصلاة
١٤	راجاستان	٢	يستخدمان للصلاة، منهما مسجد الجمعة
١٥	تاميل نادو	٧	منها ٤ مساجد مستخدمة للصلاة، ومنها مسجد داخل قلعة التلال
١٦	أوتر برادش	٧٠	منها ٥٩ مسجدا مستخدما للصلاة، وتضم الولاية أكبر عدد من المساجد التاريخية بالهند، وفي مدينة أجرا وحدها ١٤ مسجداً، وفي مدينة لوكنو ١٤ مسجداً، وفي جاونبور ٧ مساجد، وفي مدينة فتح بور ٥ مساجد ومن مساجد هذه الولاية مسجد جهانجير، ومسجد الشيخ برهان، ومسجد السلطان همايون
١٧	غربي البنغال	١٥	لايستخدم منها للصلاة إلا مسجدان، ومن مساجد الولايةمسجد مرشد خان، وهناك ٧ مساجد في مدينة جاور.

المصدر :

- Muslim India, December, 1984

وقد بلغت قـمة هذه الأحداث المؤلمة في تدمـير التراث الإسلامي بهـدم المسجد البابري، الذي بـناه السلطان بابر في "أيوديـا" في سنة ٩٣٥هـ (١٥٢٨م) ، وظل

المسجد يؤدي وظيفته دون أدنى تغيير ، حتى جاء الاحتلال البريطاني ، وواصل سياسته في إثارة الخلافات بين المسلمين والهندوس وحاول المؤرخون البريطانيون إثارة موضوع المسجد البابري ، لإثارة الخلافات بين الطرفين ، فجاء في تقرير (إسكندر كنتهم(عن ايوديا في كتابه عن الهند سنة ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م) فقال : (مدينة أيوديا بادت بأكملها بعد عام ٨٣٠هـ (١٤٢٦م) ، أي قبل ظهور دولة المغول الإسلامية بالهند ، والتي أسسها السلطان بابر بأكثر من قرن) ، ثم أضاف إسكندر، (ثم عمرت ظنامنه ، وبنى بها حوالي ٣٦٠ معبداً لم يبق منها غير ٦٠ معبداً ، وكان نصف المدينة خربا قبل سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) . ثم اتهم اسكندر، كعادة البربطانيين ، المسلمين بهدم المعابد الهندوسة فقال : (بنيت المعابد الجديدة مكان المعابد الفديمة التي هدمها المسلمون ، ثم أضاف : ومعبد مولدراما يقوم وسط المدينة) . هذا ماجاء في تقرير اسكندر ، فلم يذكر أنْ معبد راما بني عليه المسجد البابري فكان المسجد موجوداً والمعبد موجوداً ، ولكن الهندوس استندوا إلى هذا الدليل الباطل . ولكي تكتمل جلقة البريطانيين في استثارة الخلافات ، أصدرت الحكومة البريطانية قاموسا جغرافيا لمدينة فيز أباد سنة ١٢٩٤هـ (١٨٧٧م) ضمن أموراً عديدة تثير الخلافات . وفي سنة ١٢٩٩هـ (١٨٨١م) ، أعد (و. و . هنتر) قاموسا جغرافيا للهند جاء فيه · (أن المساجد التي بناها بابر وأورنكزيب كانت قرب معابد الهندوس) (العالم الإسلامي ، ١١ شعبان ، ١٤١١هـ) .

هذه أبرز الأدلة التاريخبة التي اعتمد عليها الهندوس في موضوع المسجد البابري، وفي صخب الأحداث أعد أربعة من كبار المؤرخين في الهند تقريراً ، أكدوا فيه أن المسجد البابري بني في موضعه ، وأن هذا الموضع لا صلة له بموضع معبد راما "اله الهندوس" في أيوديا ، ووقع التقرير كل من البروفيسور ر. س . شارمابهان من جامعة كوركشيد ، وأطهر على أستاذ التاريخ ، والبروفيسور د. ن.

جها من جامعة دلهي : (العالم الإسلامي ، ١٣ ربيع الثاني ، ١٤١٢هـ)

بدأت الأحداث الخاصة بالمسجد البابري تتجه إلى العنف ، ففي سنة ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) ، تكوّن المجلس الهندي العالمي بزعامة (أشوكا سنجل) وتعاون مع حزب (بهارا جاناتا باديشاد.B. J. P) ضد الوجود الإسلامي بالهند ، وأثيرت مشكلة المسجد البابري ، فتبنى المجلس الهندي العالمي سياسة هدم المسجد البابري ، وبناء معبد "مولد راما" . وقد أثار هذا الاتجاه أحداث العنف التي راح ضحيتها آلاف المسلمين . وبالمقابل ، تكوّنت لجنة إسلامية لمقاومة هذا التحدي ، وأخذت في عرض المسألة على المحكمة الهندية العليا . وقد أثارت هذه الأحداث مشاعر الغضب في العالم الإسلامي ، فطالب المجلس الأعلى للمساجد في مكة المكرمة في دورته رقم (١٧) بتشكيل لجنة باسم المسجد البابري . وتصاعد عنف الهندوس، وتم هدم المسجد البابري في ٦/ ١٢/ ١٩٩٢م . وقد وعدت حكومة الهند بإعادة بناء المسجد ثم تراجعت عن هذا . وما زال موضوع المسجد معروضا على الصعيدين الهندي والإسلامي (Esposito, 1995, vol. 2, 192) .

• • • • • •

التحديات والمطالب

تتمثل التحديات ضد المسلمين بالهند في التمييز العنصري الذي يمارسه الهندوس والسيخ، وهذا ميراث ناشيء عن الأوضاع الطائفية والعنف المخطط له مسبقاً، فهو أشد أنواع الاضطهاد ضراوة ، ووسيلته هدم المساجد وقتل المسلمين وإحراق بيوتهم، وممتلكاتهم ونهب متاجرهم لإضعاف اقتصادياتهم ، وغايته إرغامهم على الهجرة، أو الكف عن المطالبة بحقوقهم وإضعاف شخصيتهم وكيانهم الإسلامي. وهذا التحدي موروث عن الاحتلال البريطاني، وينستر تحت أردية مختلفة وهي:

١ - التحديات البريطانية :

بدأت التحديات أثناء الاحتلال البريطاني للهند ، حيث أسهم البريطانيون في إشعال نيرانها بانحيازهم إلى جانب الهندوس والسيخ ضد المسلمين ، وقام كيان الاحتلال البريطاني على أنقاض الحكم الإسلامي بالهند ، وأراق الكثير من الدماء، ومعركة بلاسي في البنغال سنة ١١٧٠هـ (١٨٥٧م) أكبر دليل على ذلك (النمر، ١٩٩١م ، ٣٤٨) وقررت معركة "بكسر" سنة ١١٧٧هـ (١٧٦٤م) في بيهار مصير دولة المغول الإسلامية بالهند (الساداتي ، ١٩٧٠م ، ٢١٩)

وبلغت التحديات ذروتها في سنة ١٢٨٤هـ (١٨٥٧م) بقيام ثورة المسلمين في الهند ضد الاحتلال البريطاني . وعلى أثر فشل الثورة ، أعلن اللورد ألنبرو حاكم الهند العام " أن العنصر الإسلامي في الهند هو عدو بريطانيا الأصيل ، وأن السياسة البريطانية في الهند يجب أن تهدف إلى تقريب العناصر الهندوسية إليها لتستعين بها في القضاء على هذا الخطر الذي يتهدد وجود بريطانيا في هذه البلاد" (الساداتي ، ١٩٧٠م ، ج٢ ، ٢٣٨) . وبنيت سياسة الاحتلال البريطاني على هذا الأساس ، فأقصوا المسلمين عن وظائفهم في الدولة ، واجتهدوا في تقويض كل

أوضاع المسلمين الاقتصادية والثقافية ، وأحلوا الهندوس محلهم في الوظائف ، وأصدروا قوانين الملكية الزراعية ، التي أباحت للأوروبيين حق احتلال الأراضي ، واستولوا على أوقاف المساجد والضياع، فانتقلت أغلب الأراضي التي كان يملكها المسلمون إلى أيدي الأوروبيين وجباة الضرائب من الهندوس ، وتحوّل ملاك الأراضي من المسلمين إلى أجراء . ولم يكتف البريطانيون بهذا ، بل طفقوا يزيفون تاريخ الحكم الإسلامي بالهند ، ثم انطلقوا يدعون الهندوس إلى إحياء تاريخهم القديم لإثارة الحقد على المسلمين ، وأغلقوا المدارس الإسلامية والمحاكم الشرعية . وهكذا حقق البريطانيون البقاء في حكم الهند مدة طويلة ، ووجهوا ضربة اقتصادية لشل اقتصاديات المسلمين ، وهكذا بدأت التحديات منذ أن بسطت شركة الهند الشرقية البريطانية نفوذها على الهند .

كان هدف البريطانيين القضاء على التعليم الإسلامي الديني ، وذلك منذ أن فرضت شركة الهند الشرقية البريطانية نفوذها على الهند ، ذلك بتنشيط عمل الإرساليات، فقد استقدمت شركة الهند الشرقية البريطانية المنصَرين ، واعتمدت عليهم في العمل لصالح الاستعمار بالهند ، وقدّموا إليهم شتى التسهيلات ، ومنها دفع المرتبات لأعضاء هذه الإرساليات من أموال الهند . ونشط المنصرون في مسخ الأديان بالهند ، ففتحوا مدارس الإرساليات للبنين والبنات، التي كانت الوظائف المحدودة التي تركها البريطانيون للهنود لا تعتمد الا بشهادات تمنحها هذه المدارس ، وشهد بهذا اللورد ماكولي الذي وضع أنظمة التعليم الجديد بالهند في رسالة لوالده، كما شهد بهذا مونيه وليامز العالم البريطاني ، حيث قال عن الهنود : "انهم بدأوا يهملون لغاتهم ، ويزدرون آدابهم وفلسفتهم ودينهم من غير أن يكسبوا شيئا من صفات الأوروبيين (النمر ، ١٩٩١م ، ٤٠١) . ونجح البريطانيون في إضعاف الحماس الديني عند المسلمين، وقربوا الهندوس من سلطانهم ، وبثوا فيهم

روح العداء للمسلمين لتفرقة الشعب الهندي ، وغرس بذور الشقاق بين المسلمين والهندوس . وظلت هذه التفرقة سائدة أيام الاحتلال ، حيث توالت أحداث الشغب التي زكاها البريطانيون، وأخذت شكل صراع دام بين المسلمين والهندوس ، وبين المسلمين والسيخ وأصبح المسلمون قاسما مشتركاً بين الطرفين .

٢ – التحديات الهندوسية :

استولى الهندوس في أعقاب الاستقلال مباشرة على الكثير من الزوايا والمساجد التي خلت من المسلمين بسبب هجرتهم الإجبارية ، حيث هاجر حوالي ١٠ ملايين مسلم إلى الباكستان ، وقتل حوالي مليون ، وحولت المساجد إلى معابد ومتاجر ومساكن هندوسية (Esposito, 1995,vol. 2, 194) وكانت ذروة هذه التحديات ، هدم المسجد البابري . وتستغل الأحزاب الهندوسية هذه النعرة ، وتزكيها وسائل الإعلام الهندوسية ، وتحاول تشويه الشريعة الإسلامية ، واستغلت بعض قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين لهذه الغاية. وكون الهندوس منظمات هندوكية متطرفة لتصفية وجود المسلمين بالهند، ومنها منظمة (شينوسينا) التي قادت حملة هدم المسجد البابري . والمشكلة الأكثر خطورة ، تتمثل في التعليم الوثني في المدارس الحكومية ، والمفروض إجباريا على التلاميذ (العالم الإسلامي ، ١ جمادى الآخرة، ١٤١٧هـ) .

ويستند تحدي الهندوس للمسلمين على عدة عوامل ، منها (العالم الإسلامي، ١٢ شعبان ، ١٤١٧هـ) :

أ – بذور الشقاق التي غرسها الاحتلال البريطاني ، عندما قرَّب الهندوس واستبعد المسلمين .

ب – نبذ ومحاربة المسلمين الهنود لنظام الشرك السائد في الهند .

جـ - الإقبال على اعتناق الإسلام من جانب الطبقات الخاضعة للهندوس.

د - شعور الهندوس بالإحباط نتيجة تأثير الحضارة الإسلامية التي تحمل المبادئ السامية للعدل والمساواة والتوحيد .

هـ - فشل محاولات تغيير أوضاع المسلمين لتبني العادات والتقاليد الهندوسية.

ولكي تحقق الجمعيات الهندوسية الجديدة أهدافها التي فشلت في تحقيقها ، تبنت سياسة جديدة أبرزها : اختيار الطبقة الفاشية من بينهم للسيطرة على المجتمع الهندي ، وتثبيت نظام الطبقات ، وسيطرة طبقة البراهما ، وانتهاك مبدأ المساواة ، وتركيز مقاليد الأمور في يد الطبقة العليا من الهندوس ، وفرض الفكر الهندوسي بالقوة ، وإثارة الرعب بين المسلمين وغيرهم .

٣ - التحديات الاقتصادية :

نتيجة لأحداث التدمير والشغب التي يشنها الهندوس والسيخ وغيرهم من الأحزاب والجماعات المتطرفة تدهورت أحوال المسلمين الاقتصادية ، بسبب حرق وتدمير ممتلكاتهم . فحوالي ٧٠٪ من المسلمين يعيشون في مسوى معيشي يصل إلى ما دون مستوى الفقر ، وتشارك في هذا التدني عوامل أخرى، منها ارتفاع نسبة الأمية بين المسلمين خصوصا بين المسلمات ، وندرة التعليم المهني، وضعف الإنتاج، والظروف الصحية السيئة ، وانتشار البطالة . كما تشارك في هذه ، النفرقة العنصرية السائدة في المناصب الحكومية ، فيميز الهندوس في الاخنيار الوظيفي ، أو الدراسات العليا ، ولا تزيد حصة المسلمين عن ١٪ بينما نسبنهم بين سكان الهند حوالي ١٤٪ . ويواجه المسلمون صعوبات وعراقبل شتي تضعها الحكومة في الحصول على تراخيص وتصاريح للصناعة أو التجارية (العالم الإسلامي ، ١٧ محرم ، ١٤١٧هـ) .

وهناك بعض الحلـول لرفع مستوى دخول الأسـر المسلمة بالهند ، نذكـر منها، التعاون بين المـسلمين لزيادة الإنتاج والتوسع فـي الأعمال التجارية ومسـاهمة أثرياء المسلمين في هذا المجال ، وتنظيم الإنتاج ، ومشاركة الهيئات والمؤسسات الإسلامية في هذه التنمية الاقتصادية ، فالإنتاج هو أفضل وسائل محاربة الفقر، والجهاد ضده يقتضي التعاون على الصعيدين المحلـي والعام ، والتضامن لتقديم الحلول المناسبة ، ولخروج المـسلمين من دائرة الـفقر . فـمثلا ، يمكـن تشجيـع الأفراد على العـمل بالتجارة المتـنقلة وذلك بامتلاك دراجات يعـرضون عليها تجارتهم والتـجوال بها في الأحياء ، كـما يمكن حث الأفراد علـى الإدخار مهما كـان ضئيلا ، واستـثماره . كذلك يجب على المؤسسات المالية الإسلامية ، مثل البنوك ، والشركات الإسلامية، حث المسـلمين على كـسر الحـواجز بيـنهم وبين الأسـواق التجـارية (Radiance, 1992,xxvii, 24) .

٤ - الاعتداء على قانون الأحوال الشرعية للمسلمين :

إن قوانين الأحوال الشرعية للمسلمين ، والمستمدة من الشريعة الإسلامية ، هي الضمان الوحيد للاحتفاظ بالشخصية الإسلامية في الهند . ففي السنوات الأخيرة ، شنت الصـحافة ووسائـل الإعلام الهندية والمنـظمات الهندوسـية المتطرفة حـملات شرسة ضد قوانين الأحوال الشرعية الإسلامـية ، وطالبت بإلغائها ، وشهد المجلس الأعلى للبرلمان الهـندي مناقشات حادة حول هذا الموضوع ، واقـترح بعض أعضاء المجلس أن يصدر قانون مـدني موحَّد يُفْرض على جميـع سكان الهند ، وشاركت المحكمة العليا بـالهند في هذه الحملة . واستنكر الزعماء المـسلمون هذا الاقتراح ، لأنه اعتداء على حقوق المسلمين ومقدساتهم التي يكفلها الدستور الهندي ، وطالب الشيخ أبو الحـسن الندوي الحكومة بالكف عـن مناقشة مشروع هـذا القانون ، لأنه سوف يؤدي إلى الاضطرابات وسفك الدماء البشرية ، فالمطلوب الإخاء والتوادد بين

المواطنين وليس قانونا يؤدي إلى الفتن. وطالب الحكومة أن تتخلى عن كل ما يمس حقوق المسلمين، وطالبت جمعية العلماء لعموم ولاية كيرالا الحكومة الهندية، بالكف عن وضع يدها على الأحوال الشرعية للمسلمين (العالم الإسلامي، رمضان، ١٤١٧هـ).

لقد طبق السلاطين المسلمون أثناء حكمهم للهند الشريعة الإسلامية طيلة حكم دام حوالي ثمانية قرون ، ولم يفرضوا على غير المسلمين شريعتهم . ولكن ألغت سلطات الاحتلال البريطاني أثناء حكم الهند العمل بقوانين الشريعة الإسلامية ، ماعدا قوانين الأحوال الشرعية للمسلمين ، فظل العمل بالشريعة الإسلامية ساري المفعول في قضايا المسلمين ، وأعتُمد قانون الأحوال الشرعية للمسلمين رسميا في سنة١٣٥٦هـ (١٩٣٧م). وفي سنة١٣٥٠هـ (١٩٣٩م)، سُنَ قانون الطلاق حسب الشريعة الإسلامية ، وفي سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م) سنت حكومة الهند قانون الأوقاف الإسلامية (العالم الإسلامي ، رمضان ، ١٤١٧هـ) .

ويمكن إجمال أبرز التحديات التي تواجه مسلمي الهند والمتطلبات اللازمة لمواجتها فيما يلي :

أولا : التحديات :

١ - ارتفاع نسبة الأمية بين المسلمين الهنود خصوصا بين النساء المسلمات .

٢ - الخلاف المتفشي بين الهيئات والمنظمات الإسلامية بالهند .

٣ - تعدد مناهج التعليم الإسلامي ، وتعدد لغات التعليم .

٤ - تدهور الوضع الاقتصادي المعيشي عند الأغلبية الساحقة من المسلمين .

٥ - التعصب العنصري الهندوسي المدمر لكيان المسلمين بالهند .

٦ - الأفكار الهدامة المتفشية بين الطبقات الفقيرة .

٧ - ضعف تمويل العمل الإسلامي نتيجة تدني دخول المسلمين بالهند .

٨ - ضعف الوزن السياسي للمسلمين بالهند ، وتشتتهم بين الأحزاب الهندية

٩ - اتساع الفجوات بين الأقلية والأغلبية ، وبينها وبين السلطة التنفيذية .

١٠ - محاولة إلغاء قوانين الأحوال الشرعية للمسلمين المبنية على الشريعة الإسلامية .

ثانيا : المتطلبات :

١ - تنمية سبل الاتصال بن الأغلبية والأقلية في المجتمع الهندي ، وإقناع القيادات العليا في الهند لتنفيذ مواد الدستور الهندي الخاصة بالمسلمين ، وإزالة الشكوك عند الطرفين وإحلال الثقة المتبادلة .

٢ - تنقية المواد الدراسية من كتب التاريخ المضللة والني تشوه تاريخ الإسلام بالهند .

٣ - إصلاح وسائل الإعلام لترتفع إلى مستوى الأحداث ، وجود إعلام إسلامي يتابع القضايا الإسلامية بمختلف اللغات .

٤ - تربية الشباب المسلم نربية إسلامية وتنمية الوعي بقضايا المسلمين .

٥ - تمثيل المسلمين في الجهاز الإداري في الولايات الهندية والحكومة المركزية، بما يتفق مع نسبتهم بين سكان الهند .

٦ - إيجاد منصة سياسية ناطقة باسم المسلمين الهنود .

٧ - القضاء على المحاولات التي تنال من الشخصية الإسلامية ، خصوصا تلك التي تحاول إلغاء قوانين الأحوال الشرعية للمسلمين .

٨ - تنشيط دور المنظمات النسائية الإسلامية في محاربة الأمية .

٩ - إيحاد قنوات اتصال بين المثقفين المسلمين بالهند .

١٠ - التوعية الدينية .

١١ - تنشيط الداعيات المسلمات لتنمية الوعي الديني عند المرأة المسلمة بالهند .

١٢ - تشكيل هيئات شبابية إسلامية لمقاومة تغلغل نفوذ المنظمات غير الإسلامية بين الطلاب المسلمين .

١٣ - محاولة تقديم حلول للمشكلات الاقتصادية التي تتفشى بين المسلمين الهنود .

١٤ - تنمية جسور الاتصال بالعالم الإسلامي ، وتبني قضايا المسلمين الهنود في المحافل الدولية .

• • • • • •

الأقلية المسلمة في الصين الشعبية

مدخل إلى جغرافية الصين

الملامح العامة :

تقع شرقي آسيا ، وتحدها منغوليا الشعبية من الشمال ، وروسيا الاتحادية وكوريا الشمالية من الشمال الشرقي ، ونطل بسواحلها الشرقية على البحر الأصفر وبحر الصين الشرقي ، وتشرف سواحلها الجنوبية الشرقية على بحر الصين الجنوبي، وتشترك حدودها في الجنوب مع كل من فيتنام ولاوس وميانمار (بورما) والهند وبوتان ونيبال، كما تشترك حدودها الغربية مع كل من الباكستان وأفغانستان وروسيا الاتحادية.

وتبلغ مساحة الصين الشعبية حوالي (٦ر٩ ملايين كيلو متر مربع) ، وتعتبر أكبر أقطار قارة آسيا مساحة ، وأكثر دول العالم سكانا ، حيث قدر سكانها في سنة ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) بحوالي ٢٦٨ر٩٧ر٢٠٣ر١ر١ نسمة (Famighetti, 1996, 752) وفي تعداد سنة ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) كانوا ٠٠٠ر١٣٣ر١ مليون نسمة . وتضم أرضها ٣٠ وحدة إدارية ، تشمل ٢٢ مقاطعة ، ٥ أقاليم ذاتية الحكم ، ٣ بلديات والعاصمة بكين "بجين" ٧ ملايين نسمة ، وأكبر مدنها شنغهاي ٨ر٧ ملايين نسمة (Europa(B), 1992, vol.1,7) (Philip, 1991, vol. 16, 36)

• • • • • •

التضاريس

تضم أرض الصين ثلاثة أقاليم تضاريسية رئيسة ، حيث تشمل

١ - **الإقليم الجنوبي الغربي** · ويتكون من هضبة التبت ومتوسط الارتفاع (٤٠٦٠متراً) ، ويشمل الإقليم بعض المرتفعات في الشرق والجنوب، والقسم الأوسط من هضبة التبت الذي يزيد ارتفاعه على (٥٠٠٠ متر) ، ويسمى هذا القطاع سقف العالم، حيث توجد قمم جبلية تصل بين (٧٠٠ - ٨٠٠٠ متر). وبصفة عامة ، يضم الإقليم هضبة التبت وحوض تسيدام والأراضي المرتفعة في يونان وقويتشو (Philip, 1991, vol. 3, 221&vol. 16, 45) .

٢ - **الإقليم الشمالي الغربي** : يمتد من حدود أفغانستان غرباً عبر الصين إلى حدودها مع منغوليا الشعبية في الشمال الشرقي ، ويجمع مظاهر تضاريسية مختلفة، ومن أبرز معالمه جبال تيان شان (٤٠٠٠ - ٤٥٠٠٠ متر) ، التي تفصل بين حوض تاريم (٥٥٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع) ، وصحراء تكلا - ماكان في الجنوب ، وهي واحدة من أكثر صحاري العالم قحولة ، وحوض رونجاريا في الشمال الذي ، يقع بين جبال تيان شان في الجنوب وجبال التاي في الشمال . وفي شمال الإقليم ، تقع هضبة منغوليا ، وفي جنوبها صحراء جوبي .

٣ - **الإقليم الشرقي** : يشمل معظم الأراضي المنخفضة ، وبعض المرتفعات المتناثرة خلالها ، وقلما يزيد الارتفاع عن (٤٥٠ متراً) ، كما يجمع الأراضي السهلية في الشمال الشرقي ، وسهول شمالي الصين والتي تضم مساحة تقدر بحوالي ٧٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع . وفي جنوبي الإقليم يقع حوض شزوان ، وتقدر مساحته بحوالي (٢٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع) ، ويشغل أعالي نهري يانجتسي ويندمج فيه من ناحية الشمال سهل يانجتسي الأوسط ، وكذلك الأدني (دلتا كانتون) . وهكذا يضم الإقليم ١٠ أقسام فرعية هي : سهل منشوريا ، حبال

شانج باي ، سهل الصين الشمالي ، معظم هضبة اللويس ، تلال شاندويج جبال تسينلنج ، حوض تسزوان ، الجبال الجنوبية الشرقية سهول يانجتسي الوسطي والدنيا ، وجبال نان . والقسم الشمالي من الصين يوجد ضمن حزام الزلازل ، لذلك ينعرض لهزات أرضية عنيفة أحيانا (Philip, 1991, vol. 3,221 & vo;. 16, 46) .

وتضم الصين أنهاراً عديدة (شكل رقم ٧) ما بين أنهار كبرى وآخرى صغرى، يقدر عددها بالآلاف وتبلغ طوال أنهار الصين حوالي ٢٢٦ر٨٠٠ كم ، ويبلغ تصريفها أكثر من ٢ر٦٠٠ر٠٠٠ مليوني متر مكعب ، ولهذا تتصدر الصين دول العالم في توليد الطاقة الكهرباتية (٦٣٠ مليون كيلو واط /ساعة) . وتنصرف أنهار الصين خارجيا إلي المحيط الهادي أو المحيط القطبي الشمال (ارتش) أو إلى المحيط الهندي . وكبرى أنهار الصين تتجه من الغرب إلى الشرق إلى المحيط الهادي، أو من الشمال الغربي إلي الجنوب الشرقي إلى المحيط الهندي . وأهم أنهار الصين نهر يانجتسي أوشانج شانج (٦٣٠٠ كم) ، ثالث أنهار العاليم ، يليه نهر هوانج هو أو "النهر الأصفر" (٥٤٦٤ كم) ، ثم نهر سيكيانج (٢١٩٧ كم) وهذه تصب في المحيط الهادي . وهناك مجموعة من الأنهار الكبرى في الصين تتجه نحو الجنوب إلى المحيط الهندي حيث مصابها بينما منابعها في الصين ، مثل ميكونج وسلوين وبراهمابترا وهناك أنهار داخلية التصريف ، من أبرزها نهر تاريم (٢١٣٧ كم) في إقليم شنجبانج، ويتعرض النطاق الشرقي في الصين لحدوث فيضانات مدمره أحيانا ، خصوصا في حوض النهر الأصفر . (أبو العينين ، ١٩٧٩م ، ٤٨٢) (Chung, 1981, 90 - 94) (Philip , 1991, vol. 3n221)

وثمة قناة صناعية طويلة تربط بن خمسة من أنهار الصين الكبرى . وتبدأ هذه القناة النى بلغ طولها ١٧٩٠كم من بكين شمالا إلى كيانجسو "Kıangsu" على بحر الصين الشرقي .

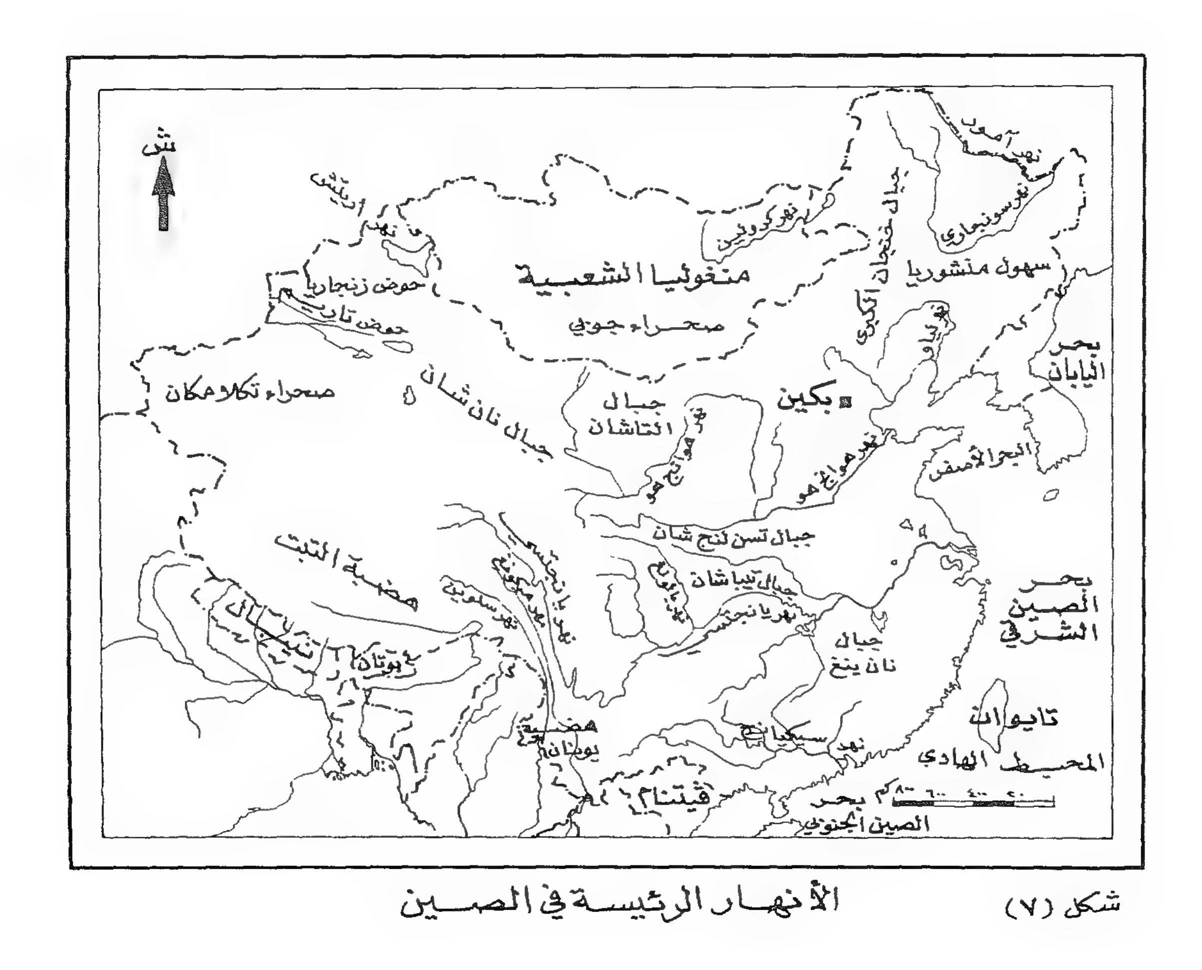
المنـاخ

كان لموقع الـصين في شرقي قارة آسيـا وعلى شواطىء المحيط الـهادي أن تأثر مناخها بالكـتل الهوائية التي تنشأ فوقـهما . ففي فصل الشتـاء ، يتأثر مناخ الصين بالكتل الباردة القادمة من سيبيريا والتي تتميز بشدة البرودة والجفاف . أما في فصل الصيف، فيتأثـر مناخ القسم الشرقي من الصين بالكتل المدارية البـحرية القادمة من المحيط الهادي والتي تؤدى إلى سقوط الأمطار وتلطيف الحرارة .

كما تتنوع الظروف المناخية في الصين بسـبب اتساع رقعتها المترامية الأطراف ، وتنوع التضـاريس ، وبصفة عامة تـخضع أرض الصين الأصلية (الصـين الداخلية) للمناخ الموسـمي ، أما الأراضي التي يطلق عـليها الصين (الخارجـية) فتعتـبر قارية المناخ بوجـه عام ، وتسـقط الأمطار الغزيـرة على الساحـل الشرقي ، وتقـل نحو الداخل باتجاه الغـرب. وفي فصل الشتاء ، تتدنى درجـات الحرارة ، وتهب الرياح الموسمية الشـتوية الغربية. وفي فصل الصيف ، تـرتفع درجات الحرارة في الجنوب الشرقي ، وتنخفض في الداخل على المرتفعات ، وتكون الأحواض الصحراوية في الغرب أشد حرارة ، كـما تحدث الفوارق في فصل الصيـف . وأغزر مناطق الصين أمطاراً ، المنطقة المرتفعة الجنوبية الـشرقية، حيث يصل المعدل السنوي إلى (٢٠٠٠ ملم) ، وتقل نحـو الغرب. ففي الوسط ، يتراوح المـعدل السنوي ٧٥٠ و ١٠٠٠ ملـم ، وفي شـمال غـربي الصـين، يتـراوح المعـدل بين ٢٥٠ و ٥٠٠ ملـم (أبو العينين، ١٩٧٩م ، ٤٨٣ - ٤٨٦) .

ووفقـا لتنوع التضـاريس وظروف الموقع الجغـرافي والأحوال المناخيـة ، يمكن تقسيم الصين إلى ثلاثة أقاليم مناخية رئيسة (أبو العينين،١٩٧٩م ، ٤٨٦ - ٤٩١)، (Philip, vol. 3, 221) .

١ - **إقليـم مـناخ شمـالي الصين** : يشمل القسم الشمالي من البلاد ، وحوض نهر هوانج هو . وهذا الإقليم بارد في فصل الشتاء ، فمتوسط حرارة يناير أقل من



شكل (٧) الأنهار الرئيسية في الصين

الصفر المئوي ، كما يتعرض لهبوب رياح شديدة البرودة . وفي فصل الصيف، ترتفع الحرارة . فمتوسط شهر يوليو في بكين (٢٥ درجة متوية) . وتسقط أمطاره في فصل الصيف .

٢ - **إقليم مناخ وسط الصين** : يشمل الحوص الأدني والأوسط لنهر يانجتسي. وهذا بارد في الشتاء ولو أن درجة الحرارة تكون فوق درجة التجمد ، وترتفع حرارته في فصل الصيف ، ليصل المعدل إلى (٢٦٫٧ درجة مئوية) . ويتراوح متوسط كميات الأمطار بين ٧٥٠ ، ١٠٠٠ ملم ، تسقط معظمها في الصيف ، وتكون أغزر على السواحل وتسببها الرياح الموسمية الجنوبية الشرقية ، وتختلف معدلات الأمطار باختلاف أجزاء الإقليم

٣ - **إقليم مناخ جنوبي الصين** : يضم القسم الجنوبي والجنوبي الشرقي إلى الجنوب من سلاسل جبال ووي شان و نان لينج ، وجنوب شرقي هضبة يونان . ومناخه شبيه بالمناخ الموسمي المداري الرطب ، إلا أن الشتاء بارد نسبيا . وتسقط الأمطار في معظم شهور السنة وتزداد في الصيف ، وتسببها الرياح الموسمية الجنوبية الشرقية ، ومتوسط الأمطار بين ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ ملم .

الغطاء النباتي :

تقتصر مناطق الغابات حالياً على السفوح الجبلية لمرتفعات نان شان ونان لينج (صنوبر وشربين) ، وتسين لينج والسلاسل الجبلية الوسطى ، التي تمتد عبر أقاليم شزوان وهونان وهوبي. وتتنوع الغابات حسب تنوع الأقالبم المناخية ونطاقات التربة. كما تنتشر أنواع متعددة من الحشائش في معظم أنحاء الصين . ويُغطى النبات الطبيعي أقل من عُشر مساحة الصين ، التي استطاعت بإعادة التشجير أن تزيد المساحة إلى حوالي سُبع مساحة البلاد ، وتنمو غابات المانجروف قرب سواحل بحر الصين الجنوبي. (أبو العينين ، ١٩٧٩م ، ٤٩٠) (Philip, 1991, vol. 3,293) .

سكان الصين :

في سنة ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) ، قدرت هيئة الأمم المتحدة عدد سكان الصين بحوالي ١١٦٩ مليون نسمة ، وفي سنة ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) ، قُدر هذا العدد بحوالي ١٫٢٠٣٫٠٩٧٫٠٠٠ نسمة . ويتكون السكان من عدد كبير من الأعراق ، أكبرها الهان "Han" ، الذين يشكلون ٩٣٪ من مجموع السكان ، أما النسبة الباقية فهي تنتمي إلى ٥٥ مجموعة عرقية ، أبرزها الزهوانج "Zhuang" والمانشو "Manchu" والهوي "Hui" والمياو "Miao" والويغور "Uygur" ، واليي "Yi" والمنغول "mongolian" والتبتيون "Thbetan" والشوانج "Chuang" . ويعتنق الإسلام عشرة أعراق ، ممثلة في الهوي "Hui" والويغور والقازاك "Kazakh" والدونغشيانج "Dongxiang" والقرغيز "Kyrgyz" وأسالار "Salar" والتاجيك "Tajik" والأوزبك "Bonan" والبونان والتتار "Tatar" (Europa (A), 1993,200) &(Famighetti,1996, 272) (Esposito, 1995,. vol. 2, 276) .

أوسع اللغات الصينبة انتشاراً الماندرين "Mandarin" وهي اللغة الرسمية . ولقد استخدم الصينيون الورق في كتابتها فبل الميلاد بحوالي ١٠٠ سنة ، وإلى جانبها مجموعات لغوية ، منها اللغات الصينية - التتية "Sino-Tibtan" والألتيه "Altic" والهندية - الأوروبية "Indo-Eurpean" والنمساوية - الآسيوية "Austro-Asiatic" . وإلى جانب اللغة الرسمية ، يتحدث المسلمون من قوميات الويغور والقازاك والقرغيز والأوزبك والتتار اللغة التركية . كما يتحدث المسلمون من قوميات الدونغيشيانج والسالار والبونان اللغة المنغوليه - التركية في بعض المناطق . ويتحدث التاجية اللغة الهندية - الفارسية "Indo-Persian" ، ويصق الهوي أو الخوى مسلمون صينيون ،

وهذا تضليــل لأنهم مواطـنــون صينـيون بحكم القــانون والمواطنة ، ويتــحدثون لهجات محلية إلى جانب اللغــة الرسميــة . والهــوي أقـــرب إلى الهــان من أي قوميـــة مسلمـة أخرى، ويتحدث أغلبهم لغــة الماندريـن. وهذا الأمر ينطبق على التبتــيين والمغوليين والتاي. والديـانـات المنتشرة في الصـيـن هي: الكونفوشيـوسيه والطوطمية والإسلام والنصرانية (Esposito, 1995, vol. 2, 276) & (Fizgerled & George, 1948, 19) .

• • • • • •

النشاط الاقتصادي والموارد الطبيعية

تتمثل أهم الأنشطة الاقتصادية في الزراعة والتعدين والصناعة وتعتبر الزراعة من أبرز هذه الأنشطة في الصين ، حيث يعمل بها عدد كبير من الصينين ، فعدد العاملين في الحرف الزراعية والغابية والصيد ، قدروا في سنة ١٤١١هـ (١٩٩٠م) بحوالي ٣٤١٫٧ مليون نسمة . وأهم الغلات الزراعية الأرز ، وقدر إنتاجه في سنة ١٤١١هـ (١٩٩٠م) بحوالي ١٨٩٫٣ مليون طن ، والقمح ٩٨٫٢ مليون طن، والذرة ٩٦٫٨ مليون طن ، وفول الصويا ١١ مليون طن ، والبطاطس ٣٣ مليون طن ، وقصب السكر الخام ٥٧٫٦ مليون طن ، والبنجر السكر (خام) ١٤٫٥ مليون طن ، وبذور القطن ٩ ملايين طن ، والقطن ٤٫٥ ملايين طن ، والشاي (المعلب) ٥٤٠ ألف طن . وقدرت الثروة الحيوانية في سنة ١٤١٢هـ (١٩٩٢م) بنحو ١٠٢ مليون رأس ، من الأبقار والجاموس ١١١ مليون رأس من الأغنام ، ٩٧٫٢ مليون رأس من الماعز . وبلغ إنتاج الصين من الأسماك ١١٫٢ مليون طن . وبلغت جملة إنتاج الأخشاب ٢٧٧ مليون متر مكعب (Europa(A), 1993, 202) .

وبلغ احتياطي سنة ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) من خام الحديد ٣٫٥٪ من الاحتياطي العالمي، وحوالي ٢٪ من خام النحاس والرصاص والزنك ، وتوجد كميات كبيرة من رواسب الأنتمون والكروم والكوبلت والتنجستين ، وقدر الاحتياطي من خام البترول بحوالي ٢٫٦ ملياري طن ، وهذا يشكل ٣٪ من الاحتياطي العالمي . وبلغ احتياطي الفحم ١١٪ من الاحتياطي العالمي . ويضاف إلى هذا ، الزئبق والذهب والفوسفات والكبريت والقصدير والمغنسيوم والبوكسيت (Philip, 1991, vol. 3,229) .

وتنتشر الصناعة في معظم أنحاء الصين بعد أن تطورت تطورا كبيراً . وكانت الصناعة قبل الحرب العالمية الثانية تتركز في مدن كانتون وشنغهاي ونانكنج وهنكاو

تسينجتاو ودابرين ، ولكنها اتسعت بعد الحـرب العالمية الثانية ، فانتشرت في أقاليم متعددة ، منها إقليم شمالي الصين ، ومن أبرز مراكزه الصناعية بكين وتيانجين ، ثم إقليم شـمال غربي الصين ، ومن أبـرز مراكزه الصناعيـة سيان ولانتشـو ، وإقليم شرقي الصين في الحوض الأدنى لنهر بانجتسي ، وأبرز مراكزه شنغهاي ، ثم إقليم وسط الصين في الحوض الأوسط لنهر يانجتسي ، وأبرز مراكزه الصناعية وهان ، ثم إقليم جنوبي الصين ، وأهم مراكزه كانتون ، وأخيراً جنوب غربي الصين ، ويشمل إقليم شـزوان وإقليم يونان الصـناعيان . وتشـمل الصناعة أنواعـاً متعددة ، مـنها صناعات قائمة على المواد الزراعية والغابية والحيوانية والأسماك . مثل صناعة السكر وزيت النخـيل وتعليب الشـاي والأسماك واللحـوم والخضراوات والفاكـهة . ومن الصناعات المهمة صناعة المنسوجات القطنيـة والصوفية والحريرية والصناعات المعدنية لحديد الصلب والصناعات الكيماوية والبترولية والمخصبات وصناعة الآلات الزراعية ووسائل النقل ، والصناعات الإليكترونية وغيرها (أبو العينين ، ١٩٧٩م ، ٥١١) (Famighetti, 1996, 752) .

● ● ● ● ● ●

انتشار الإسلام

لقد سلك الإسلام إلى الصين محوريـن ، محور بحري وآخر بري ودلك على النحو التالي :

١ - المحور البحري :

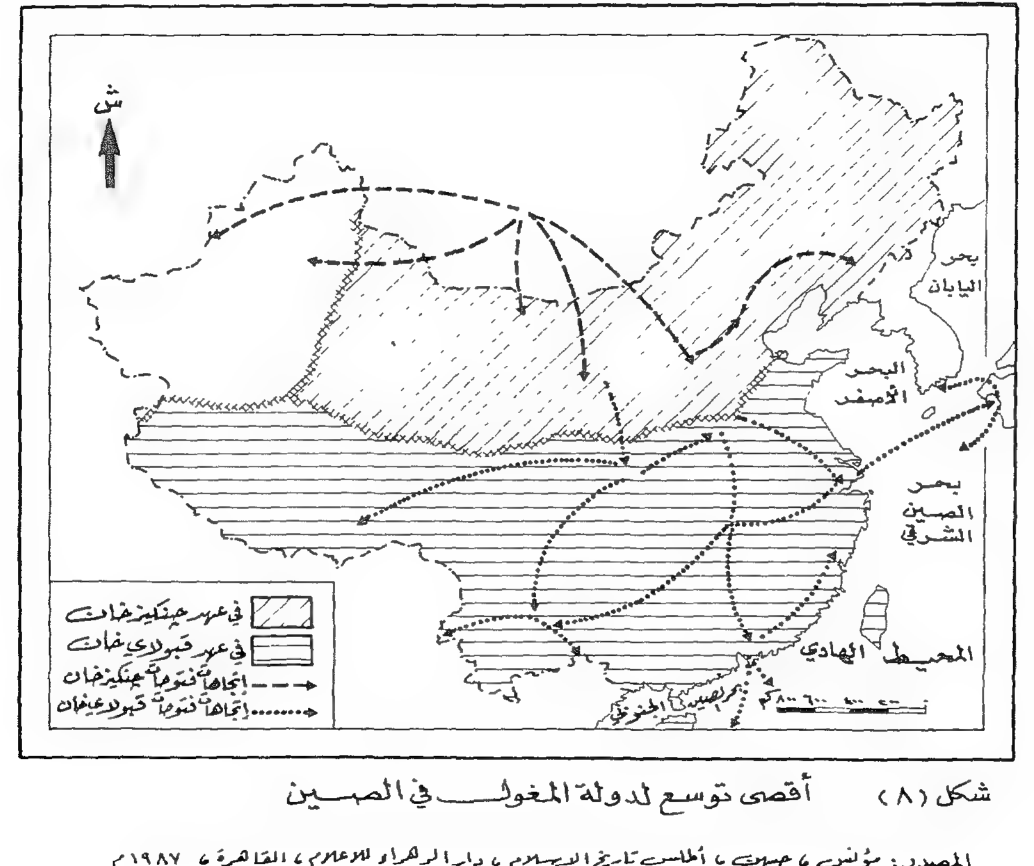
دخل الإسلام إلى الصين من جنوبها الشرقي متـتبعا حركة التجارة المزدهرة في كاننـون خانقو، التـي اطلق عليهـا المسلمون باب الـصين . وقد كتب عنـها وعن أحـوال المسلـمين فيها (سـليـمان) التاجر العراقـي سنة ١٣٧هـ (٨٥١م) وأبو زيد السيرافي الذي عاش فـي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) واتـصلت البعثات التجارية الإسلامـية العربية والفارسية بموانـيء جنوبي الصين ، ووصل الإسلام أول الأمر إلى المقاطـعات الساحلية الجنوبـية في القرن الأول الهجري (الـسابع الميلادي) وكثر عدد المـسلمين في الفترة من القـرن الأول الهجري إلى القرن الرابـع الهجري (السابع - العاشر المـيلاديين) ، وقوي مركزهم في مدينة كانتـون ، كما ظهروا في مدن تشوانتشو (الزيتون) وهـانج تشو . وفي سنة ١٤٣هـ (٧٦٠م) ، ذكرت أخبار مذبحة لـلنجار المسلمين في هانج تـشو شمال مدينة تـشوانتشو ، وقد بُني مـسجد كانتون الأثري في هذه الفترة. ولقد استـقر النجار المسلمون في هذه الموانيء وكونوا مجتمـعات مسلمة منذ القـرن الثاني الهجري (الثامن المـيلادي) ، وزار ابن بطوطة الرحالـة المغربي المشـهور المنطقـة في القرن الـثامن الهـجري (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) ، وتحدث عن أحوال المسلمين في مدينة الخنساء (هـانجتشو)، وذلك بعد زيارة سليمان وأبو زيد التاجران المسلمان بحوالي ٥ قرون. (الشنتناوى، ١٩٣٣، ٤٦٦ - ٤٦٨)، (فهمي، ١٩٧٣م، ١٦٤)، (حي، د ت، ١٧ - ١٩).

وهكذا وجـدت جالية مـسلمة من العـرب والفرس في كانـتون وتشوانتـشو ، وهانجتشو، ففي هذه الموانيء الواقعة جنوبي وجنوب شرقي الصين منذ القرن الأول

الهجري (السابع الميلادي) ، وجدت جاليات مسلمة ، عملت بالتجارة وبنت المساجد . ولقد أسندت السلطات الصينية رئاسة الجمارك إلى بعض التجار المسلمين (شكل ٨) . (حي، د.ت، ١٧ - ٢٠)، (شكل رقم ٨) .

بخصوص قدم هذا المحور البحري ، أشارت السجلات التاريخية الصينية "تاريخ تانج القديم" إلى حدوث اضطرابات سنة ١٤٣هـ (٧٦٠م) في مدينة هانجتشو ضد المسلمين ، وهذا الحادث يثبت الوصول المبكر للمسلمين وإستقرارهم بهذه المناطق قبل نهاية النصف الأول من القرن الهجري الثاني (القرن الثامن الميلادي) . وقد ولى عليهم الامبراطور قاضياً مسلماً . وجاء في أحداث سنة ٢٦٥هـ (٨٧٨م) ، وقوع مذبحة للبحارة العرب والفرس والتجار الأجانب في أحداث مدينة هانجتشو ، وهذا دليل آخر على تزايد الوجود الإسلامي في الصين في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . ومن المهتمين بآثار المسلمين في موانىء جنوبي الصين ، عالم الآثار الصيني البرفسور (تشونج وي جي) ومساعده (تشونج جنج هوى) ويعملان في شعبة الآثار القديمة بقسم التاريخ بجامعة (شيامن)، ولهما اهتمام بالآثار الإسلامية حول مدينة تشوانتشو كذلك اهتما بآثار تاجر مسلم ثري من أصل عربي "ابو شوقنج" ، الذي عينته السلطات الصبنية مديراً للجمارك وعاش في مدينة تشوانتشو واشتغلت أسرته في تجارة العطور . وقد أثبتت الدراسات الأثرية التي قام بها تشوانج وجوداً إسلامياً قديماً بهذه المنطقة ، ممثلاً في الآثار التي عثر عليها، ومنها مسجد يعود إلى سنة ١٠٠هـ (١٠٠٩م) (حي ، د.ت ، ٢١) (بناء الصين ، ٨٠ - ١٩٨٣م ، ١٣٢) .

تعتبر المنطقة المحيطة بمدينة تشوانتشو منطقة تجمع فيها المسلمون من العرب والفرس من قديم ، وتكاثرت ذرية هؤلاء في القطاع الجنوبي الشرقي من البلاد. ويضاف لما سبق ، منطقة أخرى من ناحية تشنلي جنوب مدينة



شكل (٨) أقصى توسع لدولة المغول في الصين

المصدر: مؤنس، حسين، أطلس تاريخ الإسلام، دار الزهراء للإعلام، القاهرة، ١٩٨٧م

تشوانتشو بحـوالي ٢٠ كم ، تقع على شاطىء البحر ويقـيم بها أكثر من ١٦٠٠٠ مسلم من سلالة أسرة شمس الدين (سيد أجل) . وقد عثر على شاهد قبر في سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) مكتوب عليه اسم المتوفي وهو أمير سيد آجل طغا بن سيد أجل عمـر . وتاريخ الوفـاة سنة ٧٠٢هـ (١٣٠٢م) . وفي ناحـية بايتـشي في المنطـقة الساحلية المقابلة لميناء هود خارج مدينة تشوانتشو يوجد أكثر من ١٠٠٠٠ مسلم من سلالة العرب أو الفـرس ، يعيشون في قرى تسمى قـرى قوة . ولقب (قوة و ابو) من الألقــاب العربيـــة . وحـــول مدينة تشوانتشو يعيـش أكثر من ٣٠ ألف مسلم من أصول عربية . وكـانت الرحلة من الخليج العربي إلى الصين تسـتغرق ٦ شهور أو ١٢٠ يومـاً دون توقـف (بنـاء الصين ، ١٩٨٣م ، ١٣٢ - ١٣٥) (هـويدي ، ١٩٨١م، ١٦٦) .

٢ - المحـور الــبري :

جاء هذا المحور بالإسـلام إلى غربي الصين ، حيث وصلت الفتـوح الإسلامية إلى الحدود الغـربية للتركـستان الشرقـية قرب نهـاية القرن الهجـري الأول (السابع الميلادي) ، حينما وصل قتيبة بن مسلم الباهلي إلى كاشغر على حدود الإمبراطورية الصينية وأرسل رسلاً إلى إمبراطور الصين سنة ٩٥هـ (٧١٣م) ، ودعم طريق الحرير التجـاري القديم بين الصين ووسط آسيـا هذا الانتشار . وكانـت منطقة التركـستان الشرقـية ووسط آسيـا جهة احتـكاك بين الصينـيين والمسلمين وسادت عـلاقات ود وتعاون . ولقـد زاد انتشار الإسلام وصـول المسلمين إلى أرض الصين عـبر المحور البري في الـقرنين الرابع والخامـس الهجريين (العـاشر والحادي عشـر الميلاديين) ، حيث هاجـرت شعوب مسلمة إلى غـربي وشمال غربي الصين ، ولجـأ أحد أمراء بخارى في سـنة ٤٦٣هـ (١٠٧٠م) ومعه ٥٣٠٠ جنـدي مسلم إلى شمـال الصين (توماس ، ١٩٧٠م ، ٣٣٢ ، ٣٣٣) (Brice, 1981, 15) .

زاد وصول المسلمين إلى الصين في عهد المعول "آسرة يوان" ، فاستوطنو مناطق عديدة . وعيّن المغول العديد من المسلمين في المناصب العليا بالدولة ، واستعانوا بالويغور الشرقيين في إدارة شؤون الدولة . وتشير السحلات الصينية إلى أكثر من ١٠٠ اسم من المسلمين عينوا في وظائف كبيرة . وأضيفت إلى الأعراق المسلمة السابقة من العرب والفرس، أعراق جديدة من المغول والترك ، واستطاع المسلمون من خلال مناصبهم خدمة الإسلام والمسلمين ، ومن هؤلاء السيد شمس الدين بن عمر (سيد آجل) ، الدي شغل مناصب عديدة ، منها حكم مقاطعات شيشوان وشانشي وقانسو . وعندما أصبحت يونان مقاطعة صينية، عين قبلاي خان سيد آجل حاكماً عليها في سنة ٦٧١هـ (١٢٧٢م) ، فجاء بأعداد كبيرة من المسلمين إلى هذه المقاطعة وعمّرها وبنى بها المساجد ، وبذلك أسهم في نشر الإسلام بها ، فهاجرت إلى المقاطعة أعداد كبيرة من المسلمين ومن الهان ، وأصبح سكان مدن بأكملها مسلمين مثل تاليفو في يونان. وعيّن (قبلاي خان) ثمانية حكام مقاطعات من المسلمين في سنة ٦٧٨هـ (١٢٧٩م) ، من جملة ١٢ مقاطعة . وفي سنة ٦٧٨هـ (١٢٧٩م) ، تم خضوع الصين كاملة لحكم المغول ، ولقد أسلم أمير مغولي وأسلم معه ١٥٠ ألف من جنوده في مقاطعة قانشو في سنة ٦٥٤هـ (١٢٩٥م) ، واستطاع احد أحفاد (سيد آحل) وهو بايان فنتشان بن نصير الدين أن يحصل من امبراطور الصين سنة ٧٣٦هـ) (١٣٣٥م) على اعترافه بأن الدين الإسلامي هو الدين الحق الخالص . وظل الإسلام يحمل هذا الاسم حتى القرن العشرين الميلادي. كما أن عهد قبلاي يعتبر أزهى عصور انتشار الإسلام والمسلمين في الصين . وفي عهد دولة المغول ، شغل المسلمون عدة مناصب علمية في الطب والفلك والعلوم الأخرى ، ونشطت حركة الترجمة من العربية إلى الصينية (توماس، ١٩٧٠م، ٣٣١ - ٣٣٥) ، (عبدالحليم، د.ت ، ٣٥٩ - ٣٦١) (Espoaito, 1995, vol. 2,276) .

لقد كثرت هجرة الشعوب الإسلامية التي ولجت أبواب الصين من الغرب والشمال الغربي ، مثل الأوزبك والتتار . وفي عهد أسرة مينخ (٧٧٠ - ١٠٥٤هـ.١٣٦٨ - ١٦٤٤م) ، أصبح الاسم الشائع للمسلمين (هوي هوي) وأمر أباطرة الصين بترجمة الكتب العربية إلى اللغة الصينية ، وعينوا مسلمين في مناصب عالية ، منهم القائد (تشانج يو تشونج) ، والحاج جهان "جنهو" أكبر بحار تفتخر به الصين ، والذي قام بعدة رحلات بحرية ، زار خلالها الخليج العربي وعدن ، ومكة المكرمة وأدى فريضة الحج في الفترة بين (٨١٨ - ٨٣٧هـ / ١٤٠٥ - ١٤٣٣م) . وكانت لدولة مينج علاقات طيبة بجيرانهم في الغرب ، ولقد عرض أحد أمراء التيموريين وهو الشاه بهادر سنة ٨١٥هـ (١٤١٢م) الإسلام على امبراطور الصين ، وذلك من خلال رسالة مطوّلة أرسلها مع سفير الصين . ولقد وصلت هجرة إسلامية إلى قانسو في سنة ٩٣٢هـ (١٥٢٥م) ، قادمة من التركستان . وبعد انتهاء حكم أباطرة دولة مينج في الصين سنة ١٠٥٤هـ (١٦٤٤م) ، تكونت دولة شنج (المانشو) في الفترة (١٠٥٤ - ١٣٤٤هـ / ١٦٤٤ - ١٩١١م) ، وواجه المسلمون الكثير من التحديات ، ولهذا تعتبر فترة ثورات ضد ظلم حكم المنتشوريين أو المانشو (حي ، د.ت ، ٣٤ - ٣٦) .

هذه أبرز ملامح المحور البري الذي ساهم في انتشار الإسلام وجاء به من الغرب ، والذي ثبّت الوجود الإسلامي غربي الصين ، وشمالها الغربي . وهكذا ولج الإسلام إلى الصين عبر المحورين البحري والبري ، وزاد عدد المسلمين في الصين . وقد أوحت هذه الزيادة لبعض المغرضين تضخيم الأمور، فلقد ذكر (أنولد توماس) في كتابة الدعوة إلى الإسلام أن الكاتب الروسي فاسيليف (Vasillev. V. P.) مؤلف كتاب انتشار عقيدة الإسلام في الصين ، المطبوع في ببيترسبرج سنة ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م) ، تكهن بأن الإسلام سيصبح الدين القومي في الصين . وعلق

أنولد علـى ذلك " بأنه مضـت مدة طويلة ولـم تـتحقق هده الـنبوءة المرعـجة (في رأيه). والواقع أن أسباب عدم سـرعة انتشار الدعوة الإسلامية وتـوسعها في الصين قد تعود إلي الموقف النفسي الرافض لأي فكر قادم من الخارج أو أى دين غريب في الصين . وقد أدى هذا الموقف إلى عزل المسلمـين وحصارهم في مناطق محدودة كما ساعد على ذلك ، جهل كثير من المسلمين الصينين بقواعد الإسلام وتقصيرهم في نشر الدعوة .

• • • • • •

أصول المسلمين

ينقسم مسلمو الصين عرقيا إلى شعبين كبيرين ، هما الترك والصينيون أو الشعوب التركية والشعوب الصينية . والترك جيران قدماء للصينين مس الناحية الغربية، حيث اشتغلوا بالتجارة ونقل السلع الصينية من الحرير وغيره إلى غربي آسيا، لذلك اختلطوا بالصينيين (الشنتناوي ، ١٩٣٣م ، جـ١٤ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠) . وينتشر الإسلام بين عشر أعراق من ٥٥ عرقاً تعيش في الصين . وهذه الأعراق تشمل الهوي (الخوي) "Hui" والويغور"Uygur" والقازاك "Kazakh" والدونغشيانج "Dongxiang" والقرغيز "Kyrgyz"وأسالار "Salar"والتاجيك "Tajik" والأوزبك " "Uzbek" والبونان "Bonan"والتتار"Tatar" .(تشولنج، ١٩٨٨م، ١) (Esposite, 1995, vol. 2, 276) .

المسلمون الهوى أو الخوي Hui :

أحد الأعراق الصينية ذات التاريخ الطويل . ففي تاريخهم تذكر بعض الروايات الصينية ، أنه في عهد أسرة تانج الملكية في الصين (٦١٨ - ٩١٧م) كان يعيش في المنطقة الشاسعة الممتدة إلى الغرب من شينجيانج "التركستان الشرقية" وإلى غربي تسونغلينج ، في هذا القطاع ، عاش قوم أطلق عليهم "هوي هه" ، وعاشوا من قبل في سهل موباي بالصبن . ومعظم هؤلاء اعتنقوا الإسلام قبل القرن الـ الثالث عشر الميلادي ، وعاد منهم عدد غير قليل إلى الصين في عهد حكم أسره "يوان المنغولية"(١٢٠٦ - ١٣٦٨م) ، ، ولذلك أطلق عليهم الصينيون اسم الهوي هه (أى العائدون) . وقد استقر هؤلاء بعد تسريحهم من جيش المغول في مناطق عديدة، وتكوَّن منهم أسلاف الهوي ، . "هذه هي الرواية الصينية" . والهوي سنيون ، ويطلق عليهم هوي هوي "Hui Hui" أو هوي هوي منزو "Minzu" ، أي شعب الهوي هوي أو هوي زو أوخوي زو "Huizu" اختصاراً لهوي منزو ،

وقد يطلق عليهم أحياناً "الهوي المؤمنون" . وفي العهد الجمهوري اعتبرت الحكومة "الهوي" شعباً من الخمس شعوب الكبري بالصين . (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٩) (Weeks, 1984, 332) . وفي العهد الشيوعي ، قسمت الصين إدارياً إلى ١٠٧ منطقة ذاتية الحكم ، على ٣ مستويات ، هي ٥ أقاليم داتية الحكم ، ٢٢ ولاية ، و٣ بلديات و ٢٠٠ محافظة . وخصص من مجموعها ١٢ وحدة للهوي ، ينتشرون في ٩٧٪ من محافظات الصين ، ويمثلهم ٦٥ عضواً في المجلس الشعبي الصيني ، كذلك يمثلهم العديد من الأعضاء في مجالس المقاطعات والمحافظات والبلديات (King Abdul Aziz Univ., 1990, Vol. 11,no 2) .

ويعتبر الهوي أكبر الأعراق المسلمة في الصين ، وينتشرون في معظم مقاطعات الصين ، وأقاليم الحكم الذاتي ، وفي وهونج كونج . فلقد سلك مسلمو يونان من الهوي طرق التجارة عبر هذه المناطق جنوب شرقي آسيا ، بل كانوا يسلكونها للحج قبل استخدام السفن التجارية . كما هاجر إليها المسلمون بعد أحداث ثورة ١٨٧٣م. وفي الصين ، يعيش أغلبهم في مقاطعات نينغشيا وقانسو وخنان وخبي وشاندونج وشينججيانج "التركسيتان الشرقية" وتشينغهاي ، كذلك في العديد من مدن وأقاليم الصين .

وتشير بعض التقديرات إلى أن عدد الهوي بلغ ٨٫٧ ملايين نسمة عام ١٤١٠هـ (١٩٩٠م)، وربما كان هذا العدد أقل من الواقع بكثير (بناء الصين، ٨٠ - ١٩٨٣م، ٣٦ ، ٣٧ ، ٧٥ ، ٧٧) ، (تشولنغ، ١٩٨٨م، ٢٧ - ٣٠) (King Abdul Aziziz Uiv., 1986, vol. 7,no. 2) .

وينتشر الهوى في سهول الصين الوسطى في مقاطعة خنان على المجرى الأوسط والأدنى للنهر الأصفر ، ولهم وجود في كل مدن وقرى هذه المقاطعة ، ويمارس بعضهم التجارة . ونتيجة لانتشار الإسلام بينهم وكثرة عددهم ، أطلق

الصينيـون على الدين الإسلامي دين الـهوي أو الخوي وعلي كل مسـلم في الصين هوي هوي. ولقد وصل الإسلام إلـى هذه المنطقة منذ ثمانية قرون . فـفي مقاطعة خنان مسجد قديم يـقال إنه أنشيء في عهد حكم أسرة تانج وبها أيضـا مسجد آخر يطلق عليه المسجد الكبير الشرقـي، وتم ترميمه في عهد أسرة متخ في سنة ٨٠٠هـ (١٤٠٧هـ) وفي مقـاطعة خنان ٣٤٤ مسـجداً ، وفي مدينـة تشنغتشـو - حاصرة المقاطعة. معهد إسـلامي (بناء الصين ، ٨٠ - ١٩٨٣م ، ٣٧) . ولقد ورد بدائرة المعارف الإسلاميـة (ج١٥/ ٢) أن عدد المسلمين في مقاطعة خنـان وحدها أكثر من ٢٦٠ ألف نسمـة ، وفي مدينة تشـنغتشو أكـثر من ١٠ آلاف مسلـم ، ويعود هذا التقدير إلى منتصف القرن العشرين الميلادي .

أما عن الهوي في مقاطعة نينغشيا ، فقد أنـشئت هذه المقاطعـة في سنة ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م) شمال غربي الصين ، كإقليم ذاتي الحكم لقومية الهوي ، وبلغ تقدير عدد سكانها في سنة ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) حوالي ٥ر٨ ملايين نسمة ، يشكل الهوي بينهم حوالي ٣٢٪ ، أي حوالي ٢ مليوني نسمة ، وهـي بذلك تعتبر أكثر مقاطعات الصين من حيث عدد الهوي . وكان في نينغشيا حوالي ٤٢٠٠ مسجد ، وأنشيء بهـا معهـد إسلامي ، وعـدة جمعيـات إسلاميـة ، منها جـمعيـة دراسة الإسلام. وحاضـرة نينغشيـا هي مدينة ينتشـوان ، ومن المؤسف أن المسلمين فـيها ينقسمـون إلى فرق . وفي عهد جنكيـزخان ، زاد عدد المسلمين بالمنـطقة ، حيث رابط فيـها جيـش إسلامي من مخـتلف القـوميات ، واستـوطن الجنود المنـطقة ، وتأسست جمعية إسلامية بها في سنة ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) . وفي العاصمة ينتشوان ٧٤ مسجداً ، وأنشيء بها مركز إسلامي في سنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) يضم مسجداً ومعهداً ومكتبة ومتحفـاً إسلامياً . وجاء في تقدير سنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٦م) أنه في منطقة نيـنغشيا أكثر من ١٨٠٠ مـسجد ، ٣٩٠٠ طالب يتلقون العلـم في المساجد

(بنـاء الصين ، ٨٠ - ١٩٨٣م ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٩٩) ، (تشـوليـنغ ، ١٩٨٨م ، ٢٧ ، ٣٠) ، (Weeks, 1984, 332) .

ويوجد مسلمون من الـهوي في مقاطعة "Hopeh" هويه في شمالي الصين ، ووصلهـا الإسلام عن طريق التـجار المسلـمين من عرب وفرس وتـرك ، وصلوها بواسطة طريق الحرير المشهور عبر التاريخ . وفي مـحافظة دينغشيان مسجد يقال إنه بني في عـهد اسرة تانغ الملـكية وأعيد ترمـيمه في سنـة ٧٤٩هـ (١٣٤٨م) ، ولقد كتب هذا التاريخ على نصب حجري بالمسجد . وتأسست محافظتان للحكم الذاتي للهوي في مقاطعة هويه في كل من دتشانغ ومنغستون ، ولقد أغلقت الثورة الثقافية حوالي ٧٠٠ مسجد في مقاطعة هـويه ، وتعرض الأئمة إلى التنكيل ، ومنعت كل الأنشـطة الدينـية وأحـرفت الكـتب (بنـاء الصين، ١٩٨٣م، ٨٢) ، (تـتسوليـنغ، ١٩٨٨م، ٢٥) .

وفي **مقاطعة شينغهاي** شمال غربي الصين ، يتركـز مسلمون من الهوي في مدينة شيـنينغ عاصمة المقاطعـة . وبالمدينة أكثر من ٦٠ ألف مـسلم . بل في أحد الأحيـاء حوالي ٥٠ ألف مسـلم من الهوي ، وبهـذا الحي حوالي ١٠ مسـاجد . وتعيش معهم أعراق مسلمة أخرى من الـدونغشيانـغ ، والسالار والقـازاك ، ولكن الأغلبيـة من مسلمي الهوي ، وتأسست محافظتـان للحكم الذاتي للهوي بالمقاطعة في هوالونـغ ومنيـوان . وفي مدينة شينينغ مسجد قديم بني سنة ٧٨٢هـ (١٣٨٠م) وتبلغ مساحـنـه حوالي ١٢٠ ألف متر مربع .(تـشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٣٠) ،(بناء الصبن ، ١٩٨٣م ، ١١٤) .

أما مقاطعة قانسو شمال غـربي الصين ، فهي تعتـبر أكثر مناطق تجـمعات المسلمين بالصين ، وأغلب المسلمين فيها من الـهوي ، وتعيش معهم أعراق مسلمة أخرى ، وعاصمة المقاطـعة مدينة لانتشو . وأبرز مدن تجمعات المسـملين بالمقاطعة

مدينة لينشيا (ختشو) ، ولقد انتقل إليها النشاط الأكاديمي الإسلامي من مدينة شنأن (تشانغان) بسبب قمع السلطات أثناء حكم أسرة تشبنغ الملكية للمسلمين بمدينة تشانغان ، وأصبحت لينشيا من أكبر مناطق تجمعات المسلمين ، ويذكر المسلمون فيها أن الإسلام وصل إليهم في عهد أسرة نانغ الملكية ، وذلك لأن طريق الحرير الذي سلكه المسلمون كان يمر بها ثم نزح إليها عدد كبير من المسلمين في عهد أسرة مينغ الملكية (٧٧٠ - ١٠٥٤هـ / ١٣١٨ - ١٦٣٣م) ، وامتزجت هذه العناصر المسلمة وتكونت منها أعراق الهوي والدونغشيانغ والسالار والبونان ، وذلك حسب الروايات الصينية . ويشكل المسلمون أكثر من ٦٠٪ من سكان لينشيا (بناء الصين، ٨٠ - ١٩٨٣م ١٠٤ ١٠٨) ، (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٢٥) .

ولقد بلغ عدد المساجد في "لينشيا" في الخمسينات من القرن الميلادي الحالي حوالي ١٩٤٤ مسجداً ، ووصل عدد علماء الإسلام إلى ٥٥٠٠ ، وهذا ناتج من كثرة المسلمين وكثرة العلماء . وتكثر المذاهب الإسلامية في لينشيا ، نتيجة أن المنطقة كانت مركزاً عسكرياً في عهد أسرتي يوان وتشينغ ، كما أن خصوبة أراضي المنطقة جذبت السكان إليها ، كما وصلها عدد كبير من الدعاة المسلمين . وفي لينشيا اليوم حوالي ١٨٠٠ مسجد . (بناء الصين ، ١٩٨٣م ، ١٠٤ - ١٠٨) .

وفي مقاطعة يوننان بجنوب غربي الصين توجد أعداد كبيرة من المسلمين ، لاسيما من الهوي ، يقدر عددهم بأكثر من مليون مسلم . وفي المقاطعة أكثر من ٧٠٠ مسجد ، وينتشر المسلمون في معظم أنحاء يونان ، في ٦٣٠ كميونة و١٢٠ محافظة و ٩ بلديات ، وعاصمة المقاطعة مدينة كونمينغ ، التي يوجد بها حسب التقديرات الصينية أكثر من ٣٠ ألف مسلم . وفي ولاية تشاوتونغ حوالي مائة ألف مسلم من الهوي ، ويتمركزون في محافظتي تشاوتونغ ولوديان. وفي ولاية (تشاوتونغ) ما يزيد على مائة ألف مسلم يتمركزون في محافظات "وشيان" ، دالي

وريوان . وفي يونفجيـان ١٨ قرية ، سكانها من الهوي ، وفي كل قـرية مسجد ، وفي ولاية هونفخه أكثر من ٤٠ ألف من آبناء الهوي ، وفي شاديان أكثر من ثمانية آلاف من الهوي وبها سبعة مساجد . وفي محافظة لوقونغ عدد من الهوي ، ويقال أن أسلافهم كـانوا أحلافاً لشمـس الدين (سيد آجل) . وكذلـك يوجد الآلاف من أبناء الـهوي في مـحافظـتي ونشان ويـويشي .(بنـاء الصين ، ١٩٨٣م ، ١٠٠ ، ١٠٢) ، (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٢٦) .

هذا وتنـتسر الـهوي في معـظم أرض الصين ، بل هـناك هحرات إلـى خارج الصين ، جنوب شرقي آسـيا وتايوان ، حيث وصلها الهوي فـي هجرتين ، كانت الأولى في القـرن السابع عـشر الميلادي وخـرجت من مقـاطعات سـواحل الصين الجنوبية الشرقـية ، وخرجت الهجرة الثانيـة عندما استولى الشيوعـيون على الحكم ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) ، وقدر عدد المهـاجرين من الهوي بعشرين ألـف مسلم حسب الروايات الصينـية ، واستقروا في المدن بتـايوان ، والحالية المسلمـة في تايوان محل تقدير السلطات والشعب ، ولقد ذكر فـي دائرة المعـارف الإسلامية أن عدد المسلمين في يونـان أكـثر من مليـون نسمة ، وفي موضـع آخر ، ذكرت أن تيرسـان قدرهم بحوالي ٤ ملايين نسمـة في نهايـة القـرن التاسع عشر المـيلادي . وهكذا تتفاوت التقديرات . وعـموماً يشكل الهـــوي المسلمون حوالي نصف عـــدد المسلمين في الصبن ، فـفي تعدد سـنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) ، قدر عـدد الهـوي بحـوالي ٧٫٣ ملايـين وبلغ عدد المـسلمين ١٤٫٦ ملـيون نسـمة . وفي مـنتصف عـام ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) ، وبلغ عـدد المسلـمين من الهـوي ٨٫٦ ملايـين نسمـة (التنـتناوي ، ١٩٣٣م ، جـ١٥ ، ٢ ، ٣) (Weeks, 1984, 335) .

المسلمون الويغور "Uighur" :

يعيشـون في إقليم التركستـان الشرقية ، ويسمي أحـيانا التركستان الـصينية ،

ويطلق عليه رسمياً في الصين شينجيانج . وهو إقليم شاسع يشكل حوالي سدس مساحة الصين ، فمساحته ٦ر١ مليون كيلو متر مربع . وقدر عدد الميغور في سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) بحوالي ٦ ملايين ، وفي سنة ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) بحوالي ٧ر٢ ملايين نسمة ، وهناك عدد قليل من الويغور في أوزبكستان ، وقرغيزيا . "والتقدير السابق أقل من الواقع في الصين" . وإقليم شينجيانغ ذاتي الحكم / للويغور ، ومعظم الويغور يعيشون في مناطق كورله واكسو وكاشغر وخيتان على أطراف حوض التاريم. ويعيش الويغور أيضاً في المدن الكبرى والمتوسطة في شمال الإقليم ، مثل أوروموتشي ويانينغ وهامي وترفان وشانشان وتوكسون . والويغور من الشعوب التركية ، بل هم أكبر قومية تركية عرقية بالصين ، وينحدرون من ذرية دينلينغ . ولقد عاشوا في شمال الصين وشمالها الغربي منذ القرن الثالث قبل الميلاد. ولقد أسس الأتراك مملكة لهم بمروج "موباي" منتصف القرن السادس الميلادي ، وتوجهت هذه القبائل في أواسط القرن الثامن الميلادي، وأسست مملكة عرفت عند الصينيين بمملكة "هوي هه" ، واعترف بها أباطرة الصين في عهد أسرة تانغ (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٣١ ، ٣٢) (Weeks, 1984, 830) .

ويعتبر عهد مملكة (هوي هه) من أهم عهود تطور الويغور(١٣١ - ٢٢٥هـ / ٧٤٤ - ٨٤٠م) ، حيث أقام الويغور في عهدها محطات تجارية على طريق الحرير، وكان يتم تبادل السلع الصينية بالخيول ، وتوافد الكثير منهم إلى داخل الصين ، وأقاموا في مدنها بقصد التجارة . وكذلك كان هناك تجمع للويغور على سفوح جبال تيان شان وجبال ترفان وكونلن وعلى أطراف صحراء لوب نور ، ثم ضعفت مملكة هوي هه لأسباب ، منها القحط الذي أصابها والغارات الخارجية ، فهاجر الويغور نحو الغرب حتى وصلوا إلى منطقة التركستان الشرقية (شينجيانج) ونشروا نفوذهم على قاوتسانج وخيتان وكاشغر ، وكوّنوا مملكة لهم عرفت بمملكة الخواقين

أو الخانات ، ودخل الإسلام إلى هـذه المملكة في عهد خاراخان ، وكـانت كاشغر عاصمتها   وعمل الملك صدوق بقرخـان على نشر الإسلام بينهم في القرن العاشر الميـلادي والقرون التـالية له ، بـل انتقل إلـى داخل الصين عبـر المحور الغـربي ، خصـوصاً فـي عهـد دولة المغـول (يوان) (٦٠٣ - ٧٧٠هـ / ١٢٠٦ - ١٣٦٨م) (تولينغ، ١٩٨٨م ، ٣٢ ، ٣٣) (Weeks, 1984, 832) .

ولقد تركت ثقـافة الويغور بصمات واضحـة على الثقافة الصينيـة ، استخدم الويغور اللغة التركية القديمة وأطلق عليها الصينيون لغة (هوي هه)   وتطورت هذه اللغة في القرن الخـامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) واتخـذت الحروف العربية أبجدية لها ولقد وضع العالم محمود الكاشغري كتاب المعجم الكبير للغة التركية في القرن الحادي عشر المـيلادي بالحروف العربية والذي يعتبر مـن أهم مراجع الشعوب التركيـة. ومن أهم الكتب التركية الويـغورية التي وضعت في هذه الفـترة ، كتاب (حكمـة السعـادة والبركـة) ، الذي وضعه يـوسف هاس حاجـب ، وبعد انتـشار الإسلام بينهم، تـغيرت أشكال الفنون والثقـافة عندهم لتساير تعـاليم الإسلامي ، فنطور فن الزخرفة وظـهر في عمارة المساجد ، مثل مسجد أيـتكار والمسجد الجامع في كوتسه ، كما تجلى فن العمارة أيضـاً في منارات المساجد ، وطور الويغور نظماً دقيقة للـري والزراعة ، فأدخلوا زراعة القطن . ومن أبرز مـشروعات الري ، آبار كالرجـينج ، في منطقـة ترفان ، وأقاموا العـديد من مشروعـات الري الأخرى ، وشقوا أكثـر من ١٨٠ ألف كم من قنوات الري ، وعمَّروا حـوالي ١٥٠٠ بئر من آبار كـالرجينج ، وذكـرت دائرة المعارف الإسـلاميـة ، بأن أسلاف الويغـور هم : التغزغز" ، وأن الـويـغور صبغوا التركستان الصـينية بالصبغة التركيـة . ولقد اعتبر العرب أن بـلاد كاشغر ومـا إلى شرقهـا من بلاد تعتـبر أصقـاعا تركيـة ، ويلقب حكامهم بـ (الفاغان) ، ولغتهم من أرومة اللـغات التركية ، ولهم لسان يتخاطبون

به فيما بينهم ، وتنتمي لغتهم النركية إلى المجموعة التركية (الألتية) (الشنتناوي ، ١٩٣٣م ، جـ٥ ، ٨) .

يوجد في إقليم شينجبانج خمس مدن كبرى رئيسة ، منها أورومتشي العاصمة وتكتب أحيانا ولومتشي "Wulumuchk" ، وتعتبر من أهم المراكز الزراعية بحوص زونجايا ، كما أنها مركز مهم لتطوير الصناعة ، ومدينة كاراماي "Karamai" أو "Kolaamai" في حوض الجنوبية لحوض زونجاريا ، وهي الأخرى مركز زراعي متميز. ومدينة (إينينج كولاجا Kulaja) قرب الحدود الصينية الروسيه ، وهي مركز الصناعات الغذائية ، ثم (كاشغر). أكبر مدن حوض التاريم ، وهي مركز عريق في الصناعة التقليدية علاوة على كونها مدينة تاريخية عريقة . وفي إقليم شينجيانج حوالي ٤٠ عرقاً ، ولكن أغلبها للويغور . ومن القوميات المسلمة الأخرى الهوي، والقازاك ، والأوزبك ، والتاجيك ، والتتار ، هذا إلى جانب الهان أكبر شعوب الأمة الصينية ، ولقد هجّرت السلطات الصينية أعداداً كبيرة من الهان في الفترة (١٣٧٠ - ١٣٨٠هـ / ١٩٥٠ - ١٩٦٠م) إلى شينجيانج لتحد من نسبة تفوق الويغور العددية ، فوضعت خطة على مراحل . ففي المرحلة الأولى (١٤١٢ - ١٤١٥هـ / ١٩٩٢م - ١٩٩٥م) ، يتم تهجير ٢ مليوني صيني ، وفي المرحلة الثانية يتم نقل ١٠٠ ألف جندي لتعزيز الأمن . وفي المرحلة الثالثة عام ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م) يتم توطين ٥ ملايين صيني في التركستان الشرقية ، ولذلك ارتفعت نسبة الصينيين فيها من ٦ر٧٪ (١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) إلى ٣٧٪ سنة ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) ، وبالتالي انخفض نسبة المسلمين من أكثر من ٨٠٪ إلى حوالي ٥٦٪ . والويغور سنيون ، وانتشرب بينهم الصوفية خلال القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر الميلادية .(Philip, 1991, vol. 16, 214) .

المسلمون القازاك "Kazakhs".

يشكلون ثالث الأعراق من حيث عدد المسلمين في الصين ، ويأتي ترتيبهم بعد الهوي ، والويغور ويعيش القازاك في القطاع الشمالي من التركستان الشرقية "شينجيانج" على نهري إيلي ، وايرتيش بين جبال تيان شان وارتاي ، وجبال تار باخاراي والاي . وقدرت السلطات الصينية عددهم في سنة ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) بحوالي ١ر١ مليون نسمة ، ويتركز وجودهم في ولاية إيلي ذاتية الحكم للقازاك ، خصوصاً في مناطق إيلي وتاتشين وأرتاي ، وتوحد منهم جماعات في محافظات باركوك ، وممولاي ، وأورومتشي . كما توجد بعض الجماعات في مقاطعتي تشنغهاي، وقانسو . ويتحدث القازاك لغة تنتمي إلى أرومة اللغات التركية ، وكانوا يكتبونها بحروف عربية حتى سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣٠م) ويعود أصلهم إلى قبائل : ووسون ويوأتشيه . وسايزونج ، وكانوا يعيشون حياة البداوة في عهد أسرة تشين في الفترة (٢٢١ - ٢٥٧ق.م) . وفي عهد أسرة هان (٢٠٦ق.م - ٢٢٠م) تعرضوا لغزوات خارجية ، فهاجروا إلى الجزء الغربي من شينجيانج ، وكانت علاقتهم وثيقة بالبلاط الصيني في عهد أسرة هان ، بل كانت علاقة مصاهرة بين ملك قبائل ووسون

والامبراطور ليوتسيه (١٥٦ ق.م - ٨٦م) . وقد هاجرت بعض عشائر (ووسون) إلى الغرب حتى وصلت إلى نهر سيرداريا ، وامتدت بوادي القازاك إلى الغرب من بحيرة يلخاش. ولقد استفاد القازاك من المحطات التجارية على طريق الحرير وذلك بالمقايضة بمنتجات مراعيهم (تشولينغ،١٩٨٨م،٥٦ - ٥٧)،(Weeks, 1984, 394) .

لقد كان القازاك رعاة خيول ، وساعدوا جنكيزخان في اكتساح وسط آسيا في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، لذلك انتشروا في وسط آسيا .

فأغلبية الـقازاك في جمهورية قازاخسـتان الشعبية في وسط آسيـا (حوالي ٨ ملايين نسمـة)، وهناك أكثر من مليـون منتشرون في جـمهوريات وسط آسـيا (السوفيـتية سابقـاً)، وفي الصين أكثر من مـليون نسمـة ، وما يزيد على ٧٠ ألف نسـمة في جمهورية مـنغوليا الشعبية ، وحـوالي ١٢٠ ألف نسمة في أفغانسـتان . وفي نهاية القرن العاشر الهـجري (الخامس عشر الميلادي) وأوائل القرن الحـادي عشر الهجري (السادس عشـر الميلادي) كوّن القازاكيـون اتحاداً أطلق عليه اتحاد الخـانات ، بزعامة قاسم خان ، وامتد نفوذهم بين بحر قزوين شـرقا وبحيرة بلخاش غربا ، ومن نهر سرداريا جنوباً إلـى سيبيريا شمـالاً ، ثم تفكك هذا الاتحاد في القرن الثـالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ، واستولت عليه روسيا القيصرية ، ولقد زاد انتشار الإسلام بينـهم في القرن التـاسع الهجري (السـادس عشر الميـلادي) . وفي الصين أصبـح للقازاك ولاية إيـلي ذاتية الحـكم ، وتضم إيلـي وتاتشين وارتاي في إقـليم شنجيانج . وفي نينغشيا ، أصبح لهـم محافظة مولاي ذاتية الحكم . والرعي حرفة أساسية عندهم ، ولقد تحوّل الكثير منهم إلى الزراعة (تتسولينغ ، ١٩٨٨م، ٥٨) .

المسلمون الدونغشيانج "Dogxiang":

يعيشون في شمال وسط الصين مع أعـراق مسلمة أخرى (البونان والسالار) ، ومعظمـهم في محافظة دونغـشيانج ذاتية الحكم في ولايـة قانسو "Gonsu" والتي تشكلت سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) . يحدها نهر تاو "Tao" من الشرق ونهر داشيا "Daxia" والنهر الأصفر من الشـمال ، كما توجد جماعة منهم في الجـهة الشرقية من لينشـيا "Linxia" وهيزهنج "Hezheng" في مقـاطعة قـاسو ، وفي مـدينة لينشيا، كما ينتشرون في بعض المناطق الأخرى . ومنطقة دونغشيانج وعرة السطح. وكانوا يعرفون قبل عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) "بدونغشيانج الهوي" أو منغول الهوي هوي ، ويتحدثون واحدة من اللغات المنغولية ، وليس للغتهم حروف أبجدية ، لذا

كانوا يكتبونـها بحروف عربية فيما يخـتص بالأمور الدينية ، بينما يستـعملون اللغة الصينية في الرسـميات ، ويستخدمون الآن الحروف اللاتيـنية . والروايات المتداولة بنهم تشير إلى أنهم من نسل الجنود المنغـول الذين عسكروا في عهد جنكيزخان في إقليم هز هو "Hezhou" (الآن محافظــة دونغشيانج) . ويبـدو أن هذا قريب من الصواب ، فلقـد أشارت السجلات التاريخـية إلى أن جنكيزخان أقام مـعسكراً في هــذه المنطقــة ، واتسع انتشار الإسـلام بينـهم في القـرن السابع الهجري (الثالث عشر الميـلادي) (Weeks, 1984, 336) .

ويستقر معظم الدونغشيانج في محافظة دونغشيانج (٥٠٪) ، التي يتمتعون فيها بالحكم الذاتي ، وعاصـمتها سونانيا وهي مـدينة جبلية ، وينتشـر الباقي في ولاية لينشيا ، ومحافظات هوجينج وينغديـنج وكانفلو . وقدَّرت المصادر الصينية عددهم بحوالي ثلث مليـون نسمة . ويعمل البونغـشيانج بالزراعة ، ومحاصيلـهم الرئيسة القمح والـبطاطس والشعـير والذرة والبقول ، ويـزاولون حرفاً أخرى ، مـثل قطع الأخشاب والصيد والفـحم الخشبي ، كما يشتغلون بالصناعـات التقليدية . وزراعة الفاكهة والنباتات الطبية .

وفي سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤٠م) ، فدرت مساجـدهم بحوالي ٥٩٥ مسجداً ، ٩ مدارس دينية ، ولقد ظهر بينهم عــدد من المصلحين الدينيين مثل نوح ماوانغ ، في النصف الأول من القـرن العشرين الميـلادي ، ولقد حج إلى البقـاع المقدسة ودرس الدين بالسعـودية ، ثم عاد ليصلح من الـشوائب التي دخلت عند الدونغـشيانج ، ودعا إلى الـتمسك بـالقرآن في الأمور الـدينية . ومن المصـلحين الدينيـين (سونغ شان)، تلميذ نوح ماوانغ . (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٩٧ ، ٩٨) .

المسلمون القرغيز "Kirghiz" :

لقد ورد أكثر من اسم للقرغيز في بعض كتب التاريخ الصينية ، فقد أطلق عليهم "قهكون" و "جيانكون" في كتابي "شيجي" و"خانشو" المشهوران في تاريخ الصين . ولقد عاش أسلاف القرغيز في منطقة نهر ينسي الأعلى كما ذكرت دائرة المعارف الإسلامية وعاشوا في بلاد المغول ، وكان القرغيز من أبعد الشعوب التركية نحو الشمال الشرقي . وفي تقسيم محمود الكاشغري للشعوب التركية في معجمه ، وضع القرغيز ضمن الشعوب التركية الشمالية . وأمام الغزو الخارجي ، اضطر القرغيز إلي الهجرة في القرن الأول الميلادي نحو آسيا الوسطى وجبال تيان شان . ولفد أقام أسلاف القرغيز مملكة لهم في عهد أسرة نانغ في مروج موباي تدعى (شياجياس) وامتد نفوذها إلى أنشي (كوست اليوم) وبايدنغ (جيموسار اليوم) في منطقة شنجيانج ، وكان القرغيز يمارسون الرعي ، ونشأت علاقة بينهم وبين الصينيين في تبادل منتجاتهم (الشنتناوي ، ١٩٣٣م ، جـ٥ ، ٤٤ - ٤٧) .

خضع من بقي من القرغيز في أعالي نهر ينسي لحكم المغول في القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) (٧هـ/١٣م - ٨هـ / ١٤م)، وفي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) اتحدت القبائل القرغيزية في كيان واحد في منطقة جبال تيان شان ، وهاجر إليهم من تبقى من أسلافهم في أعالي نهر ينسي . وأغلب شعب القرغيز حالياً في جمهورية قرغيزيا بعد تفكك الاتحاد السوفيتي ، ويصل عددهم حوالي ٢٫٥ مليوني نسمة ، وحوالي ١٢٠ ألف نسمة في جمهورية أوزبكستان ، وأعداد قليلة في جمهوريتي تاجيك ، وقازاخستان، وفي الصين أكثر من ١٢٠ ألف نسمة يعيشون في إقليم شنجيانج ، ويمتد وجودهم إلى جبال البامير، ولهم في شنجيانج ولاية ذاتية الحكم هي "غيزلسو" أو "كازلسو"، وعاصمتها أتوشي . وينتشرون في أوشي واكسو واجيشا

وناشكورقان (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٧١ ، ٧٢)

ويتحدث القرغيز لغـة تركبة تنتمي إلى أورمة اللغات التركية الـشمالية الغربية، وكانت حتى سنة ١٣٥٠هـ(١٩٣٠م) تكتب بحروف عـربية مثلها مثل لعة الأوربك وأغلب لغات الشعـــوب التركية، وقد وصلهم الإسلام في القـرن الرابـع الهجري (العاشـر الميـلادي) وأوائل الـفـرن الخامـس الهجري (الحـــادي عشـر الميـلادي) . (Eeeks, 1984, 405)

المسلمون السالار "Salars" .

يعتبر السالار أكثر الأعراق المسلمة في الصين تحمساً للإسلام ، فقد شاركوا في كل انتـفاضة لـلمسلـمين ضد الظـلم منذ القـرن العاشـر الهجـري (السابع عـشر الميلادي). وقدر عـددهم في الثمانينـات من القرن العشرين الـميلادي بحوال ١٧٠ ألف نسـمة ، ولقد جاوزوا الآن هـذا العدد. ويعيش أغـلب السالار في محـافظة شونهوا "Zunhua" التي بنمتعون فيها بالحكم الذاتي ، وهي تقع في شرقي مقاطعة شنغهاي. والباقي موزعون في مجموعات صغبرة في محافظات هوالونغ وجيتيشان وجيشي وفي يـنتيا في ولاية قانسو وكـذلك في بعض مناطق تشنغـهاي ، وإقليم شينجيانج . ولـقد نأسست محافظة شونهـوا في سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م) . وهناك رأي يقول بأن السالار "Salar" تعود إلى قـبيلة تركيـة تسمى "Salar" وقد أشار محمود الكاشغري في المعجم الكبير ، كـما أشار إليها رشيد الدين في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، كذلك آبو الـغازي في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي). وتشير إلى هذا أيضاً بعض الأساطير المتداولة بين السالار ، والتي تبين أن أسـلافهم بنتـسبون إلى القبـائل التركبـة ، ولقد هاجر أسـلافهم من سمرقند . ووصلوا إلى شونهوا حوالي سنة ٧٧٢هـ (١٣٧٠م) في عهد حكم دولة مينـغ الصينيـة (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ١٠٠ ، ١٠١) (Weeks, 1984, 652) .

وتشير دائرة المعارف الإسلامية إلى أن السالار هاجروا من سمرقند ، ووصلوا إلى الضفة اليمنى لأعالي النهر الأصفر ، وصفاتهم الجسمانية تختلف عن صفات الصينين ، ولهم لغتهم المميزة كما أنهم أقرب شبها بترك التركستان الشرقية (شينجيانج) وهم مسلمون ، يوقرون علماء الدين الإسلامي ، وقد تأثروا بأحد الدعاة الذي عاش بينهم ويدعى "محمد أمين" .

ولغة السالار تتبع أرومة اللغات التركية الألتية ، وتضم حوالي ٧٪ من الكلمات العربية والفارسية . وقبل سنة ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) ، كان السالار يستطيعون قراءة القرآن الكريم (من المصحف) وكذلك بعض الكتب الدينية بالعربية . ويوجد مسجد في كل قرية من قرى السالار ، وفي محافظة السالار حوال ٧٤ مسجداً . وتعرض المسلمون السالار كغيرهم من المسلمين الصينيين لبطش (الثورة الثقافية) ، فأغلقت المساجد ونكل بعلماء الدين من الأئمة والوعاظ ويحتفظ السالار بنسخة مخطوطة قديمة من القرآن الكريم مكتوبة على الجلد . وتعتبر الزراعة حرفة أساسية وإلى جانبها تربية الماشية ، فمنطقتهم التقاء بين الزراعة والرعي . وهم ينتجون العديد من المحصولات الغذائية والفاكهة . (الشنتناوي ، ١٩٣٣م ، جـ١٥ ، ٨) .

المسلمون التاجيك "Tajaik":

يعتبر التاجيك أنفسهم من الفرس "Fariswan" خصوصا في مناطق الحدود بين دول وسط آسيا . وتطلق كلمة تاجيك "Tajik" على المزارعين في الجبال في شرقي وشمالي أفغانستان ، ويضم هذا مجموعة كبيرة من القبائل ، وهناك رأي يقول إن كلمة تاجيك تأتي من كلمة تاز "Taz" وتاي "Tai", وقد أطلقها الفاتحون العرب الأوائل . وجاء في دائرة المعارف الإسلامية ، أن هناك رسم أقدم هو "تازيك" كما كتبها محمود الكاشغري في المعجم الكبير . وطُرد التاجيك تدريجيا من السهول

إلي الجبـال ، ويطلق الروس تاجيك عـلى الشعوب الإيرانيـة في التركسـتان . أما انتسـاب كلمة تـاجيك إلى التـاج (غطاء الرأس) فـلا تؤيده الشواهـد التاريخـية . ويتحدث التاجيك في وسط آسيا لغة تنتمي إلى اللغة (الهندو أوروبية) (التنتناوي ، ١٩٣٣م ، جـ ١٤ ، ٤٥٥) .

ويوجـد من التاجـيك حوالي ٥ر٣ مـلايين نسمـة في شمـالي وشمال شـرقي أفغانستان ، وأكثر من ١ر٣ ملايين نسمـة في الجمهوريات التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي السـابق . ولقد اعتنق التاجيك الإسلام في القرن الرابـع الهجري (العاشر الميلادي) . ويعيش التاجـيك في الصين في هضبة البامير حيت تـرتفع الجبال لأكثر من ٥٠٠٠ متـر ، وأغلبهم في مـحافظة :تاشكور قـان" ذاتية الحكم للتـاجيك ، شرقي الـباميـر ، وتعتبـر بوابة حدود الصـين الغربيـة ، وإحدى محطـات الطريق الفرعي الذي يربط كشمير بكاشغر . وكانت مدينة "تاشكور قان" التي يتجمع فيها الكثير من التاجيك، حاضرة مملكة بولي القـديمة ، وتغير أسمها في عهد المغول إلى "سالكور" ، وقد انتقل إليها التاجيك ، وتأثـروا في الصين بثقافة الويغور والقرغيز في نشأنهم الأولـى ، ويرعى التاجيك بقر الـياك المشهور بصوفـه الطويل ، وتحمُّل البـرد ، ويعرف باسم سـفينة الـهضاب ، وكـذلك يرعون الأغـنام المعروفـة بنوع (دونباش) ، ويزرعون مساحات صغيرة من الأرض حـول مساكنهم بشعير الهضاب والبسلة وغيرها من المحصولات التي تتحمل البرد ، هذا إلى جانب قطع الأخشاب وزراعة بعـض النباتات الـطبية ، وصـيد الحيـوانات البريـة فوق هضبـة البامـير . وتأسست محافظة تاشكور قان ذاتية الحكم للتاجيك في سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م) ، وسميت المحافظة باسم عاصمتها (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٧٤) .

المسلمون الأوزبك "Uzbek":

يعيـشون في التـركستـان الشرقيـة (شينجـيانج) و ينتـشرون في معـظم مدن

ومحافظـات الإقليم وأكثر من نصـفهم في مدن أومتـشي واينينغ وكاشـغر وتاتشين وشاتشه وبهتشـين ، وأغلبهم يعمل بالتجارة والخدمات . ولـقد زاولوا التجارة من قديم. وتعـود التسميـة إلى الملك أوزبك في عـصر ازدهار مملكة المغـول . وكانوا ضمن الاتحاد التـركي المغولي في عهد قـبيلة القرن الذهبي في أوائل الـقرن السابع الهجـري (الرابع عشـر الميلادي) . ولقـد اعتنق المـلك أوزبك الإسلام ونشـره بين قومه. وفي أواخر القرن الثامن الهجـري (الخامس عشر الميلادي) انتقل الأوزبكيون نحو الجنوب حتى وصلـوا إلى بخاري وسمرقند وخيوه وآوركنج وطشـقند في آسيا الوسطي ، وتحـولوا من بدو إلى زراع . ووصل الأوزبكيـون إلى إقليم التركـستان الشرقية (شنجـيانج) ، من آسيا الوسطى ، حيث اشتغلوا بنـقل التجارة على طريق الحرير ، وتزايد عـددهم واستمرت مماسـرتهم للتجارة مع أهل الـصين . ولقد أثر الإسلام في حياة الأوزبك تأثيراً واضحاً (الشنتناوي ، ١٩٣٣م ، جـ١٤ ، ٤٥٥) ، (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٨٨ ، ٨٩) .

والأوزبك في وسط آسيا يزيدون على ١٦ مليون نسمة ويتكلم الأوزبك لغة تنتمي إلى أرومة اللغات التركية الشرقية ، ويأتي الأوزبك في المرتبة الثانية من حيث عدد المتحـدثين بالتركية وذلك بـعد أتراك الأناضول . وكانت لغـة الأوزبك تكتب بحروف عربية في جمهـورية أوزبكستان ولكن الروس في سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤٠م) استبدلوا لغـتهم بلغة الأوزبك . وما يزال المسنون من الأوزبك يسـتعملون الحروف العـربية في رسـائلهم الخـاصة ، كذلك لا يـزال الأوزبك في أفغـانستـان والصين يستعملون الحـروف العربية في كتابة لغتهم . وحدث اضطـهاد للمسلمين الأوزبك في عهد سيطرة الاتحاد السوفيتي ، وهذا أمر معروف في كل مناطق آسيا الوسطى ، كما حـدث الاضطهاد نفسـه للمسلمين في الـصين أثناء ما يسمـى بالثورة الثقـافية فأغلقـت المساجد وألقي بـالأئمة في السجـون وأحرقت الكتب ، وبـعد زوال تلك

الفترة العصيبة أعيد فتح المساجد وتوقف التحدي إلى حد ما (تتولينغ ، ١٩٨٨م، ٨٧) (Weeks, 1984, 833, 834) .

المسلمون الباوان "Paoans" **أو البونان**"Bonans" .

يعيشون شمالي وسط مقاطعة قانسو في محافظة جبال جيشي دونغتسيانج التابعة للينشيا ، ويشاركهم في هذه المحافظة مسلمون من السالار والدوننغتسيانج ، فالمحافظة ذاتية للأعراق الثلاثة (دونغيشيانج ، وباوان وسالار) ، وبعضهم في ولاية تشنغهاي ، ولهم في هذه المحافظة قرى داودون "Dadun"وجانمي "Canmei" غاأولي"Gaoli" ، ولهم ثلاث قرى في المنطقة نفسها على سفوح جبال جيشي قرب شاطىء النهر الأصفر تعرف بقرى باوان القديمة ، ومنهم جماعات تعيش في مقاطعة تشينغهاي في محافظة تونجرين "Tongrin" . وموطن الباوأن الأصلي شونهوا "Zunhua" وهي أيضاً موطن السالار والدونغيشيانج ، وجاء الباوأن إلى منطقة دونغشيانج على أثر خلاف بينهم وبين البوذيين في سنة ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) حيث قرى باوان القديمة، وكان أسلافهم من جنود المغول في جيش جنكيزخان ، قد أرسلوا إلى هذه المنطقة ، والتي تعرف اليوم بتونجرين"Tonfren" . وبعد سقوط دولة المغول سنة ٧٧٠هـ (١٣٨٦م) ، رحل معظم المغول ، وبقي الباوان ، وانتشر بينهم الإسلام، ويقدر عددهم في الصين بأكثر من ١٢ ألف نسمة ، حسب التقديرات الصينية . وتنتمي لغتهم غير المكتوبة إلي اللغة المنغولية ، وتأثرت بلغات جيرانهم ، ففي مفرداتها حوالي ٤٦٪ من المنغولية . ويعمل الباوان في الزراعة ، ومن محصولاتهم القمح والشعير . كما يشتغلون بتربية الماشية ، فمنطقتهم تلتقي فيها الزراعة وتربية الماشية ، ويزاولون أعمالا أخرى غير الزراعة ، كالصيد وقطع الأخشاب، ويشتهر الباوان بصناعة السكاكين الذائعة الصيت . (تشولينغ ، ١٩٨٨م، ٩٩) (Weeks, 1984, 167)

المسلمون التتار "Tatar" :

تكتب تاتار ، وتتر- وتتار . وقد أطلق هذا الاسم قبل الإسلام على الشعوب التركية وغير التركية ، وأطلقه الروس على شعوب إسلامية متعددة ، واليوم يطلق هذا الاسم على شعوب كثيرة . ولهذا يختلف مدلول اسم التتار باختلاف العصور. وارتبط اسمهم بالجيش المنغولي ، ومنهم تتار شبه جزيرة القرم ، وكان عددهم يزيد على نصف مليون نسمة ، وأرغمهم السوفيت على الهجرة إلي سيبيرا ووسط آسيا، وفي أوزبكستان ، وهم مسلمون مثل تتار نهر الفولجا ، وهؤلاء يطلقون على أنفسهم "ترك" . ويقدر عدد التتار إجمالاً بأكثر من ٨ ملايين نسمة . وينتشر التتار في أكثر من ٣٠ منطقة في روسيا وأوكرانيا وحوض دونتسك ، وينتشر باقي التتار خارج روسيا في مناطق متعددة ، منها جمهورية الصين الشعبية ، حيث يعيشون في مدن إينينج وتاتشين وشاتسيه واورموتشي ، وفي التركستان الشرقية . وبعضهم يقيم في المناطق الزراعية والرعوية في يورجين وخاباخ وتشيتاي (تشولينغ ، ١٩٨٨م، ٨٧) (Weekan 1984, 758)

ولقد ورد في الكتابات الأرخوانية التركية التي يرجع تاريخها إلي القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ذكر طائفتين من قبائل التتار ، هما التتار الثلاثون والتتار التسع، إلا أن اسم التتار في ذلك الوقت كان يطلق على فريق من المغول . وذكر أن هؤلاء التتار كانوا يعيشون في جنوب غرب بحيرة بيكال ، وقد صحبت بعض القبائل التتارية معها قبائل تركية في حركتها نحو الغرب . وجاء في أخبار الغزوات المغولية في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) أن الغزاة كانوا يعرفون في الصين والعالم الإسلامي وروسيا وغربي أوروبا باسم التتار ، وهكذا تسمت عدة شعوب باسم التتار في الهندستان وجين والقرغيز وكلار (بولندا) والمجر والشام ومصر والمغرب . (الشنتناوي ، ١٩٣٣م ، جـ٤ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧)

لقد هاجر التتار من آسيا الوسطى إلى التركستان الشرقية (شنجيانج) ، كما يروي ابن عربشاه ، حيث أن تيمور لنك أجبر فريقاً من التتار على الهجرة ، فوصلوا إلى كاشغر (كذلك جاء في دائرة المعارف الإسلامية) . أما المصادر الصينية، فتشير إلى أن التتار تكونوا خلال فترة طويلة نتيجة اندماج بين البلغاريين والكيبتشاكيين والمغول . ففي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، أسس المغول مملكة كيبتشاك في منطقة نهر فولجا ، وكان أهلها خليطاً من الشعوب سابقة الذكر ، ويعتبر هؤلاء أسلاف التتار . وفي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) سقطت مملكة كيبتشاك خان ، وظهرت مملكة قازان خان التي ادعى أهلها أنهم تتار ، وهاجر التتار من منطقة الفولجا إلى شنجيانج قبل منتصف القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) بسبب الاضطهاد الروسي ، ثم استوطن المزيد من التتار المنطقة الشمالية من التركستان الشرقية (شنجيانج) في أواخر القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) وكانوا من التجار وعلماء الدين ، وقد زاول معظمهم التجارة، وأسسوا بعض المصانع التكميلية للدباغة وغسل الصوف وتصنيع المنتجات الزراعية ، وامتلكوا بعض الأراضي الزراعية ، ومارسوا تربية المواشي . واعتناقهم للإسلام ، ترك فيهم آثاراً واضحة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية . (الشنناوي ، ١٩٣٣م ، ٥٧٨) ، (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٨٩) .

● ● ● ● ● ●

الأقلية المسلمة في التبت شيزانغ "Xizang"

إقليم ذاتي الحكم لشعب التبت ، تبلغ مساحته حوالي ١٫٢ مليون كيلو متر مربع، سكانه يزيدون على ٢٫٥ مليوني نسمة . ولقد وصل الإسلام إلى التبت عن طريق جيرانها ، فوصلها عن طريق التركستان الشرقية "شنجيانج" ثم وصلها عن طريق كشمير . وذكرت الحكومات الصينية أن العرب كانوا أصدقاء لأهل التبت ، فكانت هناك صلات بين أحد ملوك التبت والعرب . ففي خلافة عمر بن عبدالعزيز، أرسل إلى خرسان (الجراح بن عبدالله) سليط بن عبدالله الحنفي إليهم لتعليمهم الإسلام وليفقههم في الدين . وكان المحور الأكثر فاعلية في نقل الإسلام إلى أهل التبت هو المحور القادم من كشمير جارتهم ، خصوصاً بعد خضوع شمالي الهند للنفوذ الإسلامي ، وأول غارة شنها حاكم مسلم على التبت ، كانت بقيادة (محمد بختيار حلجي) حاكم البنغال . ثم تكررت الغزوات في القرن العاشر الهجري ، فغزاها مير مزيد بين سنتي(٩٣٠هـ - ٩٢٠هـ) ، وحيدر مرزا سنة ٩٥٥هـ ، وأصبح الإسلام منذ القرن العاشر الهجري قوة سياسية بالتبت ، خصوصاً في جنوب غربي التبت لمجاورته كشمير ، فأصبحت منطقتا لداخ وبلتسان أكثر مناطق التبت تأثراً بالإسلام، وظل الإسلام يحرز تقدماً في التبت حتى عهد الاحتلال البريطاني للهند، ووصلها الدعاة من كشمير ووسط آسيا (Europa (B), 1992, vol. 1, 200).

يتكون المسلمون في التبت من أبناء المهاجرين إليها ، ويطلق عليهم "الأرغونيين" ، وهم من آباء مسلمين وأمهات تبتيات ، ومن التجار المسلمين الذين قدموا إليها من الصين . وعدد المسلمين في التبت قرابة ربع مليون نسمة ، رغم أن المصادر الصينية تقدرهم بعدة ألاف . ويقيم المسلمون في العاصمة "لاسا" ، وفي تشانغدو وديكاتسه ، قد بنيت المساجد في هذه المدن . وفي لاسا مسجد كبير ،

بني منذ ما ينيف علـى ثلاثة قرون . ويعمل معظم المسلمين فـي التجارة والخدمات الاجتمـاعية، وقليـل منهم يتشـغلون بالزراعة والرعـي . وفي مدينة لاسا مـدرسة إسلاميـة ملحقة بـالمسجد الكبـير، لتعليم أبـناء المسلمين الدين الإسـلامي . (بناء الصين، ٨٠ - ١٩٨٣م ، ٨٨) .

مسلمون من أصول عربية :

يوجد في مدينة تشـيوانتشو (الزيتون) في الجنوب الشرقـي من الصين مسلمون من أصول عربية ، يعيشون في مقاطعة فوجيان ، وذكرها ابن بطوطة في رحلته إلى الصين (٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) ، ووصل إليها ماركوبولو قبله ، وأقام فيها العرب منذ ما ينيف على ألف عام ، شيدوا فيها المساجد ، وامتلكوا الأراضي الزراعية ومخازن التـجارة ، وبقيـت ذريتهم تتـناسل . وبالمدينـة مسجـد أثري يطلق علـيه مسـجد الصحاب جنوبي المدينة ، ويعيش حوله أكثر من ٦٠ أسرة من أصول عربية ، وهم يقيمـون في هذا الموضع من عدة أجيال . وقـد ذكر عالم الآثار الصيني الـبرفسور (تشونغ وي) أستاذ الآثار بجامعة شيامن ، أن بمدينة الزينون آثاراً إسلامية ترجع إلى عهد أسـرة سونغ أي إلى الفتـرة (٩٦٠م - ١٢٧٩م / ٣٥٠هـ - ٦٧٨هـ) . وفي يابتشي ٩ قـرى يسكنها مسلمـون من أصول عربية ، يزيـد عددهم على ١٠٠٠٠ نسمـة ، وأسماء عـائلاتهم (قـوة) أو (بو) . وسكان هذه القـرى التسع يمـارسون الزراعة والصيد وفي مدينة الزيتون (تشيوانتشو) والمناطق المحيطة بها ، يعيش ثلاثون ألف نسمة من أصول عربية . (بناء الصين ، ٨٠ - ١٩٨٣م ، ١٣١ - ١٣٣)

مسلمون من أصول فيليبينية :

ذكرت مصادر تاريخ أسرة تشينغ الملكية (كتاب تاريخ أسرة تشينغ) أخبار رحلة ملـوك من جزيـرة سولو (٨٢٠هـ/١٤١٧م) وصلوا إلـى بكين في زيـارة ودية ، ورحب بهم الامـبراطور الصينـي تسوي ، وبعد زيارتـهم اتجهوا إلى العـودة نحو

بلادهم، وتوفي أحدهم وهو الملك (الشرقي) في دتشو ، حيث دفن الملك ، وبقي في مدينة دتشو مجموعة من المرافقين لـلملك المتوفي . وبعد فترة طويلة ، منحت الأسر التي بقـيت من الفليبيين لـقب أسرة (ون وان) كمواطنين صيـنيين . ونشأت قريـة بينج من ذريـة هؤلاء ، ولقد انـتقل العـديد منهـم إلى مناطق أخـرى داخل الصين. وهناك مـسجد أثرى قديم بجـوار مقبرة ملك سـولو .(بناء الصين ، ٨٠ - ١٩٨٣م ، ١٢٦ ، ١٢٧) .

المسلمون في شنغهاي :

وهي أكبر مدن الصين . وصلها الإسلام عـن طريق التجار المسلمين من العرب والفرس في عهـد أسرة تانغ الملكية في حوالـي القرن الثالث الهجري فـكان التجار المسلمون يتاجـرون مع موانىء الصين الشرقية ، مـثل قوانغتشو كانتون وتـشوانتشو (الزيتون) ومنـطقة فوجيان ، وربما وصـلوا إلى شنغهاي . وفي عـهد أسرة يوان، تدفق عدد كبير من التجاري المسلمين على شـنغهاي ، كذلك وصلها عدد كبير من المسلمين في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، وفي نهاية القرن الثالث عشر الميلادي ، زحف المغول على جنوب نهر يـانجتسي ، وجاءوا بأعداد كبيرة من المسـلمين ، وعين أحـدهم ، وهـو ناصر الـدين ، في مـنصب مـرموق ، وجـاء مسلمون من الداخل من نانكين في هجرة إلى شـنغهاي . وفي شنغهاي ، أكثر من ثلاثة آلاف مسلم ، وبهـا عدة مساجد ، وهم من أعراق مختـلفة . (الشنتناوي ، ١٩٣٣م ، جـ١٥) .

● ● ● ● ● ●

أعداد المسلمين

أثارت قضية أعداد المسلمين في الصين كثيراً من الجدل منذ بداية القرن العشرين الميلادي وحتى الوقت الراهن، وذلك لعدم وجود بيانات رسمية حول أعدادهم، ولهذا يجتهد الباحثون في محاولة الاقتراب من حقيقة عددهم (شكل رقم ٩). وحقيقة الأمر ، أن مسألة أعداد المسلمين في أي قطر لم تستغرق مثل هذا الوقت وهذا الجهد الذي استغرقته مسألة أعداد المسلمين الصينيين . فلقد آدلى العديد من الباحثين من مختلف المشارب والأهواء بالكثير من الآراء ، التي يمكن تلخيص بعضها على النحو التالي ·

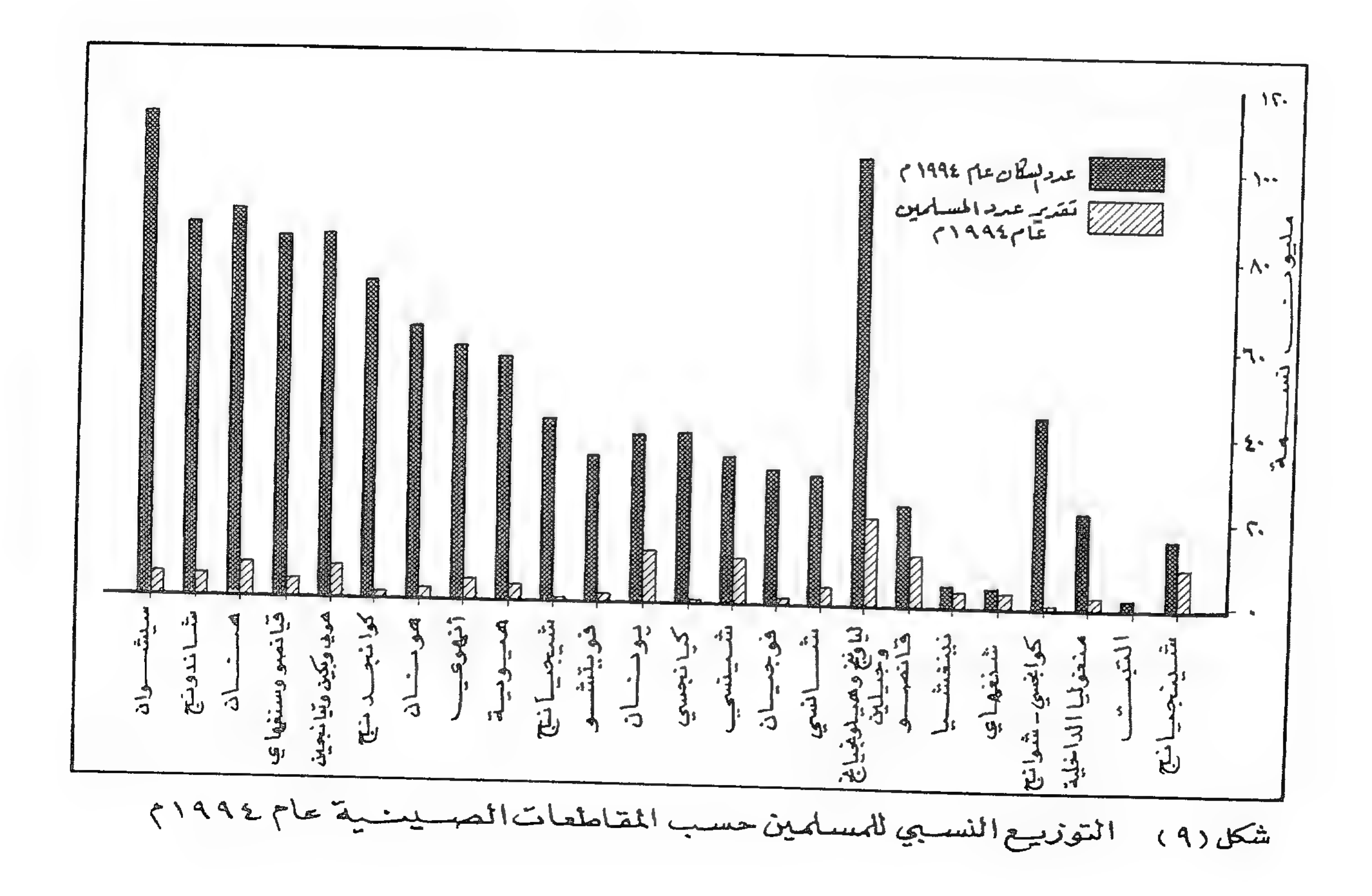
١ - التقديرات الغربية :

قدر "تيرسانت" "M. de Thiersant" عدد المسلمين في الصين سنة (١٢٩٥هـ/١٨٧٨م) بحوالي ٢٠ مليون نسمة .وكان تيرسانت قد عمل لفرنسا في الصين ، وأمضى ١٨ سنة في دراسة أوضاع المسلمين فيها .أماكين"H.Keane" فقدر عددهم في مستهل القرن العشرين بحوالي ٣٠ مليون نسمة ، بينما قدر كتاب "Statesman's Year-Book" ، عدد سكان الصين في سنة ١٣١٨هـ (١٩١٠م) بحوالي ٤٢٦ مليون نسمة، فتكون نسبة المسلمين حوالي ٤٠ر٧٪ من جملة سكان الصين. (حي، د.ت ، ١٠٢) "Amercon, Theological Librery, vol. 1,no. 2,1979""Amercon, Theological Librery, vol. 2,no. 2, 1980" ، وقدر عددهم "بروم هول "Broom Hall" في السنة المذكورة بحوالي ٨ر٩ ملايين نسمة، وإستقى معلوماته من ٨٠٠ بعثة تنصير بالصين بالمراسلة ، ولم ترد على رسائله إلا "٢٠٠" بعثة . وإذا اعتبرنا أن سكان الصين كانوا ٤٢٦ مليون نسمة في ذلك الوقت، تكون نسبة المسلمين بين سكانها حوالي ٣ر٢٪ . ولم يثر أي جدل على مسألة عدد المسلمين في الصين مثلما أثاره تقدير "بروم هول" . وقدرت جريدة

"ريفيو دو موند"عدد المسلمين الصينيين في مقال نشره أحد الفرنسيين في أول فبراير ١٩٠٧م بحوالي ١٥ مليون نسمة . وذكرت مجلة "News Week"في العدد ٢٦ (١٩٧٩م) ، أن عدد المسلمين الصينيين سنة ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) ، كان حوالي ٦٤٫٨ مليون نسمة من جملة سكان الصين البالغ ٥٤٠ مليون نسمة ، أي (١٢٪) . كذلك قدرت عددهم "بربارا" "Barbara L. K."في سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) بحوالي ٢٠ مليون كحد أدنى و ٤٠ مليون كحد أقصى "Amercon, Theological Librery, vol. 3,no. 2, 1981" .

٢ – التقديرات الصينية لعدد المسلمين (قبل الحكم الشيوعي) :

صدرت عدة تقديرات لعدد المسلمين في الصين قبل سنة ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) . ففي سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) ، ذكر رئيس البعثة الصينية بالأزهر لجريدة الأهرام أن عدد المسلمين في الصين ٥٠ مليون نسمة وذكر العقاد أن الصحف الأوروبية تلفت برقية من الجماعة الإسلامية بالصين أثناء حرب اليابان مع الصين تشير إلى أن هذه الجماعة تتكلم بلسان ٥٠ مليون من المسلمين (هويدي ، ١٩٨١م ، ١٦٥) . وفي سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) ، صدر كتابان باللغة الإنجليزية في الصبن ، قدر أحدهما عدد المسلمبن في الصين بين ١٥ و ٢٠ مليون نسمة ، بينما قدر الآخر عددهم بحوالي ٤٨ مليون نسمة ، كما ذكر أن عدد المساجد حوالي ٤٢٣٧١ مسجداً. وفي الطبعة الإنجليزية من كتاب الصين السنوي (١٣٦٠هـ / ١٩٤٠م) ، قدر عدد المسلمين الصينيين بحوالي ٤٨ مليون نسمة ، كما أصدرت حكومة الصين الوطنية كتاباً سنوياً آخر ذكر العدد نفسه ، كما أشار إلى أن عدد سكان الصين في سنة ١٣٥٩هـ (١٩٤٩م) حوالي ٤٦٠ مليون نسمة . وذكر نائب وزير خارجية الصين قبل الحكم الشيوعي جورج يه ، أن عددهم بين ٤٨ مليون ، و٣٠ مليون . وخلاصة القول ، أن عدد المسلمين الصينيين في الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي قدر بحوالي ٤٨ مليون نسمة ، وأن سكان الصبن قدروا بحوالي ٤٦٠



شكل (٩) التوزيع النسبي للمسلمين حسب المقاطعات الصينية عام ١٩٩٤م

مليون نسمة في الفترة نفسها ، وبذلك تكون نسبة المسلمين "٤ر١٠٪" . وفي أول إحصاء لسكان الصين تحت الحكم الشيوعي سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) ، قدر عدد المسلمين بنحو عشرة ملايين نسمة ، بينما بلغ إجمالي عدد السكان ٥٨٦ مليون نسمة (حي ، د.ت، ١٠٢) "Amercon, Theological Librery, vol. 1,no. 2, 1980" .

٣ - تقدير عدد المسلمين الصينيين في عهد الحكومة الشيوعية :

تحصي الحكومة الشيوعية السكان على أساس القوميات لا على أساس الأديان، وهذا لا يظهر حقيقة الواقع العددي للمسلمين أو غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى ، وقد أشرنا إلى أول إحصاء شيوعي والذي حدد نسبة المسلمين بحوالي ٧ر١٪ سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) من سكان الصين ، وهو ما يخالف كل المصادر الغربية والإسلامية . وهذا يطرح سؤالا ، لماذا جاء هذا التقدير منخفضاً بالنسبة للمسلمين ؟ ينحصر التفكير فيما يلي : (أ) الموقف العدائي من الشيوعيين ، ضد المسلمين ، ذلك أنهم ناصروا الحكومة الوطنية ضد الشيوعيين أثناء الحرب ، فخشي المسلمون إعلان دينهم في تعداد سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) خوفاً من الانتقام . (ب) سجل الكثير من المسلمين أنفهسم على أنهم من "الهان" ، الغالبية العظمي من سكان الصين ، وقد فعل هذا الكثير من المسلمين "الهوي (الخوي) أكثر قومية عرقية إسلامية في الصين ، بل إن أبناء الهوي من الزوجات الهانيات يسجلون ضمن الهان "Weeks,1984, 335" . (جـ) محاولة حكومة الصين الشيوعية التقليل من عدد المسلمين لتظهر ضآلة حجمهم في المجتمع الصيني ، ويتضح هذا من حقيقة إخفاء العدد الحقيقي حتى الآن . وعلى أساس النسبة السابقة ، كان المسلمون في الصين سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) وحسب التعداد الذي ذكر أن عدد سكان الصين بلغ ١٠٠٨ مليون نسمة كانوا ١ر١٧ مليون مسلم . وفي نسة ١٤١١هـ (١٩٩١م) ،

بلغ عدد سكـان الصين حوالي ١١٥٨ مليون نـسمة ، وبذلك يكون عـدد المسلمين حسب التقديرات الشيوعية سنة ١٤١١هـ حوالي ١٩٫٧ مليون نسمة. وهذا بعيد عن الحقيقة كل البعد "Euopa (B), 1993, vol. 1"

٤ - التقديرات الإسلامية "لعدد المسلمين الصينيين" :

أشار زعيم مسلم صيني يدعى عبدالرحمن ، كان قد زار القاهرة سنة ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م)، إلى أن عدد المسلـمين الصينيين حوالي ٣٤ مـليون نسمة وكـان بيتر فلـيمـنج "Peter Flemming" قـدر سكان الـصين سنـة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) ، بحوالي ٣٥٠ مليون نسمـة ، بينما قدر كتاب "Statesman's Year-Book" عدد سكان الصين في سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) حوالي ٤٢٦ مليون نسمة ، وحسب هذا التقـدير ، تكون نسبـة المسلمين بين سكـان الصين حسب تقـدير عبدالرحـمن هي (٧٪). وعلى أسـاس أن عدد سكـان الصين حوالـي ٣٥٠ مليـون نسمـة ، تكون النسبة ١٢٪ ، وقد اعـتمد معـظم الباحثـين المنلمين الرقـم ٤٨ مليون نسـمة في الأربعينات المـيلادية ، وعلى هذا الأساس ، قدر الـكتاني في كتابه "المـسلمون في المعسكر الشيوعي" عددهم في سنة ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م) بحوالي ٧٧ مليون نسمة ، أي ١٠٫٥٪ من جملة سكان الصين، واعتمد سيـد خليل شيستي نسية ١٢٪ لحصة المسلمـين ببن سكان الصين ، وقـد استبعـدنا التقـديرات الإسلاميـة المبالغ فيـها ، وكذلك التقديرات الغربية المبالغ فيها أيضاً من حيث الزيادة أو القلة .

نستخـلص من العرض السابق أن تقـدير (تيرسانت) لعدد المسـلمين في الصين بحوالي ٢٠ مليون نسـمة في الربع الأخير من القرن التاسع عشـر الميلادي ، يعتبر مقبولا ، رغـم أنه اتهـم بالمبالغة من جانب البعض ، ولقد بـنى تقديره على أساس دراسة اسـتمرت في الصـين لمدة ١٨ سنة . أما تقـدير (بروم هول) لعدد المـسلمين بحوالي ١٠ ملايين في سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) ، فيعـتبر بعيداً عن واقع المسلمين

العددي بالصين ، وإن كان قد نال قبولا عند البعض رغم ضعف مصادره .

ولقد استبعدنا تقدير سيد سليمان (مسلم صيني من مقاطعة يونان ، كان قد زار القاهرة في سنة ١٣١١هـ (١٨٩٤م) لعدد مسلمي الصين بحوالي ٧٠ ملبون نسمة للمبالغة، بينما تقدير عبدالرحمن ، المشار إليه سابقا ، لعدد المسلمين في الصين بحوالي ٣٤ مليون نسمة يقترب من الحقيقة ، ويتفق مع تقدير (تيرسان) السابق ذكره، والفرق الزمني بينهما حوالي ربع قرن وكذلك يقترب من تقدير كين "Keen" (٣٠ مليون مسلم) ، وهو معاصر في الزمن لكل من بروم وعبدالرحمن وفي الفترة نفسها قدر فليمنج "Flemming" سكان الصين بحوالي ٣٥٠ مليون نسمة ، وقدرهم كتاب "Statesman's Year-Book" بحوالي ٤٢٦ مليون نسمة كما أسلفنا، فإذا أحصينا نسبة المسلمين بين سكان الصين حسب تقدير فليمنج لسكان الصين ، نجدها حسب تقدير "بروم" ٨ر٢٪ ، وحسب تقدير كين ٥ر٨٪ وحسب تقدير عبدالرحمن ٧ر٩٪ بهذا نجد تقدير كين وعبدالرحمن متقاربان ، فإذا أخذنا متوسطهما نجده ٩٪ ، أي أن المسلمين الصينيين كانوا يمثلون حوالي ٩٪ من سكان الصين في تلك الفترة.

وعندما نُقارن تقدير "فليمنج" لسكان الصين وهو ٣٥٠ مليون نسمة سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) بنتيجة الإحصاء الرسمي الذي أجرته حكومة الصين في سنة ١٣٢٨هـ (١٩٥٣م) وكانت نتيجة ٥٨٦ مليونا ، فتكون الزيادة حوالي ٢٣٦ مليونا، وهذه الزيادة في مدة ٤١ سنة (الإحصاء تم سنة ١٣٧١هـ (١٩٥١م) ولم يعلن إلا آخر سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) ، وإحصاء سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) وهو ١٠٠٨ ملايين نسمة والمدة الزمنية بينهما ٢٩ سنة نجدها حوالي ٤٢٢ مليون نسمة ، وبذلك تكون نسبتها حوالي ٢ر٦٧٪ ، وهذا يشير إلى أن تقدير سكان الصين في سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) بحوالي ٣٥٠ مليون نسمة كان رقماً مقبولا إذا أدخلنا في

الحسبان الكوارث والحروب التي مرت بها الصين خلال تلك الفترة . كما لا نستبعد تقدير كتاب "Statesman's Year-Book" لسكان الصين بحوالي ٤٣٦ مليون سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) ، لأنه لا يتفق مع إحصاء سنة ١٣٧١هـ (١٩٥١م)، فلا يمكن أن يزيد سكان الصين خلال ٤١ سنة نحو ١٦٠ مليون نسمة أي بنسبة تقدر بحوالي ٣٧٫٥٪ .

وإذا تذكرنا أن تقدير عدد المسلمين الصينيين في الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن الميلادي بلغ حوالي ٤٨ مليون نسمة ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ، نجد أن نسبة المسلمين إلى سكان الصين ٤ر ١٠٪ وبمقارنة هذه النسبة بنسبة ٩٪ ، نجد إن الفارق بين النسبتين ليس كبيراً ، لهذا نخلص إلى أن نسبة المسلمين إلى سكان الصين تتراوح بين ٤ر١٠٪حد أقصى و ٩٪ كحد أدنى. والمتوسط بينهما ٧ر٩٪ . لذلك سوف نعتمد نسبة ١٠٪ في التعامل مع هذه المسألة وبذلك يكون عدد المسلمبن في سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) حوالي ٥٨ مليون نسمة. وفي إحصاء سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) يزيدون على ١٠٦ ملايين مسلم ، وفي سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) ، حيث وصل عدد سكان الصين إلى ١١٥٨ مليون نسمة ، فيقدر عدد المسلمين بحوالي ١١٥ مليون مسلم . وفي سنة ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) وصل عدد سكان الصين إلى حوالي ١٢٠٠ مليون نسمة ، وبذلك يتجاوز عددهم ١٢٠ مليون مسلم . ويلاحظ بصفة عامة ، أن هذه الأعداد لا تشمل المسلمين من أفراد القوات المسلحة .

• • • • • •

توزيع المسلمين

سبقت الإشارة إلى التقسيم الإداري بالصين الشعبية ، حيث تنقسم البلاد إلى ٢٢ مقاطعة ، ٥ أقاليم ذاتية الحكم و ٣ بلديات . وتنقسم المقاطعات إلى ٢٠٠ ولاية و ٢٠٠٠ محافظة . وضمن هذا التقسيم ، آقاليم وولايات ومحافظات ذاتية الحكم للمسلمين . وفيما يلي عرض لتوزيع المسلمين حسب مناطق الحكم الذاتي (شكل رقم ١٠) .

أولا : المسلمون الهوي :

تتمثل مناطق الحكم الذاتي للمسلمين الهوي فيما يلي :

١ - إقليم نينغشيا في شمال غربي الصين .

٢ - ولاية لينشيا في مقاطعة قانسو شمال غربي الصين .

٣ - محافظة تشانغجاتشوان في ولاية قانسو شمال غربي الصين .

٤ - ولاية تشانغجي بإقليم شينجيانج شمال غربي الصين .

٥ - محافظة ينتشي بإقليم شينجيانج شمال غربي الصين .

٦ - محافظة وينينج بمقاطعة قويتشو شرقي يونان جنوب غربي الصين وهي مخصصة للقوميات الثلاث : الهوي ، والويي ، والومياو .

٧ - محافظة دشانج في مقاطعة خبي شمال شريق الصين .

٨ - محافظة منغستوم في مقاطعة خبي شمال شرقي الصين .

٩ - ولاية فوشيان بمقاطعة لياوننج شمال شرقي الصين .

١٠ - محافظة هوالونغ بمقاطعة تشنغهاي شمال غربي الصين .

١١ - محافظة منيوان بمقاطعة تشنغهاي شمال غربي الصين .

١٢ - محافظة وشيان بمقاطعة يونان جنوب غربي الصين وهي مشتركة للهوي واليي

ثانيا : المسلمون الويغور :

تتمثل المنطقة المخصصة للحكم الذاتي للمسلمين الويغور في إقليم شينجيانج شمال غربي الصين .

ثالثا : المسلمون القازاك :

تتمثل المناطق المخصصة لحكمهم الذاتي فيما يلي :

١ - ولاية إيلي في شينجيانج شمال غربي الصين .

٢ - محافظة باركول في إقليم شينجيانج شمال غربي الصين .

٣ - محافظة مولى في إقليم شينجيانج شمال غربي الصين .

٤ - محافظة أكساي بمقاطعة قانسو شمال غربي الصين .

٥ - ولاية هايشي بمقاطعة شمال غربي الصين ، وهي مشتركة بينهم وبين التبتيون والمغول .

رابعا : المسلمون الدونغشيانج :

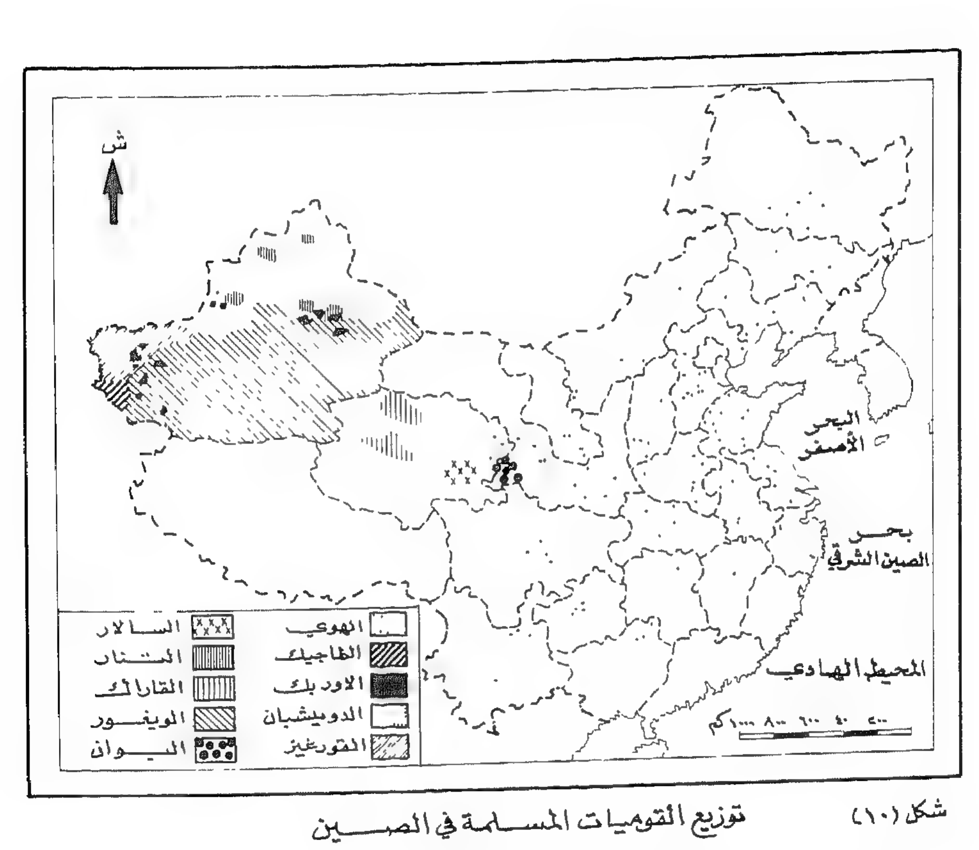
تتمثل المنطقة المخصصة لحكمهم الذاتي في محافظة دونغشيانج بمقاطعة قانسو، شمال غربي الصين .

خامسا : المسلمون القرغيز :

تتمثل منطقة حكمهم الذاتي في ولاية تميزيلسو بمقاطعة تشنغهاي ، شمال غربي الصين .

سادسا : المسلمون السالار :

تتمثل المنطقة المخصصة للحكم الذاتي للسالار في محافظة تشكورقان بإقليم شينجيانج ، شمال غربي الصين .



شكل (١٠) توزيع القوميات المسلمة في الصين

المصدر

William C Brice, An Historical Atlas of Islam, 1981

سابعا : المسلمون التاجيك :

وهم يتمتعون بسلطة الحكم الذاتي في محافظة تشكورقان بإقليم سُينجيانج ، شمال غربي الصبن .

ثامنا : ينتشر الأوزبك في مناطق متفرقة من إقليم شينجيانج ، وكذلك المسلمون من التتار ينتشرون في الإقليم نفسه ، أما الباروان ، فينتشرون في مقاطعة قانسو وكذلك مقاطعة تشنغهاي .

وهكذا يتضح أن معظم الأفليات المسلمة بالصين تتركز في الشمالي الغربي والجنوب الغربي ، والشمال الشرقي وجنوبي الصين . فحوالي ٨٠٪ من المسلمين يعيشون في ٤ مقاطعات هي : شنغهاي وقانسو وشنشي ويونان ، وفي إقليمين يتمتعان بحكم ذاتي هما : نينغشيا وشينجيانج .

* * * * * *

النشاط الاقتصادي والعادات

تختلف الأنشطة الاقتصادية من قومية إلى أخرى ، فلكل قومية عاداتها وتقاليدها التي تنعكس على أنشطتها الاقتصادية يضاف إلى هذا تحكم الظروف البيئية في إتاحة الفرص للنشاط الاقتصادي ، وكذلك التوزيع الجغرافي للأقليات المسلمة في الصين عبر مساحة شاسعة ، ووسط محيط بشري كبير . يضاف إلى هذا ، تدخل حكومة الصين في الأنشطة الاقتصادية ، ولهذا سوف تُستعرض هذه الأنشطة من خلال كل قومية مسلمة حسب الظروف المشار رليها .

١ - الويغور :

تحول الويغور من حياة البداوة إلى الزراعة بعد استقرارهم في إقليم التركستان الشرقية . وتوطنوا في الواحات وفي أحواض الأودية ، حيث تحضّروا وشقوا القنوات، فحوّلوا الصحراء إلى حقول زراعية ، وهم يزرعون الأرز والقمح والذرة والفول والقطن والكتان والتبغ وشمام هامي المشهور والبطيخ والكمثرى والعنب والتين. وقد اشتغل الويغور في الماضي بقوافل التجارة ، فطريق الحرير القديم يربطهم بالصين ووسط آسيا ، وحالياً لديهم بعض الصناعات ، وكان الويغور قبل الحكم الشيوعي يمتلكون المزارع والمصانع التقليدية الصغيرة ، ولكن بعد الحكم الشيوعي ، طبق نظام (الكميونات الزراعية) ، وهاجر إلى مناطق الويغور في التركستان الشرقية أعداد كبيرة من الصينين (الهان) وغيرهم ، مما أثّر في النسيج البشري بالمنطقة وبالتالي أثّر على العادات والتقاليد . (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٥١) "Weeks, 1984, 831"

ولقد غيّر الإسلام عادات وتقاليد الويغور ، فأصبحت متفقة مع تقاليد الإسلام في المأكل والملبس ، فطعامهم الرئيس من دقيق القمح والأرز . ومن طعامهم ما يعرف باليور ، وتقدم هذه الأكلة في الأعياد . وهم لا يأكلون لحم الخنزير المنتشر

في الصين ، كذلك لا يشربون المسكرات ، وتحتل الفاكهة مقاماً مهما في أكلاتهم أما المساكن ، فمعظمها مبني مـن اللَّبن والخشب ، وهي مسطحة السقوف ، ولكن في المناطق المطيـرة أو في مناطق تساقط الثلوح في الـشتاء تنحدر سقوفـها ولقد ظهر الأسلوب الإسـلامي في الفنون المعمـارية ، وانعكس على عمـارة المساجد ، وزخرفتهـا بالنقوش الجصية والخشـبية ، وهذا واضح في مسجد أيـتكار ، والمسجد الجامع في كوتسه ، كما انعكس أيضاً عـلى صناعة السجاد ، وعلى ملابس الرجال والنسـاء . وبعد استيـلاء الشيوعـيين على الحكم ، حاولـت الدولة تغييـر عادات وتقاليد الويغور الإسلامية بالقوة تحت ما يسمي "بالإصلاح" ،ولكنها فشلت (حي، د.ت ، ١٦٤).

٢ - الهـوي "الخـوي" :

يشكل الهوي أكبر قومية إسلاميـة في الصين من حيث العدد ، والصفة الغالبة على نشاطهم الاقتصادي تتمثل في الزراعـة، فلقد أسهم أبناء الهوي في استصلاح الأراضي ، وبناء مشروعات الري ، وإقامة السدود على الأنهار من قديم، فبنوا سد سونغهوا وسـد يوتشي ، كما ساهموا فـي تطهير مجاري الأنهار، بـل ساهموا في توفيـر الري لمساحة ١٣ ألف هكتـار ، ومدوا قنوات الري في مـقاطعة نينغـشيا ، ومعظم منتجـاتهم من الأرز والقمح والذرة والقطن ،كذلك ينـتجون عدة أنواع من الفاكـهة . وشيـد الهوي العديـد من الصناعات الـتقليديـة ، مثل صناعـة العطور والمجوهرات ، وكانت لهم شهرة عريضـــة في صناعـة المجوهرات وسيطروا على أسواقهـا في شنغهاي وبكين ونـانكين ، ولهم كتاب مشـهور في الوصفات الـطبية يتألف من ٣٦ مجـلداً ، منه ٤ أجزاء بجامع بكين . ومن بينهـم علماء في الطب والفلـك، فقـد اختـرع علمـاء الهوي آلـة ذات الحلق وآلة ذات الـسمت والمـزولة والاسطرلاب، واشرفوا على المراصد الفلكيـة في عهـد أسـرة (مينـغ) الحاكمـة،

ونقلوا كتب التقويم من العربية إلى الصينية ، بل من بينهم المعماري (إختيار الدين) الذي وصع تصميم مدينة دادو (بكين) . ووضعوا ونقلوا الكثير من الكتب الإسلامية،وكان منهم المَّلاح الصيني الشهير (تشنغ خه) ،الذي قام بسبع رحلات بحرية. ومعظم الهوي مثقفون ويعملون في المصانع والوظائف الحكومية وعلى علاقة طيبة بالقوميات الأخرى ، ويعمل العديد منهم في القطاعات المختلفة والتجارة (تشولينغ ، ١٩٨٨م ،١٢ ،١٣ ، ١٤) (هويدي، ١٩٨١م، ٦٣)

ويحافظ الهوي أو "الحوي" على العادات والتقاليد الإسلامية ، فلا يأكلون لحم الخنزير ، بل حرّموا على أنفسهم المناطق التي تربى فيها الجنازير والأدوات التي تستخدم في طهيها ، ولا يأكلون طعام المشركين ، ويدفنون موتاهم في مقابر إسلامية، ويحتفلون بالأعياد والمناسبات الإسلامية وتسمح لهم الدولة بالاحتفال بالعيدين ومولد الرسول ﷺ ، بل أعفتهم الدولة من قيود تحديد النسل ، ويتم الزواج باختيار الوالدين ، ويحترمون الآباء وكبار السن (توماس، ١٩٧٠م ، ٣٤١) "Weeks, 1984, 334, 335" وأثر الإسلام قوي في عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية والثقافية ويلتزم المسلم من الهوي بأركان الإسلام الخمسة ، وقد تحوَّل تحريم لحم الخنزير إلى عادة من عاداتهم . ويحتفلون إسلامياً بالزواج والولادة والجنائز ، ومعظم طعامهم من دقيق القمح ودقيق الأرز . ويلبسون طاقيَّة من ست قطع متساوية الاضلاع من القماس، وهي تشير إلى ستة عقائد: "الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره" . ومعظم مراكز الثقافة الإسلامية توجد في مناطق الهوي، ومن أبرزها لينشيا. والهوي نشطون في بناء المساجد والمؤسسات الإسلامية ولهم جهود في طباعة الكتب الإسلامية. (توشلينغ،١٩٨٨م،٢٣ , ٢٤) .

٣ - القـازاك :

ثالث قومية عرقية مسلمة من حيث العدد ، وهم يتبعون نظام العشائر البدوية، ولهذا تأثيره على حياتهم الاجتماعيـة والاقتصادية ولقد استمر القازاك عدة قرون يعتمـدون على الرعي كحرفة أولى ، ثـم أضيفت له الزراعة ، وارتبط بـهذا أيضاً الاقتصاد العائلي بالنسة لـلألبان والجلود والصوف . وفي ولاية ايلي وحدها (ذاتية الحكم لـلقازاك) ٩ ملايـين رأس من الماشيـة سنة ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م)، وأصبـحت هناك أنواع مشـهورة من الحيـوانات تنسـب إلى (إيلي)، مثل حصان إيلـي المشهور وخراف ارتاي وبقـر شينجيانج ، وهكـذا نجد للثروة الحيـوانية أثر كبيـر في حياة القازاك. ويمارس القـازاك الزراعة كحرفة مـساندة للرعي . كما دخلـت الصناعات الخفيفة إلى مناطق القازاك ولكن الصناعة تملكها الدولة ، وكذلك المزارع الجماعية . (تشولينغ ، ١٩٨٨م، ٦٩) .

ويعتبر النظام الأبوي مـسيطراً على التقاليد الاجتماعية ، ويـستخدمون القانون العرفي فيما بينهم ، والمساس بحرية أي شخص من العشيرة مساس بحقوق العشرية كلهـا. وعادة الزواج تكون بين عـشائر أخرى لا تشـترك في جَدٍ واحـد . وطعام القازاك معظمه من الحليب ، والحبـوب غذاء ثانوي عندهم . هم يقددون اللحوم ، والمشروب المفـضل ينمثل في الشاي المخـلوط بالحليب والملح . ويكرمـون الضيوف والغرباء. وترتبط ملابسهم بظروف البيئة وحياة الرعي ، ففي الشتاء يلبسون ملابس من فرو الغنم، وفـي الصيف يلبسون ملابـس فضفاضة . وتلبس المـرأة في الشتاء لباساً طويلاً فوقـه لباس محشو بالقطن ، وفي الصيف تلـبس ثياباً طويله مطرزة ، مندلية إلى العقب ومساكنهم في الربيع والـصيف خيام لُبادية يسهل حملها ، وفي الشتاء يسكنون بيوتاً من اللَّبن ، ويخرجون الزكاة من ثرونهم الحيوانية . (تشولينغ، ١٩٨٨م ، ٦٢) "Weeks, 1984, 92"

٤ - القرغيز والتاجيك :

يتبع القرغيز نظاماً عشائرياً ، فكل قبيلة تشمل عدة عشائر ويتبع النظام الأبوي في المجتمع ، ويتعاملون وفق نظام عـرفي ، وكل عشيرة تتكون من عدة (أيائل) ، أي عائلات تشـترك في علاقة الدم ، وكـان هذا تنظيم التاجـيك من قديم وهؤلاء يعيشون في بيئة جبلية يمارسون تربية المواشي في الأودية في هضاب البامير . ويربي القرغيـز والتاجيك بقر "ألـياك" طويل الشعر الذي يـتحمل برد البامـير ، وكذلك يربون بقر "بيـانيو" كما يروبون الأغنسام والإبل والخيول ، ويتجولون بحـيواناتهم على السفوح الجبلية في الربيع والصـيف . أما في الشتاء ، فيعودون إلى الأودية ، ويستـقرون في بيوت فـي القرى ويزرعون حـولها قطعـاً صغيرة بالـشعير والبـسلة والقمح والـبقول والبطاطـس والعديد من الفـاكهة . وأصبح الاقـتصاد مبـني على الرعي والزراعـة الخفيفـة، ومساكنهـم في موسم الرعي عـبارة عن خيام لُـبادية ، تناسب حـياة الانتقـال خلف المرعي. (تشـولينغ، ١٩٨٨م، ٧٥، ٨١) "Weeks, 1984, 405, 740"

والطعـام الرئيسي مـن اللحوم والألبـان عند القومـيتين ، ويتـخذون من الأرز والقمح طـعاما ثانويا . ويـلبس الرجال قمـصاناً فوقـها جبة طويـلة مفتوحـة عند الصدر، ولباس المرأة فـستان فضفاض وقلنسوة مطرزة . هـذا في الصيف ، أما في الشتاء ، فيلبسـون أنواعاً من الملابس الثقيلة المصنوعة من صـوف الغنم ، وللقرغيز أدبهم الـشعبي في شكـل ملاحم شـعرية قـصصـية ، تحـكي تاريخـهم وتسـمى "ماناس" ، ويحتفلون بالأعياد الدينية والقومية ، كما يحتفلون برأس السنة القمرية ، وعند اللقاء يبادر الصغير الكبير بالتحية .

٥ - الباوان والدونغشيانغ والسالار :

يرتكز اقـتصاد البـاون على زراعة القمـح والشعيـر ، ويمثلان أهم محـصولين

عندهم ، وكذلك الدونغشيانج زراع ، وأبرز محاصيلهم البطاطس والقمح والشعير والذرة والبفول والأعلاف والسمسم والفاكهة ، ويعيشون في بيئة متشابهة في جبال جيشي . وإلى جانب الزراعة والرعي ، لديهم حرف ثانوية مثل صناعة الفضيات عند البوان ، ومن أشهرها صناعة السكاكين البوانية المشهورة في أنحاء الصين ، ولدي الدونغشيانج صناعة مولدات الكهرباء وأدوات الزراعة ومواد البناء والصناعات نفسها عند السالار وكانت هذه الأنشطة الاقتصادية سائدة قبل الحكم الشيوعي ، والذي فرض نظام المزارع الجماعية ، والاقتصاد الموجه . "Weeks, 1984, 168 - 238 - 653"

وترك الدين الإسلامي أثاراً واضحة عند هذه القوميات الثلاث في النواحي الاقتصادية والاجتماعية، فهم يحتفلون بالأعياد الإسلامية، ويحافظون على تأدية الصلاة، ولا يأكلون لحم الخنزير بل لا يأكلون طعام المشركين (الهان)، وأكلهم من القمح والشعير والأرز والحنطة السوداء، ومساكنهم من اللبن والخشب، ويرتبط أهل القرى بعلاقة الدم، ويلبس الرجال من قومية الدونغشيانج الجلباب المفتوح من الجانب والحذاء الطويل، ويعلقون على أحزمنهم الخناجر. أما النساء فيلبسن فساتين مطرزة بالزخارف ويستخدمن أغطية للرأس (برنس) تصل إلى الخصر. (تشولينغ، ١٩٨٨م، ١٠٨، ١٠٩) .

٦ - الأوزبك والتتار :

وصلوا إلى شنجيانج (التركستان الشرقية) مع حركة التجارة، ونقلها من الصين إلى آسيا الوسطى، ولعبوا دوراً مهما في تطوير الاقتصاد في شنجيانج، وأقاموا في معظم مدنها. وقد بنى اقتصادهم أول الأمر على التجارة الداخلية والخارجية، وبعد أن ضعفت حركة التجارة بين الصين وآسيا الوسطى، تحوَّلوا إلى الزراعة، ومارسوا حرفاً أخرى، مثل الرعي ونسج الحرير والتطريز والتجارة في المدن،

وأسسوا بعض الصناعات التكميليـــة مثل دباغـــة الجلود ، وصناعة الصوف، وكان هذا قبل الحكم الشيوعي. (تشولينغ، ١٩٨٨م، ٨٨ , ٩٠) "Weeks, 1984, 653"

وهم لا يأكلون لحم الخنزير ، ولا يقربون الخـمر ، وطعامهم الرئيس من الأرز ودقيق القـمح واللحم ، وطعام المنسف خـير الأطعمه لديهم . يـرتدي الرجال من الأوزبك طواقي مطـرزة من المَخْمَل ، وترتدي المـرآة طاقية مطرزة بـألوان زاهية ، وتلف عنقها بمنديل . ويلبس الرجل قمـيصاً فوقه رداء طويل يصل إلى الركبتين ، وتلبس المرأة فسـتاناً فضفاضاً مـتعدد الطيَّات ، دون حزام في الـصيف ، والأحذية طويلـة سواء عند الرجـل أو المرأة ويلبس الرجـل من التتـار قميـصاً مخـرم من الأمام، وفوقه صدرة قصيرة سوداء ، وسـروال طويل أسود . وكانت مساكنهم من اللبن ، مسقوفة بالخشب ، سميكة الجدران . (شتولينغ ، ١٩٨٨م ، ٩٤)

وبصفـة عامة ، يعـمل معظم المسلـمين الصينيـين في حرفتي الزراعـة والرعي (٨٠٪) ، وأكثر من (١٠٪) يعملون في التجارة والصناعة ، و (١٠٪) يعملون في الحرف التخصيصية . "A. Theological Library, vol. 3, no. 2, 1981"

● ● ● ● ● ●

التعليم الإسلامي

تلعب الظروف العرقية في الصين دوراً مهماً في التعليم الدني ، فالدولة حالياً تعامل الأقليات على أسس قومية أكثر من معاملتها دينياً ، ولهذا يقوم التعليم الإسلامي في الصين على الجهود الذاتية . وقديماً مر التعاليم الإسلامي في الصين بمراحل من الازدهار في بعض العصور ، ومراحل أخرى من الاضمحلال والكبت والمسخ ، بل والإبادة ، كما حدث بعد إعلان ما سمي بالثورة الثقافية عام ١٩٦٦م. ومن مراحل الازدهار ، تلك المرحلة التي تلت إعلان النظام الجهوري عام ١٩١٢م، خصوصاً في الفترة بين سنتي (١٣٤٤هـ - ١٣٥٩هـ / ١٩٢٥م - ١٩٤٠م). "Esopsıto, 1995, vol. 1, 450"

وإذا تتبعنا تطور التعليم الإسلامي في الصين قديماً ، نجد أن تدريس الدين والعلوم الإسلامية نشأ وتطوّر في المساجد منذ أمد بعيد . ففي أواخر حكم أسرة مينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤م) ، وأوائل حكم أسرة تشنيغ (١٦٤٤ - ١٩١١م) ، حيث اتبع نظام الأحياء الدينية . ووضع مشاهير العلماء المسلمين كتباً باللغة الصينية تسمى بالكتب الإسلامية الكلاسيكية القديمة ، وبدأ الأئمة يدرسون تلاميذهم هذه الكتب في المساجد . وكنتيجة لهذه الكتب الإسلامية التي وضعت باللغة الصينية ، هبت حماسة بالغة لدراسة تعاليم الإسلام ، وكان هناك عدد كبير من علماء المسلمين الصينيين يعرفون اللغة العربية واللغة الفارسية ، ويستوعبون القرآن الكريم والحدبث الشريف. ومن أبرز علماء المسلمين في الصين في هذه الفترة "خوونغ تشو" ، الذي لقب بأستاد الاساتذة ، فلقد ألحقت المدارس بالمساجد وأدخل التعليم الديني ضمن مسؤولية الأئمة . كما كان التعليم الإسلامي متطوراً في كثير من مدن الصين مثل ديداو "لينتاو" ، وخنشو (لينشيا" ، وصارت الأخيرة مركزاً للنشاط العلمي الإسلامي، بسبب تمركز المسلمين فيها ، ووصول الدعاة المسلمين إليها .

وتمتعت مدينة ختشو بسمعة عالمية عريضة . (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ١٧ ، ١٧)

وبخصوص لغة التعليم ، هناك لغتان (١) لغة البلاد الرسمية وهي اللغة الصينية (٢) لغة أخرى هي خليط من العربية والفارسية . كما توجد كتب كثيرة يستخدمها المسلمون في تعليم أولادهم وقد تكون مصحوبة بترجمة صينية ، أو غير مصحوبة. وهناك مصنفات ذات طابع تعليمي حصلت بعثة "دولون" على ٣٦ مصنفاً منها، كما حصل "بروم هول" على ٣ مصنفات . (الشنتناوي ، ١٩٣٣م ، جـ١٥، ١٨) ، (هريدي ، ١٩٨١م ، ٨٢) .

وبعد المرحلة السابقة، تطور التعليم الإسلامي عند قومية الهوي المسلمة شكلاً ومضموناً. فلقد وضع العالم"هونغ شون" نظاماً لتدريس العلوم الإسلامية في المساجد (١٥٢٢ - ١٥٩٧م)، وتم تطوير هذا النظام أيضاً حيث تبنى هذا النظام العالم "وانغ هاو ران" في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين الميلاديين، ولتحقيق هذه الغاية، أسِّس مدرسة اللغة العربية للمعلمين في مسجد نيوجيه في بكين، هذا بعد عودته من الحج. وإلى جانب العلوم الدينية، كانت تدرس اللغة العربية، ثم أعقب ذلك تأسيس مدارس ابتدائية إسلامية في بكين. وانتشرت مدارس هذا النمط حتى شملت ٤٠٠ مدرسة ابتدائية في أنحاء الصين، وإتبعت منهجاً جديداً، فإلي جانب علوم الدين الإسلامي ، كانت تدرس اللغة الصينية، وعلوم التاريخ والجغرافيا والحساب وغيرها. ولكي يحقق أبناء قومية الهوي هذه الغاية، تم إنشاء عدد من مدارس إعداد المعلمين، منها مدرسة "تشنغدو" في شنغهاي، ومدرسة "وانشيان" في مقاطعة سيشوان ووزونج، وقد أرسل بعض خريجي هذه المدارس إلى الأزهر ، وكان من بينهم عبدالرحمن ناجون ومحمد مكين وناشيون . وهكذا أصبح هناك نظامان من التعليم الإسلامي، أولهما يتبع نظام تحفيظ القرآن الكريم والحديث الشريف في المساجد لصغر التلاميذ،

وثانيهـما يتمـثل في مدارس إعداد الأئمـة والمعلمين. (تسـوليع. ١٩٨٨م، ٢ . ٢١)، (بناء الصين ، ١٩٨٣م، ١١٢) .

يقوم التعـليم الإسلامي على الجهود الـذاتية للمسلمين في إنشاء المدارس التي تخدم ثلاث مراحل ، (١) مرحلة إبتدائية يقتصـر التعليم فيها على المدارس القرآنية الملحقة بالمساجـد ، يحفظ فيها التلاميذ قصار السـور من القرآن الكريم ، ومبادىء اللغة العربيـة. (٢) مرحلة متوسطة يدرس الطلاب بعض العلـوم الإسلامية ، مثل التفـسير والحديث. (٣) مـرحلة عالية يدرس فـيها الطلاب علوم الـفقه والتفـسير والتوحيـد وبعض العلوم الأخرى ، وهدفهـا تخريج دعاة وأئمة . ويصـعب حصر المدارس الإبتدائية لأنها منتشرة في معـظم المساجد وكذلك وضع المرحلة المتوسطة ، أما المعاهد ومدارس إعداد المعلمين المسلمـين وتخريج الأئمة فهي عديدة وتشرف الجمعية الإسـلامية بالصين على سبعة مـعاهد موزعة في بكين وشنغهاي ونـينغشيا ولاتزهو، وإلى جانبها معهد في مقاطعة تشنغهاي وشنينغ ويونان. كما تأسس مركز ثقافي إسـلامي حديث في مدينة يـنتشوان، حيث أكبـر تجمع إسلامي في مـقاطعة قانسـو، ويضم المركز مسجـداً جامعاً ومـعهداً للعلوم الإسـلامي ومكتبة إسـلامية ومتحفاً إسلاميـاً. وتقـدر مساحته بحوالـي ٦٠ ألف متر مربع. وفي الماضي، كان بالصين -خصوصاً في التركستان الشرقـية "تشنجيانج" - معاهد إسلامية في كل من كاشـغر وقانسـو وبكين. (بكر، ٩١٨٨م، ١١٥ - ١١٨) ، (تسـولينغ، ١٩٨٨م، ٣٠)

الكتب الإسلامية :

ظهرت كتـب إسلامية مترجـمة إلى اللغة الصـينية في أواخر حكم أسـرة مينغ (١٣٦٨ - ١٤٦٦م) ، منـها تفـسير حـقائـق دين الإسلام ، وكـتب فـي الفقـه الإسلامي، ومنها جامع تعاليم الإسلام ، ومنها الشريعة الإسلامية وسيرة النبي عليه

الصلاة والسلام (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٣٠) . ولقد برز العديد من العلماء في مقاطعة يونان منهم ماذهو ومنهم ما ديشنغ ومالانيوان . ومن أبرز الشخصيات الإسلامية في هذه المرحلة، العالم "وانغ جينغ تشاي"، الذي أصدر مجلة نور الإسلام وترجم معاني القرآن، وأصدر القاموس العربي الصيني، وترجم كتاب العمدة أحد كتب الفقه المنتشرة في الصين. ويعتبر العالم "محمد تواضع" أول من جلب حروف الطباعة العربية إلى الصين، وترجم إلى الصينية كتاب تاريخ التشريع الإسلامي، وكتاب رسالة الإسلام في الصين. ومن الذين أثروا حركة الترجمة للكتب الإسلامية في الصين، العالم "ماليانغ غيون"، والعالم "محمد مكين"، والذي عمل استاذاً بجامعة بكين، ومن مؤلفاته: موجز شرح القرآن الكريم، ورسالة التوحيد، وحقيقة دين الإسلام، وسيف محمد عليه الصلاة والسلام. (هويدي، ١٩٨١م، ١٢٨، ١٢٩)

المدارس الإسلامية قبل الحكم الشيوعي :

مدرسة دار المعلمين تشندا كانت في بكين ، ولها تاريخ حافل في التعليم الإسلامي، ثم المدرسة الإسلامية بشنغهاي ، ثم مدرسة تيهوا التانوية بشنغهاي ، ثم مدرسة شمال الصين الغربي ببكين ، ثم كلية موشن بهانغ تشو ، ثم دار المعلمين بمدنية نينج هشيا ، ثم مدرسة الهلال للبنات في بكين . وكانت أبرز المدارس سالفة الذكر دار المعلمين، وأصبحت هذه المدرسة أحد فروع معهد الصين الإسلامي بعد إستيلاء الشيوعيين على الحكم. (حي ، د.ت ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤)

ولقد أغلقت المعاهد والمدارس الإسلامية أثناء "الثورة الثقافية" وشمل هذا المساجد والأنشطة الإسلامية ، وزُج بعلماء الدين في السجون ، وأحرقت الكتب الدينية . وبعد انتهاء هذه الفترة ، بدأت الاوضاع في التحسن ، فأعيد فتح بعض

المساجد ، وظهر اتصال بين المسلمين الصيين والعالم الخارجي في الأوبة الأخيرة ، فسمحت الدولة بزيارة بعض الوفود الإسلامية للصين . ففي سنة ١٩٨٣م ، زار الصين وفد من رابطة العالم الإسلامي ، وهيئة الإغاثة الإسلامية ، وكذلك تمت زيارة أخرى في سنة ١٩٨٩م ، وذلك للتعرف على أحوال المسلمين الصينيين . كما زارها وفد من منظمة المؤتمر الإسلامي ، ووفود أخرى من بعض الدول الإسلامية . كذلك أرسلت الجمعية الإسلامية الصينية وفوداً لزيارة بعض الدول الإسلامية ، ونتيجة لتحسن أوضاع المسلمين في الصين ، يعقد ملتقى إسلامي سوى في المقاطعات الخمس شمال غربي الصين منذ سنة ١٩٨٠م . ولقد عقد الملتقى الإسلامي للدعوة في مدينة بكين في سنة ١٩٨٨م ، ويعتبر عقد مثل هذا المؤتمر حدثا مهما في الصين منذ سيطرة الشيوعيين على الحكم . (تتسولينغ ، ١٩٨٨م ، ٥) .

● ● ● ● ● ●

الجمعيات الإسلامية والمساجد

أولا : الجمعيات الإسلامية :

تعتمد على الجهود الذاتية للمسلمين ، شأنها في ذلك شأن المساجد والمدارس والمطبوعات الإسلامية ، وفيما يلي نماذج منها :

١ - **جمعية التقدم الإسلامي** : كانت من أبرز الجميعات الإسلامية في الصين، وكان مقرها في بكين ، ونشطت هذه الجمعية في بث تعاليم الإسلام ، حيث بلغ عدد فروعها حوالي ٣٠٠ فرع ، تأسست سنة ١٩١٢م .

٢ - **الجمعية الاتحادية لعموم الصين** : أنشئت إبان الغزو الياباني للصين ، لذا نالت تأييد السلطات الصينية ، ولهذا عملت اليابان أثناء غزوها للصين على إيجاد تنظيم مضاد ، فكوّنت اتحاد المسلمين الصينيين . ولقد نشطت هذه الهيئات الإسلامية في توثيق صلة المسلمين الصينيين بالعالم الإسلامي وقد حلت هذه الجمعية.

٣ - **جمعية الآداب الإسلامية بالصين** : أنشئت على يد الحاج هلال الدين في سنة ١٩٢٥م ، وكان مركزها في شنغهاي ، والحاج هلال من أشهر علماء المسلمين بالصين ، تلقى تعليمه بالأزهر ،زار عدة بلاد إسلامية ، وكان يجيد اللغتين العربية والأردية . وسعت هذه الجمعية إلى تبسيط فهم العقيدة الإسلامية والنهوض بالتعليم الإسلامي ، ومساندة الأعمال الخيرية ، وترجمة معاني القرآن الكريم ، وأصدرت مجلة شهرية،كما خصصت بعض المنح الدراسية للطلاب المسلمين للدراسة في البلدان الإسلامية،وأنشأت عدة مراكز تعليمية بالصين.(حي ، د.ت ، ١١١ ، ١١٢)

٤ - **جمعية الصين الإسلامية** : كوّنها الجنرال عمر باي تشونغ أحد قادة

الجيش الصيني الكبار لإنقاذ الوطن في سنة ١٩٣٨م، وذلك لمحاربة الاحتلال الياباني عملا ودعاية . وكان لها مركز في مدينة (تشونج كنج) ، ثم نُقل مقرها إلى بانكين، بعد الانتصار على اليابان . وكان للجمعية ٣٣ مركزاً في المقاطعات، و٤٠٠ فرع في النواحي، وحوالي ٩٠٠ مكتب محلي في جميع أنحاء الصين، وانتقل مركزها بعد سنة ١٩٤٩م إلى تايبيه بتايوان. (حي، د.ت، ١٣٦) .

٥ - **الجمعية الإسلامية في الصين** : هيئة شكلتها الدولة ، تأسست في سنة (١٩٥٣م) في عهد "ماو" ومقرها في بكين ، وتقوم ببعض الأعمال الإسلامية، وتعتبر جمعية شبه حكومية ولها فروع محلية في عدة مناطق بالصين وقد أصدرت عدة مجلات، منها مجلة المنبه الإسلامي في يونان، ومجلة نضارة الهلال في بكين ومجلة العلوم الإسلامية في كانتون ، وصدرت هذه المجلات في عهد الجمهورية قبل الحكم الشيوعي . (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٤)

ثانيا : المساجد :

شيَّد المسلمون منذ أن استقر الرواد الأوائل منهم بالصين المساجد ، وأصبح المسجد مصدر إشعاع للأنشطة الدينية في المجتمع الإسلامي الصيني . وهناك العديد من المساجد العريقة التي بنيت منذ أن ظهر المجتمع الإسلامي بالصين ، منها مسجد الذكرى النبوية في مدينة تشنغتشوا حاضرة مقاطعة خنان ، وكذلك مسجد كايفنغ الذي بني في عهد دولة تانغ (٦١٨م - ٩٠٧م) ، ومسجد التوعية في شيان (وهو لا يزال بحالة جيدة ومساحته ١٣ ألف متر مربع ، وعمره أكثر من ١٢ قرنا ، وشيان هذه هي إحدى عواصم الصين القديمة) ومسجد (تشيننغ جينغ) ، أي المسجد الطاهر في مدينة الزيتون ، يقال إنه بني في سنة ١٠١٠م ، وأعيد إصلاحه سنة ١٣١٠م ، ومسجد العنقاء هانغ تسو ، ومسجد دونفقوان في مدينة شينيغ حاضرة مقاطعة تشنغهاي . ومن أكبر المساجد ، مسجد أيتكار في شنجيانج

(التركستان الشرقية) . (الشنتناوي، ١٩٣٣م ، جـ١٤ ، ٤٩٦، تشولينغ ، ١٩٨٨م، ١٤ ، هويدي ، ١٩٨١م، ٢٠٥) .

ولما كان للمسجد أهمية كبرى في حياة المسلمين الصينيين الدينية والاجتماعية والسياسية ، لذا وضع المسلمون للمساجد نظاماً إدارياً ، في أواخر حكم دولة مينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤م) وأوائل حكم دولة تشنغ . ويسمى هذا النظام (التوالي الثلاثي). فلكل مسجد ٣ من المسلمين يتولون شؤونه ، الأول الإمام أو الخطيب ويسمي (أنونغ)، والثاني مقيم الشعائر وينوب عن الإمام في غيابه ويسمى (أهونغ الثاني) ، والثالث المؤذن وتختلف تسميته باختلاف الأقاليم . أما القاضي ، فيشرف على الشؤون المدنية. وهناك مشرف على التعليم الإسلامي يتم تعيينه بالانتخاب ، وهو يشرف على ترميم المساجد وإصلاحاتها . (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ١٦ ، ١٧).

وقد جاء في الكتاب الحكومي الإحصائي الذي صدر في عهد حكم الجمهوريين سنة ١٩٣٦م ، أن عدد المساجد ٤٢٣٧١ مسجداً موزعة على مقاطعات الصين . والمقاطعات الشمالية الشرقية الثلاث ٦٥٧٠ مسجداً ، وفي مقاطعة يونان ٣٩٧١ مسجداً ، ومقاطعة قانسو ٣٨٩١ مسجداً ، ومقاطعة هيوبه ٢٩٤٢ مسجداً، ومقاطعة هونان ٢٧٠٣ مسجد ، وشنشي ٢٦١٧ مسجداً ، وشاندونج ٢٥١٣ مسجداً، وسشوان ٢٢٧٥ مسجداً ، وتسنجيانج ٢٠٤٥ مسجداً، وشانشي ١٩٣٠ مسجداً ، وأنهوي ١٥١٥ مسجداً ، وقيانسو ١٣٠٣ مسجد، وهيونان ٩٣٢ مسجداً ، والباقي موزع على المقاطعات الأخرى.
"A. Theological Libraru, vol , no. 2 , 1979& vol., 2, no. 1 , 1980"

وهكذا يتضح أن عدد المساجد بلغ رقماً قياسياً لم يبلغه في عهد الحكم الشيوعي، حيث تعطلت الشعائر الدينية ثم أعيد فتح المساجد بعد انتهاد ما يسمي بالثورة الثقافية ، ومع ذلك لم يصل عددها إلى ما وصلت إليه فبل الحكم

الشيوعي، حيث كان عددها حوالي ٢٣ ألف مسجد ، وأصبح العامر منها يقدر بحوالي ٧٠٠٠ مسجد . (بكر ، ١٩٨٨م ، ١٢) .

الأوقاف الإسلامية :

كان ينفق على المساجد من الأوقاف التي أوقفها أغنياء المسلمين عبر مختلف الأزمنة . حيث أوقفوا عليها العقارات والبيوت والمزارع . ويصرف من ريع تلك الأوقاف على المساجد والمدارس الإسلامية ، يعيش من ريعها الطلاب فلما استولى الشيوعيون على الحكم ، تمت مصادرة الأموال الخاصة والعامة بما في ذلك أوقاف المساجد ، وأدى هذا إلى تشريد الطلاب والمدرسين والقائمين على المساجد سعيا وراء الرزق ، والحالات المماثلة عديدة (حي ، د.ت ، ١٦٦ ، ١٦٧) .

دور المساجد في حياة المسلمين الصينيين :

للمساجد دورها المهم في حياة المسلمين في الصين ، فالأمر لا يقتصر على تأدية الصلاة ، وإنما يتجاوزها إلى إبرام عقود الزواج ، وإصدار وثائق الطلاق ، وتجهيز موتى المسلمين والصلاة عليهم ، والتعرف على أحوال المسملين الاجتماعية ومشاكلهم وحلها ، والتوفيق بين أفراد الأسر ، واصدار الفتاوى التربيعية ، وإلى جانب هذا الإشراف على تعليم أبناء المسلمين دينياً . وهذه الرسالة تؤدى في ظروف قاسية، وتعتمد على الجهود الذاتية للمسلمين .

● ● ● ● ● ●

التحديات والمطالب

رغم أن المسلمين ساهموا بجهد كبير في تـنمية الاقتصاد الصيني برواج التجارة الخارجـية والداخليـة من خلال التجـارة عبر البـحار، والتجـارة عبر طريـق الحرير القديم، وكذلك مساهماتهم في ترويض الأنهار وإقامة السدود ومشروعات الري في الصـحاري الجافـة. وكذلك مسـاهماتهـم العلميـة في الفلك والـطب، والأدوية، وجهودهم في حركة الترجمة التـي أثرت التراث الصيني، رغم هذه المساهمات، لم يسلم المسلمون من بطش السلطات الصينية في عصور مختلفة. ويمكن إعطاء بعض الأمثلة كالتالي:

١ - التحديات في عهد الأباطرة:

في فترة حكم أباطرة المانشو (دولة شينغ) عبر ما يزيد على ثلاثة قرون، وقعت اضطرابات عديدة راح ضـحيتها مئات الآلاف من المسلـمين ، واندلعت اضطرابات ومظاهرات للمسـلمين في شمال غربي الصين في سـنة ١٠١٩م . أما أبرز الثورات التي قام بها المسلمون لمقاومة ظلم دولة شينغ، فوقعت في مقاطعتي قانسوو شانشي سنة ١٦٤٦م ، وفي سنة ١٧٨١م ، تجـددت ثورات المسلمين في لانشو وشيـفانباو ومقاطـعات قانسو ودويـنغشيا وتشـنغهاي . وتجددت الأحـداث في سنة ١٧٨٣م. وحدثـت مذبحـة شيفـانباو ، حـيث قتل الـقائد الصـيني "لي تزي يـسو" آلاف المسلمـين. وتكررت الأحداث مرة أخـرى في قانسـو سنة ١٨٢٠م. وفي مقـاطعة يونان، وقـعت أحداث مماثلة استـمرت ٢٧ سنـة وحدثـت خـلالها ثلاث مـذابح للمسلمين في السنوات ١٨٣٩م ، ١٨٤٧م . وفـي أثناء هذه المدة ، تشكلت مملكة إسلامية في ويونان بين سنتـي ١٨٥٥م ، ١٨٧٣م . ووقعت معظم هذه المذابح في تاليـفو في يونـان. (الشنتاوي، ١٩٣٣م، جـ١٤، ٤٦٩، و جـ١٥، ١٤، حي، د.ت ، ٦٧ - ٦٨ - ٧٠) "A. Theological, Library, vol. 3, no. 2, 1981"

ولقد قاست منطقة التركستان الشرقية (شينجيانج) الكثير من الاصطهاد في عهد دولة شينغ (المانشو) ، فقامت انتفاضة الخوجات الإسلامية ضد الاحتلال الصيني، ولم تستطع الصين اخمادها إلا في سة ١٧٥٥م ، ولم يستقر الاحتلال الصيني في التركستان الشرقية (شينجيانج). فبذل "مخدوم زاده" محاولات للاستقلال بالتركستان بين سنتي ١٨١٧ - ١٨٦١م، واستعرقت هذه الأحداث مدة طويلة ضد الاحتلال الصيني للإقليم، وتلى ذلك مقاومة يعقوب بك ، واستقلاله بالتركستان الشرقية بين سنني ١٨٦٥م و ١٨٧٧م، ثم أصبحت التركستان الشرقية تحت الحكم الصيني المباشر بعد سقوط حكومة يعقوب بك . (حي ، د.ب ، ٧٣).

٢ - في عهد الحكم الجمهوري :

بعد انتهاء حكم المنشوريين ، جاء حكم جديد بزعامة سون يات سن "Sun Yat Sen" . ورغم الهدوء النسبي الذي ساد الأوساط الإسلامية في معظم أنحاء الصين ، إلا أن التركستان الشرقية لم تنعم بهذا الهدوء ، فوقعت عدة انتفاضات في مناطق عديدة من التركستان التىرقية . وحاولت التركستان الاستقلال بزعامة خوجه نياز سنة ١٩٣٨م، حيث أسس جمهورية التركستان الشرقية الإسلامية، وقُضى عليها بالتعاون الصيني الروسي. وتلى ذلك انتفاضة أخرى بقيادة عبدالله نياز سنة ١٩٣٧م، ثم انتفاضة أخرى بقيادة عثمان باتور ، وأعلن قيام جمهورية التركستان الشرقية وقضت عليها الصبن سنة ١٩٤٩م . ورغم هذا ، تعتبر فترة الحكم الجمهوري في الصين أفضل من فترة حكم المنشوريين بالنسبة للمسلمين ، بل ربما أفضل فترات الحكومات الصينية. ولقد أعلن مؤسس الحكم الجمهوري (سون يات سن) أن المسلمين شعب من الشعوب الخمسة التي تشكل الأمة الصينية ، ورمز لهم بنجمة من النجوم الخمسة التي تشكل علم الصين، إلا أن الأمر لم يخل من

بعض الانتفاضــات، فلقد أعلن القازاك تكوين جـمهورية شرق التركســتان في سنة ١٩٤٢م ، ولـم تستمر غير سنة واحدة (حي ، د.ت ، ١٢٥، محمد، ١٩٥٧م، ٢٥ - ٢٦) .

٣ - في عهد الشيوعيين :

في عهـد الحكم الشيـوعي ، عادت أحوال المسلـمين مرة ثانية إلـى التردي ، وهجَّرت الحـكومة أعداداً كـبيرة مـن الهان والعنـاصر الأخرى إلى الـتركســتان ، فانخفضت نســبة المسلمين من ٩٠٪ إلى أقل من ٦٥٪ وما تزال الهجرة مستمرة . فلقد تم وضع خطة لتهـجير ٥ ملايين صيني إلى التركستان الشـرقية (شنجيانج) . كذلك أخذت سياسة تهجير الصينيين من البـوذيين إلى إقليم نينغشيا لتحد من نسبة المسلمين ، وترمـي الخطة إلى تهجير أكـثر من مليون صينـي حتى عام ٢٠٠٢م . ومرت أسوأ فترة على المسلمين أثناء التورة الثقافية ، وبعدها ساد هدوء نسبي ولكن الأمر لـم يخل من بـعض المظاهـرات والانتفـاضات . فـفي سنـة ١٩٨٦م . قام المسلمون بمظاهرات في أورومشي في شنجيانج بسبب زيادرة هجرة الهان ، وحدثت مظاهرات فـي نواحٍ متفـرقة من الصين ضـد الكتب التـي تهاجم الإسـلام في سنة ١٩٨٩م ، وفـي سنـة ١٩٩٣م . وفي ابـريل ١٩٩٦م ، حـدثـت مظـاهرات فـي التركستان الشرقية "شنجيانج" ، حيث تظـاهر الويغور ضد سياسة التهجير مطالبين باستقلال التركـستان، وقبضت السلطات الصينيـة على (٥٠٠٠) من اليغور . وفي سبتـمبر ١٩٩٦م ، تم القبض على (١٨٠) من عـلماء الدين . ولكن بصفـة عامة أحوال المـسلمين في الـوقت الراهن أفـضل من تلك الـتي كانت فـي عهد الـثورة الثـقـافـية. (الـب ، ١٩٧٨م ، ٢ ، العـالم الإسـلامي ، مـحـرم ، ١٤١٧هـ) . "Esposito, 1995, vol. 2, 277"

وعمومـا فإن تحسين حال المسلمـين في الصين في الوقت الحاضـر يتطلب دعـم

الدول الإسلامية في جوانب كثيرة أهمها :

١ - توفير منح دراسية للطلاب تتمثل فيها مناطق المسلمين في الصين .

٢ - وضع خطة دراسية لمنهج علمي مبني على احتياجات المسلمين الصينيين ، والعناية بالتعليم الإسلامي والتعليم المهني .

٣ - القيام بمسح شامل للمساجد في الصين بهدف إعمار ما تمَّ تخريبه .

٤ - الاهتمام بنشر الكتب الإسلامية مع ترجمتها للغات المحلية أو لغة الصين الرسمية والعناية بتعليم اللغة العربية .

٥ - تنظيم قطاع الدعوة الإسلامية وتدعيمه بالدعاة الذين يجيدون اللغة الصينية وإنشاء معاهد للدعاة داخل الصين لخدمة التوعية الإسلامية .

٦ - إجراء مصالحة وتوفيق بين الجماعات المتناحرة .

٧ - دعم صلات المسلمين بالعالم الإسلامي ، خصوصاً بالهيئات والمنظمات الإسلامية العالمية .

٨ - الدعم المادي والثقافي للمسلمين داخل الصين .

● ● ● ● ● ●

٣ - الأقلية المسلمة في الفيلبين

مدخل إلى جغرافية الفيليبين

الملامح العامة:

تعتبر الفيليبين أرخبيلا يتكوّن من حوالي ٧١٠٠ جزيرة، يقع بين دائرتي عرض ٥ْ - ٢١ْ شمالا ، وخطي طول ١٢٦ْ - ٤٥ْ ١٢٦ْ شرقا ، وتمتد جزرها حوالي (١٨٥٠كم) من الجنوب إلى الشمال ، وحوالي (١١٢٥كم) من الغرب إلى الشرق يلفها المحيط الهادي والبحار المتفرعة منه . ففي شرقها المحيط الهادي وفي جنوبها بحر سليبس ، وفي جنوبها الغربي بحر سولو ، وفي غربها بحر الصين الجنوبي (شكل رقم ١١). وتبلغ المساحة الإجمالية لجزر الفيلبين ٣٠٠ر٣٠٠ كيلو متر مربع، وقد أطلق الأسبان عليها هذا الاسم نسبة إلى ملك أسبانيا فيليب الثاني، وأطلقت بعثة ماجلان على السكان "المور" ، ثم أصبحت الجزر مستعمرة أسبانية سنة ١٥٧٢م، وكانت تدار من المكسيك تحت مسمى أسبانيا الجديدة ، وحلت محلها الولايات المتحدة سنة ١٨٩٨م ، حتى استقلت سنة ١٩٤٦م "Philip, 1991, vol. 9, 382" "World Mark Pres, 1984, 288" .

بلغ عدد سكانها في تعداد سنة ١٩٩٠م ٠٠٠ر٥٠٠ر٦٠ نسمة، وفي تقديرات سنة ١٩٩٤م حوالي ٦٧ مليون نسمة. والعاصمة ما نيلا، وعدد سكانها في سنة ١٩٩٠م حوالي ٠٠٠ر٦٠٠ر١ نسمة. وأكبر مدنها كويزون ٠٠٠ر٦٦٠ر١ نسمة.

وتنقسم الفيلبن إلى ١٢ إقليما إداريا، يضم ٧٣ محافظة. وأبرز جزر الفيلبين لوزون (٦٠٠ر١٠٤ كيلو منر مربع)، وتوجد في الشمال، ثم ميناناو (٦٠٠ر٩٤ كيلو متر مربع) ، وتوجد في الجنوب ، ثم مجموعة جزر بحر شيان في الوسط ، وتشمل: جزر باناي ونجروس وسيبو وليتي وسمار وبهول . وتوجد جزر ميندورو جنوبي جزيرة لوزون ، وفي الغرب جزر ابالاوان وكالاميان . وأهم البحار الداخلية صولو وبهول وسيبوبان وفيسيان وتشترك الفيلبين في حدودها البحرية مع كل من

الصين في الشمال ، وماليزيا في الجنوب الغربي ، واندونيسيا في الجنوب .
"Europa (B), 1996, vol. 2

التضاريس

أرض الفلبين وعرة ، وتتنوع مظاهرها التضاريسية ، حيث تجمع بين البراكين الخامدة، والسلاسل الجبلية المتعددة ، والسهول الساحلية الضيقة . ومعظم أنهارها قصيرة، تتجه نحو الشمال . وتوجد سلاسل جبلية شمالي لوزون ، منها جبال سيرا مادير في الشرق ، وجبال كورديلاير في الغرب ، ويفصل بينهما وادي نهر كاجايان الخصب، وتمتد هذه الجبال في الوسط ، حيث تفصل بين وادي نهر كاجيان وسهل وسط لورون الزراعي الخصب في الجنوب . وتقع مانيلا على حافته الجنوبية على خليج مانيلا . وتتصف جزيرة ميندناو بمظهر جبلي معقد ، حيث تسودها مجموعة جبلية تتكوّن من خمسة جبال ، أبرزها جبل "أبو" ، حيث أعلى قمة في الفلبين (٢٩٥٤ مترا) ، كما تتميز سواحلها بكثرة الخلجان ، وأبرز أنهارها أجوسان وميندناو. ويسود المظهر الجبلي المعقد معظم الجزر الكبرى .

ويحاذي جزر الفلبين من الشرق خندق محيطي عظيم يعرف باسم ميندناو ، وهو يمتد بطول الجزر عبر المحيط الهادي . وتوجد الجزر داخل الحزام الناري لهذا المحيط ، وهو ما يعرضها للهزات الأرضية والبراكين . (أبو العينين ، ١٩٧٩م ، ٤٥٦)

● ● ● ● ● ●



شكل (١١) أرخبيل جزر الفيليبين

المنـــاخ

تنتمي معظم أراضي الفيليبين إلـى المناخ المداري البحري "الموسمي المعتدل" ، ماعدا المناطق "الجبلية المرتفعة" وتتسم الحرارة في الجزر بصفة عامة بالارتفاع ، والمعـدل السنوي يتـراوح بيـن ٢٦ْ - ٢٨ درجـة مئـويـــــة . وتختـلف كمـيات الأمطـار وفصليتهـا باختلاف موقع الجزر ، وتهب عليها الرياح التـجارية الشمالية الشرقية في الشــتاء، حيث تسقط الأمطار على السواحل الشرقـية للجزر ، وتتراوح كمـيات الأمطار في هذا الـفصل بين (٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ملم) . كـما تهب عليـها الرياح الموسمية الجنوبية الغربية فـي فصل الصيف ، وتسقط الأمطار على السواحل الغربية . وأغزر المنـاطق أمطاراً مرتفعات شمالي جزيرة لوزون ، وتـهاجم الفيلبين أعاصير التايفون" الـعنيفة، بين شهري ديسمبر ويونيو ، ويصــل عدد هجماتها في بعض السنوات ٢٥ مرة، وأفضل الفترات المناخيـة في الفيلبين بين نوفمبر وفبراير . "Philip, 1991. vol. 25 . 540"

الحياة النباتية والحيوانية :

تغطـي الغابات مـعظم أرض الفـيلبين ، ويكـون الغطاء الغـابي كثـيفـاً على المرتفعات، وقد أزيلت مساحات كبيرة من الغطاء النباتي ، ويوجد حوالي ١٠ آلاف نوع من النباتات ، وتنمو غابات المانجروف على السواحل ، بينما تسود الغابات شبه الاستوائية والموسمية في السهول والنوع السائد لاوان"Lauan" المهوجني الفيليبيني . كما تنـمو أنواع ثمينة من الأشـجار الصلبة واللينة . ولـقد بلغ إنتاج الفيـليبين من الأخشاب في سنة ١٩٩٣م ٣٩٫٥٧٦٫٠٠٠ متر مكعب . ويعيش في البلاد حوالي ٢٣ نوعا من الحيوانات ، بينها أنواع نادرة . وكذلك يُوجد حوالي ٥٠٠ نوع من الطيور "Philip, 1991. vol. 25 . 450"

السكان :

ترتفع الكثافة العامة للسكان إلى حوالي ٢٢٣ نسمة في الكيلو متر المربع في بعض الجزر . وينتمي معظم سكان الفيليبين إلى عدة أعراق ، فمنهم الأقزام "Pygmy" أو الأقزام الآسيويون "Negrito" ، وهم من أقدم الجماعات التي سكنت جزر الفيليبين ، إن لم تكن أقدمها جميعا . ومن الأعراق التي سكنت الفيليبين ، الاندونيسيون . وذلك قبل الميلاد بعدة آلاف من السنين . وأغلب سكان الفيليبين من عرق "الملاويون" "Malayans" أو الفيليبينو "Filipinos"، وقد وصلوا الجزر في هجرات أحدث ، وتشعبوا وتفرقوا في مختلف الجزر الفيليبينية . ولقد تأثرت بعض المناطق بهجرات صينية ، كما تأثرت بالأسبان والأمريكان أثناء احتلالهما البلاد. "Macmillan Educational Corporation, 1967, vil. 18, 695"

اللغات في الفيليبين :

تنتشر في الفيليبين عدة لغات ، ويتفرع منها عشرات اللهجات وتنتمي إلى اللغة الأندونيسيه إحدى فروع عائلة اللغة البلونيزية - الملاوية . واللغات الرئيسة التي يتحدثها السكان تشمل التاجالوجية "Tagalog" ونفرعت منها عدة لهجات رئيسة وعشرات اللهجات الفرعية ، ويتحدث بالتالوجية حوالي ثلث السكان . وإلى جانبها، لغة سيبوانو "Cebuano"ومنها عدة لهجات ، ويتحدث بها حوالي ربع السكان ، ولغة إيلوكانو "Ilcano"وهيليجاينون "Hiligaynon" وبيكول "Bucol" . وهكذا نجد ٨ لهجات محلية رئيسة يتحدثها ٨٦٪ من السكان ، و٧٦ لهجة فرعية تمثل اللهجاب أيضا ، وإلى جانب هذا ، نجد اللغة الانجليزية ويتحدثها قطاع كبير من السكان ، فضلا عن الاسبانية والصينية واليابانية التي يتحدثها أقليات عرقية . وتعتبر اللغة الانجلبزية واللغة التاجالوجية لغتين رسمينين في الفيليبين ،

والتاجالوجية قاعدة اللغات واللهجات الـفيليبينية . (مؤسسة فرانكلين ، ١٩٨٦م ، ق٢ ، ١٣١٥) "Philip , 1991, vol. 9, 383" "Americana Coporation, 1976, vol. 21, 288"

الموارد الاقتصادية والنشاط البشري :

الخامات المعدنية : تتمتع الفيليبين بالعديـد من الخامات المعدنية وعلى رأسها الذهب. وبلغ إنتـاجها من الذهب في سنة ١٩٩٤م حـوالي (٧٨٧ر٠٠٠ أوقية) ، وهو يوجد في شـمالي وجنوبي لوزون ، كـما تنتج الفضـة (٧ر٥٧٤ر٠٠٠ أوقية) والنيكل (١٣ر٦٠١ طن) والزئـبق ، وتنتشر رواسب هذه المعادن الثـلاثة في مناطق متعددة. ويوجد خام الحديد في شمـالي ميندانوا ووسط لوزون ، وكذلك النحاس (١٢٣٣ ألف طن) والـرصاص ، والزنك فـي غربي مـيندانوا ، ورواسـب الكروم (عالية الجودة) في غربي ووسط وجنوبي لوزون ، وشمالي ميندانوا ووسط بالاوان. وبلـغ الإنتـاج في سـنة ١٩٩٤م (٨٤٨ ألف طـن) ، يضـاف إلى هـذا المنجـنيـز والفوسفات والفـحم (١ر٢ مليون طن) ، ويوجد في بالاوان وسيـبو . وعثر على البترول أمام السواحل الشمالية الغربية لجزيرة بالاوان . "Philip , 1991, vol. 25, 541"

الزراعـة : تعتبـر الفيليبين دولة زراعية ، تـتميز أرضها بالخـصوبة ، والإنتاج الزراعي مستـمر طوال العام ، وأكبر قـطاع من الأيدي العاملة يشتـغل في الزراعة وصيـد الأسماك والغـابات . وبلغ عدد العـاملين في هذا القطـاع في سنة ١٩٩٤م حوالي ١١ر٢ مليون نسمة من جملة القـوى العاملة والتي بلغ عددها ٢٧ر٤ مليون نسمـة ، أي أن العاملين في الزراعيـة حوالي ٤٠ر٨٪ من جملة القـوى العاملة . وأهم المحصولات الزراعية الأرز ، حيث وصـل إنتاجه في سنة ١٩٩٤م إلى حوالي ١٠ر٥ مليون طن ، والذرة ٤ر٥ ملايين طن ، والدرنيات مثل الكاسفا ١ر٨ مليون

طن ، واليام والفول السوداني ، والترجيل ٢ر١١ مليون طن ، حيت تعد الفيليبين من أهم الدول المنتجة والمصدرة له ، وقصب السكر الخام ٦ر٢٣ مليون طن ، وقنب مانيلا . يضاف إلى هذا العديد من الفاكهة ، والبقول والمطاط الطبيعي . والبذور الزيتية . "Europa (B), 1996, vol. 2, 2568"

الثروة الحيوانية : تتكون الثروة الحيوانية في الفيليبين سنة ١٩٩٤م من الأبقار (٨ر١ مليون رأس) ، والجاموس (٦ر٢ مليون رأس) وأعداد قلية من الأغنام. ورغم وفرة الغطاء العشبي ، وسعة الأراضي الزراعية ، فإن الثروة الحيوانية لا تتناسب مع هذه الإمكانات المتاحة . "Europa (B), 1996, vol. 2, 2568"

صيد البحر : نتمتع الفيليبين بسواحل طويلة تقدر بحوالي ٣٦٥٥٠ كم ، وتكثر بسواحلها الخلجان ، وتحصر الجزر بحاراً داخلية عديدة ، وأتاح هذا فرصا جيدة لاستغلال الثروات البحرية من الأسماك والأصداف البحرية واللؤلؤ . ويوجد حوالي ٢٠٠٠ نوع من الأسماك تعيش في البحار الداخلية والأنهار . وتربي أصداف اللؤلؤ في أرخبيل صولو ، وتصدر الأصداف والثروة السمكية إلى مناطق عديدة ، وبلغ إنتاجها من الثروات البحرية في سنة ١٩٩٤م حوالي (٦ر٤ ملايين طن) . "Europa (B), 1996, vol. 2, 2568"

الصناعة : ازدهرت الصناعة بعد الحرب العالمية الثانية ، فظهرت بعض الصناعات المعدنية خصوصا الصناعات القائمة على النحاس ، كما نشطت حركة تصدير المعادن، ولا تزال الصناعة في طور النمو . وكان إنتاج البلاد الصناعي في سنة ١٩٩٢م ، يشمل السكر الخام (٢ مليوني طن) ، والأخشاب والأخشاب الصناعية ، والورق (٥٧ ألف طن) ، والمخصبات الزراعية حوالي نصف مليون طن. كما توجد الصناعات البتروكيماوية ، وصناعة المنسوجات والملابس . "Europa (B), 1996, vol. 2, 2568"

انتشار الإسلام

وصل الإسلام إلـى جزر الفيليـبين في وقت مبكـر عن طريق التجـار والدعاة المسلمـين، حيث كانـت منطقتـي حنوبي وجنوب شـرقي آسيا مـسرحا لـلرحلات التجارية بين شبه الجزيرة العربية والشرق الأقصى ، تتمة لرحلة الشتاء والصيف بين شبه الجزيـرة العربية والحوض الترقـي للبحر المتوسط وكـان وصول الإسلام إلى جزر الفيليبين تكملة للمحـور البحري الذي نقل الإسلام إلي الهند ، والملايو وجزر أندونيسـيا والصين ، فلقـد شهدت هذه المناطـق نشاطا تجاريا إسـلاميا استـمر عدة قرون، ولم يعرقل هذا النـشاط إلا ظهور البرتغال والأسبان في مـياه بحر العرب ، والمحيطين الهندي والهادي في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي .

وتشيـر بعض المصـادر الإسلامية إلـى وصول مبكـر للإسلام في القـرن الرابع الهجري، حيث وصل إلـيها بعض أحفاد الإمام جعفر الصـادق ، ومنهم أحمد بن عيسى ، الملقب بـالمهاجر ، في أول القرن الرابع الهجري . ومـعظم الدعاة وصلوا إلى الفيليبين عن طريق جزر الملايو وجزر أندونيسيا .

كما تشيـر روايات أخرى إلى وصول موجة من المسلمين إلـى جرر بحر صولو في وقت مبكر من القرن السادس الهجري (الـثالث عشر الميلادي) . فلقد وفد إلى المنطقة مسلمون من الملايو ، وواصلوا الـدعوة للإسلام في جزر صولو وميندانـاو ، كما تشير إلى ذلك المصادر الغربية "Espoaıto,1995 vol. 3, 326" .

ويشير أحد المصادر "Aguilar, 1991, 197" إلى أن الإسلام انتشر في جنوبي الفيـليبين في أوائل القـرن السابع الهـجري (الثالث عـشر الميلادي) ، حيـث نشره التجار والدعاة والمغامرون الذين عاشوا وسط القبائل الفيليبينية . وتشكلت في تلك الفترة ممالك إسلاميـة وكانت على علاقة طيبة ببعض الزعمـاء المسلمين ، وبالقبائل الوثنية. عندما جاء الأسبان لاحتلال الفيليبين (٩٧٣هـ / ١٥٦٥م) ، وجدوا ممالك

إسلامية منظمة في جـزر صولو وفي ماجو يندااو "Maguındanao" وحول بحيرة لانو وفي جـزيرة لوزون (في مانيـلا وتندو) وجزر مـيندورو ، كذلك كـانت هناك قبائل مسلمة بعض مدن على ساحل بابتا نجاس .

نشاط الدعوة :

شهد أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، وأوائل القرن التاسع الهجري (الخامـس عشر الميلادي) نشاطاً مكثـفاً في انتشار الدعوة الإســلامية حيث وصل بعـض الدعاة . فلقـد أشارت بعـض المصادر الإسـلامية إلي وصـول ٨ من الدعاة على فترات ، قادمين من الملايو وأندونيـسيا ، وأطلق عليهم "دعاة الإسلام في الشـرق الأقصى " ، وقـاموا بنـشر الدعوة فـي جزر الفـيلييـين ، ومن هؤلاء الشريف إسحـاق بن الشريف أولياء (ويلقب بمخدوم) ، يقـال إنه وصل إلى صولو في سنة ١٣٨٠م ، واجتهد في نشر الإسلام في جزيرة ميندناو ، وأرخبيل صولو، واتخذ له زروقا كان يتنقل به بين الجزر لبث الدعوة إلى الإسلام ، حتى أنه زار كل جزر أرخـبيل صـولو . ولم تقف جـهوده عنـد الدعوة ، بل تجـاوزتها إلى جـمع التلاميذ وتـعليمهم قواعد الدين الحنـيف ، وبعد أن يكملوا تعليمـهم يرسلهم إلى جهات متفرقـة لنشر الدعوة الإسلامية . ومن الدعاة الذين كـان لهم سبق في نشر الإسلام بالمنطقة ، الـشريف أحمد بن على الملقب "راجا بـاقندا" . قدم إلى جزر صولو في سنة ١٣٩٠م وأسس حكومة إسلامية فيها . ثم قـدم إلى صولو الشريف أبو بكـر سنة ١٤٣٤م ، وخلف الـشريف أحـمد في حـكمهـا ، وأقـام حكـومة إسلاميــة مـنظمة ، وبني المساجد والمدارس ، ونشر الإسـلام في العديد من الجزر الفيلييينيـة ، واستمر حكمه حـوالي ٣٠ سنة . وهكذا انتشـرت الممالك الإسلامية نتـيجة الـدعوة بهـذه الجزر . (عبـدالقادر، ١٩٨٠م ، ٢٤ - ٣٤) ، (تـوماس ، ١٩٧٠م ، ٤٤١).

أشارت السجلات التاريخية الصينية حسب ما سجل في كتاب "تاريخ أسرة تشينغ" عن أباطرة الصين ، في سنة ١٤١٧م ، أن صولو إمارة تدبن بالإسلام ، وحضر إلى الصين في العام المذكور ٣ ملوك مسلمين من هذه الجزر وهم الملك الشرقي باتوجه باحرا ، والملك الغربي ماحر تجر ، والملك دونغ ، وذلك في زيارة ودية تصحبهم حاشية عددها ٣٠٠ شخص ، ورحب بهم الأمبراطور الصيني "تشوي" ، ثم شرعوا في رحلة العودة ، فلما وصلوا إلى "دتشو" توفي الملك الشرقي، وأمر امبراطور الصين بتشييد مقبرة له في دتشو ، وطلبت زوجة الملك وبعض أفراد أسرنه البقاء في دتشو ، ومنحهم الامبراطور الأرض وأعانهم بالمال ، وعين لخدمتهم ٣ أسر من الهوي المسلمين ، ونشأت قرية مسلمة في هذه المنطقة وماتزال إلى اليوم . (بناء الصين ، ١٩٨٣م ، ١٢٦ ، ١٢٧)

يستفاد مما سبق أن الإسلام انتشر في معظم جزر الفيليبين تحت جناح السلم، وأن الدعاة والتجار المسلمين نشروا الإسلام بهذه الجزر خلال عدة قرون ، وتكوَّنت ممالك إسلامية سيطرت على معظم جزر الفيليبين ، وارتبطت بعلاقات تجارية ودبلوماسية بالدول المجاورة ، حدث هذا قبل احتلال الأسبان للفيليبين في القرن السادس عشر الميلادي .

الاستعمار الأسباني :

كان أول ظهور للأسبان في جزر الفيليبين أثناء رحلة ماجلان ، حيث وصل إلى جزيرة سيبو في ٧ أبريل سنة ١٥٢١م ، ووقعت حرب بين ملك الجزيرة "رجا همابون" وماجلان" . وحينما شعر ماجلان بقرب هزيمته ، تظاهر بأنه جاء لتوسعة مملكة "الرجا" وتودد إلى الملك ، وليحقق ذلك خاض حربا مع لابولابو "Lapulapu" سلطان جزيرة ماكتان "Mactan"، وقُتل ماجلان في هذه الحرب، وعاد "سيباستيان دي إلكانو" بالسفينة الوحيدة الباقية من الرحلة إلى

أسبانيا، التي أرسلت بعد ذلك ثلاث حملات إلى جزر المحيط الهادي لمحاولة الحصول على مواطىء قدم لها بهذه الجزر ، وكانت الثالثة بقيادة فيلالوبوس "Villalobos" ، الذي أطلق على هذه الجزر اسم الفيليبين ، نسبة إلى فيليب الثاني ملك أسبانيا ، واستمرت حملات الأسبان بعد ذلك على جزر الفيليبين "Macmillan Eductional Corporation, 1967, vol. 18, 698"

مقاومة الممالك الإسلامية للغزو الأسباني :

لقد جردت أسبانيا عدة حملات على جزر المحيطين الهندي والهادي بعامة وجزر الفيليبين بخاصة منذ وصول ماجلان إليها في سنة ١٥٢١م . وكانت أبرز هذه الحملات تلك التي قادها لوبز دي لاجزبي "Lopez de Legzpe" في سنة ١٥٦٥م ، حيث وصل إلى جزر سيبو لاحتلالها . وفي سنة ١٥٧١م ، انتقل "لا جزبي" إلى مانيلا ليتخذها عاصمة للمستعمرة الأسبانية الجديدة .

وعندما بدأ الأسبان التوسع في حملاتهم الاستعمارية في جزر الفيليبين ، نشبت الحروب بينهم وبين الممالك الإسلامية جنوبي الفيليبين ، فتصدت لهم مملكة صولو ومملكة ماجويندناو "Maguindana"وبوايان "Buayan" وانتقل النشاط الحربي الأسباني إلي منطقة مانيلا ، حيث كانت تحت حكم أسرة مسلمة ترتبط بالمصاهرة مع سلطان بروناي، واستولى الأسبان على مانيلا سنة ١٥٧١م. "Esposito, 1995, vol. 3, 326"

لقد استمر الصراع بين الممالك الإسلامية في جزر الفيليبين والأسبان مدة طويلة، ولم يستطع الأسبان الاستيلاء على الجزر الجنوبية ، حيث قاومتهم الممالك الإسلامية في تلك المناطق ، وظلت الحرب سجالا بين ملوك المسلمين الفيليبنيين والأسبان، واستمرت أكثر من ثلاثة قرون ونصف ، هي مدة إقامة الاستعمار الأسباني . ولم يستطع الأسبان التغلب خلالها على الممالك الإسلامية في جنوبي الفبليبين أو تحويل أهلها عن الإسلام ، وأخذ هذا الغزو مراحل منها :

١ - مرحلة غزو ماجلان لجزيرة :ماكنان" في سنة ١٥٢١م ، وكانت هذه الغزوة باكورة الغرو الأسباني ، واستمر الأسبان في إرسال حملاتهم للسيطرة على الفيليبين وبدأت هذه الحملات مند سنة ١٥٦٥م .

٢ - غزو مانيلا وتندو أعد الأسبان حملة إلى مانيلا بجزيرة لوزون في سنة ١٥٧١م ، حيث قاوم حاكمها المسلم (رجا سليمان) واستولى الأسبان على لوزون ، واجتاحت جيوشهم إمارة تندو ، حيث قتلوا حاكمها المسلم الملقب (واتو متاندا) ، فدانت لهم جزيرة لوزون ، وبدأت بعثات التنصير تصل إلى الجزيرة .

٣ - غزو أرخبيل صولو : قاتل المسلمون بقيادة السلطان "فلنجفويان" جيوش الأسبان بشراسة ، وظلت الحرب بينهم سجالا لفترة طويلة ، وفشل الأسبان في الاستيلاء على جزر صولو ، مما دفعهم إلى الاعتراف باستقلال هذه الجزر في سنة ١٨٣٦م ، ولم يكن للأسبان إلا سلطة اسمية على صولو حتى مجيء الأمريكيين في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، وقد قاوم أهل صولو الجهود التي بذلها النصارى في الغزو التنصيري مقاومة ناجحة حتى نهاية ذلك القرن ، فيئس المنصرون الأسبان من تحويل المسلمين عن دينهم

٤ - غزو سامبوا وباسيلان : استولى الأسبان على هذه المنطقة بعد حرب استمرت حتى سنة ١٦٣٥م وأسسو ا بها قلعة ، وميناء للسفن الحربية .

٥ - غزو "كوتا باتو" في ميندناو · "جهزت أسبانيا جيشا قويا للاستيلاء على جزيرة ميندناو ، واتجه الجيش إلى كوتا باتو ، فلقي مقاومة شرسة من المسلمين، وأستمرت الحرب بين الطرفين ، وفشلت القوات الأسبانية في الاستيلاء على المنطقة .

٦ - غزو منطقة لانو : هاجم الأسبان هذه المنطقة في سنة ١٦٣٧م وخاضوا حربا

ضد المسلمين بقيادة السلطان (كوادارات) ، واستولوا على حصن السلطان واستمـرت الحرب في منطقة لانو ، حـيث قاوم المسلمون فتـرة طويلة ، مما اضطر الأسبـان إلى المصالحة مع أهـل لانو نـتيجـة حـرب العـصابات التي شنها المسلمون على حصونهم (عبدالقادر، ١٩٨٠م ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦)، (توماس، ١٩٧٠م ، ٤٤٠ ، ٤٤١)

هكذا كانت مراحـل احتلال الأسبان للفيلـيبين ، ولقد عرف ساكنهـا النصرانية كما صورها لهم سلوك الأسبان بأنها فقدان للحرية الشخصية والسياسية والاستقلال القومي، فكان تعصب الأسبان لنشر النصـرانية مع عنفهم وبغضهم ، كان هذا على طرفي نفيض مع عدالة الإسلام وتسامحه واحـترامه للنفس البشرية . وأظهر الدعاة المسلمون هذه المميزات ، ولم يدَّعوا لأنفسهم كـافة الحقوق التي تقتصر على جنس معين متميز عن سائر البشر ، فـالناس سواسية في الإسلام . وقد أدى فساد أخلاق الأسبان وجهـلهم بعادات الشعوب وجشـعهم إلى بغض تنصيرهـم ، لهذا ظهرت المعارضـة القـوية مـن سكان الجـزر الجنوبـية والوسطى مـن الفيليـبين ازاء دخول النصرانيـة.

أوضاع المسلمين في عهد الاحتلال الأمريكي :

احتل الأمريكيون الـفيليبين سنة ١٨٨٩م ، بمقتضى معـاهدة باريس التي أنهت الحرب الأسبانيـة الأمريكية ، ولـم تسلم أسبـانيا مستعمـرتها الفيليبينـية التي كانت تسيطر عليها فقط ، بل أعطتها حق السيادة على الجزر الفيليبينية الإسلامية ، والتي لـم تخضع للاحتلال الآسباني ، ولهـذا بدأت الحروب بين المسلمين والأمريكيين في منطقة بابا في لانـو . وقد أدت هذه المقاومة إلى أن أبرمت الولايات المتـحدة اتفاقا مع سلطان صولو عرفت باتفاقية باتس "Bates Agreement" وفي الوقت نفسه ، حُكمت الأراضي الإسلاميـة بقوانين خاصة (حسب الشريعة الإسـلامية) . وكذلك

كان الوضع أثناء حكومة الكومنولث الفيليبيني ، فلم يقبل المسلمون الفيليبينيون أي تغيير يمس تقاليدهم الاجتماعية أو يؤثر على دينهم وأسلوب حياتهم، ولهذا سُمح بأن يكون الحكم في المحافظات الإسلامية وفقا للشريعة الإسلامية. "Aguilar, 1991, 299"

لقد مارس الأمريكيون مع المسلمين في الفيليبين سياسة المهادنة . ولهذا ظهر الفارق بين سياستهم وسياسة الأسبان ، أنشأ الأمريكيون المدارس ، ولكن أغلب المسلمين لم يسمحوا لأولادهم بالالتحاق بها خوفاً من التأثير على دينهم ، ولم يحدث تقدم في أوضاع المسلمين الاقتصادية ، كما هاجرت أعداد كبيرة من النصارى إلى جزيرة ميناناو . (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ٢٨ ، ٢٩) .

الاحتلال الياباني للفيليبين :

احتلت اليابان جزر الفيليبين في ديسمبر ١٩٤١م ، حيث دخلت القوات اليابانية المناطق الإسلامية في جزيرة ميناناو وأرخبيل صولو وتوغل الغزو الياباني في الجزر ، وشُكلت جمهورية الفيليبين المستقلة في سنة ١٩٤٣م . وقاوم المسلمون هذا الاحتلال الذي لم يدم طويلا ، حيث اشتركوا في القتال مع الشعب الفيليبيني، مع قائد القوات الامريكية الجنرال (ماكرثر) ، واستعادت الفيليبين "ليتي" في أوائل عام ١٩٤٥م ، ونالت الفيليبين استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية ، عندما أعلنت الجمهورية في يوليو ١٩٤٦م ، حيث لم يدم الاحتلال الياباني أكثر من أربع سنوات. (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ٣٩) "Eiley, 1984, 289"

كفاح المسلمين بعد إستقلال الفيليبين :

سبق إعلان استقلال الفيليبين مرحلة انتقالية لإعداد لإعلان الجمهورية المستقلة، فطلب سلاطين داتوس "Datus"وعلماء الدين الإسلامي من السلطات الأمريكية استثناء المناطق الإسلامية من الدولة الفيليبينية المقترح إقامتها والبعد عن الفيليبينيين

النصـارى ، وفضلوا أن يظلـوا تحت الحماية الأمـريكية إلى أن يـشكلوا حكومـتهم المستقـلة . وعندما تشكلت جـمهورية الفيلـيبين المستقلـة في سنة ١٩٤٦م ، وجد المسلـمون (المورو) أنفـسهم ضـمن الدولة الجـديدة دون أن يسـتشاروا فـي الوضع الجديد. واجتـهد المسلمون في إنـشاء المدارس بجهودهم الـذاتية وبمساعدة الهـيئات الإسلامية الخارجيـة ، وعرضت الحكومة المصرية منحاً للطلاب الفيـليبنيين للدراسة بجـامعـة الأزهر وبقـية الجـامعات المـصرية ، وأرسـلت السـعودية وبـعض الدول الإسلامية بعثات من المدرسبن للمدارس الإسلامـية . وظهرت حركة وطنية إسلامية ببن العلـماء والشبـاب الإسلامي ، لمواجـهة حركـة تهجـير النصـارى إلى أراضي المسلمين ، والتي خططت لها وحمتها الدولة ، بينما أهملت تنمية المناطق الإسلامية اقتصادياً ، كما أهملت تعليم المسلـين ، وتجاهلت رغباتهم السياسية . وأدت هذه الأحوال إلى نشوب حرب عصابات ببن المسلـمين والنصارى الذين استوطنوا المناطق الإسلامية وتدخل الجيش الفيليبيني إلى جانب النصارى ، واستنكر العالم الإسلامي الحملات التي شنها الجيش على المسلمين .

تكوين جبهة تحرير مورو الوطنية :

أسفر هضم حقوق المسلمين ، وسياسة تـهجير النصارى إلى المناطق الإسلامية ، ومهاجمة الجيش للمناطق الإسلامية ، وقتاله إلى جانب النصارى عن تفجير الموقف في المناطق الإسلامـيـة ، ودفع المسلمين إلى تكوين جبهة تحـرير مورو الوطنية (M. N. L. F.) . وقد تشـكل الجناح العـسكري للجبـهة بقـيادة نور ميـسواري "Nur Misuari" واعترفت بالجبهة منظمة المـؤتمر الإسلامي ، بعد أن خاضت قتالا مريرا ضد الجيش الفيليـبيني ، واستهشد الآلاف من المسلمين ، ودمـر اقتصادهم وخربت ديارهم ، وهدمت مدارسهم ومساجدهم .

وجاء في عريضة جبهة تحرير مورو الوطنية ، المرفوعة إلى لجنة حقوق الإنسان،

أن حكومة الفيلبين قتلت وجرحت مالا يقل عن ١٠٠ ألف مسلم وشردت منهم نصف مليون ، وحرقت البيوت والمساجد والمدارس . كما جاء في الكتاب الأبيض الذي قدمه المسلمون إلى حكومة الفيليبين بلغ ٤١٧ حادثة خلال ٣ سنوات . (بكر، ١٩٨٨م ، ١٦) .

اتفاقية طرابلس سنة ١٩٧٦م :

عُقدت هذه الاتفاقية في مدينة طرابلس في ليبيا بين جبهة تحرير مورو والحكومة الفيليبينية نتيجة مساعي منظمة المؤتمر الإسلامي ، وبدأت المفاوضات في الفترة ١٥ - ٢٣ ديسمبر ١٩٧٦م . وقد عقدت هذه الاتفاقية بين وفد جمهورية الفيليبين برئاسة كارميلوس باربيو وكيل ورارة الدفاع الوطني للعلاقات المدنية ، وجبهة تحرير مورو الوطنية برئاسة نور ميسواري رئيس الجبهة ، وبمشاركة ممثلي اللجنة الوزاربة الرباعية الممثلة من السعودية ، والسنغال ، والصومال ، وبمساعدة الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، وتم الاتفاق على ما يلي :

أولا : إقامة الحكم الذاتي للمسلمين في جنوبي الفيليبين ، في إطار الوحدة الترابية للجمهورية .

ثانيا : تتكون مناطق الحكم الذاتي للمسلمين مما يلي :

١ - باسيلان .	٢ - صولو .
٣ - طاوي طاوي .	٤ - زامبوانجا .
٥ - زامبيو انجاديل نورتي .	٦- شمال غربي كوتاباتو
٧ - ماجوند ناو .	٨ - سلطان كودرات .
٩ - لاناو التمالية .	١٠ - لاناو الجنوبية .

١١ - دفاو الجنوبية .

١٢ - جنوبي كوتاباتو

١٣ - بالاوان .

١٤ - جميع القرى والمدن الواقعة في هذه المناطق .

ثالثا :

١ - تكون السياسة الخارجية من اختصاص الحكومة المركزية الفيليبينية.

٢ - تختص السلطة المركزية بمسائل الدفاع الوطني . على أن يترك أمر تنظيم التحاق قوات جبهة تحرير مورو الوطنية بالقوات المسلحة الفيليبينية للبحث في وقت لاحق .

٣ - يكون للمسلمين في مناطق الحكم الذاتي الحق في إنشاء محاكمهم الخاصة التي تطبق فيها الشريعة الإسلامية ، ويمثل المسلمون في كل المحاكم ، بما فيها المحكمة العليا ، وتمثيل المسلمين في المحكمة العليا يكون بتوصية من سلطات الحكم الذاتي والمحكمة العليا ، وتصدر بشأن تعيينهم قرارات من رئيس الجمهورية .

٤ - يكون لسلطات الحكم الذاني الحق في إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات.

٥ - يكون للمسلمين نظام إداري خاص بهم يتفق وأهداف الحكم الذاتي ومؤسسانه .

٦ - يكون لسلطات الحكم الذاتي في جنوبي الفيليبين نظام مالي واقتصادي خاص بهم .

٧ - تتمتع سلطات الحكم الذاتي في جنوبي الفيليبين بحقوق التمثيل والمشاركة في الحكومة المركزية وكافة أجهزة الدولة الأخري .

٨ - تنشأ سلطات أمن محلية خاصة في مناطق الحكم الذاتي للمسلمين .

٩ - يشكل مجلس تشريعي ومجلس تنفيذي في مناطق الحكم الذاتي للمسلمين عن طريق الانتخاب المباشر ، ويتم تشكيل المجلس التنفيذي بالتعيين من قبل المجلس النشريعي . ويصدر قرار من رئيس الجمهورية بتشكيلها .

١٠ - تختص الحكومة المركزية بمسائل المناجم والتعدين ، وتحدد نسبة معقولة من دخل المناجم لمناطق الحكم الذاتي .

١١ - تشكيل لجنة مختلطة من ممثلين عن الحكومة المركزية الفيليبينية وممثلين عن جبهة تحرير مورو الوطنية، تجتمع في مدينة طرابلس في الفترة من ٥ فبراير١٩٧٧م إلى تاريخ لا يتعدى ٣ مارس سنة ١٩٧٧م، تُختص بمناقشة تفاصيل النقاط المتروكة للبحث .

١٢ - يتم الإعلان عن وقف إطلاق النار عقب التوقيع على هذا الاتفاق مباشرة ، على أن لا يتجاوز يوم ٢٠ يناير سنة ١٩٧٧م ، وتشكل لجنة مشتركة من الطرفين ، بمساعدة منظمة المؤتمر الإسلامي ، تتولى الإشراف على وقف إطلاق النار كما تختص بالإشراف على ما يلي :

أ - إصدار عفو شامل في مناطق الحكم الذاتي ، وإسقاط أي دعوى قضائية ناتجة عن أحداث وقعت في جنوبي الفيليبين .

ب - إطلاق سراح جميع المسجونين السياسيين .

جـ - عودة جميع اللاجئين الذين تركوا مناطقهم في جنوبي الفيليبين .

د - ضمان حرية التنقل والاجتماع .

١٣ - يتم عقد اجتماع مشترك في مدينة جدة في الأسبوع الأول من شهر مارس ١٩٧٧م للتوقيع بالأحرف الأولى على ما توصلت إليه اللجنة المشار إليها في الفقرة (١١) .

١٤ - يتم توقيع الاتـفاق النهائي بشأن إقامـة الحكم الذاتي المشار إليه فـي الفقرتين الأولى والثانية في مانيلا .

١٥ - يتم بعد الـتوقيع في مانيـلا مباشرة نشكيل حكـومة مؤقتة في منـطقة الحكم الذاتي يعينهـا رئيس الجمهورية ، على أن تتولى الإعـداد لانتخابات المجلس التشريعي لإقليم الحكم الذاتي .

١٦ - تتخذ حكومة جمهورية الفيليبين كل الإجراءات الدستورية لتنفيذ الاتفاقية.

رابعا : يصبح هذا الاتفاق نافـذ المفعول اعتباراً من تاريخ التوقـيع عليه. لقد فشلت اتـفاقية طرابـلس بسبب تنكر حـكومة الفيليـبين لما تمَّ الاتفاق علـيه ولذلك عادت الاضـطرابات بين المسلـمين والدولة وتعـرض المسلمون خـلالها إلى مـذابح واضطهاد استمر لمدة عـشرين عاماً بعد انهيار اتفاقية طرابـلس . وانتهت هذه الفترة العصيبة بعقد اتفاقية جديدة في مدينة جاكارتا بإندونيسيا سنة ١٩٩٦م ، تلتها اتفاقية أخرى مكمـلة مع بعض الفصـائل الإسلامية وكانـت كلها تهدف إلى إنـهاء الحرب وإعطاء المسلمين عدداً من حقوقهم السياسية والإدارية .

● ● ● ● ● ●

الخصائص الديموجغرافية للمسلمين

قبل الاحتلال الأسباني ، كانت رقعة انتشار الإسلام عبر الجزر الفيليبينية أكثر اتساعا ، فلقد وصل الإسلام إلى الجزر الجنوبية حيث تكوَّنت ممالك إسلامية بها ، ثم وصل إلى شمالي البلاد وامتد إلى جزيرة لوزون ، حيث تكوَّنت ممالك إسلامية في مانيلا ، ومن المناطق الإسلامية تونـدو ، وجزيرة ميندورو ، كما كانت هناك قبائل مسلمة على طول سواحل محافظة باتانجاس "Aguılar, 1991, 234 , 297" وهكذا كانت الممالك الإسلامية منتشرة في معظم جزر الفيليبين ؛ غير أن الاستعمار الأسباني استولى على الجزر الشمالية ، فتقلصت الممالك الإسلامية واقتصرت على الجزر الوسطى والجنوبية بعد صراعها ضد الأسبان ، ويتركز الوجود الإسلامي في القطاع الجنوبي من الفيليبين في جنوبي وغربي ووسط جزيرة مندناو ، وشبه جزيرة زامبوانجا (شكل رقم ١٢) ، حيث محافظات :(١) زامبونجا الشمالية ، (٢) زامبوانجا الجنوبية ، (٣) كوتاباتو ، (٤) ماجويندااناو ، (٥) سلطان كودارت ، (٦) لاناو الشمالية ، (٧) لاناو الجنوبية ، (٨) جنوب دفاو ، (٩) كوتاباتو الجنوبية. وتوجد هذه المحافظات في جزيرة مندناو ، (١٠) جزيرة باسيلان ، (١١) أرخبيل جزر صولو ، (١٢) جزر بالاوان ، (١٣) طاوي طاوي .

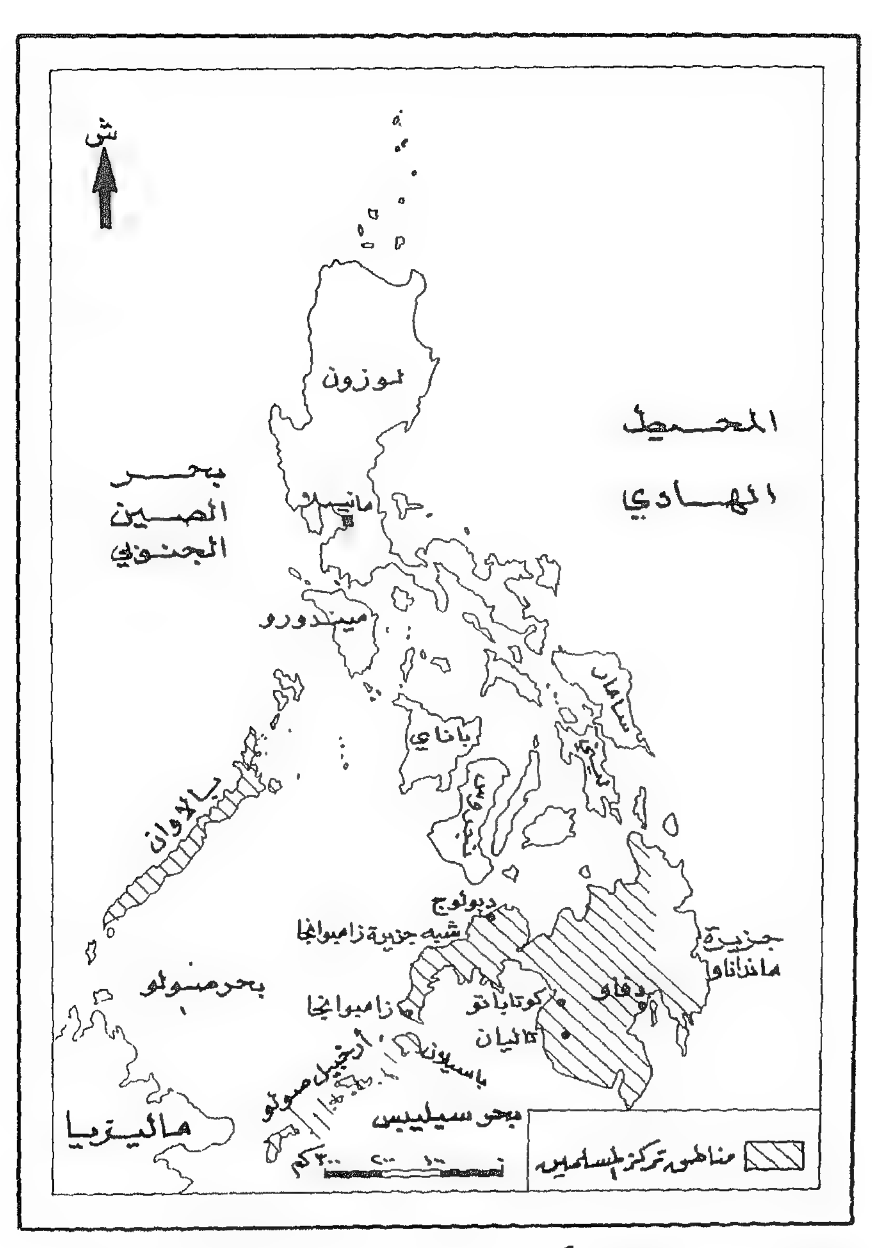
لقد حددت اتفاقية طرابلس مناطق الحكم الذاتي للمسلمين حيث يشكلون أغلبية السكان في ١٣ محافظة ، مناطق الأغلبية المسلمة ، ولكنها لا تمثل كل الوجود الإسلامي في جزر الفيليبين ، حيث ينتشر المسلمون كأقليات في مناطق متعددة من جزر الفيليبين .

أعداد المسلمين :

تضاربت التقديرات حول أعداد المسلمين الفيليبينيين، فقد ذكر الرئيس الأسبق "ماركوس" أن عددهم في سنة ١٩٧٥م حوالي ٨ ملايين نسمة (جريدة الأهرام ٤/ ٤/ ١٩٧٥م) ، وقدر سكان الفيليبين في سنة ١٩٧٥م بحوالي ٤٣ مليون "Wiley, 1984, 288" ، وبذلك تكون نسبتهم بين سكان الفيليبين حوالي ٦ر١٨٪. وعلى هذا يقدر عددهم في سنة ١٩٩٤م حوالي ١٢ مليون نسمة وتقدرهم بعض المصادر الغربية بأقل من دلك، حيث قدر عددهم "Esposite, 1995, vol. 3,456" بحوالي ٦ ملايين نسمة في سنة ١٩٩١م ، وهكذا يحدث تضارب في تقدير أعداد المسلمين بل أحيانا ينخفض العدد إلى أقل من ذلك بكثير، حيث تقدرهم بعض المصادر الغربية بحوالي ٥٪ من جملة سكان الفيليبين "Philip, 1991, vol. 8, 333" ويرجع هذا إلى عدم وجود إحصاء دقيق لعددهم ، ومحاولات حكومة الفيليبن وبعثات التنصير التقلبل من حجم المسلمين ، ويحتمل أن بكون العدد بين ١٠ ملايين، و ١٣ مليون نسمة حاليا .

أعراق المسلمين :

يصنف المسلمون الذين يعيشون في غربي ووسط منداناو وأرخبيل صولو إلى ١٢ مجموعة عرقية . والمجموعات الرئبسة هي ماراناو "Maranao" أوسكان بحيرة "لاناو" ، وماجويندانا "Maguindanao" وأكبر المجموعات المسلمية ،



شكل (١٢) مناطق تركز المسلمين في جنوبي الفيليبين

وتـــاو-سوج "Tau-aug"وسامال "Sakan" في جنوبـي جزر صولو ، ويـاكان "Yakan" في جـزر باسـلان ، والبادجـاو "Baduao" في أرخـبـيل صـولو ، والسانجيل "Sangil"في دفاو ، وكـذلك الـكوتاباتـو"Cotabato" ، والهندانـاو "Mindanao" "Esposito, 1995, vol. 3, 326"

لغات المسلمين :

يتـحدث المسلـمون حوالي سـبع لغـات ، منها لـغة مندنو ويـتكلم بهـا أهل كوتاباتو. وأهـل زامبوانجا الجنوبية ، ولـغة مرنو أو إيرانون ويتكلمـها أهل لاناو ، ولغة دبـونون ويتكلمـها أهل دبولوج ، ولغـة توبوج ويتكـلمها أهل صـولو وأهل زامبوانجـا، ولغة أياكان ويتحـدثها أهل باسيـلان ، ولغة لوتانجان ويتكـلم بها أهل لوتانجا، ولغـة سامال ويتكلم بها بـعض أهل صولو . ومعظم هذه اللـغات كانت تكتب من قبل بحروف عربية . وتعدد هذه اللغات ، يعتبر من العقبات التي تواجه التعليم الإسلامي في جزر الفيليبين . (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ١٧٦)

وتحتل اللغة الـعربية منزلة عالية عند مـسلمي الفيليبين ، ذلك أنهـا لغة القرآن الكريم ، لذلـك يُلحق الكثيـر من الأبناء بالمدارس أو الكـتاتيب التي تدرس الـلغة العربية في يومي العطلـة الأسبوعية . وكانت اللغة العربية أكثـر انتشاراً بين مسلمي الفيليبين قـبل الاستعمار الأسباني . وتوجـد منح وبعثات علمية حالـيا للعديد من أبناء الـفيليـبين للدراسـة بالمدارس والجـامعات فـي البلدان العـربية ، أو يـدرسون بالمدارس العـربية داخل المناطـق الإسلامية بـالفيليبـين ، والتي أسستـها الجمعـيات الإسلامية مثل جمعية إقامة الإسلام، التي لها أكثر من (٢٦٠) مدرسة تضم مراحل مختلفة ، وهناك جمعيات أخرى تهتم بتدريس اللغة العربية في مدارسها . ويوجد حرص من المسلمات الفيليبينيات على حضور الدورات التدريبية لتأهيل المدرسات ، حيث تقدم منـهن لدورة واحدة عقدت في زمبوانجا حـوالي ٨٠٠ مدرسة . وتؤدي

هذه المدارس خدمات جليلة لنشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ١٧٣، ١٧٤) . ولقد استخدم المورو الحروف العربية في كتابة بعض الكتب الإسلامية ، مثل تفسير القرآن الكريم، حيث استخدمت الحروف العربية في كتابة لغة إيرانون ، وهي لغة أغلب المسلمين هناك .

الأحوال الاقتصادية :

إن مناطق المسلمين في الجزر الجنوبية من الفيليبين تتمتع بالعديد من الموارد والثروات الطبيعية . ففي جزيرة منداناو مساحات واسعة من الأراضي الزراعية والغابات الغنية بالأخشاب النادرة ، كذلك تضم مناطق المسلمين خامات معدنية عديدة، كما اكتشف النفط في جزيرة بالوان وجزيرة مندناو ، كما أنها تضم مساحات واسعة من الأراضي الزراعية التي تنتج الأرز (٢٩٪ من إنتاج الفيليبين) ، والذرة (٥٦٪ من إنتاج الفيليبين) والموز (١٠٪ من إنتاج الفيليبين) والنرجيل (٥٠٪ من إنتاج الفيلبيين) والقطن ، يضاف إلى هذا ، ثروات بحرية عريضة ، كالأسماك التي تنتج منها ٥٠٪ من إنتاج الفيليبين "Dauday, 1979, 15""Europa (A), 1985, 812" ورغم هذه الامكانات الضخمة من الموارد المتعددة ، إلا أن المسلمين يعيشون في مستوى اقتصادي يصل إلى حد الفقر ، فيعمل معظم الماراناو والماجويناناو في الزراعة بإمكانات محدودة ، فيزرعون الأرز والكسافا والنرجيل ومحصولات أخرى ، بينما يعمل التاوسونج والسامال والباجاو ف يالحِرَف البحرية كالصيد واستخراج الأصداف، كما يعملون في النقل البحري بين الجزر بزوارق صغيرة لنقل المسافرين والسلع "Philip, 1991, vol. 8, 334" ، ورغم هذا ، تعيش هذه المجتمعات في حالة اقتصادية سيئة ، وترجع بعض أسباب تدني المستوي الاقصادي إلى :

١ - الحروب الطويلة التي خاضها المسلمون ضد الاحتلال لمدة تزيد على أربعة

قرون، ثم حربهم ضد الجيش الفيليبيني ، والتي استغرقت حوالي ربع قرن.

٢ - حرمان المناطق الإسلامية من مشروعات التنمية التي تنفذ في الشمال دون الجنوب .

٣ - انصراف أبناء المسلمين عن التعليم في مدارس البعثات النصرانية خوفا على دينهم، لهذا يحتاجون للتعليم المهني .

٤ - التدمير المستمر والناتج عن غزو الجيش الفيليبيني للقرى والمدن المسلمة وحرق المزارع وتدمير العمران في مناطق المسلمين .

٥ - ارتفاع نسبة الأمية .

٦ - الفقر السائد في مناطق المسلمين حيث ينتج عنه عدم توافر رأس المال لتمويل مشروعات التنمية .

٧ - تهجير النصارى إلى مناطق المسلمين والاستيلاء على أخصب الأراضي الزراعية وأفضل الموارد ، وتبني الدولة لهؤلاء من حيث تمويل مشروعات التنمية ، وبالمقابل حرمان المناطق الإسلامية من مخططات التنمية بالدولة .

سياسة الاستيطان :

تركز سياسة الاستيطان على جزيرة مندناو ، وذلك بتهجير الفيليبينين النصارى إلى هذه الجزيرة ، حيث تتركز أغلبية مسلمة ، وتهدف هذه السياسة إلى تحقيق ما يلي :

١ - تفريغ الأراضي من سكانها المسلمين ، وذلك بزرع مستوطنين من النصاري وسطهم حتى تختفي مع الأيام معالم المسلمين .

٢ - اختراق المجتمع المسلم ونشر الفساد بين أفراده ، وذلك بتهجير العناصر

الفاسدة إليه من المجرمين واللصوص ، لإشاعة الإرهاب وترويع المسلمين وإجبارهم على الهجرة .

٣ - الاستيلاء على الموارد الاقتصادية المهمة في مندناو حيث الأراضي الخصبة والثروات المعدنية المتنوعة .

٤ - طمس معالم القضية السياسية للمسلمين ، فضياع الأرض يؤدي إلى ضياع القضية .

٥ - السيطرة على المسلمين من الناحية الأمنية العسكرية .

لقد بدأت سياسة الاستيطان في عهد الاستعمار الأمريكي ، وذلك عندما شرعوا في استصلاح الأراضي الزراعية في جزيرة مندناو ، ثم هاجرت إليها العناصر النصرانية . وتبنت سياسة الاستيطان حكومات الفيليبين بعد الاستقلال ، فلقد تبنت حكومة ماجساي ساي "Magsay Say"سنة ١٩٥٣م سياسة الاستيطان في مندناو ، ومنح الأرض للمستوطنين ، حيث اعتمد الرئيس ماجساي ساي خطة أطلق عليها (الأرض لمن لا يملكها "Land for The Landless" ، كما أطلق عليها "تارا" وهو اسم لشجرة ضخمة تنبت في الفيليبين ، وتتعمق بجذورها بحيث يصعب اقتلاعها . ثم تابع الخطة خلفه الرئيس "ماركوس" واعتمد في تنفيذ خطته على :

(١) تشجيع هجرة المسلمين .

(٢) تهجير النصارى من جزر لوزون وبسياس إلى مندناو .

(٣) الاستيلاء على أراضي المسلمين بالقوة .

(٤) تأسيس بنك الأرض ، وهذا يقرض المزارعين بربا فاحش مقابل رهن الأرض، وعندما يعجز المالك عن تسديد الدين ، يستولى البنك على الأرض .

(٥) استخدام بعض العملاء كوسطاء يشترون الأرض من المسلمين نم تسلم إلى النصارى .

(٦) إعادة تقسيم مناطق المسلمين في مندناو إدارياً وذلك لتفتيت مناطق المسلمين ، فقسمت محافظة كوتاباتو وجويندناو إلى خمس محافظات ، وقسمت محافظة لامو إلى محافظتين .

(٧) تشكيل عصابات إرهابية من النصارى لإجبار المسلمين على الهجرة ، ولقد أطلق على المستوطنين الجدد اسم "Ilagas" ، وعلى المسلمين "Barahudas"، وظهرت التحديات تدهور أحوال المسلمين الاقتصادية "Aguilar, 1991, 301" .

* * * * * *

التعليم الإسلامي

ينقسم التعليم في الفيليبين إلى قسمين ، تعليم حكومي وتعليم أهلي. وتتولى وزارة التربية والثقافة الفيليبينية الاتفاق والإشراف على التعليم الحكومي، الذي يتكون من مرحلتين دراسيتين منفصلتين ، المرحلة الابتدائية ومدتها ٦ سنوات، والمرحلة الثانوية ومدتها ٤ سنوات ، ثم التعليم الجامعي الذي يتبع النماذج الأمريكية ومدته ٤ سنوات وتسيطر البعثات التنصيرية على أكثر من ثلث المعاهد الفنية الخاصة . ولغة التعليم في جميع المراحل هي اللغة الإنلجيزية ماعدا في مرحلة التعليم الابتدائي، حيث تستخدم أحيانا اللغات المحلية . (عبدالقادر، ١٩٨٠م، ٢٧٢) "Macmillan Educational, Corp,1767 vol. 8, 654"

وبما أن الدولة علمانية، لهذا لا تهتم بتدريس الدين في المدارس الحكومية، وإنما أعطت حق التعليم الديني للجمعيات الدينية على حسابها الخاص ، بحيث تقوم بتدريس الدين لمدة ثلاث حصص أسبوعية . ولما كانت موارد الجمعيات الإسلامية محدودة، لهذا توقفت عن دفع رواتب مدرسي الدين الإسلامي ، وهكذا تركت الباب مفتوحا للجميعات التنصيرية . وقد انقسم المسلمون بخصوص التعليم الحكومي إلى قسمين، قسم أقبل عليه لأنه الطريق الوحيد لدخول الجامعات الحكومية. ولتعويض الدراسات الإسلامية، يرسل بعض هؤلاء أبناءهم إلى المدارس الإسلامية في يومي السبت والأحد لدراسة الدين. أما القسم الآخر، فيرفض إرسال أبنائه إلى المدارس الحكومية خشية أن يكون ذلك سببا لصرفهم عن عقيدتهم الإسلامية، أو خوفا من تأثير الثقافات المستوردة على أخلاقهم. (عبدالقادر، ١٩٨٠م، ٧٢، ٧٣)

ويتمثل التعليم الإسلامي الآن في المدارس العربية الإسلامية ، التي تقوم على أساس المجهودات الذاتية ، وتشرف عليها الجمعيات الإسلامية الأهلية ، وتهتم في

المقام الأول بالقرآن الكريم ، والدراسات الإسلامية ، واللغة العربية وعلومها ، وتضم هذه المدارس ٣ مراحل ،المرحلة الإبتدائية ومدتها ٤ سنوات ، المرحلة الإعدادية ومدتها ٤ سنوات ، المرحلة الثانوية ومدتها ٤ سنوات أيضاً . ورغم قلة إمكانات هذه المدارس إلا أن الأهالي يقبلون عليها ، لأنها تدرس الدين الإسلامي واللغة العربية .

المدارس الإسلامية :

وقد نشطت حركة إقامة المدارس الإسلامية أثناء الاستعمار الأمريكي في بداية القرن العشرين الميلادي لمقاومة الغزو التنصيري ، خصوصا في ميندناو في وقت انتشرت فيه المدارس الأوروبية على شواطىء بحيرة لاناو . وفي الفترة المحصورة بين سنتي ١٩٥٠ - ١٩٦٠م ، أنشئت المساجد والعديد من المدارس بمساعدة المسلمين من الخارج، وبلغت هذه الحركة ذروتها في الفترة ١٩٧٠ - ١٩٧٦م ، حتى أصبح عدد المدارس الإسلامية في ميندناو حوالي ٢٠٠٠ مدرسة في سنة ١٩٨٥م . "King Abdul Aziz, 1992, vol. XIII, no. 2"

• • • • • •

جدول رقم (٤) عدد المدارس والطلاب في مراحل التعليم العام (١٩٩١م)

المرحلة	عدد المدارس أو المعاهد	عدد المعلمين	عدد الطلاب
قبل الابتدائية	٤٢٠١	٩٦٤٤	٣٩٧٣٦٤
الابتدائية	٣٤٠٨١	٣١١٠١٣	١٠٤٢٧٠٧٧
المرحلة الثانوية	٥٥٥٠	١٢٢٦٨٨	٤٠٣٣٥٩٧
بعد الثانوية	١٢٦٢	١٣٢٦٥	٣٦١٧٦٣
التعليم العالي	٨٠٩	٥٦٨٨٠	١٣٤٧٧٥٠
المجمـــــوع	٤٥٩٠٣	٥١٣٤٩٠	١٦٥٦٧٥٥١

المصدر :

- Europa, The Far East and Eustralasid, 1993, P. 843 .

وتعتبر جمعية إقامة الإسلام من أنشط الجمعيات الإسلامية في تشييد المدارس، فلها العديد منها . وكذلك من المؤسسات المهتمة بإنشاء المدارس الإسلامية معهد مندناو . وتلاميذ هذه المدارس يعدون بالآلاف . وإذا أخذنا جمعية إقامة الإسلام كنموذج ، نجد لها ٢٦٠ مدرسة ابتدائية موزعة على مناطق المسلمين في الفيليبين . وكان بها في سنة ١٩٧٨م حوالي ٢٤ ألف تلميذ ، ١٠٩٠ مدرساً ، ولها ٥٠ مدرسة متوسطة وكان عدد تلاميذها ٧٧١٧ تلميذا ، وبها ٣٦٥ مدرساً ، أما المرحلة الثانوية التابعة لعا ، فكان عدد مدارسها ٦ مدارس ، كان بها ٤٧٧٤ تلميذاً و ١٣٤ مدرساً . ومما يؤسف له ، أن غالبية هذه المدارس بحالة سيئة ، وإمكاناتها محدودة . وفي بعض الأحيان تتكون من حجرة واحدة أو حجرتين من الخشب و "الصفيح"، وليس لها مرافق أو أفنية ، وأحيانا يدرس بها مدرس واحد أو

مدرستان. ورغم هذا يقبل عليها أبناء المسلمين . وجدير بالذكر ، أن عدد البنات يفوق عدد البنين في هذه المدارس ولقد كان للاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية دور كبير في رفع مستوى هذه المدارس عن طريق دعم مبانيها وتجهيزاتها وتزويدها بالكتب والمعلمين . وقد تبنى الاتحاد الدعوة منذ سنة ١٩٧٦م ، لإنشاء صندوق مستقل لمساعدة هذه المدارس تحت رعاية بنك التنمية الإسلامي. (عبدالقادر، ١٩٨٠م ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠)

وهناك مدارس إنجليزية أهلية يملكها المسلمون ، وتدرس فيها مناهج التعليم الحكومي ، إلى جانب الدين الإسلامي واللغة العربية ، وتعترف الحكومة بهذا النوع من المدارس ، ولخريجيها حق دخول الجامعات الحكومية ، وهي أكثر تنظيماً ، وتهتم باختيار معلميها، وتنظيم امتحاناتها، وترتبط شهاداتها بشهادات التعليم العام بالدولة. (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ٨٠ ، ٨١)

ويتنتشر في بعض المناطق الإسلامية عدد من مدارس بعثات التنصير ، التي أنشئت في ظل الاحتلال الأسباني ، خصوصا في مندناو . وقد استمرت هذه المدارس إلى الآن ، وتمتاز بوفرة إمكاناتها ، وجودة مبانيها حيث إنها مشيدة على أحدث النظم ، ومواردها المالية ضخمة . وقد أنشئت بهدف التنصيو ، ولذا كان إقبال المسلمين عليها بحذر ، خوفا من التأثير على العادات والتقاليد الإسلامية . ولقد بلغ عدد الطلاب والطالبات من أبناء المسلمين الذين التحقوا بالكليات والمعاهد العليا التنصيرية في منطقة شمال كوتاباتو في الفترة بين سنتي ١٩٦٢– ١٩٨٨م حوالي ٣٧٧٣ طالبا و ١١٦٦ طالبة . "King Abdul Aziz, 1992, vol. XIII, no. 1"

المعاهد والكليات الإسلامية :

هناك عدد من المعاهد والكليات مثل معهد مندناو العربي الإسلامي ، ويتبع جمعية إقامة الإسلام ، تأسس سنة ١٩٥٥م ، ويضم المعهد عدة مراحل من الإبتدائية إلى الجامعية ، ففيه كلية لاعداد المعلمين والدعاة وهو يعتمد في تمويله على رسوم تفرض على التلاميذ ، وعلى التبرعات ، وكان به سنة ١٩٧٩م ٢٥٩٢ طالبا . ولقد تخرج في هذا المعهد دفعات عديدة ، ومناهجه ترتكز على العلوم الإسلامية واللغة العربية . وهناك معهد ماراوي الذي افتتح في سنة ١٩٧٢م بماراوي في محافظة لاناو الجنوبية . ويهتم المعهد بتعليم العلوم العربية والإسلامية ، وقد أقيم بجهود ذاتية . وبهذا المعهد قسم داخلي ، كما يضم عدة مراحل من التعليم ، منها المرحلة الابتدائية ومدتها ٤ سنوات ، والمرحلة الإعدادية ومدتها ٤ سنوات ، والثانوية كذلك . وبه قسم مسائي لمن يرغب من المسلمين التزود بالدراسات الإسلامية والعربية . المعهد ملحق بمسجد ، وكان عدد طلابه سنة ١٩٧٩م ١٩٢٨ طالباً وطالبة . كما يتبع المعهد عدد من المدارس تنتشر في قرى ومدن محافظة لاناو الجنوبية ، وكان عددها ٥٠ مدرسة، وعدد طلابها ٤٥٢٤ طالباً وطالبة (عبدالقادر، ١٩٨٠م ، ١٢٢ ، ١٢٣). وهناك كليات تسمي فكاسم وهي عبارة عن معاهد تقدم تعليماً عصرياً باللغة الإنجليزية، وتشمل جميع مراحل التعليم ، ومن أهدافها الحفاظ على التراث الإسلامي عن طريق تزويد الجيل الناشيء بالثقافة الإسلامية ، والدعوة في الأقاليم غير الإسلامية في الفيليبين ، ورفع مستوى المسلمين العلمي ، ومساعدة التلاميذ الفقراء لإكمال تعليمهم . وأنشئت أول مدرسة لعائلة فكاسم سنة ١٩٦٦م ، ثم تحولت إلى معهد ثم كلية . وتدير هذا التنظيم التعليمي هيئة مساهمة من أسرة فكاسم. وقد أنشئت أول كلية لهذه المؤسسة في مدينة ماراوي ، وتعترف حكومة الفيليبين بهذه الكلية، ثم أنشئت بعد ذلك

فروع لكلية فكاسم في بلديات تابران وبؤونا بياياو وماسيو . وتهتم الكليات والفروع بتدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية إلى جانب المناهج الإنجليزية ، وتم افتتاح فرع للدراسات العربية والإسلامية (عبدالقادر، ١٩٨٠م ، ١٣٣ ، ١٣٤)

جامعة الفيليبين الإسلامية :

أنشأتها جمعية كامل الإسلام سنة ١٩٥٥م في مدينة ماراوي ، ولها عدة فروع في "لاناو الجنوبية" و "ولاناو الشمالية" ، وفي "كوتابتو" ، وقد أغلقت هذه الفروع فيما بعد ثم أعيد فتح فروع لها في جهات عديدة ومن أهدافها نشر الدراسات الإسلامية ، والإعداد المهني للطلاب والطالبات . وتمنح الجامعة درجات علمية في التربية ، والآداب والعلوم السياسية والدراسات الاجتماعية ، وبكالوريوس في التجارة . (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣)

مركز الملك فيصل للدراسات العربية والإسلامية :

أنشىء هذا المركز في جامعة مندناو الحكومية في سنة ١٩٧٣م بكلية الآداب، ثم أصبح مركزاً مستقلاً ، وتساعده السعودية ، ويهدف إلى إجراء بحوث عن التراث الإسلامي في الفيليبين ، وإعداد برامج اجتماعية واقتصادية من أجل رفاهية المسلمين، والمجتمعات الثقافية الأخرى في البلاد ، وبه قسم التوجيه وقسم التقويم والبحث وقسم المجتمع . ويتبع المركز مدرسة تجريبية تحتوى مراحل التعليم الثلاث، وملحق به مسجد .

مشاكل التعليم الإسلامى في الفيليبين:

يواجه التعليم الإسلامي عدداً من المشكلات ، نوجزها فيما يلي :

١ - تعدد اللغات ، حيث أن المسلمين يتحدثون بأكثر من ٧ لغات محلية .

٢ - تأهيل المعلمين ، حيث تُدرس اللغة العربية لعدد من أبناء البلاد ، وحصيلتهم

من العربية محدودة ، فمعظمهم وصل إلى نهاية المرحلة الثانوية ، وهذا غير كافٍ بالنسبة لمناهج اللغة العربية في هذه المرحلة .

٣ - ضعف المستوى من حيث الإلمام بطرق التدريس الحديثة .

٤ - غياب الكتاب المدرسي ، وعدم توحيد المناهج .

٥ - رغم وجود عدد من المدرسين المعارين من الدول العربية ، فهذا العدد غير كافٍ لتغطية مدارس المسلمين بالفيليبين .

• • • • • •

الجمعيات الإسلامية والمساجد

أولا : الجمعيات الإسلامية :

يوجد في الفيليبين عدد كبير من الجمعيات والهيئات الإسلامية ، ولهذه الجمعيات أثر كبير في نشر الثقافة الدينية واللغة العربية والدعوة إلى الإسلام ، وتهتم بإنشاء المدارس العربية الإسلامية ، كما تهتم بتعمير المساجد وإصلاحها ومدها بعلماء الدين ، وفيما يلي أبرز الجمعيات الإسلامية :

١ - **جمعية مسلمي الفيليبين** : تأسست في سنة ١٩٢٦م بمدينة مانيلا ولها صلات طيبة بالدول الإسلامية ، كما تهتم ببناء المساجد وعقد المؤتمرات الإسلامية المحلية .

٢ - **جمعية كامل الإسلام** : من أقدم الجمعيات في مدينة ماراوي ، تأسست سنة ١٩٣٦م ، وتعد أول جمعية أسست مدرسة إسلامية عربية بجزيرة منداناو ، ولها نشاط تعليمي .

٣ - **جمعية هداية الإسلام** : تأسست في سنة ١٩٤٨م ، وهي توجد في مدينة ماراوي ، وتحرص على تعليم القرآن الكريم واللغة العربية والدين الإسلامي.

٤ - **جمعية التربية الإسلامية** : تأسست في سنة ١٩٤٩م في مدينة كوتاباتو، وتهتم بنشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية .

٥ - **جمعية إقامة الإسلام** : من أكبر الجمعيات وأنشطها ، توجد في مدينة ماراوي، تأسست سنة ١٩٥٥م ولها الفضل في نشر اللغة العربية في جزر جنوبي الفسيليبين ، ولها العديد من المدارس تجاوزت ٢٦٠ مدرسة منتشرة في الجزر الجنوبية.

٦ - **جمعية مؤتمر الإسلام** : توجد في باينج (لاناو) ، وقد تأسست سنة

١٩٦١م ، واهتمامها منصب على التعليم الإسلامي .

٧ - **جمعية النهضة الإسلامية** : توجد في مدينة كوتاباتو ، تأسست سنة ١٩٦١م ، ولها جهد في تأسيس المدارس الإسلامية .

٨ - **جمعية المؤتمر الإسلامي وجمعية مسلمي صولو** : تأسستا بجزيرة صولو وتهتمان بالدعوة الإسلامية .

٩ - **جمعية نور الإسلام** : مقرها في كوتاباتو في لاناو ، تعتني بشرح الإسلام وتعليم اللغة العربية . (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ٥٩ . ٦٠)

وهناك العديد من الجمعيات الأخرى ، ولقد فاق عددها ١٢٤ مركزاً وجمعية وهيئة إسلامية .

ثانيا : المساجد :

أسست المساجد في الفيليبين منذ مدة بعيدة عقب انتشار الدعوة الإسلامية ، خصوصا في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ، ومن أقدم المساجد ، مسجد (تمبوك غا) في جزيرة صولو ، بناه الشريف أبو بكر سنة ٨٥٤هـ . وتنتشر المساجد في كل المناطق الإسلامية في جنوب البلاد ، وقد فاق عددها ٢٥٠٠ مسجد، ويتولى بناء المساجد الأغنياء من المسلمين ، ولهذا تقام بجهود ذاتية ، ونذكر أمثلة لبعض المساجد الرئيسة :

مسجد باكولور غراندي ، وقد بناه أهل بلدة باكولور، ومسجد فكاسم بمدينة مراوي، ومسجد دار السلام في مدينة ماراوي بنته جمعية إقامة الإسلام، ومسجد مركز الملك فيصل بجامعة مندناو ، ومسجد مانيلا بنته حكومة الفيليبين، وهناك العديد من المساجد المنتشرة في منطقتي لاناو الجنوبية والشمالية، وفي منطقة كوتاباتو، وإجمالا في سائر المحافظات الإسلامية وفي بعض المدن التي ينتشر بها

المسلمون. ويؤدي المسجد في الفيليبين أكثر من وظيفة ،ففيه دروس تعليم القرآن الكريم وتدريس الدين الإسلامي،وتبصير المسلمين بدينهم،وتعقد فيه الاجتماعات والاحتفالات الدينية، كما يتم فيه جمع الزكاة والانفاق على المساجد يتم بجهود ذاتية.

وتعقد مؤتمرات لتدارس أحوال المساجد والمدارس الإسلامية ، ومنها المؤتمر الأول الذي عقد بمدينة ماراوي سنة ١٩٧٧م ، والذي دعت إلى عقده جمعية إقامة الإسلام، وكان الهدف التعرف على الدعوة الإسلامية منهجاً وأسلوباً، ووسائل العمل على تطويرها، كذلك الأخذ بأفضل المناهج التعليمية في إعداد الدعاة والمدرسين، وأئمة المساجد، ودراسة التحديات التي تعترض الدعوة ، وتقوية الاتصالات والتعاون بين الجميعات. وعقد هذا المؤتمر في معهد مندناو العربي الإسلامي في مدينة ماراوي بمقر جمعية إقامة الإسلام ، وشارك فيه العديد من الهيئات الإسلامية المحلية والخارجية. وأصدر المؤتمر عدة توصيات ، يتعلق أهمها بإعداد الأئمة، والإشراف على المساجد واصلاحها ، وتمويل المساجد والمؤسسات الإسلامية، وإعداد المدرسين والمناهج التعليمية. (عبدالقادر، ١٩٨٠م، ١٩٩ وما بعدها) .

• • • • • •

٤ - الأقلية المسلمة في روسيا الاتحادية

مدخل إلى جغرافية روسيا الاتحادية

الملامح العامة :

روسيا من أكبر دول العالم مساحة حيث تقدر مساحتها بحوالي ١٧٫٠٧٥٫٤٠٠ كيلو متر مربع ، وتغطي حوالي ٧٦٪ من مساحة الاتحاد السوفيتي السابق ، ومعظم شمالي أوروبا ، وكل شمالي آسيا ، ونطل على المحيط المتجمد شمالاً وعلى المحيط الهادي شرقاً ، وتشترك حدودها الغربية مع كل من النرويج وفنلندا وأستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولندا وروسيا البيضاء ، وتطل بجبهة ضيقة على بحر البلطيق ، وتشترك حدودها الجنوبية الغربية مع أكرانيا واذربيجان وجورجيا ، كما تطل على البحر الأسود ، وتشترك حدودها الجنوبية مع كل من كوريا الشمالية والصين ومنغوليا وقزاخستان ، وتطل على بحر قزوين ، وتتكون من ١٦ جمهورية ذاتية الحكم و ٥ أقاليم ذاتية الحكم ، و ١٠ مناطق إدارية ذاتية الحكم . "Philip, 1991, vol. 28, 1017 - 1019"

ويقدر سكان روسيا الاتحادية بحوالي ١٤٨ مليون نسمة (١٩٩٦م) ، وأكبر مدنها موسكو العاصمة التي كان عدد سكانها ٨٫٧ ملايين نسمة في سنة ١٩٩٢م ، وسانت بطرسبيرج وسكانها حوالي ٤٫٥ ملايين نسمة . "Europa (B), 1996, vol. II, 2681"

الأقاليم الطبيعية :

يمكن نقسيم أراضي روسيا الاتحادية إلى خمسة أقاليم طبيعية ، هي :

١ - إقليم كولا - كاريليان "Kola Karelian": يقع في شمالها الغربي ، ويعتبر جزءاً من هضبة كاريلينا الاسكندنافية ، تنتشر به الحافات الجبلية ، والعديد من البحيرات ، وقد تأثر بالثلاجات أو الأنهار الجليدية القديمة . وتغطي غابات

التايجا ونباتات المستنقعات القسم الجنوبي من الإقليم . أما القسم الواقع في شبه جزيرة كولا ، فعبارة عن هضبة تعلوها التلال ، ومناخ الإقليم بارد ، فمعدل حرارة يناير إحدى عشرة درجة مئوية تحت الصفر ، والصيف دفيء حيث يصل معدل حرارة يوليو إلى ١٤ درجة مئوية ، ويتراوح معدل الأمطار السنوي بين ٣٥٠ - ٥٠٠ ملم . وهناك شريط ضيق من غابات التندرا شمالي شبه جزيرة كولا ، ونطاق من غابات التايجا ينمو في تربية البذرولا . ويوجد فيها الثعلب القطبي والأيل والدب البني والعديد من الطيور ، وبالإقليم رواسب معدنية ممثلة في النيكل والنحاس والحديد والمايكا .

٢ - **إقليم السهل الروسي "The Russian Plain"** سهل قليل الارتفاع في معظمه تتخلله أنهار طويلة ، وتوجد به بعض الجبال والتلال خصوصا في وسطه ، والتي تقطِّعه إلى أحواض ، منها تلال فالداي وتولا وسمولنسك ، وفي شرقه بعض تلال مقدمات جبال الأورال . ويمتد السهل من أقصى غربي روسيا إلى جبال أورال شرقا ، ومن المحيط المتجمد الشمالي إلى جبال القوقاز وبحر قزوين جنوبا . ومناخه بارد في الشتاء ، فمعدل حرارة يناير تتراوح بين ٥ر١° - ٢٢ درجة مئوية ، ودفيء في الصيف حيث يتراوح معدل درجات حرارة يوليو بين ٩° و ٢٥ درجة مئوية ، بينما معدل الأمطار السنوية يتراوح بين ١٢٥ و ٦٠٠ ميلم ، وتشق الإقليم أنهار عديدة ، منها فولجا ودنيبر ودون ودفينا وتغذيها مياه الثلوج . وتغطي غابات التايجا معظمه ، وفي النطاق الجنوبي يتحول الإقليم إلى شبه صحراوي ، وتوجد رواسب خامات الحديد والنحاس وبعض المعادن النفيسة .

٣ - **إقليم القوقاز (القفقاس)** : يمتد بين البحر الأسود وبحر قزوين ، ويتكوَّن القسم الأوسط من هذا الإقليم من السلاسل الجبلية الرئيسة ، وأعلى جبال القوقاز جبل البروس "Elbrus" (١٨٧٥ متراً) ، ويغطي الجليد بعض القمم ،

وتمثل الجبال حاجزاً طبيعياً ، ويمتد الإقليم حوالي ١٢٠٠ كم من البحر الأسود إلى بحر قزوين ، وأوسع سهوله تطل على بحر قزوين ، وتحتوي جبال القوقاز على العديد من الخامات المعدنية . فإلى جانب البترول والغاز ، يوجد الفحم وخامات الحديد والنحاس ، والمنجنير ، كما توجد أهم مناطق النفط على ساحل بحر قزوين.

مناخ إقليم القوقاز يختلف من منطقة إلى أخرى لذلك يختلف معدل حرارة يناير من منطقة لأخرى ففي الشمال ، يتراوح بين (-٢ و ٥ درجات مئوية) ، بينما في الشرق يتراوح المعدل بين (١ و ٣٫٣ درجات مئوية) ، وفي فصل الصيف يتراوح معدل حرارة يوليو بين (٢٣ و ٢٩ درجة مئوية) "Philip, 1991, vol. 28, 1064" ويتنوع النبات الطبيعي في القوقاز حيث تكسو الغابات والسفوح والقمم ، وتنتشر حشائش (الاستبس) على السفوح الدنيا وفوق السهول .

٤ - **إقليم أورال - ونوفايا زيمليا** "Ural and Novaya Zemlya": تمتد جبال أورال حوالي (٢١٠ كم) بين الشمال والجنوب ، أي من جزر نوفايا زيمليا الممتدة عبر المحيط المتجمد الشمالي إلى بحر قزوين . وتفصل جبال أورال بين قارتي أوروبا وآسيا ، وهو إقليم شديد التضرس ، فبعض قممه تصل إلى ١٨٩٥ متراً ، وتكسوها غابات التايجا في القسم الأوسط والشمالي، بينما تكسو حشائش الاستبس القسم الجنوبي . أما نوفايا زيمليا ، فمجموعة من الجزر تمتد شمال جبال أورال في المحيط المتجمد الشمالي ، تكسوها أشجار التندرا وحشائش الاستبس والجزر باردة في الشتاء ومعتدلة في الصيف، أما جبال أورال ، فمناخها يختلف بإختلاف الارتفاع ، فتسودها الظروف القارية في الجنوب حيث تغطي الثلوج قمم

الجبال ، ومعتدل في الصيف . وفي جبال أورال ثروة معدنية متنوعة ، حيث توجد خامات الحديد والنحاس والنيكل والذهب والبلاتين والكروم والنفط والفحم ، لهذا أصبح الإقليم أحد المناطق الصناعية الكبرى ، خصوصا في صناعة الصلب . "Philip, 1991, vol. 28, 1018"

٥ - **إقليم سيبريا** : يشمل شمالي قارة آسيا ، وهو يمتد من جبال أورال في الغرب إلى المحيط الهادي في الشرق ، ومن المحيط المتجمد شمالا حتى حدود قزاخستان والصين ومنغوليا ،وكوريا الشمالية جنوبا ، سيبيريا إقليم شاسع تبلغ مساحته حوالي (٠٠٠ر٧٦٦ر١٢ كيلو متر مربع) ، وينقسم إلى:

أ - سيبيريا الغربية ومساحتها حوالي (٤ر٢ مليوني كيلو متر مربع) .

ب - سيبيريا الشرقية ومساحتها حوالي (١ر٤ ملايين كيلو متر مربع) .

جـ - الشرق الأقصى ومساحته حوالي (٢ر٦ ملايين كيلو متر مربع) .

تشكل سيبيريا بأقسامها حوالي ٧٥٪ من مساحة روسيا الاتحادية ، وقد احتلها الروس منذ سنة ١٥٨٣م ثم بدأ نفوذهم يمتد نحو الشرق الأقصى في السنوات التالية حتى وصلوا المحيط الهادي .

أ - **سيبيريا الغربية** : تمتد من جبال أورال غربا إلى نهر ينسي شرقا ، ومن المحيط المتجمد شمالاً إلى حدود كل من قزاخستان والصين جنوبا ، وأرضها منخفضة بوجه عام ، تنحدر نحو الشمال إلى المحيط المتجمد الشمالي. وترتفع أرضها في الجنوب حيث منابع نهر أوب ورافده إيرتش . وتنقسم سيبيريا الغربية إلى ٩ أقاليم إدارية ، ومناخها شديد البرودة في الشتاء، فمعدل حرارة يناير في الشمال (- ٢٨ درجة مئوية) ، وفي الجنوب (- ٦ درجات مئوية) وصيفها دفيء ومعدل حرارة يوليو تتراوح بين

(٣ درجات مـئوية) في الشـمال و ٢٣ درجة مـتويـة في الجنـوب . والغطاء النباتي يتمثل في غابات التندرا والتايجا ، وحشائش متناثرة . وثروتها المعدنية تضم بعض الخامات المعدنية . كما يوجد النفط والغاز بكميات كبيرة .

ب – سيبيريا الشرقية : تمتد بين نهـر ينسي في الغرب ونهـر لينا في الشرق ، وبين المحيط المتجمد في الشمال وحـدود منغوليا والصين الشعبية في الجنوب ، وتشغل مساحة شاسعة تقـدر بحوالي ١ر٤ ملايين كيلو متر مربع ، وتشمل ١٠ أقـاليم إدارية . كما تضم الأراضي المرتـفعة في سيبيـريا الوسطى والجبال الشاهقة الارتفاع حول بحيرة بيكـال ، وتشغل مرتفعات وسط سيبيريا معظم أراضيها ، والتي تمتد من نهر ينسي في الغرب إلى نهر لينا في الشرق . كما توجد في الشـمال الغربي أراضٍ منخفضة تتصل بالأراضـي المنخفضة في سيبيـريا الغربية . وترتفع الأرض فـي جنوب سيبيريا الـوسطى ، حيث يزداد تعقيد التضاريس "Paul, 1977, 397, 398" وفي جنـوبي الإقليم ، تمتد بحيرة بيكال بين الجـنوب الغـربي والشـمال الشرقي، وتحـيط بها المرتفـعات، وهي أعمـق البحيـرات العذبـة، فيصل العمق في وسطـها إلى ١٦٢٠ متراً . وأبرز أنهار الإقليم ينسي وروافده، وهو ينصرف نحـو الشمال إلى المحيط المتجمد . ومناخ سيبيريا الشرقية يختلف من مكان لآخر في هذه المساحة الشاسعة وبعامة شديد البـرودة في الشتاء ، حـيث تغطي الثلوج المـرتفعات بل تغطـي معظم مساحة سيبيريا الشرقيـة ، ففي الجنوب، سجلت محطة إيركوتسك ٢١ درجة مئوية تحت الـصفر. كمتوسط لشـهر يناير، بينما وصلت درجـة الحرارة الدنيا إلى – ٥٠ درجـة مئوية تحـت الصفـر وأدنى درجة وصلت إلـى – ٦٧ درجة مئوية تحت الصفر، والصيف قصيـر دفيء ، فمعدل يوليو في إيركوتسك (١٧ درجة مئويـة والأيام الخالية من الجليد لا تـزيد على ٤٩ يوما. "Paul, 1977,

"402 وتغطي غابات التندرا والتايجا مناطق متفرقة من سيبيريا الشرقية والإقليم غني بخاماته المعدنية والنفطية .

جـ - الشرق الأقصى : يحده المحيط المتجمد من الشمال ، ومنغوليا والصين الشعبية وكوريا الشمالية من الجنوب ، ويمتد من سيبيريا الشرقية في الغرب إلى المحيط الهادي في الشرق ، وتبلغ مساحته ٢ر٦ ملايين كيلو متر مربع ، ويشغله (١٠) أقاليم إدارية . وتشكل الأحواض الجبلية معظم مساحته، وقد أثرت الثلاجات أو الأنهار الجليدية في مظهر سطح الأرض . وأوسع أراضيه المنخفضة تحيط بوادي نهر لينا ، وعلى سواحل المحيط المتجمد الشمالي، وشمال نهر عامور، وشمال وجنوب شبه جزيرة كامتشكا . وهناك العديد من الأنهار التي تنصرف في اتجاه الشمال الشرقي . وتعتبر جبال ستانوفوي الجبال الرئيسة بالإقليم، حيث تشكل خط تقسيم المناخ بين نهر عامور ونهر ألدان . وأخصب أراضي إقليم الشرق الأقصى توجد في هذه المنطقة حول وادي نهر زيما . وفي شبه جزيرة كامتشكا ، توجد سلاسل جبلية في الشرق وفي الوسط ، وتظهر في هذه المنطقة آثار براكين قديمة ، وتكثر بها مناطق الضعف وتصيبها الزلازل ، وأبرز أنهار الإقليم،نهر عامور ٤٤١٦ كم)،ونهر لينا (٤٤٠٠ كم) ، ويصب الأول في المحيذ الهادي والثاني في المحيط المتجمد الشمالي .

ونتيجة للمساحة الشاسعة ، يتنوع المناخ في الإقليم من منطقة إلى أخرى، ولكن بصفة عامة فيه ملامح من مناخ سيبيريا الشرقية، حيث الشتاء شديد البرودة ، تتجمد فيه مياه السواحل بين بحر أوخستك والمحيط المتجمد الشمالي، ويغطي الثلج المرتفعات والوديان، وتغزو الإقليم رياح شديدة البرودة، وتتدنى درجات الحرارة بصورة ملحوظة حيث سجلت هناك أقل

درجة حرارة في العالم، وتسمى هذه المنطقة قطب اليابس البارد. وعلى بعض المرتفعات سجلت أدنى حرارة في يناير (٧١ درجة مئوية تحت الصفر) في فرخويانسك "Vekhoyansk"، وترتفع درجة الحرارة قليلاً في الصيف القصير، وتغطي غابات التندرا والتايجا مساحات شاسعة من الإقليم، وتتركز الزراعة في الأودية في الأنهار الجنوبية، والخامات المعدنية تتمثل في النيكل والحديد والفحم والنحاس.

السكان :

تختلف كثافة السكان من إقليم لآخر في هذه المساحة الشاسعة، وترتفع الكثافة بصفة عامة في الأراضي الروسية الأوروبية عنها في سيبيريا والشرق الأقصي، والتي تشغل حوالي ٧٥٪ من مساحة روسيا الاتحادية. فسكان هذه المنطقة الشاسعة قدروا في سنة ١٩٨٣م بحوالي ٢٩٫٦ مليون نسمة "Europa (A), 1986" ، يتركز معظمهم في سيبيريا الغربية ، ويتكوّن سكان روسيا من العناصر السلافية ، والتي تكوّنت من ثلاثة أعراق: الروس والأكرانيين والروس البيض. ويشمل سكان روسيا أكثر من ٦٠ عرقاً ممثلة في أقليات عرقبة، أبرزها التتار والشوفاش والباشكير والموردفيان والداغستان والأودمورت والشيشان والقازاك والماري (الشرميس) ، والإسلام منتشر بين هذه الأقليات.

أما اللغات السائدة بين هؤلاء السكان ، فهي تنقسم إلى المجموعات الآتية :

١ - **مجموعة اللغات السلافية** : تنتمي إلى مجموعة اللغات (الهندو - أوروبية) ، وتشمل اللغة الروسية واللغة الأكرانية ولغة الروس البيض كما تشمل مجموعة لغات السلاف الشرقيين ،وتنتشر اللغة الروسية من بحر البلطيق غربا إلى المحيط الهادي شرقاً .

٢ – **مجموعة اللغات الألتية** : هذه مجموعة رئيسة ، وتضم المتحدثين بالتركية الألتية وتشمل المتحدثين بها في جبال التاي وسايان والتوفينيان "Tubinians" والتوفالار، ومجموعات متعددة في سيبيريا مثل التتار الذين يعيشون في مناطق الغابات والاستبس في سيبيريا الغربية في أعالي نهر أوب ، والياقوت في حوض نهر لينا ، وكذلك الدجان ، والباشكير في أورال وحوض الفولجا وتتار الفولجا وفي شمالي القوقاز (الشوفاش) والكوميك والنوغاي والكاراتشاي والبلكار ، ويتحدث الافنكز والافن لغة المانشو ، والبوريات والكلميك يتحدثون لغة مغولية. "Philip, 1991, vol. 28, 1019"

٣ – **مجموعة اللغات الأورالية** : يتحدثون الفينية وتشمل هذه المجموعة الموردا‌ف والشرميس (ماري) والأدمورت)الفوتياك) والكومي (زيريان) ، وهناك مجموعات أخرى تنتمي للأورالية مثل السمويد والسلكوب في حوض نهر أوب الأوسط ، وكذلك التاز .

٤ – **مجموعة اللغات القوقازية** : تضم هذه المجموعة الأبخار والأديجا والمجموعات الداغستانية (أفار ولزجين والدارجين والاك والتاباسران) ، والأباظ، والكابارد ، والناخ (الشيشان – الإنجوش) .

٥ – **مجموعات أخرى** : توجد في سيبيريا مثل الشوكشي ، والكورياك، وكامشادال ، والأسكيمو ، ومجموعة جيلياك في وادي نهر عامور الأدني وفي جزيرة سخالين . "Philip, 1991, vol. 28, 1019"

الأقسام الإدارية "للأقليات" :

تنقسم مناطق الأقليات في روسيا الاتحادية إلى جمهوريات ذاتية الحكم ومقاطعات ومحافظات كما يلي : "Philıp, 1991, vol. 28, 1019"

أ - الجمهوريات ذاتية الحكم :

١ - باشكيرستان "باشكيريا" .

٢ - بوريات "بورياتيـا" .

٣ - شيشان - إنجـوش .

٤ - شوفـاش .

٥ - داغستان .

٦ - "كابردينـو - بلكار" .

٧ - كالميك .

٨ - كارليان .

٩ - كومي .

١٠ - ماري .

١١ - موردافيا .

١٢ - أوستينا الشمالية .

١٣ - تتارسـتان (تتاريـا) .

١٤ - توفينيـان .

١٥ - أدمورت .

١٦ - ياقوت .

ب - المقاطعات :

١ - أديجا .

٢ - جورنو - التاي .

٣ - "كاراتشاي - شركس" .

٤ - خاكاس .

٥ - يافريسكايا .

جـ - المحافظات :

١ - أجـــين - بـــوريات .

٢ - شـــوكشي .

٣ - إفنـــك .

٤ - خانتي - مانسي .

٥ - وكومي - برمياك .

٦ - كورياك .

٧ - ننيتز .

٨ - تايمير .

٩ - أوست - أوينشكي .

١٠ - ياملو - ننتز .

وهكذا تنقسم مناطق الأقليات في روسـيا الاتحادية إلى ١٦ جمهورية ذاتية الحكم، يتركز المسلمون في عشر منها، وخـمس مقاطعات يتركز المسلمون في اثنين منها، وعشر محافظات .

انتشار الإسلام

وصل الإسـلام إلى الأر اضي التي ضـمتهـا روسيا القـيصريـة في أوروبا الشرقية ، وخصوصا في حوض نهر الفولجا وإقليم سهول شرقي أوروبا وجبال أورال وشمال الـبحر الأسود وإقليـم القفقاس عبـر محورين ، محـور جنوبي وآخر شرقي ، وذلك على النحو التالي :

أولا : المحور الجنوبي :

كان وصول الإسلام عن طريق هذا المحور مبكراً إلى مناطق جيلان والران والكرج وبـلاد الخزر أي جنوب وغـرب بحر قزويـن (بحر الخزر) ، وكـانت البداية في خلافـة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم توالت حـركة الفتوح في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه . ففي عهد الخلفاء الراشدين ، كانت الفـتوح قـد وصلـت إلى بلاد الران والـكرج ، وكـانت مـدينة دربنـد (باب الأبواب) محور تحركات الجيوش الإسلامية نحو الشمال إلى بلاد الخزر ، نحو الغرب إلى بلاد الكرج . (مؤنس ، ١٩٨٧م ، ١٣٢)

استـمرت حركـة الفتـوح عبر هـذا المحور الجنوبـي في عهد الأمـويين ، فأرسلت عدة حـملات لتمكين الإسلام في بلاد أذربيجـان وأرمنيا والكرج أي في إقليـم القفقـاس، وفي بلاد الخزر ، حـيث أسكن الأمويون ٢٤ ألـفا من العرب في باب الأبواب. وتقدمت الجيوش الإسلامـية بقيادة مروان بن محمد في أرض الخزر، واستمـر هذا المحور يتقدم شمالا نحو حـوض الفولجا الأدنى (أبو سعيد، د.ت، ٢٤٠ - ٢٤٥)

سار العباسيون على نهج الأمويين في سـياستهم نحو إقليم الرحاب حيث الثغـور الشمالية "كـما أطلق عليـها العباسـيون" ، واستوطن المسـلمون بلاد

الران، ووطد محمـد بن عتاب سلطان الدولة العـباسية في أرمينيـا في خلافة المأمون. ولما ضعفـت الدولة العباسية ، استقل بـعض الولاة المسلمين بولايات لهم في الكرج . (الشنتناوي ، ١٩٣٣م ، جـ٢ ، ٢٨٢)

ظهر على هذا المحور الأتراك السلاجقة في القرن الخامس الهجري (الحادي عـشر الميـلادي) ، فأغـار ألب أرسـلان على بلاد الـكرج، واستـعاد الحـكم الإسلامي من الأسر النصرانية المحلية التي ظهرت أثناء ضعف الدولة العباسية، وحكمت البـلاد أسر إسلاميـة محلية (بنواداود) . (الـشنتناوي، ١٩٣٣م ، ٢٨٣ ، ٢٨٤)

انتشر الإسـلام سلما عن طريق هذا المحـور بجهود التجـار والدعاة الذين وصلوا إلى حوض الفولجا ، فبثوا الدعـوة بين القفجاك والبلغار . وكان ملوك البلغار علـى صلة بالخلفاء العباسـيين ، حيث طلب ملك البلغار مـن الخليفة العباسـي المقتدر بالله إرسـال من يفقههم فـي الدين . وانتلقت حركـة انتشار الإسلام إلى الشعوب المحلية ، حيث زاد انـتشار الإسلام في حوض الفولجا ، فوصل إلـى باشكير وتـتار الفولجـا . (عبدالحـليم ، د.ت ، ١٠٨ ، ١٠٩) (الشـنتناوي ، ١٩٣٣م ، ج٤ ، ٩٠) ، ثـم نشط هذا المحـور مرة أخـرى ، عندما حمل لواء الدعوة الأتراك العثمانيون .

ثانيا : المحور الشرقي :

بعد انتشار الإسـلامي بين المغول ، وتأسيس دولة مغول القبـيلة الذهبية ، الذين عرفوا بمغول القفجاك ، وارتكزت دولتهم في مدينة "سراي" في حوض الفولجـا الأدنى ازدهرت الدعوة الإسلامـية عن طريق هذا المحور الـشرقي في عهد بركة خـان ، حيث أصبح الإسلام دين الدولة ، واجتهـد بركة خان في نشر الإسلام. واسـتمر هذاا لمحور في بث الـدعوة في عهد خلفـاء بركة خان

خصوصا في عهد منكوخان . وفي هذه المرحلة ، أسس نوعاي قائد خان المغول منكوتمر خانية القرم. وهكذا وصل الإسلام إلى شمالي البحر الأسود وجنوبي روسيا . وبلغ المحور الشرقي أوج ازدهاره في عهد أوزبك خان ، فثبت أركان الدين في البلاد التي خضعت لحكمه ، ونشر الإسلام بين كافة قبائل المغول ، وسمي عصره بالعصر الذهبي للإسلام في هذه المنطقة ، ووضع خطة لنشر الإسلام في بلاد الروس. ولم تكتمل خطته حيث خلفه حكام ضعاف ، وانتهى الأمر بتقسيم دولة أوزبك خان إلى خانيات صغرى ، فسهل هذا استيلاء الروس عليها بعد أن كانت روسيا تدفع الجزية لبركة خان وأوزبك خان . وسيطرت روسيا القيصرية على الامبراطورية المغولية ، وبدأ عهد من التحدي . (عبدالحليم، د.ت ، ١٢٧ ، ١٢٨)

حركة انتشار الإسلام :

١ - **في عهد الخلفاء الراشدين** : وصل الإسلام إلى عدة أقاليم بروسيا الاتحادية بعامة وتركزت الدعوة الإسلامية بصفة خاصة في إقليم القوقاز "القفقاس" ومنطقة القرم وحوض نهر الفولجا "إتيل" ، وبحر "الخزر" وجنوب جبال أورال . وكان وصول الإسلام إلى هذه المنطقة في ظل السلام، عن طريق التجار المسلمين الذين جابوا هذه الأنحاء . كما وصلها الإسلام عن طريق الفتوح في عهود مبكرة منذ زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

ويرجع أول اتصال للمسلمين بهذه المنطقة إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك عندما أرسل سراقة على رأس حملة وصلت إلى باب الأبواب "دربند" وعقد صلحا مع ملكها في سنة ٦٤٣م . ثم اتجهت الحملات الإسلامية إلى بلاد الخزر وباقي بلاد الران ، ففتح حبيب بن مسلمة "تفليس" صلحا وعقد مع أهلها معاهدة سنة ٦٤٥م في عهد عثمان بن عفان

رضي الله عنه ، ووجه حبيب جهده إلى فتح بلاد الكرج بعد أرمينيا ، وأرسل الفقيه عبدالرحمن بن جزع ليفقه من أسلم . (الشنتناوي ، ١٩٣٣م ، ج٥ ، ٣٧٧)

وخلف عبدالرحمن بن ربيعة سراقة بعد وفاته ، فأمر بغزو بلاد الخزر . التي كانت دولتهم تقع شمال بحر قزوين ، حيث مصب نهر الفولجا ، وينتشرون حتى البحر الأسود وأصبحت باب الأبواب بعد هذه الفتوح ثغراً إسلامياً مهما . (أبو سعيد ، د.ت ، ٢٣٩)

تقدم المسلمون نحو أذربيجان بقيادة حذيفة بن اليمان ، فسار إلى العاصمة أردبيل (جنوب غرب بحر قزوين) وصالح أهلها على الجزية ، ثم غزا حذيفة موقان وجيلان (جنوب غرب بحر قزوين) وعقد صلحا معهما . وولي أذربيجان عقبة بن فرقد السلمي ، وقام الوليد بن عقبة بغزوة إلى أذربيجان ، فوجد أكثر أهلها على الإسلام . (مؤنس ، ١٩٨٧م ، ١٣٢ - ١٣٣) . وهكذا دخل الإسلام إلى منطقة القوقاز مبكراً في عهد الخلفاء الراشدين عليهم رضوان الله، وسار المسلمون إليها من جنوب غرب بحر الخزر ، ومن شرقي آسيا الصغري إلى أرمينيا وبلاد الجرجان (الكرج) .

٢ - **في عهد الأمويين** : استمرت الفتوحات في عهد الأمويين تمكيناً للإسلام في بلاد الأذري "أذربيجان" وأرمينيا والكرج والخزر ، أي في منطقة القوقاز وغرب بحر قزوين . ففي عهد عبدالملك بن مروان ، أعاد الخزر هجماتهم على المنطقة، فأرسل الخليفة أخاه محمد بن مروان إلى أرمينيا فهزم المنتقضين على المسلمين في خلاط، واستعاد أمينيا ، وتولى الجراح بن عبدالله الحكمي أرمينيا وتوجه لحرب الخزر فهزمهم ، ولكن كرروا الهجوم على شمال أرمينيا ، وهزموا الجراح في "أردبيل" واستشهد ومن معه . ثم ولى مسلمة

ابن عبدالملك أرمينيا لأخيه هشام وقاد حملة كبيرة ضد الخزر وهزمهم في ورثان قرب باب الأبواب . وتقدمت الجيوش الإسلامية بقيادة مروان بن محمد في أرض الخزر ، حيث تقدم شمالاً وتعقب الخزر والران إلى خارج إقليم الرحاب. وكان لسياسة تهجير العرب إلى إقليم الرحاب أثر في استقرار الدعوة وتثبيت المسلمين في الرحاب . (مؤنس ، ١٩٨٧م ، ١٣٣) ، (أبو سعيد ، د.ت ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥)

وهكذا اتسعت رقعة دولة الإسلام حتى وصلت حوض الفولجا الأدني ، كما وصلت إلى بلاد الجرجان "الكرج" شمال البحر الأسود ، وزاد اتساع الرقعة الإسلامية حتى شملت بلاد الأذري والأرمن والخزر ، وتم تثبيت أقدام الإسلام في هذه المنطقة . وقد عثر على درهم ضُرب في تفليس قاعدة الكرج في سنة ٧٠٤م ، يؤكد هذا الفتح . (الشنتناوي ، ١٩٣٣م ، ج٥ ، ٣٧٨)

٣ - **في عهد العباسيين** : سار العباسيون على النهج السابق في سياستهم نحو إقليم الرحاب حيث الثغور الشمالية ، وهو الاسم الذي أطلقه العباسيون على "مدن المنطقة" . ففي عهد أبي جعفر المنصور ، تولى منطقة الثغور الشمالية يزيد بن أسيد السلمي وله جهود في استاع حدود رقعة الإسلام نحو الشمال في بلاد الران وطبق سياسة استيطان المسلمين بهذه البلاد . (أبو سعيد د.ت ، ٢٤٥ - ٢٤٦) . وأغار الخزر على أرمينيا مرة أخرى في سنوات ٧٥٨م و ٧٦٤م، وتمكن عامر بن إسماعيل من هزيمتهم . وفي عهد الخليفة المأمون ، وطد محمد بن عتاب سلطان الدولة في أرمينيا ، وأخضع في سنة ٨٢٩م ، بلاد الجرجان "الجرزان" . غير أن ضعف الدولة العباسية بعد عصر الخلفاء الأقوياء، أدى إلى طمع الولاة ، فاقتطع إسحاق بن إسماعيل ولاية له في بلاد "الكرج" ، وظلت تحت حكمه من سنة ٨٣٠م إلى ٨٥٣م ، وفي

عهد الخليفة المتوكل العباسي ، أرسل قائده بغا الكبير إلى أرمينيا في سنة ٨٥٢م وهزم إسحاق بن إسماعيل في معركة تفليس سنة ٨٥٣م ، وخرَّب المدينة . وكان بها دار لسك النقود وكان تخريبها غلطة من بغا الكبير .

٤ – **في عهد السلاجقة** : بعد الأحداث السابقة انتشرت الفوضى في الثغور الشمالية أي في بلاد "الرحاب" . ففي أذربيجان ، ظهرت أول أسرة حاكمة وهي الأسرة "الساجية" قبضت على الأمور مع خضوعها لبغداد اسميا في الفترة من ٨٩٢م إلى ٩٣٢م وحكمت آسر محلية (بجراط) بلاد الكرج (أسرة نصراني) وأخذ نفوذ السلاجقة يتجه نحو الكرج ، فأغار الب أرسلان عليها في سنة ١٠٦٣م وسنة ١٠٧٩م واستعاد الحكم الإسلامي على الكرج وماحولها ، ولكن البجراطيين "عادوا إلى حكم البلاد . وفي سنة ١١١٨م، أرسل محمود بن محمد السلجوقي حملة إلى الكرج لإغاثة مسلمي تفليس، ودخلها جيشه ، وهزمه داؤد الثاني ومن معه من القفجاك ، فاستولى داؤد على تفليس في سنة ١١٢١م. ثم حكم تفليس بنو جعفر بعد داؤد في سنة ١١٢١م ، واستمر حكمهم حوالي ٢٠٠ سنة . (الشنتناوي ، ١٩٣٣م ، ج٥، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤). وظل الحال هكذا في صراع بين نصارى الكرج والمسلمين حتى الغزو المغولي.

٥ – **في عهد الصقالية** : عاش في حوض نهر الفولجا قبل سيطرة المغول على المنطقة شعبان، هما القفجاك والبلغار . وكان القفجاك من الترك البدو ، تزايد عددهم في القرن الحادي عشر الميلادي ، واستقروا في حوض الفولجا الأدنى في صحراء الغز، وسميت صحراء القفجاق حيث دخلوا في حروب مع الروس. وكون القفجاك مملكة كانت عاصمتها مدينة سوداق بالقرم . وكان فريق من القفجاك يدين بالإسلام نتيجة تأثير دعاة البلغار ، وامتد نفوذ

القفجاك حتى وصل إلى سواحل بحر أزوف (شمال البحر الأسود) ، وسواحل البسفور ولكن استمرار الحرب بينهم وبين الروس أضعف الفريقين، مما سهل انتصار مغول القبيلة الذهبية عليهم. واندمج شعب القفجاك في المغول، وصارا شعبا واحداً حتى قبل غزو مغول القفجاك ، ودخلوا معهم في الإسلام. (عبدالحليم ، د.ت، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧)

يعتبر البلغار الشعب الثاني في حوض نهر الفولجا ، ويقال لهم ترك أو مولدون عن الترك والصقالبة ، وأطلق الاسم على الدولة والعاصمة معا في وادي الفوليجا الأوسط ، ذلك أن هنا ؛ دولة أخرى للبلغار تكوّنت في وادي الدانوب. ولقد اعتنق البلغار الإسلام قبل القرن العاشر الميلادي ودليل ذلك رحلة ابن فضلان ٩٢١م . فلقد اتصل ملك البلغار "الماس" بالمسلمين تجارياً وسياسياً، فأرسل إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة ٩٢١م ، يطلب منه بعض الفقهاء والعلماء ليعلموا قومه شعائر الإسلام وليساعدوه في إنشاء المساجد وتعيين سمت القبلة واستجاب له الخليقة ، فأرسل سفارة كان ابن فضلان من أفرادها. وزاد انتشار الإسلام بين البلغار واجتهد البلغار في نشره بين الأقوام التركية وجيرانهم الروس فأرسلوا الدعاة إلى الباشكير وحاربوا الخزر والروس والروم واستمرت الحروب بينهم حتى مجيء المغول، وتعاون البلغار مع المغول في نشر الإسلام خصوصا في عهد ملك المغول المسلم بركة خان . (الشنتناوي، ١٩٣٣م ، ج٤ ، ٩٠) ، (عبدالحليم، د.ت ، ١٠٨ ، ١٠٩)

٦ - **في عهد المغول** : لقد انتشر الإسلام بين المغول نتيجة العديد من العوامل . ولما انقسمت دولتهم بعد موت جانكيزخان ، كان القسم الغربي من الامبراطورية من نصيب جوجي خان ، الذي تزوج مسلمة وهي واحدة من

بنات خوارزم شاه، وجوجي هو جد بركة خان الذي بذل جهوداً عظيمة في نشر الإسلام ، كما أنه مؤسس ما سمي بدولة مغول القبيلة الذهبية ، وكانت مملكة مغول القفجاك تمتد من نهر إرتش شرقا إلى أرض البلغار غرباً في حوض الفولجا ، ومن روسيا وبلاد الصقالبة شمالا إلى مملكة المغول الأخرى في وسط آسيا جنوباً. وكان أغلب سكان مملكتهم يعتنقون الإسلام ، مثل أهل خوارزم والقفجاك وبلاد الخزر وبلغار الفولجا ولما مات جوجي ، أعلن شعب القفجاك "باطو" خاناً عليهم ، وارتكزت مملكته على حوض نهر الفولجا حيث العاصمة "سراي" ، وتوسع غربا حتى وصلت مملكته بين سنتي ١٢٣٧م و ١٢٤٢م إلى جبال الكربات ، كما توغل في روسيا وبولندا والمجر . ولما مات باطو خان ، تولى الحكم بركة خان ٢٥٦هـ (١٢٥٧م) . وفي عهده أصبح الإسلام دين الدولة، وبنى عاصمة جديدة سميت سراي الجديدة "سرى بركة" وهي مجاورة لسراي القديمة على الضفة الشرقية لنهر الفولجا ، وتركزت أعمال بركة في الدفاع عن الإسلام، ونشره بين قومه ، والشعوب التي خضعت لحكمه . (عبدالحليم، د.ت، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٤) .

بعد وفاة بركة خان ، تولى الحكم ابن أخيه (منكوتمر) ١٢٦٧ - ١٢٨٠م) وكانت الدولة في عهده وعهد سلفه بركة خان على علاقة طيبة مع دولة المماليك في مصر ، مما كان له أكبر الأثر في انتشار الإسلام . كما أن الدولتين تحالفتا ضد أبغا بن هولاكو . وكان قائد منكوتمر "نوغاي" يميل إلى القسطنطينية، حيث تزوج ابنة الامبراطور . وكان نوغاي يتظاهر بالإسلام ويخفي عقيدته، وتمكن من السيطرة على شمالي البلاد وأسس خانية القرم ودامت حتى سنة ١٧٨٣م ، حين تمكن من السيطرة على شمالي البلاد واتخذها مقراً له ولمن يلجأ إليه من المغول الذين تسموا باسمه "مغول

نوغاي" . ولم يضعف هذا من استمرار الحماسة لنشر الإسلام وتمكينه من النفوس . (توماس، ١٩٧٠م ، ٢٧١) ، (مؤنس، ١٩٨٧م ، ٢٤١)

وبعد موت الخان منكوتمر خلفه منكوخان ، وكان مسلما متحمساً لنشر الإسلام، فأرسل إلى مصر في سنة ١٢٨٣م ، وفداً من فقهاء القفجاك ومعه كتاب ينص على أن الخان دخل في الإسلام ، وانه يقيم شعائر الدين ، وطلب من سلطان مصر ، المنصور بن قلاوون ، المساعده في دعم نشر الإسلام . وأرسل حملات إلى عنغاريا ١٢٨٥م . وبعدها بعام أرسل حملات إلى بولندا وترانسلفانيا وامتدت دولته حتى مصب نهر الدانوب . وانتهى الأمر بالخان منكو إلى التنازل عن العرش طواعية لابن أخيه تلابغا ، وهذا لم يعمر طويلاً بسبب الخلافات التي برزت بين أمراء المغول ، فتولى الحكم طقطاي بين منكوتمر، ولم يكن متحمسا لنشر الدعوة الإسلامية . غير أن الظروف في عهده ازدادت تعقيدا ، حيث دخل في صراع مع قائده "نوغاي" والذي قُتل في حرب معه، كما دخل في صراع مع التجار الأوروبيين في شبه جزيرة القرم، وكذلك مع الترك السلاجقة . وقد واكب هذا ، ظهور الأتراك العثمانيين. ورغم هذه الظروف، صادفت الدعوة الإسلامية تقدما . (عبدالحليم، د.ت، ١٣١)

٧ - **في عهد دولة القبيلة الذهبية** : بدأت هذه المرحلة بتولي أوزبك خان في سنة ١٣١٣م، وانتهت بانتهاء دولة القبيلة الذهبية في بلاد القفجاق في منتصف القرن السادس عشر الميلادي . ولقد اشتهر أوزبك خان بحماسته لنشر الإسلام، وكان من أشد اتباع الإسلام حماسة وصلابة ، فثبت أركان الدين في البلاد النتي خضعت لحكمه . ويقال إنه وضع خطة لنشر الإسلام في روسيا ، وكان رغم هذا كثير التسامح مع النصارى في دولته .

ومما يدل على ذلك ، العهد الذي منحه أوزبك خان للمطران بطرس في سنة ١٤١٤م ، حيث جاء فيه "أنه لا يحل لأحد أن يتعرض لكنيسة بطرس ، أو لأحد من خدامها أو قسيسيها بسوء، ولا أن يستولي علي شيء من ممتلكتها أو متاعها أو رجالها ، ومن خالف أمرنا هذا فهو أثيم أمام الله ، وينال منا القتل: " وقد أدت سياسة تسامح أوزبك خان مع رعاياه من النصارى إلى قيام البابا يوحنا الثاني والعشرين بتوجيه رسالة إلي الخان في سنة ١٣١٨م يشكره فيها على طيب معاملته للنصاري . (توماس، ١٩٧٠م ، ٢٧٢) . ولقد وصلت حركة انتشار الإسلام إلى قمتها في عهد أوزبك خان ، حيث تم انتشار الإسلام بين كافة المغول في بلاد القفجاق (القبيلة الذهبية) ، ودخلت الدعوة الإسلامية إلى سيبيريا وجنوبي روسيا ، وسمي عصره بالعصر الذهبي للإسلام في هذه المنطقة، ونسبت إليه قبائل الأوزبك، بل نسبت إليه بلاد القفجاق كلها، وصار هذا الاسم علما على البلاد وعلى الشعب . واستمر نشاط الدعوة في عهد ابنه جلال الدين محمود (١٣٤٢ - ١٣٥٧م) ، وصارت البلاد في عهده مأوى للعلماء والفقهاء ، وامتلأت العاصمة سراى بهم ، كما حافظ على سياسة آبائه في ضرورة إخضاع روسيا لدولة الإسلام ، فجاء إليه ملك روسيا ومطرانها لتجديد العهد والولاء . ولكن خلفه: محمد بردى بك" (١٣٥٧ - ١٣٦١) لم يكن على مستواه ، فكان ظلوماً مستبداً، فاضطربت البلاد ، وانتهز الروس هذه الفرصة حيث تمكنوا لأول مرة من هزيمة جيش مغول القفجاك في سنة ١٣٧٨م ، منذ أن أخضعهم باطوخان في سنة ١٢٣٧م، أي أن روسيا ظلت خاضعة لنفوذ خانات القبيلة الذهبية قرابة قرن ونصف. (عبدالحليم ، د.ت ، ١٢٧ ، ١٢٨)

وبعد التمزق الذي ساد دولة مغول القفجاك والمحاولات المتكررة لاغتصاب

عرش "سراى" ، ظهرت الصحوة بنولي طقتمش (توقتاميش) ابن بردي بك (١٣٨٠ - ١٣٩٥م) والذي لجأ أثناء الصراع على العرش إلى تيمورلنك فساعده ضد الروس والطامعين في العرش ، واستطاع طقتمش أن يعيد الأمن للبلاد بعد استرجاعه عرش مغول القبيلة الذهبية ، فنهضت الدولة مرة أخرى، ثم سار إلى روسيا ودخل موسكو في سنة ١٣٨٢م ، وظهرت أطماع تيمورلنك، فغزا أذربيجان وأرمينيا وبلاد الكرج ، فساءت العلاقة بين طقتمش وتيمور لنك ووقعت الحرب وانتهت بهزيمة طقتمش وقُتل وهرب أولاده إلى بلاد الروس. وخرب تيمور سراي عاصمة خواقين القبيلة الذهبية سنة ١٣٩٥م. وكانت ضربات تيمورلنك لدولة سلاطين القفجاك قوية ، فانتشرت الفتنة وزاد الصراع على العرش، وبدأت خانية القبيلة الذهبية تسري إلى النهاية. (مؤنس، ١٩٨٧م، ٢٤٣) ، (عبدالحليم، د.ت ، ١٢٩ ، ١٣٠)

• • • • • •

انتشار الإسلام في سيبيريا

كان بعض التجار والعلماء من بخاري وقازان دائمي التردد على سيبيريا للتجارة ونشر الدعوة الإسلامية ، ولهذا اعتنق خانات سيبيريا الإسلام قبل غزوة كوتشيم خان لهم في سنة ١٥٦٣م ، والدليل بعض قبور الدعاة الذين استشهدوا في سيبيريا أثناء الدعوة للإسلام ، ولهذا انتشر الإسلام في سيبيريا قبل سقوط دولة القبيلة الذهبية على أيدي الروس ، وغزا كوتشيم خان حاكم خوارزم سيبيريا ، وأصبح خانا لها لسنوات طويلة وأرسل إلى والده في بخارى وإلى حاكم قازان يطلب دعاة لتمكين الإسلام في سيبيريا . وفي عهده توافدت أسر مسلمة على سيبيريا واستقرت في مناطق عديدة في توبولسك وتومسك وتورنسك وتارا ، واجتهد كوتشيم في نشر الإسلام حتى هاجمه الروس في سنة ١٥٨٦م . وحارب كوتشيم الروس وانتصروا عليه في سنة ١٥٩٨م واسروا أسرته، وأوقف هذا الزحف الروسي جهود كوتشيم في نشر الإسلام ولم تتوقف الدعوة الإسلامية ، حيث واصل الدعاة والتجار نشر الإسلام حتى أسلمت قبائل مغولية تدعى باربا تتار Baraba Tatar في سنة ١٧٤٥م ، وكانت تعيش بين نهري إتش وأوب . (توماس ، ١٩٧٠م ، ٢٨١ ، ٢٨٢) ، ثم تلى ذلك مرحلة أخرى من نشر الإسلام ، حيث نفى الروس العديد من المسلمين إلى سيبيريا عقابا لهم ، وعاد هذا على الدعوة بالانتشار .

استيلاء الروس على خانيات القبيلة الذهبية "عصر التحدي" :

بعد تفكك خانية القفجاك إلى خانيات صغيرة في القرم وقازان وحوض الفولجا واستراخان عند مصب الفولجا ، أدى هذا التفكك إلى استقلال روسيا لأول مرة منذ أن سيطرت عليها خانية القبيلة الذهبية ، وتحقق حلم الروس في

القضاء على خانيات المغول وعرقلة انتشار الإسلام ، خصوصاً بعد أن تزوج الأمير إيفان حاكم موسكو من الأميرة صوفيا ابنة آخر أباطرة القسطنطنية ، واعتبر نفسه وريثاً لعرش الروم ، واعتبر أن موسكو قد أصبحت عاصمة الأرثودكشية في الشرق . واشتد حماس خلفائه في محاربة خانيات القبيلة الذهبية والقضاء عليهم . وتعرض المسلمون لحرب صليبية في بلاد الرحاب والقفقاس وحوض الفولجا . (عبدالحليم ، د.ت ، ١٣٠ ، ١٣١) ، وفتح هذا الطريق أمامهم إلى جبال أورال وسيبيريا ، كما استولوا على خانية استراخان في سنة ١٥٥٦م ، وهذا فتح الطريق أمامهم إلى بحر قزوين .

الجهاد ضد صليبية الروس :

استمر تقدم الروس في الاستيلاء على الأراضي الإسلامية ، فاحتلوا باشكيريا سنة ١٥٥٧م و خانية سيبيريا سنة ١٥٩٨م ، وخانية القرم سنة ١٧٨٣م. وبعد استيلاء الروس علي خانية قازان مباشرة ، أسسوا فيها جمعية تنصيرية (جمعية المسيونير) ، ونشط أعضاؤها في جذب شعب الجواش وغيرهم إلى النصرانية ، وشجعهم الروس بالأموال ، واضطر المسلمون إلي الهجرة من ديارهم إلى حيث الأغلبية المسلمة ، وكان هذا هدف الروس من قديم ، وخلت قرى كثيرة من المسلمين ، وأخذت جمعية (المسيونير) بالتعاون مع الحكومة الروسية في هدم المساجد . وهكذا بدأت حملات تنصيرية شرسة بعد سقوط خانية قازان . وفي كثير من القرى التي تم تنصيرها كراهية أو طواعية ، كان الرجال يذهبون إلى قرى الأغلبية المسلمة لاحتراف الحياكة ، وهناك يعتنقون الإسلام ثم يعودون إلى قراهم دعاة مبشرين ، وانطبقت هذه الحالية على (الشرميس) والشوفاش والمناطق الأخرى المحيطة بخانية قازان . (عبدالحليم ، د.ت ، ١٣٤ ، ١٣٧)

لقد بدأ الروس سياسة الحرب المقدسة ضد المسلمين كما أطلقوا عليها ، وكان شعارهم هو قتال "البوزرامين" أي المسلمين . وبعد أن استولى الروس على خانية القرم ، عاثوا فيها فساداً في عهد الامبراطورة كاترين الثانية ، التي أصدرت مرسوماً يحتم على كل من يعتنق النصرانية أن يوقع إقراراً كتابياً يتعهد فيه بترك خطاياه ، ويتجنب كل اتصال بالمسلمين ، وطُرد المسلمون من أرضهم الخصبة إلى الأراضي القاحلة ، ورحلوا جماعات ، هجّرت الحكومة الروسية الروس إلى القرم ومنحتهم أخصب الأراضي ، وكذلك فعلوا بمسلمي القوقاز، وازدادت حركة التنصير الإجباري في عهد بطرس الأكبر ، فكانت أكثر شراسة، وكذلك في عهد كاترين الثانية، حيث دمر الروس في خانية قازان وحدها ٤١٨ مسجداً من أصل ٥٣٦ مسجداً ، وأغلقوا المدارس القرآنية، واستولوا على أوقاف المسلمين وأعفت الدولة المرتدين من الضرائب، وكان من يتسبب في تحويل وثني أو نصراني إلى الإسلام جريمة يُعاقب عليها بالإعدام . وفي سنة ١٨٦٣م، قام المنصر نقولا المنسكي بإنشاء دار المعلمين لأبناء التتار المنتصرين ليقوموا بأعمال التنصير،وازدادت حملة التنصير شراسة في عهد اسكندر الثاني.

وانتشرت الدعوة بصورة سرية ، وبعد أن صدر في روسيا القيصرية قانون حرية التدين في سنة ١٩٠٥م ، عاد من نصّرتهم روسيا إجباريا إلى الإسلام، حيث كانوا يحتفظون بإسلامهم سراً . ونشطت الدعوة للإسلام من جديد، ففي سنة ١٩٠٦م ، بلغ عدد من أعلنوا إسلامهم ٥٣ آلف نسمة ، ودخلت أسر بأكملها في دين الله . ففي سنة ١٩٠٩م ، دخلت ٩١ أسرة في الإسلام من قرية واحدة ، هي قرية "أتومفا" . وانتشرت الدعوة الإسلامية في حماسة بالغة بين تتار سيبيريا . كذلك نشطت الدعوة الإسلامية بين تتار القرم. (توماس، ١٩٧٠م ، ٢٧٨ ، ٢٨٠)

ولقد صمد المسلمون في القوقاز "القفقاس" في وجه الروس ، وقاد المقاومة علماء الدين مثل الإمام المنصور والإمام شامل ، واستمرت المقاومة أكثر من ٧٥ سنة ، بل أن الروس لم يقضوا على حركة المقاومة في الجبال إلا في سنة ١٨٨٧م ، وطرد الروس الكثير من أبناء الشعوب الإسلامية في القفقاس خارج أوطانهم . ولما صدر قانون حرية التدين ١٩٠٥م ، عاد هؤلاء إلى أوطانهم متمسكين بعقيدتهم . وبعد سنة ١٩٠٥م ، حدثت نهضة إسلامية كبيرة بين الشعوب الفينية التي اعتنقت الإسلام في حوض الفولجا ، مثل شعب ماري "الشرميس" وشعب مردوف وشعب أدمورت ، وكذلك بين قبائل الشوفاش التركية الأصل. ونتيجة لحركات النهضة الإسلامية ، بدأت وحدة الشعوب الإسلامية تظهر في الأفق ، كما ظهرت الحركات الإصلاحية. (شنتال ، ١٩٧٧م، ٣١، ٣٢)

أحوال المسلمين في عهد السوفييت :

استولى الشيوعيون على الحكم في سنة ١٩١٧م ، واستقبل المسلمون هذا الحدث وكأنه مقدمة عهد جديد للحرية ، واعتقدوا أنه سوف يضع حداً للمظالم الاستعمارية الروسية ، ولكن زعماء المسلمين رفضوا الايديولوجية الماركسية رغم أن الشيوعيين كانو أول الأمر يخطبون ود المسلمين . ففي النداء الذي وجهه كل من لينين وستالين في نوفمبر سنة ١٩١٧م ، أكدا فيه أن ثورتهم تكفل حرية العقيدة والمحافظة على عادات وتقاليد الشعوب الإسلامية، ثم اتضح أن هذا النداء كان حبراً على ورق . وفي خضم هذه الأحداث ، عقد المسلمون مؤتمراً إسلامياً في موسكو في سنة ١٩١٧م ، وحضر المؤتمر حوالي ٩٠٠ مندوب كان من بينهم حوالي ٣٠٠ مندوب من علماء الدين . وكان هدف المؤتمر المطالبة بالاستقلال في الأمور الدينية ، وأن يتم تعيين المفتي

عن طريق الانتخابات لا عن طريق السلطات الروسية ، كما طالبوا بأن يكون للمسلمين إدارة رسمية ممثلة في المناطق الإسلامية . (بكر ، ١٩٨٨م ، ٢٩١)

لقد توالت الأحداث بعد قيام الثورة الشيوعية ، فدعا تتارالقرم إلى عقد مؤتمر وطني في مدينة (سيمفيروبول) ، انتخبوا خلاله لجنة تنفيذية مسلمة كانت نواة لحركة وطنية ، وفي شمال القفقاس ، دعا سكان الجبال من داغستان وشيشان والنجوش وأوسيت وكابارد وغيرهم لإقامة نواة لحكومة وطنية، وانتخبوا الشيخ نجم الدين نموتسنسكي إماماً لهم ، وحاولوا استعادة أراضيهم الخصبة التي استولى عليها الروس . وفيما وراء القفقاس ، دعا المسلمون إلى استقلال بلادهم وطالبوا بمساعدة تركيا . وفي حوض الفولجا ، طالب تتار وباشكير الفولجا بوحدجة إسلامية ، وعقدوا مؤتمراً إسلامياً في قازان سنة ١٩١٧م، وطالبوا بإنشاء مديرية وطنية للشؤون الإسلامية ، كما طالبوا بالاستقلال القومي الثقافي لأتراك روسيا سيبيريا ، وطالبوا بحقوق المسلمين الشرعية. (شنتال، ١٩٧٧م، ١٢٥ - ١٣٥)

تنكيل السوفييت بالحركات الوطنية الإسلامية :

كانت أولى الخطوات لتحقيق القضاء على الحركات الوطنية الإسلامية ، صدور مرسوم عن مجلس مفوضي الشعب سنة ١٩١٨م يقضي استحداث مفوضية مركزية للشؤون الإسلامية ، وعُهد إليها "ببلشفة المسلمين" . وعلى أثر ذلك، بدأت حكومة موسكو بشن حملات عسكرية شرسة على المناطق الإسلامية، فدمروا طشقند وهاجموا تتار الفولجا عندما أعلنوا تكوين دولة تتارية باشكيرية. ووقعت أحداث دموية في باكو قتل فيها أكثر من ٣ آلاف مسلم ، وأنشأ السوفييت في سنة ١٩١٩م جمهورية الجبليين المستقلة ذاتياً من ٧ أقوام هم: الكابارد، والكارتشاي، الشيشان، الإنجوش الشركس،

الأوسيت، والبلكار، وهكذا فتتوا الجمهورية إلى مناطق ، وأصبحت هذه المقاطعات الإدارية تضم ٣ لغات قومية . كما شكلوا جمهورية داغستان ذاتية الحكم ، وأصبحت الصورة الإدارية والسياسية بعد تفتيت المسلمين إلى قوميات هي : (١) جمهورية الشيشان ذاتية الحكم تشكلت في سنة ١٩٢٢م وجمهورية الأنجوش في سنة ١٩٢٤م ثم تم دمجهما في سنة ١٩٣٤م . (٢) كاباردينو - بلكار ، أنشئت باسم مقاطعة كابارد المستقلة ذاتيا في سنة ١٩٢١م ، ثم ألحقت بها البلكار في سنة ١٩٣٦م . (٣) قسمت السلطات السوفيتية شعب الأوسيت بين وحدتين إداريتين ، جمهورية أوسيتا (اوستينا) الشمالية ، ومقاطعة أوسيت (اوستينا) الجنوبة ، وابتدعت لهما لغتين قوميتين ولم تنجح. (٤) جمهورية داغستان ذاتية الحكم وتضم ٢٠ جماعة مسلمة ، تنقسم إلي ٣ لغات هي : الإبروقوقازية والتركية والإيرانية ، ثم قرر زعماء السوفييت زيادة تفتيت شعب الداغستان ثقافيا، فمنحت داغستان إحدى عشرة لغة ، إمعاناً في تفتيت وحدة المسلمين الداغستانيين ولكي تسود اللغة الروسية . واتبعت السياسة نفسها في إقليم ماوراء القفقاس، والهدف واضح هو إذابة الشعوب الإسلامي. فالمتتبع لتعددا سنة ١٩٥٩م في الاتحاد السوفييتي السابق ومقارنته بتعداد سنة ١٩٣٩م وتعداد سنة ١٩٢٦م يرى اختفاء قوميات مسلمة مثل الأوراك (انراك) والتيتيار والميشار والناغاييان وجماعات ماوراء القفقاس ، مثل تاليشي . كل هذه الجماعات تلاشت عن طريق سياسة إذابة وتفتيت الشعوب الإسلامية. (شنتال ، ١٩٧٧م، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٣٦٥)

سياسة السوفييت المعادية للإسلام :

شن السوفييت حرباً معلنة أحياناً ومستترة أحياناً أخرى على المسلمين ، والهدف هو القضاء على الإسلام وإبعاد المسلمين في الاتحاد السوفيتي عن

دينهم. فلقد واجه المسلمون الكثير من التحديات قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها ، ففي سنة ١٩٢٦م ، . اُلغيت المحاكم الشرعية من المناطق الإسلامية. وفي سنة ١٩٤٦م مُنعت جميع الأنشطة الدينية ، وتم القبض على مليون ونصف مليون من أعضاء الحركة الإسلامية بين سنتي ١٩٢٨م و ١٩٣٢م ، ثم بدأ السوفييت حملة إغلاق المساجد أو هدمها منذ سنة ١٩٢٩م ، فأغلقوا وهدموا ١٠٫٠٠٠ مسجد ، وأكثر من ١٤٠٠٠ مدرسة قرآنية في أنحاء الاتحاد السوفييتي . (King Abdul Aziz, 1980, vol. 1, no. 2)

واستمرت سياسة السوفييت في محو شخصية الشعوب الإسلامية ، فاستخدمت الحروف اللاتينية في التعليم بدلاً من الحروف العربية في سنة ١٩٢٨م ، ثم استخدمت الحروف الروسية منذ سنة ١٩٣٨م ، ومعنى هذا إلغاء كل التراث الإسلامي الذي كتب بالحروف العربية . ولقد كان في مدينة قازان عاصمة تتارستان جامعة إسلامية كانت تضم ٧ آلاف طالب قبل استيلاء السوفييت على الحكم ، وكان بها مطبعة أصدرت أعدادا هائلة من الكتب الإسلامية في سنة ١٩٠٢م ، وكان بالأراضي الإسلامية قبل حكم السوفييت ٢٣ داراً إسلامية للنشر ، ٥١٨ صحيفة إسلامية و ١٩٦ مكتبة متخصصة في الإسلاميات ، واستمر السوفييت في سياسة التحدي ، فكان في روسيا القيصرية في سنة ١٩١٣م ، ٢٦٠٢٧٩ مسجداً . وفي سنة ١٩٤٢م ، أعلنت جريدة الحرب السوفيتية أن عدد المساجد في الاتحاد السوفيتي١٣١٢ مسجداً .

ويمكن حصر سياسة السوفييت في ٣ أداور :

١ - دور الحركة "التكتيكية" ، التي اتصفت بالتسامح الظاهر واستغرق الفترة ١٩١٧ - ١٩٢٩م .

٢ - دور الاضطهاد الوحشي للمسلمين ، واستغرق الفترة ١٩٢٩ - ١٩٤١م.

٣ - دور انتهاز الفرص المواتية أو ما يسمى بالإلحاد العلمي كوسيلة للحرب ضد الإسلام ، حيث أعلن مؤتمر الحزب الشيوعي الحادي والعشرون في سنة ١٩٥٩م ، أنه يجب وضع حد للإسلام في الاتحاد السوفييتي .

وضع المسلمين بعد تفكك الاتحاد السوفييتي (السابق) :

شهد النصف الثاني من سنة ١٩٩١م تفكك الاتحاد السوفيتي (السابق). ومنذ هذا التاريخ وقبله ، أخذت المشاكل الموروثة عن الاتحاد السوفييتي السابق تبرز في كيان الشعوب الإسلامية ، فبرزت مشكلة مسلمي القرم وهم من التتار المسلمين. فلقد ألغيت هذه الجمهورية بقرار من مجلس السوفييت الأعلى في سنة ١٩٤٣م بتهمة باطلة (التعاون مع الألمان في الحرب العالمية الثانية) ، ثم ألغى مجلس السوفييت الأعلى قراره السابق بقررا آخر يقضي ببراءة تتار القرم من تهمة الخيانة ، وللأسف جاء هذا بعد أن شرد السوفييت شعب القرم وأضيفت جمهوريتهم إلى أوكرانيا (حرب ، ١٩٩٣م ، ٦٠ ، ٦١) ، كما انعكس الميراث السوفييتي السابق على شعب الأبخار المسلم داخل إقليمه الذي أهدته روسيا السوفيتية جمهورية جورجيا ، وثار شعب الأبخار مُطالباً باستقلاله عن جورجيا ، وخاض حرباً دامية وقاتل بشراسة لنيل حريته . (حرب ، ١٩٩٣م ، ١٠٦ ، ١٠٥)

ومن ميراث الاتحاد السوفيني السابق مشكلة شعب الأخسقا أو "المسكت" ، وهو شعب مسلم تعداده حوالي نصف مليون نسمة فقد صدر قرار ستالين في أثناء الحرب العالمية الثانية بطرده من أرضه ، وهجّر إلي أرضهم جورجان من جورجيا ، وشردشعب الاخسقا في وسط آسيا وسيبيريا، وفي عام ١٩٦٨م ، أذنت السلطات السوفيتية للأخسقا بالعودة إلى مناطقهم، وكانت أعدادهم في سنة ١٩٨٩م ، ١٨٠ر٠٠٠ نسمة في أوزبكستان ،

۳۰٫۰۰۰ نسمة في قـزاكستان ، ۷٥۰۰۰ نسمة في تركـمانستان ، ۱۳۰۰۰ نسمة في أذربيجان ، بالإضافة إلى أعداد أخـرى مشردة في أنحاء مختلفة من سيبيريا . ووقعت مصـادمات بينهم وبين الأوزبك في سنة ۱۹۸۹م ، ويطالب شعب الأخـسقا "المسكـت" بعـودتـه إلى أرضـــه في جـورجيـا. (حرب ، ۱۹۹۳م ، ۱۰۸ ، ۱۰۹)

ومن ميـراث الاتحاد السوفـيتي السابـق أيضاً ، مشكـلة شعب التـتار في تتارسـتان ومطالبتـه بالاستقلال ، وذلك بـعد مرور أربعة قـرون ونصف على احتلال الروس لـهم في عهد إيفان (الـرهيب) ، حيث قتل الروس فـي عهده نحـو ۳۰ ألف تتري عـند الاستيـلاء على تتـارستـان. (حرب ، ۱۹۹۳م ، ۱۳٤).

• • • • • •

التركيب العرقي للمسلمين

تنتمي الشعوب الإسلامية في روسيا الاتحادية إلى عدة مجموعات عرقية (Weeks, 1984, 203 - 205) على النحو الآتي :

١ - المجموعة التركية : تضم شعوب التتار والباشكير والقرم والأناضول والقرتشاي والنوجاي والبلكار والكوميك والشوفاش . وتعد هذه المجموعة من أكبر المجموعات العرقية عدداً ، إذ تمثل ما يقرب من ٥٠٪ من إجمالي الشعوب الإسلامية في روسيا الاتحادية .

٢ - المجموعة الداغستانية : تضم شعوب داغستان والشيشان والكباردينا والإنجوش .

٣ - المجموعة القوقازية: تشمل شعوب الأبخار والشركس والاديجا والابازا.

٤ - المجموعة الفنلندية: تضم شعوب الأودمورت والماري والمروف والأورنبورج .

٥ - المجموعة الهندو - إيرانية : تشمل شعبي الأوستيا والأكراد .

٦ - المجموعة العربية: وهي تعد من أقل المجموعات الإثنية عدداً في روسيا الاتحادية.

توزيع المسلمين في جمهوريات ومقاطعات الحكم الذاتي

يتركز معظم المسلمين (٧٧٪) في روسيا الاتحادية في جمهوريات ومقاطعات الحكم الذاتي. ويستفاد من بيانات الجدول رقم (٥)، أن جمهورية باشكير تعد من أكبر هذه الوحدات من حيث عدد المسلمين، حيث تضم نحو

١٥٪ من إجمالي عدد المسلمين في روسيا الاتحادية(سنة ١٩٩١م). ويلي باشكير من حيث هذه النسبة كل من جمهورية التتار (١٣٪) وداغستان (٥ر١١٪) .

أما عن نسبة عدد المسلمين إلى إجمالي سكان هذه الوحدات ذاتية الحكم، فإنها تصل إلى ٨٠٪ في داغستان ، ٦٦٪ في جمهورية شيشان - أنجوش، وحوالي ٥٨٪ في جمهورية شوفاش .

• • • • • •

جدول رقم (٥) سكان جمهوريات ومقاطعات الحكم الذاتي وعدد المسلمين فيها (١٩٩١م)

الوحـــدة	عدد السكان	عدد المسلمين
تتار	٤ر٢٥٠ر٠٠٠	٢ر١٢٥ر٠٠٠
باشكير	٤ر٣٢٠ر٠٠	٢ر٤١٩ر٢٠
داغستان	٢ر٣٥٠ر٠٠٠	١ر٨٨٠ر٠٠٠
تيشان - أنجوش	١ر٧٥٠ر٠٠٠	١ر١٥٥ر٠٠٠
أودمورت	١ر٨٥٠ر٠٠٠	٥٥٥ر٠٠٠
مورد فيان	١ر١٥٠ر٠٠٠	٥٧٥ر ٠
شوفاش	١ر٣٣٦ر٠٠٠	٧٧٤ر٨٨٠
أوسيتيان الشمالية	٩١٩ر٠٠٠	٥٠٥ر٤٥
كابردين - بلكار	٧٦٠ر٠٠٠	٤١٨ر ٠٠
ماري	٩٥٨ر ٠٠	٢٨٧ر٤٠٠
أنجازيا	٧٥٠ر ٠٠	٢٢٥ر٠٠٠
أدهاريا	٤٥٠ر٠٠٠	١٨٠ر٠٠٠
قرنشاي - شركس	٤٥٠ر٠٠٠	١٦٦ر٥٠٠
أوديجا	٥٤٠ر٠٠٠	١٦٢ر٠٠٠
أوربرج	٢٣٠ر٠٠٠	٨٠٥٠٠
أسترخان	٨٩٠ر٠٠٠	٣٥٦ر٠٠٠

المصدر :

- Paul, E. 1977, Geogiaphy of the U.S.S R, John Wily & Sons, New York
- Europa (B) 1996, The Europa Yrear-Book, vol. 11.
- Weeks, R , 1984, Muslim, Peoples : A World Ethnogiaphic Survey, Green Wood Press, U.S.A .

توزيع المسلمين حسب الأقاليم الجغرافية

ينتشرالمسلمون في معظم مناطق روسيا الاتحادية ، ويزداد تجمعهم بصفة خاصة في الأقاليم التالية :

١ - حوض نهر الفولجا حيث يتركز الوجود الإسلامي في جمهوريتي تتارستان وباشكيرستان (وهما من الجمهوريات ذاتية الحكم) ، وفي مقاطعة أستراخان .

٢ - حوض فولجا - فياتكا Volga Vyatka جمهوريات ذاتية الحكم هي : ماري وشوفاش وموردوفيان .

٣ - شمال القوقاز "القفقاس" في جمهوريات ذاتية الحكم هي : داغستان و شيشان - إنجوش و كابردين - بلكار و قارتشاي - شركس و أوسيتيان الشمالية و مقاطعة أوديجا .

٤ - جبال أورال ، في جمهورية أودمويتا ذاتية الحكم وفي مقاطعة أورنبورج (شكالوف) .

٥ - سيبيريا الغربية .

٦ - جمهورية القرم السابقة .

أولا : المسلمون في حضو نهر الفولجا (شكل رقم ١٣) :

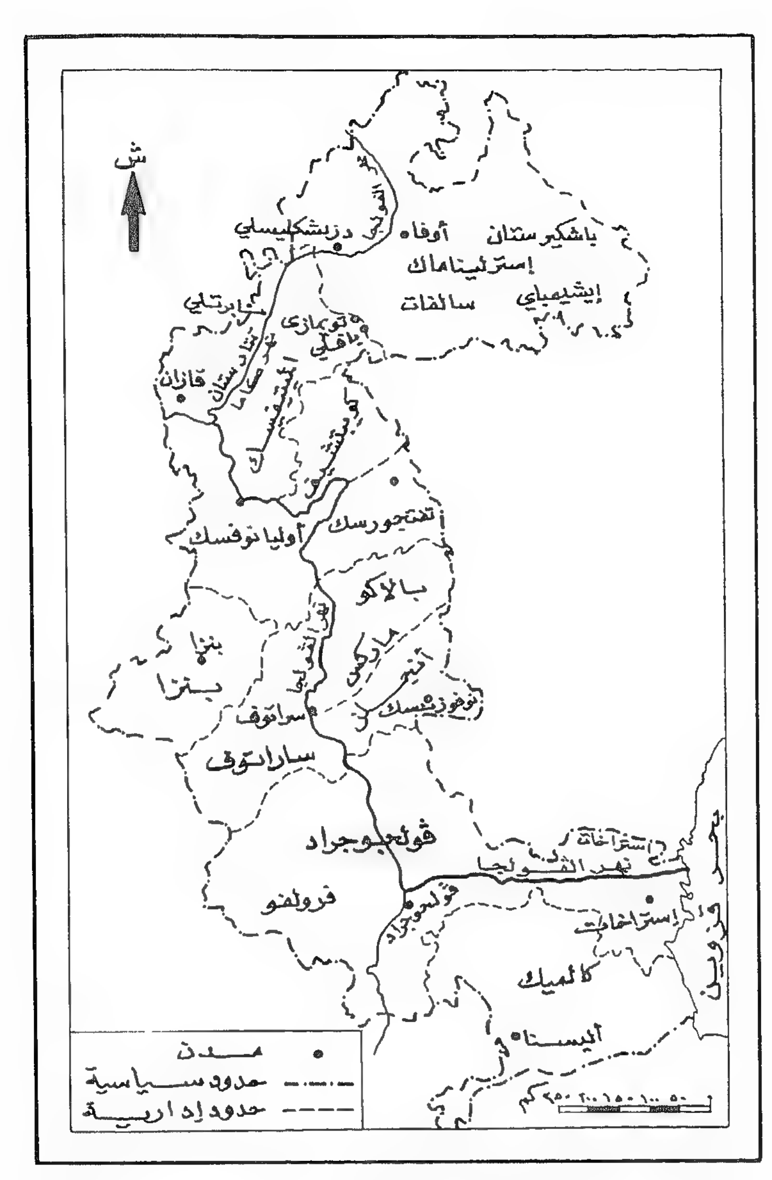
تحد حوض نهر الفولجا جبال أورال من الشرق ، وغربه إقليم "الفولجا - فياتكا" "واتكا" ويمتد إلى المحيط المتجمد الشمالي وينفتح جنوبا على بحر قزوين حيث يصب نهر الفولجا . وتبلغ مساحته حوالي (٦٨٠ر٠٠٠ كيلو متر مربع) ويشمل الوحدات السياسية والإدارية التالية : جمهورية تتارستان (ذاتية الحكم) ، وجمهورية باشكيرستان (ذاتية الحكم) ، وجمهورية كالميك (ذاتية

الحكم) ، كما يشمل المقاطعات الإدارية : أسترخان وفولجا جراد وبنزا وكويبيتشيف وساراتوف وأوليانوفسك ، ووصل الإسلام إلى هذا الإقليمي مبكراً عن طريق التجار والدعاة ، وينتشر المسلمون في معظم الوحدات الإدارية والسياسية بحوض نهر الفولجا ، ولكن الوجود الإسلامي يتركز في جمهوريات تتارستان وباشكيرستان ومقاطعة أستراخان ، وذلك على النحو التالي :

١ - **جمهورية تتارستان** : تقع في القطاع الشمالي الغربي من حوض الفولجا ، وتحدها باشكيرستان من الشرق وأدمورت وماري من الشمال والشمال الغربي ، واليانوفسك من الجنوب ، والشوفاش من الغرب ، وتبلغ مساحتها حوالي ٦٨٠٠٠ كيلو متر مربع وتجاوز سكانها ٤ ملايين نسمة ، بينما يبلغ عدد سكان العاصمة (قازان) ١ر١ مليون نسمة ، وهي تعتبر من المدن الإسلامية العريقة في روسيا ، وقد أعلنت جمهورية ذاتية الحكم في ظل الاتحاد السوفيتي السابق سنة ١٩٢٠م . (Europa, (B), 1996, vol. 11, 2681)

وأرض تتارستان سهلية منبسطة في جملتها ، تتخللها بعض المرتفعات المتناثرة بين جبال أورال في الشرق ، وتلال بنزا في الغرب ، وتلتقي بها روافد عديدة لنهر الفولجا - الذي يخترقها من الشمال إلى الجنوب ، وأبرز سماتها المناخية البرودة والتجمد في الشتاء ، حيث تهب عليها رياح باردة يتوقع هطول الجليد حوالي ١٥٤ يوما سنوياً ، وتزداد الحرارة في الصيف وتذوب الثلوج ، ومعدل حرارة شهر يوليو في قازان (٢٠ درجة مئوية) ويناير (١٣ درجة مئوبة تحت الصفر) . ويبلغ معدل الأمطار السنوية ٤٣٥ ملم (Paul, 1977, 54 , 55).

ويشكل التتار أغلب سكانها حيث تصل نسبتهم حوالي ٥٠٪ من جملة السكان البالغ عددهم (٤٢٥٠٠٠٠ نسمة) ، وكانت نسبتهم في الماضي أكثر



شكل (١٣) الوحدات الإدارية والسياسية في حوض نهر الفولجا

المصدر:

Paul, E. Lydolph Geography of U.S.S.R , 1979

من ذلك . وقد عمدت السياسة السوفيتية إلى تهجير قوميات متعددة إلى تتارستان ، وكان أبرزها الروس ، وجملة التتار في روسيا الاتحادية حوالي ٧ ملايين ، أغلبهم في جمهوريات حوض الفولجا ، وسيبيريا الغربية وشبه جزيرة القرم وفي خارج روسيا .

والزراعة حرفة أساسية فأراضيها خصبة ، ويتوافر الري من نهر الفولجا ، وأهم المحصولات القمح والشعير والشوفان والبنجر السكري ودوّار الشمس والعديد من الخضر والفاكهة . والتعدين حرفة مهمة خصوصا النفط ، حيث يستخرج من منطقة نهر كاما . وكذلك يوجد الفحم ، وبعض المعادن الفلزية .

وهناك العديد من الصناعات البترولية والبتروكيماوية والآلات الزراعية ومواد البناء ، وهي تتركز في العاصمة .

٢ - **جمهورية باشكير ستان** : جمهورية ذاتية الحكم ضمن روسيا الاتحادية ، تشكلت في وقت معاصر لتشكيل جمهورية تتارستان (١٩٢٠م) ، وهي تقع في القسم الجنوبي الغربي من جبال أورال ، وتشمل قسماً من حوض نهر الفولجا ، كانت تتبع إقليم أورال حتى سنة ١٩٧٠م ، حين أضيفت إلى إقليم حوض الفولجا . تحدها تتارستان من الغرب وأورنبورج من الجنوب وجبال أورال من الشرق سيبيريا من الشمال الشرقي ، وهذا الموقع متسوط بين آسيا وأوروبا ، لهذا قام الباشكير بدور مهم في نشر الإسلام بين الشعوب المجاورة والعابرة بين القارتين .

وتبلغ مساحة باشكيرستان (١٤٣٫٦ ألف كيلو متر مربع) وعاصمتها آوفا، وأرضها تجمع بين المرتفعات والسهول ، فالقطاع الأوسط والشرقي جبلي، بينما القسم الغربي سهلي يخترقة نهر كاما رافد الفولجا ، وتحدق المرتفعات بالسهول ، بينما تتفتح السهول على الغرب ، والمناخ متطرف بارد في الشتاء ،

ويتساقط الثلج لعدة شهور ، وفيه صفات كثيرة من مناخ تتارستان ويسود الدفء في الصيف ، ومعدل الأمطار حوالي (٥٠٠ ملم) .

وبلغ سكان باشكيرستان سنة ١٩٩١م حوالي ٤٫٣ ملايين نسمة ، يشكل المسلمون منهم حوالي ٥٦٪ وأغلبهم من الباشكير والتتار ، ولقد قلَّت نسبة المسلمين عن ذي قبل بسبب تهجير أعدادٍ من الروس والقوميات الأخرى إلى باشكير ستان . ونتيجة المعاناة من سياسة السوفييت ، هاجر الباشكير إلى خارج أرضهم فنجدهم في أونبورج وقزاخستان وأوزبكستان وطاجيكستان وقرغيزيا ، وغيرها .(Weeks, 1984, 81)

والزراعة حرفة مهمة ، وأهم الغلات القمح والشعير والشوفان والبنجر. والرعي حرفة أساسية عند الباشكير خصوصا في النطاق الشرقي ، حيث تربى الأغنام والأبقار . وللخيول الباشكيرية شهرة قديمة . وأبرز الثروات المعدنية ، الحديد والنحاس والنيكل والذهب ، كما يوجد النفط والفحم ، وتولّد الطاقة الكهربائية من الأنهار ، ولهذا نهضت بها صناعات متعددة .

٣ - مقاطعة أستراخان : توجد في دلتا نهر الفولجا إلى الشمال مباشرة من بحر قزوين ، وإلى شمالها مقاطعة فولجا جراد ، وفي جنوبها الغربي والغرب جمهورية كالميك ، وفي الشرق جمهورية كازاخستان ، وتبلغ مساحة المقاطعة ٤٤٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، وعاصمتها أستراخان المدينة المشهورة في تاريخ مغول القبيلة الذهبية ، وكان اسمها السابق "الحاج تراخان" ، وسكانها حوالي ٥١٢٫٠٠٠ نسمة . (Paul, 1977, 51)

وأرض أستراخان تمتد على شكل شريط بين الشمال والجنوب على جانبي نهر الفولجا ، وأرضها بصفة عامة مستوية ، وتنخفض عن مستوى سطح البحر، وتنتشر بها البحيرات ، وتتكون من دلتا نهر الفولجا . ومناخ المقاطعة

شبه صحراوي متطرف ، بارد في الشتاء حيث تصل الحرارة إلى دون درجة التجمد، فمعدل حرارة يناير في أستراخان سبع درجات مئوية تحت الصفر ، والصيف حار ويصل معدل حرارة يوليو إلى ٣٥ درجة مئوية ، والأمطار قليلة لا يتجاوز معدلها السنوي ٢٠٠ ملم . (Paul, 19977, 56)

وسكانها يزيدون على مليون نسمة حالياً ثلثهم تقريباً من المسلمين وهم خليط من التتار والكالميك والروس وغيرهم ، والنشاط البشري يتمثل في الزراعة في دلتا الفولجا . غير أن حركة التجارة سمة قديمة لأستراخان، وقد استمدت هذا من موقعها على النهر، وأسس المغول أستراخان إلى جوار مدينة إتيل ببلاد الخزر. وحديثاً تنتعش تجارتها بسبب حركة النقل في الفولجا وقناة الفولجا – آلدن. ويتسخرج من أرضها العديد من المعادن اللافلزية ، مثل الأملاح والكبريت والنفط ، ونشطت بها الصناعة .

ثانيا : المسلمون في حوض فولجا – فياتكا Volga-Vyatka (شكل رقم ١٤) .

يقع هذا الإقليم إلى شرق الإقليم المركزي ، ويعتبر امتداداً له نحو الجنوب الغربي ، والشمال الشرقي لحوض فولجا الأوسط ، وتنصرف مياهه إلى نهر فياتكا "واتكا" ، الذي ينتهي إلى نهر كاما أحد روافد نهر الفولجا . ويضم الإقليم ثلاث جمهوريات ذاتية الحكم هي ماري وموردفيا وشوفاش ، كما يضم مقاطعتي جوركي وكيروف .

وتبلغ مساحة الإقليم حوالي (٢٦٣٫٠٠٠ كيلو متر مربع) ، ويعتبر ملتقى شعوب تركية قدمت إليه من وسط آسيا وشعوب فنلندية قدمت إليه من شمال غربي أوروبا . ويتركز الروس في مقاطعتي جوركي وكيروف ، بينما ينتشر الفنلنديون في جمهورية ماري "ذاتية الكم" ويشكلون حوالي ٤٤٪ من

سكانها والروس ٤٣٪ . وفي جمهورية موردفيا ذاتية الحكم ، يمثل المردوف ٣٥٪ من سكانها والروس ٥٩٪ . والشوفاش "جواش" في جمهورية شوفاشيا ذاتية الحكم يمثلون حوالي ٧٠٪ والروس ٢٥٪ من سكانها ، وينتشر الإسلام بين شعوب ماري (شرميس) ، ومرودوف والشوفاش . ويمكن إلقاء مزيد من الضوء على النحو التالي .

١ - جمهورية ماري : تقع في القطاع الأوسط من حوص الفولجا - فياتكا ، تحدها مقاطعة كيروف من الشمال ومقاطعة جوركي من الغرب ، وجمهورية الشوفاش من الجنوب ، وتتارستان من الشرق ، ونبلغ مساحتها حوالي (٢٣٠٠٠ كيلو متر مربع) . وبلغ سكانها في سنة ١٩٩١م حوالي ٩٥٨ ألف نسمة، وعاصمتها (بوشكار - أولا) وسكانها ٢٤٢ر٠٠٠ نسمة ، ويحتمل أن يكون عدد سكان ماري اقترب من مليون نسمة ، وأعلنت جمهورية ذاتية الحكم في سنة ١٩٢٦م . (Europa (B), 1996, 2681) ويقدر عدد المسلمين في الجمهورية بحوالي ٣٠٠ ألف نسمة .

وأرضها منبسطة بوجه عام ، فهي امتداد لسهل شرقي أوروبا وتتخللها بعض البحيرات ، والمناخ شديد البرودة في فصل الشتاء ، وتتراكم الثلوج لفترة طويلة (٢٤٣ يوما) من السنة و الصيف دفيء ، المعدل السنوي للأمطار يقدر بحوالي (٥٠٠ ملم) .

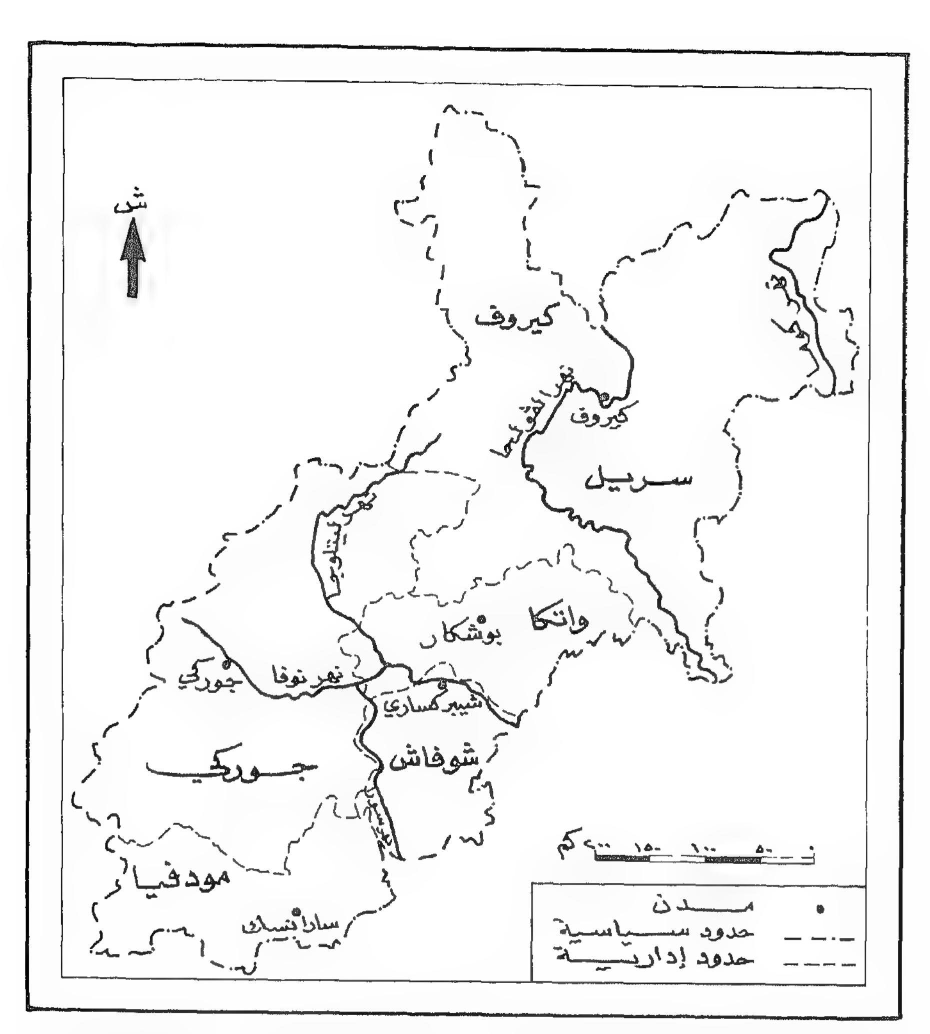
والماري هم من العناصر الفنلندية والنشاط البشري يتمثل في الزراعة ، فهناك العديد من مشروعات الري بالجمهورية حيث تعتبر ظهيراً زراعياً يمد منطقة موسكو بالمواد الغذائية، غير أن الزراعة تقتصر على فصل الصيف . والحبوب من أهم المحاصيل، حيث تشكل ٦٠٪ من المساحة الزراعية ، والبنجر السكري من أهم المحصولات الصناعية . وتغطي الغابات والحشائش

مساحة واسعة من الأرض. وتعتبر الثروة الحيوانية مجالا مكملا للزراعة ، والثروة المعدنية محدودة وأغلبها خامات الجبس والأسمنت ، كما يوجد النفط. والصناعة تشمل الآلات الزراعية والقوارب النهرية والأخشاب والورق.

٢ - جمهورية شوفاش : تقع ضمن حوض (فولجا - فياتكا) ، في شمالها جمهورية ماري ، وفي جنوبها الغربي جمهورية موردفيان ، وفي غربها مقاطعة جوركي ، وفي شرقها جمهورية تتارستان ، وتبلغ مساحتها (١٨٠٠٠ كيلو متر مربع) . وبلغ سكانها في سنة ١٩٩١م حوالي (١٣٣٦٠٠٠ نسمة) ، ويحتمل أن يكون عددهم حالياً حوالي مليون ونصف المليون نسمة ، ويشكل الشوفاش ٧٠٪ ، وعاصمتها شيبوكساري ، وسكانها حوالي نصف مليون نسمة ، وتحولت إلى جمهورية ذاتية الحكم في سنة ١٩٢٥م .

أرضها سهلية ، تنتشر بها التلال في الجنوب ، ويخترقها نهر الفولجا ، والمناخ بارد في فصل الشتاء ، حيث تتساقط الثلوج لفترة طويلة (١٧٢ يوما في السنة) ، والصيف دفيء قصير ، والمعدل السنوي للمطر حوالي ٤٥٠ ملم.

ويشكل الشوفاش الغالبية العظمي من سكانها ، بينما يشكل الروس ٢٥٪، فضلا عن أقليات عرقية أخرى ضئيلة . وأغلب الشوفاش من المسلمين، والزراعة من الحرف المهمة ، والمحصولات الغذائية أهم مايزرع خصوصا الحبوب وبنجر السكر والأعلاف . وتغطي الغابات والحشائش مساحة واسعة ، ومعظم المعادن لافلزية. وتنتشر صناعة الورق والآلات الزراعية والسكر ، ففي العاصمة توجد صناعة الآلات الكهربائية ، وآلات النسيج . (Paul, 1977, 43, 44) .



شكل (١٤) الوحدات الإدارية والسياسية في حوض الفولجا - فياتكا

المصدر:

Paul, E. Lydolph Geography of U.S S.R., 1979.

٣ - جمهورية موردفيان : توجد جنوبي حوض فولجا - فياتكا ، وتحدها جمهورية الشوفاش من الشمال ومقاطعة جوركي من الغرب ومقاطعة أوليا نوفسك من الشرق ومقاطعة بنزا من الجنوب ، وتبلغ مساحتها حوالي ٢٦٠٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ سكان عاصمتها سارانسك ٣١٢ر٠٠٠ نسمة، ويحتمل أن يكون سكان الجمهورية قد فاقوا مليون نسمة . (Europa (B), 1996, 2681)

وتظهر المرتفعات في القسم الشرقي منها حيث توجد تلال بنزا . أما القسم الجنوبي والغربي ، فسهلي يتراوح ارتفاعه بين ١٠٠ و ٢٠٠ متر ، وهو جزء من سهل شرقي أوروبا . والمناخ مشابه للمناخ السائد في حوض فولجا - فياتكا، حيث الشتاء البارد وفيه تتراكم الثلوج لمدة طويلة (١٧٠ يوما سنوياً) والصيف دفيء . (Paul, 1977, 40, 41)

ويقدر عدد سكان موردفيان بحوالي مليون نسمة ، يشكل الموردف حوالي ٣٥٪ منهم والروس حوالي ٥٩٪ والباقي أقليات عرقية محدودة . والموردف من العناصر الفنلندية ، ومعظمهم يعتنق الإسلام . والزراعة حرفة أساسية ، حيث تشتهر الجمهورية بإنتاج بنجر السكر . وتحتل المحصولات الغذائية المرتبة الأولى بين المنتجات الزراعية ، هذا إلى جانب البطاطس والخضر. وتسود الغابات في القسم الشرقي من المرتفعات ، كما تنتشر الحشائس ولهذا تمارس حرفة الرعي وقطع الأخشاب. كما توجد بعض المعادن اللافلزية.

وتقدمت الصناعة بعد الحرب العالمية الثانية ، وتشمل صناعة السكر والأخشاب والورق والآلات الزراعية . وتشتهر العاصمة بصناعة الآلات الكهربائية وهي واحدة من أهم مناطق هذه الصناعة في روسيا الاتحادية.

ثالثا : المسلمون في إقليم شمال القوقاز (شكل رقم ١٥) .

يقع الإقليم جنـوب السهل الأوروبي ، ويمتد من البحـر الأسود غربا إلى بحر قزوين شرقـا ، ومن نهر الدن الأدنى شمالا إلى سلاسل الجبـال الرئيسة في القوقـاز جنوبا ، وجملة مـساحته ٣٥٥٫٠٠٠ كـيلو متر مربـع . ويجمع الإقليم العديـد من أشكال التضاريس ، ففـي الشمال تمتد السهـول كجزء من السهل الأوروبي، ثم جبال القوقاز العالية في الجنوب وهناك السهول الساحلية على بـحر قزوين فـي الشرق ، والبـحر الأسـود في الغرب ، وأبرز الأنـهار المنصرفـة إلى بحر قزوين، نهر ترك ونـهر صولاق ونهر كوما . وإلـى البحر الأسود ، ينـصرف نهر كـوبان، حيث يصـب جنوب بحر آزوف ، ويـجمع الإقليم الـعديد من الأعراق حـيث السلالات : القـوقازية و الهندو إيـرانية و الداغسـتان والأتراك، ثم الـروس الذين قدموا إلـى الإقليم في ظل الاحـتلال الروسي ، ويـضم الإقليم جـمهوريـات ذاتية الحكم ومـقاطعـات تتمـثل في جمهـورية داغستان وجـمهورية "شيشـان - إنجوش" وجمهوريـة كاباردين - بنكار ، وجمهورية أوسـيتان الشماليـة . ويتركز المسلمـون بهذه الجمهـوريات وكذلك في مـقاطعتي قـارتشاي - شركس - وأديجـا ، و تتمتعـان بحكم ذاتـي ، ومن المقـاطعات فـي هـذا الإقـليـم ، كراسـنودار - كـاري ، سنافـروبـول - كـاري ، ورسـتـوف (Paul, 1977, 235 - 237) ويمكن تفصيل ذلك علي النحو التالي:

١ - جـمهورية داغسـتان : تكتب داغسـتان أو دغستان . واسـم المنطقة ظاهرة لغوية فريدة ، فالمقطع الأول "داغ" لفظة تركية معناها الجبل ، والمقطع الثاني "ستان" لفظة فارسيـة تدل على "البلد" أي بلد الجبال . وترجع حدود الإقليم الحالية إلـى كونه ولاية روسية تحددت في سنة ١٨٦٠م بعـد قتال مرير بين الداغستان والروس (الشنتناوي ، ١٩٣٣م ، ٩٨ ، ٩٩) .

وداغسـتان جزء مـن "الران" ، وهو قسم من إقليـم أكبر أطلـق عليـه

الجغـرافيـــون العرب اســـم "الرحــاب" . (أبو سعــيد ، د.ت ، ١٤٩) . وداغســـتان الآن جـمهوريـــة ذاتيـة الحكم بروسـيا الاتحاديـــة ، تبلـــغ مسـاحتها ٥٠٣٠٠ كـيلو متر مربــع ، وقــدر سـكانهـا بحوالي ٢٫٣ مليوني نسمــة . (King Abdul Aziz, vol. XIIm 1992)

وتقع داغستان شـمال شرقي القوقاز ، وتطل على بحـر قزوين من الشرق وتشـترك حـدودها الغـربية مـع كل من جـمهـورية "الشـيشــان - إنجوش" وجورجيا، وحدودها الشمالية مع جمهورية كالميك ، والجنوبية مع أذربيجان .

تجمـع أرض داغستــان بين السـهول السـاحليـة المطلة عـلى بحر قـزوين ويخترقها نهر صولاك الذي ينبع من جبال القوقاز ، وفي القسم الشمالي منها يوجد نهر ترك . والسهول الساحلية منخفضة ، أما القسم الجنوبي والغربي ، فجبلي حيث مقدمات جبال القوقاز . ويتنوع مناخ داغستان ، فالقسم السهلي الساحلي ترتفع حرارته في فصل الصيف ، في يوليو (٢٤ درجة مئوية) ودفيء في الشتاء ، وعلى المرتـفعات يســود مناخ بارد في الشتاء وتـتساقط الثلوج ، بينما المناخ معتــدل في الصيف والأمطار متوسطة على السهول ، وغزيرة على الجبال . (Paul, 1977, 238)

ويتكوّن الـسكان من الداغسـتانيين الذين يشـكلون أكبر قطــاع من سكان الجمهورية ، ويتفرعــون إلى الافار وليزجين ودارجين ولاك وتايساران وروتول وتساخور وأجول . وهناك عناصر أخرى ، منـهم الشيشان النوغاي والتات ، ويشكل الروس حوالي ١٥٪ والشيشــان حوالي ٣٪ والاذربيجان حوالي ٤٪ (Paul, 1977, 237) ويشكل المسـلمون أكـثر من ٨٠٪ من جملـة السكان ، حيـث يقـدر عددهم بحـوالي مليونين ، وكانت نسـبتهم في الماضي أكثر من



شكل (١٥) الوحدات الإدارية والسياسية في شمالي القوقاز

المصدر:
.Paul, E. Lydolph Geography of U.S.S.R., 1979.

ذلك، ولكن سياسة السوفييت أدت إلى تهجير العناصر الأخرى إلى داغستان. وفي داغستان العديد من اللغات وقد يصل عدد اللهجات فيها إلى حوالي ٣٦ لهجة، وكانت تكتب بحروف عربية ، كما أنـهم استخدموا اللغة العربية حتى منتصف القرن العشرين الميلادي . (العبودي، ١٩٩٣م، ١٠، ١١، ١٢)

تشتهر داغستان بإنتاجها الزراعي والرعوي، وتمارس الزراعة في السهول الساحلية وعلى المدرجات الجبلة، وهناك العديد من مشروعات الري، وأهم المحصولات القمح والشعير والذرة والشوفان، هذا إلى جانب الفواكه والخضراوات، وتمارس حرفة الرعي على المدرجات الجبلية، ويوجد العديد من المعادن كما تولّد الطاقة الكهربائية من الأنهار، والمنطقة قريبة من ينابع النفط والغاز لهذا تقدمت الصناعة خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية. (Paul, 1977, 245 - 247)

٢ - جمهورية شيشان - إنجوش : يرجع اسم الشيشان إلى قرية تقع على نهر أرجون Argun حيث وقعت أول معركة بينهم وبين الروس في سنة ١٧٣٢م . وقد أطلق الاسم على القبائل المسلمة التي تعيش على الروافد الجنوبية لنهري سونجا وترك شمالي القوقاز . وتقع جمهورية شيشان - إنجوش في شمال شرق القوقاز، تحدها جمهورية داغستان من الشرق ، وجمهورية أوسيتيان الشمالية من الغرب، وجمهورية جورجيا من الجنوب ، وباقي أراضي روسيا الاتحادية من الشمال. وتبلغ مساحتها حوالي ١٩٠٠٠ كيلو متر مربع ، وسكانها حوالي ١٫٧٥٠٫٠٠٠ نسمة ، وأعلنت جمهورية ذاتية الحكم قبل الحرب العالية الثانية، ثم ألغيت بعد الحرب حيث اتهمهم السوفييت بالتعاون مع الألمان ، وشرودا أهلها، ثم أعيدت بعد أن نفى مجلس السوفييت الأعلى عنهم تهمة التعاون في سنة ١٩٥٦م .

والقسم الشمالي من هذه الجمهورية سهلي ، والقسم الجنوبي جبلي ، حيث توجد سلاسل جبال القوقاز العظمي ، ويخترقها نهر ترك وروافده وأهمها نهر سونجا ، حيث العاصمة جروزني التي يسكنها حوالي نصف مليون نسمة ، ونهر أرجون ، وينتهي نهر ترك إلى بحر قزوين ، ويختلف المناخ في السهول عن الجبال فالصيف حار في المناطق السهلية بسبب هبوب هواء حار ، ومعدل حرارة شهر يوليو حوالي ٢٤ درجة مئوية، وتقل على المرتفعات. وتسبب العواصف الرعدية سقوط الأمطار والشتاء بارد بسبب هبوب الكتل الهوائية الباردة، ويصل معدل حرارة يناير إلى ما دون درجة التجمد، بل تنخفض الحرارة إلى ست درجات مئوية تحت الصفر. وتتلقى المنطقة أمطاراً تتراوح بين ٤٠٠ - ٥٠٠ ملم، وتغطي الغبات سفوح الجبال ، بينما تغطي حشائش الاستبس السهول.

ويمثل الشيشان المسلمون حوالي ٤٨٪ من السكان وهم بتكونون من قبائل عديدة، منها الميكيك Mickkik والايشيري Icheri والأوخ Kıst والنازران Nazran وغيرهم كما يشكل الإنجوش أكثر من ١١٪ والداغستان حوالي ٢٪. وكل هذه الجماعات مسلمة .(paul. 1977, 232) . وهناك جماعات أخرى مسلمة ولذلك تصل نسبة المسلمين في جمهورية (شيشان - إنجوش) حوالي ٦٦٪ وتصل نسبة الروس حوالي ٣٠٪ والباقي أقليات عرقية صغيرة .

وتعتبر الزراعة حرفة أساسية ، وأبرز المحصولات الحبوب ، مثل القمح والشعير والشوفان ، كما يزرع الأرز والكثير من الخضر والفاكهة ، وكذلك دوَّار الشمس. يضاف إلى الزراعة ، الثروة الحيوانية من الأغنام والماعز . وتتمتع المنطقة بثروة معدنية جيدة ، كما يوجد النفط في مناطق من الجمهورية، خصوصا حول جروزني ، وتوجد بها صناعة تكرير النفط والصناعات البتروكيماوية.

٣ - جمهورية كباردين - بلكار : توجد في القطاع الشمالي من القوقاز، وتبلغ مساحتها حوالي ١٣٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، وسكانها حوالي ٧٦٠٠٠٠ نسمة ، وعاصمتها نالشيك ويسكنها ٢٣٥٫٠٠٠ نسمة . وتحد كباردين - بلكار من الشمال مقاطعة "ستفاروبول - كراي" ، ومن الجنوب جمهورية حورجيا ، ومن الشرق جمهورية أوسينيان الشمالية ، ومن الغرب مقاطعة "قارتشاي - شركس .

وأرضها شديدة التضرس حيث توجد أعلى جبال القوقاز ، وتشغل الحيز الأوسط منها ، وأقصى الشمال من الجمهورية ينتمي إلى سهول شمال القوقاز، وتنبع منها بعض روافد نهر ترك . والمناخ بارد في الشتاء ، حيث تغطي الثلوج الدائمة بعض القمم الجبلية . والصيف معتدل الحرارة على السهول ، بارد على المرتفعات، وتتلقى المنطقة أمطارا غزيرة في الصيف ، وتغطي الغابات السفوح المرتفعة، كما تغطي الحشائس السفوح المنخفضة والسهول .

ويتكون سكان الجمهورية من الكابردينو ٤٦٪ والبلكار ٩٪ ، والاوسيت ٦٫١٪ والإسلام دين معظم هذه الشعوب الثلاثة أي أن نسبة المسلمين بينهم تفوق ٥٥٪ . أما حصة الروس بين السكان فحوالي ٣٧٪ ، وكما يوجد بين سكانها أقليات أخرى . ويطلق على الكبارد اسم "القبرطاي" ويعيشون على المرتفعات، وهم من الشركس الشرقيين حيث قسم الروس الشعب الشركسي إلى ثلاثة شعوب: الكباردينو في الشرق والشركس في الوسط والأديجا في الغرب . (Weeks, 1984, 204)

أما البلكار فهم أتراك لغة وينتمون إلى الأتراك الكيبتشاك . ويحتمل أن يكون اسم البلكار مشتق من اسم البلغار القدامى ، وتربطهم صلات

بالقازتشاي. ويحترف الكبارد الرعي وتربية الخيول والأغنام ، وخيولهم مشهورة باسم "كبارطاي" في منطقة الشرق الأوسط وأوروبا ، وتنتشر بينهم صناعة الجلود، وتمارس الزراعة في القطاع الشمالي من الجمهورية ، وتوجد بعض الصناعات المعدنية بالعاصمة .

وقد انتشر بينهم الإسلام قبل سيطرة مغول القبيلة الذهبية على المنطقة ، ثم اتسع نطاق الانتشار في عهد المغول ، وزاد انتشار الدعوة الإسلامية في القرن الثامن عشر الميلادي . ويقدر عدد المسلمين بجمهورية كباردينو - بكلار بحوالي نصف مليون نسمة حاليا . (Weeks, 1984, 205)

٤ - جمهورية أوسيتيان الشمالية (North Ossetian) : تقع شمالي القوقاز، تحدها جمهورية "شيشان - إنجوش" من الشرق والشمال الشرقي ، ومن الغرب جمهورية "كابردين - بلكار" ومن الجنوب جمهورية جورجيا ، و أو سيتيان الشمالية ذاتية الحكم ، تبلغ مساحتها ٨٠٠٠ كيلو متر مربع وسكانها حوالي مليون نسمة وعاصمتها فلاديكا فكاز وتشغل موقعا استراتيجيا في وسط جبال القوقاز، على ممر كريستوفي . وقد تغير اسمها عدة مرات ، وسكانها حوالي ٣٠٠٫٠٠٠ نسمة وتحوَّلت إلى جمهورية ذاتية الحكم سنة ١٩٣٦م . ,(Europa (B), 1996, vol.II, 1281) ، ولقد عرفت هذه المنطقة باسم (اللان) عند الجغرافيين المسلمين . وأرضها جبلية حيث إنها توجد في وسط جبال القوقاز ذات القمم الشاهقة التي قطعتها الأنهار وتنبع منها روافد عديدة لنهر ترك، ومناخها بارد في الشتاء حيث تتساقط الثلوج وتغطي قمم الجبال لمدة طويلة ، وبعضها يغطيه الثلج الدائم ، وتصل الحرارة إلى دون مستوى التجمد، والصيف معدل على المرتفعات ونتنشر الغابات على السفوح . (Paul, 1977, 240)

ويشكل الأوسيتيان ٨٩٫٧٪ من سكانها والأنجوش ٣٫٣٪ والداغستان ١٫٢٪ والأرمن ٢٫٤٪ والجورجان ١٫٩٪ والأكرانيون ١٫٧٪ والروس ٣٦٫٥٪ (Paul, 1977, 237) . ويعتبر الأوسيتيان من العناصر (الهندو - ايرانية) ويطلق عليهم (الإيرون) . ولقد قسم الروس شعب الأوسيتيان إلى وحدتين إداريتين أوسيتيان الشمالة ومقاطعة أوسيتيان الجنوبية التي ألحقتها روسيا بجمهورية جورجيا . واسيتيان الشمالية بوجه عام فقيرة الموارد ، وأبرز الحرف هي الزراعة المحدودة لظروف التضاريس والمناخ . وتغطي الغابات سفوح الجبال ، وتنتشر بعض الصناعات المعدنية بالعاصمة . (P`ul, 1977, 242)

٥ - مقاطعة قارتشاي - شركس : تقع في شمال القوقاز ، تحدها جمهورية كابردين - بلكار من الشرق ، ومقاطعة "كراسندور قراي" من الغرب حيث توجد ولاية الأديجا ، وجمهورية جورجيا من الجنوب ، وولاية "ستافروبول - قراي" من الشمال. وتبلغ مساحتها حوالي ١٤٠٠٠ كيلو متر مربع وسكانها حوالي نصف مليون نسمة، وعاصمتها شركسك وسكانها حوالي ١١٣٠٠٠نسمة .

وتعتبر أرض "قاراتشاي - شركس ضمن جبال القوقاز العظمى حيث منابع نهر كوبان ونهر كوما ، ويتجه الأول ليصب في البحر الأسود ، بينما يتجه الثاني ليصب في بحر قزوين ، والمنطقة شديدة التضرس ، ومناخها بارد في الشتاء . وقد تنخفض الحرارة إلى ما دون درجة التجمد لتصل إلى ١٢٤ درجة تحت الصفر المئوي ، وتغطي الثلوج قمم الجبال في الشتاء وبعض القمم تغطي بالثلج الدائم ، والصيف معتدل قد ترتفع فيه الحرارة إلى ٢١ درجة مئوية ومتوسط الأمطار السنوية ٧٤٥ ملم . (Paul, 1977, 242)

ويشكل القارتشاي حوالي ٢٨٪ من سكان المقاطعة والشركس ٩٪ والروس

حوالي ٤٧٪ ، وهناك عناصر آخرى . وينتشر الإسلام بين القارتشاي والشركس الذين يشكلون حوالي ٣٧٪ من سكان المقاطعة ، وبذلك يقدر عدد المسلمين بحوالي ١٦٦ ألف نسمة (Paul, 1977, 237). ولقد قتل عدد كبير من الشركس في الحروب الدامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي أثناء حرب القرم والوقاوقاز ، وهاجر عدد كبير منهم إلى الخارج ، ويقال إن عددهم في الخارج حوالي ٢ مليوني . والشركس ينقسمون إلى عدة قبائل ، كما ينتمي إليهم الأباز والأبخاز والأديج ، وينتشرون في مناطق أخرى خارج موطنهم في أبخازيا والاديجا ، وكابردين - بلكار ، ويشكل الرعي حرفة مهمة بينهم ، خصوصا رعي الخيول والأغنام ويشتهرون بالصناعات الجلدية ، وتمارس الزراعة في بعض المناطق . (Weeks, 1984, 204 - 207)

وقد وصلت الدعوة الإسلامية أثناء فتح بلاد الجورجان ، ثم في عهد خانات مغول القبيلة الذهبية ، وإزداد انتشار الإسلام في عهد الاتراك العثمانيين في الفرن الثامن عشر الميلادي (Weeks, 1984, 205) . ونتيجة لضغط الروس ، هاجر العديد من القارتشاي ، أما الذين يعيشون في روسيا فمعظمهم من مقاطعة (قارتشاي - شركس) والغالبية تحترف الرعي .

٦ - مقاطعة أديجا Adygei : مقاطعة ذاتية الحكم داخل مقاطعة "كرايسندور قراي" ، وضمن إقليم شمال القوقاز ، تحيط بها مقاطعة "كراسندور قراي" من جميع الجهات . وتعتبر أديجا مقاطعة داخلية لا سواحل لها ، تبلغ مساحتها ٨٠٠٠ كيلو متر مربع وسكانها يقربون الآن من نصف مليون نسمة ، وعاصمتها مايكوب (١٥٠ ألف نسمة) . وقد سيطرالروس عليها بعد مؤتمر برلين ١٨٧٩م . وفي عهد السوفييت ، تأسست كمقاطعة في سنة ١٩٢٢م .

وتسود المرتفعات في جنوبها حيث توجد جبال القوقار ، والقطاع الشمالي منها سهلي يمر فيه نهر كوبان الأدنى . ومناخها بارد في الشتاء ، وفي الصيف تعتدل الحرارة ، وتسقط الأمطار بكميات غزيرة ، ونغطي الغابات مساحات واسعة من مرتفاعتها (Paul, 1977, 238, 242)

ويمثل الأديج حوالي ٢١٪ من سكان المقاطعة ، وهناك عناصر مسلمة أخرى تشكل حوالي ٧٪ ، ويشكل الروس أغلبية ٧١٪ ، والأديج من الشركس الغربيين . ويعمل الأديج في الزراعة في القسم الشمالي من المقاطعة، حيث توجد أخصب الأراضي وحيث نهر كوبان ، كما يتشغلون برعي الأغنام والخيول في القسم الجنوبي ، وقد ظهر النفط في أرضهم في منطقة ميكوب ، ولهذا توجد الصناعات النفطية فيها . (Paul, 1977, 237)

رابعا : المسلمون في إقليم الأورال (شكل رقم ١٦) :

تمتد جبال أورال في اتجاه شمالي جنوبي ، من خليج خوي Khoy المتفرع من بحر "قارا" قرب دائرة عرض (٣٠َ ٦٩ْ) شمالا إلى الحدود الشمالية لجمهورية قزاخستان قرب دائرة عرض (٥٠ْ شمالا) . وتبلغ مساحة إقليم الأورال حوالي (٦٨٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع) ، ويتكون من مقاطعني سفرد لوفسك Sevedlovsk وشليابينسك Chelyabinsk على المنحدرات الشرقية بجبال أورال ومقاطعة برم Perm على المنحدرات الغربية ، ومقاطعة أورنبورج Orenburg التي تمتد بين الشرق والغرب في أقصى جنوبي الإقليم ، وجمهورية أودرمورت ذاتية الحكم غربي مقاطعة برم ، ويضم الإقليم مقاطعة كورجان Kurgan ومقاطعة كومي - برميك Kormi Permyak . وينتشر المسلمون في معظم أنحاء هذا الإقليم ، إلا أن تمركزهم بصورة واضحة في جمهورية أودمورت ذاتية الحكم ومفاطعة أورنبورج .

جمهورية أودمورت : تقع على الهضاب الغربية لجبال أورال ، تحدها جمهورية تتارستان من الجنوب وجمهورية ياشكيرستان من الجنوب الشرقي ، ومقاطعة برم من الشرق ، وباقي أرضاي روسيا الاتحادية من الشمال والغرب، وتبلغ مساحتها حوالي ٤٢١٠٠ كليو متر مربع وكان سكانها في تعداد سنة ١٩٨٩م حوالي ١٫٦٠٠٫٠٠٠ نسمة ، والعاصمة إيزفسك (٦٣٥ ألف نسمة). وتعتبر أودمورت أقصى الأراضي التي وصلها الإسلام نحو الشمال في روسيا . (Europa, (B), 1996, vol. II, 2681)

وترتفع أرضها ناحية الشرق كمقدمات لجبال أورال ، والقسم الغربي سهلي ، وتنبع منها بعض روافد نهر الفولجا . ومناخها بارد في الشتاء حيث تنخفض درجات الحرارة إلى ما دون درجة التجمد ، وتمكث الثلوج فوق الأراضي مدة ١٧٦ يوما سنوياً. والصيف معتدل،والأمطار غزيرة (٥٧٠ ملم).

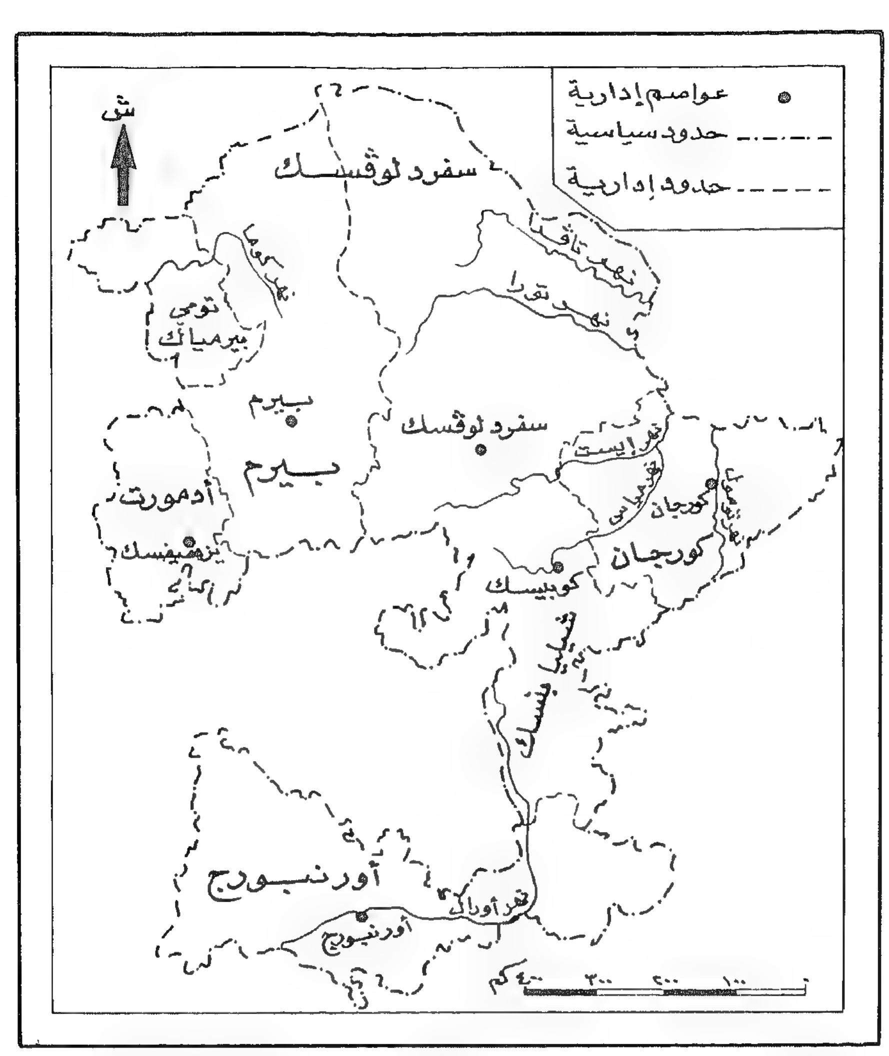
ويتكوَّن السكان من العناصر الفنلندية ، مثل : الأودمورت والماري (الشرميس) ، كما يوجد التتار والباشكير والروس . ويتركز النشاط البشري في الزراعة والصناعة ، كما تربى الحيوانات وتنتشر في الشمال والغرب . أما الصناعة ، فتتركز في العاصمة حيث صناعة السيارات والدراجات الآلية وصناعة الحديد الصلب. (Paul, 1977, 220 230)

لقد احتلت روسيا القيصرية هذه المنطقة بعد سقوط خانية مغول قازان ، وبذلت هذه الخانية قبل سقوطها جهوداً جيدة في نشر الإسلام بين الشعوب المجاورة ، مثل الماري والأودمورت . وبعد احتلال روسيا القيصرية ، ظلت الدعوة الإسلامية تمارس بصورة سرية ، وقام بذلك الباشكير والتتار ، وصنف الروس الأودمورت والماري ضمن الشعوب الوثنية . ولما أعلنت قوانين حرية

التـدين ، أعلن هؤلاء إسـلامهم الـذي ظل سريـاً مدة طويلـة وتقدر حـصة المسملين بأكثر من ثلث السكان ويقترب عددهم من نصف مليون نسمة .

ولاية أورنبورج : توجد جنوب غربي جبال أورال ، وفي الحوض الأوسط من نهر أورال ، تحـدها باشكير سـتان من الشمـال ، وتتارستان من الـشمال الغربي ، ومن الجنوب والـشرق قزاخستان ، ومن الغـرب باقي أراضي روسيا الاتحادية حيث مقاطعة كويبتسيف . ولقد أقيمت أورنبورج للفصل بين مسلمي منطقـة التركسـتان ومسلمـي حوض نهر الفـولجا ، وتبلغ مـساحتهـا حوالي ٢٤ر٠٠٠ كيلـو متر مـربع ، ويقدر سكانـها بحوالي ٢ر٥ مـليوني نسـمة ، والعاصمـة أورنبورج شكالوف سابقـا ، وسكانها حوالي ٥٥٦ ألـف نسمة . وأطلق على المقاطـعة شكالوف وكذلك على العاصـمة منذ سنة ١٩٣٨م ، ثم أعيد اسمها السابق أورنبورج في سنة ١٩٥٧ . (paul, 1977, 312 - 314)

• • • • • •



شكل (١٦) الوحدات الإدارية والسياسية في أقاليم أورال

المصدر:

Paul, E. Lydolph Geography of U.S.S.R., 1979

والقســم الشرقي من أونبــورج مرتفع حيــث مقدمات جــبال آورال ، وفي القسم الغــربي يسود المظهر الســهلي ، ويخترف أرض المقاطعــة نهر أورال من الشرق إلى الغرب ، وتقع علبه العاصمة أورنبورج (شيكالوف) . والمناخ قاري بارد في الشتاء فــمعدل حرارة يناير في أرونبورج ١٥ درجة مئــوية تحت الصفر المئوي ، ولذلك تتراكم الثلوج في الشتــاء وتمكث فترة طويلة ، والصيف حار فقد يــزيد معدل حرارة الــعاصمة في يولــيو عن ٢٢ درجة مئــوبة ، والأمطار متوسطة الكمية . وتنمو الحشائس في مناطق متفرقة من الإقليم .

والسكان مــزيج من عناصر مــختلفة مــن الفنلنديين والــتتار والباشــكير ، والقزاك والروس ويتكون المــسلمون من هذه العناصر ، وتصل حــصة المسلمين حوالي ٨٠٠ر٠٠٠ نسمة والــزراعة حرفة أساسية في المقاطــعة ، حيث تسود مشروعات الري على نهر أورال . وتزرع الحبوب خــصوصا القمح والشعير ، كما يزرع البنجر السكري والعدبد من الخــصر والفاكهة، ويشكل الرعي حرفة مهمة بالمقاطعة، وتوجد بعض المعــادن والفحم والغار، لهذا نشطت الصناعة، خصوصا في العاصــمة والتي تعتبر خامسة مــدن إقليم الأورال. ويوجد الغاز بالمنطــقة والعديد من الــرواسب المعدنية، لــذلك نهضت صناعــة تعبئــة الغاز والصناعات المعدنية . (Paul, 1977, 220 - 222)

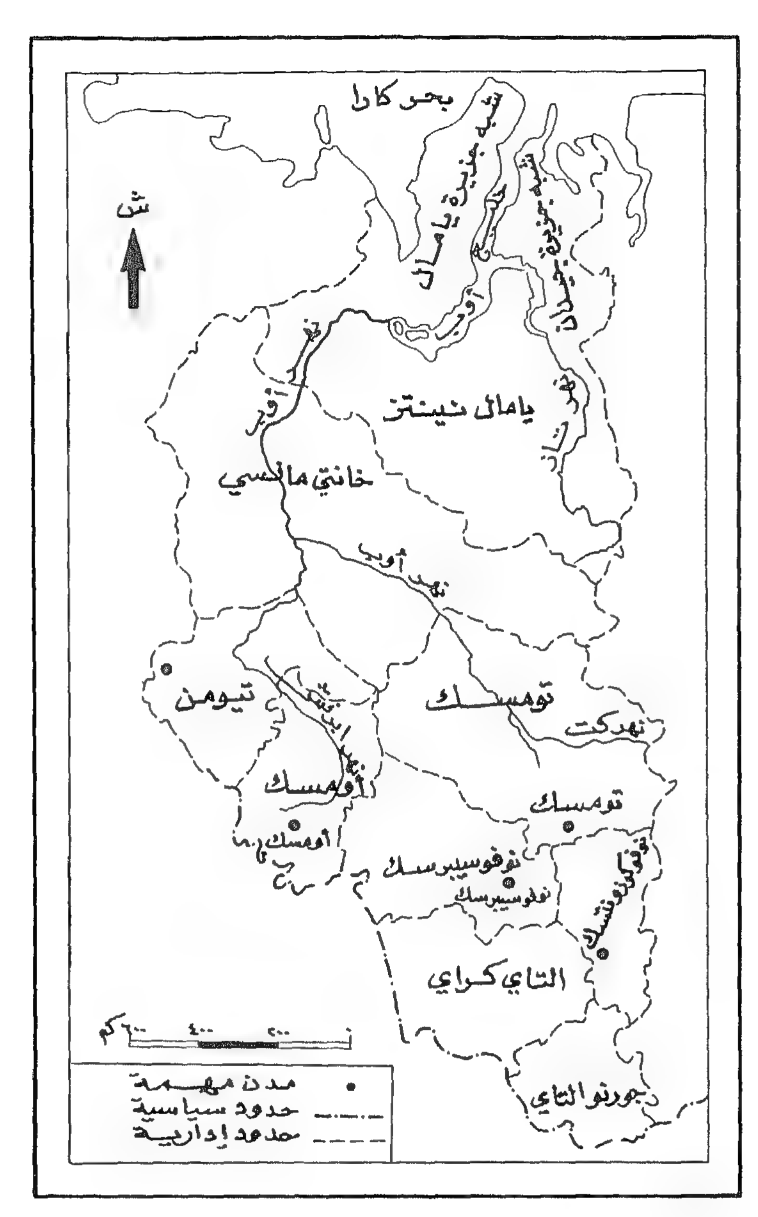
وقد وصلت الدعوة الإســلامية عن طريق التتار والقزاك ، وكــانت المنطقة ممراً للشعوب المسلمة نحو شرقي أوروبا وخضعت لحكم مغول القبيلة الذهبية، ولهذا تمكن الإسلام منهــا قبل استيلاء الروس على خانيات القــبيلة الذهبية . وقد مرت بالظروف نفسها التي تعرضت لــها المناطق الإسلامية في عهد روسيا القيصرية والاتحاد السوفييتي السابــق . وكانت مدينة أورنبورج من أفضل المدن الإسلامــيــة بروسيــا ، حيث اشــتهــرت بطبــاعة الكــتب والموســوعات الإسلامية.

وعقد بها المؤتمر الأول للمسلمين القرغيز والقزاك في سنة ١٩١٧م ، حيث ناقش الحكم الذاتي. وفي يوليو من العام نفسه ، عقد المؤتمر الإسلامي الثاني للقرغيز في أورنبورج أيضاً، وناقش الوحدة الإسلامية ، ولقد نال المسلمون في أورنبورج الكثير من بطش الاتحاد السوفييتي السابق ، حيث هدمت المساجد وأغلقت المدارس.

خامسا : المسلمون في سيبيريا (شكل رقم ١٧) :

سيبيريا أكبر أقاليم العالم وتنقسم إلى سيبيريا الغربية وسيبيريا الشرقية (الشرق الأقصى) ، وينتشر المسلمون بصفة خاصة في سيبيريا الغربية التي تبلغ مساحتها حوالي ٤ر٢ مليوني كيلو متر مربع ، وهي تمتد من شرقي جبال أورال وشمال قزاخستان إلى نهر ينسي شرقا ، ومن المحيط المتجمد الشمالي إلى هضاب شمال قزاخستان جنوبا ، وأخذت اسمها من مدينة تتارية صغيرة "سيبر" شرقي جبال الأورال ،وتنقسم إلى ٩ أقاليم إدارية . (Paul,1977,367)

ويغلب المظهر السهلي على سيبيريا الغربية ، وتنحدر الأرض من الجنوب نحو الشمال ، ولهذا تنقسم أرضها إلى إقليمين جيمورفولوجيين ، سهول سيبيريا الغربية المنخفضة ، والمرتفعات الشمالة الغربية الممتدة من جبال التاي ، وتنصرف معظم أرضها المنخفضة إلى نهر آوب ، عبر روافده العديدة ، وينصرف إلى المحيط المتجمد الشمالي . والمناخ شديد البرودة في الشتاء ويختلف من منطقة إلى أخرى عبر هذه المساحة الشاسعة ، والمدى الفصلى كبير، والثلوج تتراكم في الشتاء ، لهذا يسود فصل طويل من البرودة ، وتختلف درجات الحرارة من منطقة لأخرى ففي أومسك معدل حرارة يناير ٢٩ درجة مئوية تحت الصفر وأحيانا تصل الحرارة الدنيا إلى ٤٩ درجة مئوية تحت الصفر ، ومعدل



شكل (١٧) الوحدات الإدارية والسياسية في سيبيريا

المصدر:

.Paul, E. Lydolph Geography of U.S.S.R., 1979.

حرارة يوليو ١٩٫٥ درجة مئوية ، لهذا تتمتع منطقتها بصيف قصير معتدل، وفصل النمو النباتي لا يتجاوز ١١٥ يوما في السنة وتنخفض الحرارة إلى أقل من ذلك كلما اتجهنا شمالا ، وتتراوح كميات الأمطار السنوية بين ٣٠٠ و ٢٩٠ ملم، والغطاء النباتي يتكوَّن من نباتات التندرا وتمتد من الشمال حتى الدائرة القطبية، ثم غابات التايجا التي تمتد حتى دائرة عرض ٥٦ْ شمالا ثم غابات مختلطة دون ذلك نحو الجنوب . (Paul, 1977, 335, 376)

قبل انتشار الروس في سيبيريا الغربية في القرن السابع عشر الميلادي ، سكنت سيبيريا الغربية عناصر الياقوت وتتار سيبيريا وعناصر من المانشو مثل إفنكز Evenks ولاموستز Lamusts ، وعناصر من أصول فنلندية مثل خانتي ومانسي ، وعناصر مغولية مثل بوريات Buryats وعناصر من الكورياك Koryak واليوكاغيرز Yukaghirs والجيلياك Gilyak . (Philip, 1991, vol. 28, 1025)

أما سكان سيبيريا الغربية حاليا بعد سيطرة روسيا القيصرية ، فإضافة إلى العناصر السابقة ، هجَّرت روسيا القيصرية إجباريا أعداداً كبيرة من الشعوب التي قاومت حكم السوفييت ، خصوصا من الشعوب المسلمة ، مثل تتار القرم والشيشان والأنجوش والشركس والداغستان والياشكير وتتار الفولجا والكالميك، كما هجرَّت شعوباً أخرى اتهمهم السوفييت بالتعاون مع الألمان في الحرب العالمية الأولى، يضاف إلى هذا ، هجرات الروس أنفسهم لتثبيت حكم الروس قياصرة وسوفييت، لذلك نجد سكان سيبيريا الغربية خليط من الروس والأكرانيين والألمان والقازاخ والشوفاش والموردافيين . (Paul, 1977, 368)

والنشاط البشري متنوع ، والزراعة تمارس بعد فترة ذوبان الجليد ، ومساحة الأراضي الزراعية في سيبيريا الغربية تقدر بحوالي ٣٥ مليون هكتار ، ويزرع

القمح الربيعي ، ودوّارالشمس والحاصلات سريعة النمو . وتربى قطعان الماشية والأغنام ، وحوالي ثلث مساحة سيبيريا الغربية تغطيه الغابات ، فحوالي ٥ر١٢٪ من احتياطي الأخشاب في روسيا يوجد في سيبيريا الغربية وإنتاجها السنوي من الأخشاب يقدر بحوالي ٣١ مليون متر مكعب . وتوجد في سيبيريا الغربية ثروة عظيمة من المعادن والفحم والنفط ، ففيها أكبر حقول احتياطي روسيا من الغاز والنفط ، وتنتشر الصناعة في المدن الكبرى بسيبيريا مثل نوفوسيبرسك ، وأومسك ونوفوكوزنتسك وبارناول وتومسك . (Paul, 1977, 380 - 388)

لقد ظلت الدعوة الإسلامية تمارس بصورة سرية في سيبيريا في عهد روسيا القيصرية حتى صدرت قوانين حرية العبادة في مستهل القرن العشرين الميلادي، فزادت من حماس الانتشار . وفي عهد حكم السوفييت ، نفي الروس أعداداً كبيرة من الشعوب الإسلامية من حوض الفولجا ومن إقليم القوقاز خصوصا في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ويقال إن عددهم قارب مليون وثلث الميلون نسمة . وقد زاد هذا النفي من دعم الإسلام في سيبيريا ، وليست هناك إحصاءات دقيقة عن عدد المسلمين في سيبيريا ، وإنما يقدر عددهم بأكثر من مليونين وسبعمائة ألف نسمة . (بكر ، ١٩٨٨م ، ٣٠٩ ، ٣١٠) .

سادسا : جمهورية القرم "سابقا" :

القرم في لغة التتار تعني "القلعة" ، ويطلق هذا الاسم على إقليم كبير كان يشتمل على حوالي ٤٠ بلدة ، واقتصر حاليا على شبه جزيرة القرم "كرش" التي تمتد من اليابس الأوروبي ، ويفصلها عن الساحل الشمالي الشرقي للبحر الأسود مضيق "كرش" . وتبلغ مساحة شبه الجزيرة ٢٧٠٠٠

كيلو متر مربع، ويقع في شمالها الشرقي بحر آزوف ، وترتبط ببرزخ صغير باليابس الأوروبي من الشمال ، ويحيطها البحر الأسود من الغرب والجنوب والجنوب الشرقي ، ويتنازع كل من الروس والأكرانيين على شبه جزيرة القرم حالياً.

وتشغل السهول في شمالها حوالي ثلثي مساحتها ، وترتفع الأرض تدريجيا نحو الجنوب ، حيث تصل إلى سلاسل جبلية في أقصى الجنوب ، يصل ارتفاعها إلى ١٥٠٠ متر ، وأعلى قمة بها تصل إلى (١٥٤٥ متراً) ، وأطلق التتار المسلمون على الأرض المرتفعة اسم "يايلا" Yayla . وتنبع من جبالها أنهار صغيرة ، ومناخ القرم بارد في الشتاء حيث تغطي الثلوج كثيراً من قممها ، وتستمر طيلة الشتاء والربيع ، ومعدل حرارة مدينة "يالطا" على ساحلها الجنوبي في فبراير ٣ر٥ درجات مئوية ، وسجلت أقل درجة حرارة ١٥ درجة مئوية تحت الصفر المئوي ، والصيف معتدل ومعدل شهر يوليو ٢٣ درجة مئوية وتتلقي المنطقة أمطاراً غزيرة يبلغ معدلها السنوي ٥٦٠ ملم ، وتكسو الغابات معظم مرتفعاتها . (Paul, 1977, 134, 137)

وقد سكن التتار منطقة القرم في عهد اتساع دولة خانية مغول القبيلة الذهبية لاسيما في القرن الخامس عشر الميلادي ، وقويت شوكتهم ، فبسطوا نفوذهم على المناطق الواقعة شمال البحر الأسود . وبعد انقسام خانية دولة مغول القبيلة الذهبية ، تكوّنت خانية القرم وبسطت نفوذها على مساحة شاسعة من روسيا ، ثم استولى الروس عليها في عهد الامبراطورة كاترين الثانية ، وكان سكان القرم في هذه المرحلة حوالي ١ر٥ مليون نسمة في سنة ١٧٨٣م . (حرب، ١٩٩٣م، ٩٥) ، وهجّرت كاترين الثانية إلى القرم أعداداً كبيرة من الروس والألمان (أطلق عليهم ألمان البحر الأسود) ، وبالمقابل هاجر

تتار القرم تحت ضغط الروس على مراحل مختلفة في عهد روسيا القيصرية ، وكذلك في عهد روسيا السوفيتية ، لهذا تغيرت البنية البشرية في القرم ، فأصبح أغلب سكانها من الروس والأكرانيين ، أما تتار القرم فمشرودن داخل روسيا وخارجها. وفي خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين ، تحرك كثير من الروس والأكرانيين إلى القرم ، مستغلين تشريد شعب القرم قبل الحرب العالمية الأولى وبعد الحرب العالمية الثانية .

وأبرز أنشطة السكان هي الزراعة في السهول الشمالية ، وتزرع أصناف عديدة من الفاكهة خصوصا العنب والكمثرى،وبها العديد من المعادن مثل الحديد والمنجنيز والنحاس ، إلى جانب الفحم والنفط . (حرب ، ١٩٩٣م ، ٩٠)

• • • • • •

الإدارات الدينية

صدر أيام الاتحاد السوفيتي السابق تنظيم خاص بالإدارات الدينية الخاصة بالمسلمين وتم ذلك في سنة ١٩٤١م . وهو يعتبر تنظيماً حكومياً ، حيث يرتبط بوزارة الأديان في موسكو . وقسم الاتحاد السوفييتي السابق البلاد إلى أربعة مراكز أو إدارات دينية ، يرأس كل إدارة مفتٍ ، ويمثله مفوض في كل جمهورية وممثل عن وزارة الأديان ، وهذه المراكز هي :

١ - المركز الإسلامي لروسيا الأوروبية سيبيريا ، ومقره مدينة أوفا عاصمة جمهورية باشكيرستان ، وتشمل صلاحياته مناطق المسلمين في إقليم حوض نهر الفولجا وإقليم أورال وسيبيريا ، ولغة المركز هي اللغة التتارية الغازانية .

٢ - المركز الإسلامي في شمال القوقاز وداغستان ، ويشمل جمهوريات شيشان - إنجوش ، وأوسيتيان الشمالية ، كاباردن - بلكار وداغستان ، ومقاطعات أديجا ، قارتشاي - شركس ، ومركزه محج قلعة .

٣ - المركز الإسلامي السني الشيعي لما وراء القوقاز ، ومركزه في باكو وتشمل صلاحياته أذربيجان وكذلك المناطق الإسلامية في جورجيا وأرمينيا ، ويسمى رئيسه بشيخ الإسلام . وبعد استقلال أذربيجان تغير الوضع . قزاخستان وأوزبكستان وقرغيزستان وتركمانستان وطاجيكستان ، وقد استقلت هذه الدول بشؤونها الإسلامية بعد انفصالها عن روسيا .

• • • • • •

التعليم الإسلامي :

أولا : قبل عهد السوفييت :

كانت هناك نهضة تعليمية شملت الشعوب الإسلامية ، خصوصا في بداية القرن العشرين الميلادي بعد صور قانون حرية العبادة في أواخر عهد روسيا القيصرية ، فظهرت نهضة تعليمبة شاملة في مناطق الشعوب الإسلامية ، وتم إنشاء مدارس إسلامية حديثة في القرم وقازان (عاصمة تتارستان) وأورنبورج وأوفا (عاصمة باشكيرستان) وداغستان وشيشان - إنجوش وأذربيجان ، وفي آسيا الوسطي . وبلغت الحركة التعليمية شأناً عظيماً ، ونهضت المدارس نوعا وعدداً وارتفع مستوي التعليم خصوصا في قازان ، بل كان في روسيا القيصيرية ٢٤٣٢١ مدرسة (المجلة ، ربيع الثاني ، ١٤٠٠هـ) ، وكانت الشعوب الإسلامية تكتب لغاتها بحروف عربية .

ثانيا : في عهد السوفييت :

بدأ السوفييت سياسة معادية للتعليم الإسلامي ، حيث عمموا استخدام الحروف اللاتينية بدلاً من العربية منذ سنة ١٩٢٨م ، ثم استبدلت بالحروف الروسية في سنة ١٩٣٨م ، وأصبحت الروسية لغة رسمية ، وأغلقت المدارس الإسلامية ، فتم غلق آلاف المدارس الإبتدائية الإسلامية ، وحوالي ٥٠٠ مدرسة عليا ، ولم يتبق من هذه المدارس غير مدرستين في وسط آسيا ، هما مدرسة "ميرعرب" في بخاري ، ومدرسة "مبارك خان" في طشقند لتخريج حوالي ٥٠ طالبا كل عام ، وهكذا قضى السوفييت على التعليم الإسلامي .

وبعد تفكك الاتحاد السوفييتي واتباع سياسة التسامح مع الأديان ، بدأت تظهر بعض المؤسسات التعليمية الإسلامية ، كما عقدت مؤتمرات إسلامية

لتدارس أحوال المسلمين ، فافتتح معهد إسلامي في أوفا عاصمة باشكيرستان وكذلك معهد إسلامي في باكو عاصمة أذربيجان . ونشط المسلمون في بنـ المدارس الإسلامية والمساجد وعقد المؤتمرات الإسلامية العالمية التي حضرتـ وفود من العالم الإسلامي ، حيث قدمت المعونات المادية والعلمية وتـ الانفتاح على العالم الإسلامي بعد غياب طالت مدته .

• • • • • •

المساجد

بلغ عدد المساجد قبل حكم السوفييت حوالي ٢٦ ألف مسجد في سنة ١٩١٣م، لم يبق منها في سنة ١٩٤٢م إلا ١٣١٢ مسجداً ، وكذلك بدأت حركة تعمير المساجد في باشكيرستان بعد تفكك الاتحاد السوفييتي ، حيث بدأ مشروع بناء ٤٣ مسجداً حديثا ، وهذا مثال لحركة تعمير المساجد في مناطق المسلمين بروسيا الاتحادية ، يضاف إلى هذا بناء المجمعات المدرسية والمراكز الإسلامية . (King Abdul Aziz, 1992, vol. XII)

• • • • • •

خاتمة

يمكن تلخيص حاجة المسلمين بروسيا الاتحادية بعد تفكك الإتحاد السوفييتي، وفي ظل ما يسمى بسياسة الانفتاح والتسامح مع الأديان ، بعدد من المتطلبات وأبرزها :

١ - الإسهام في إعادة تعمير المساجد والمدارس الإسلامية .

٢ - الحاجة الماسة إلى الدعاة لإصلاح مسار الدعوة بعد هذا الانقطاع الطويل (٧٠ سنة) ، مع ضرورة إجادة الدعاة لغات الشعوب الإسلامية أو اللغة الروسية .

٣ - الحاجة إلى الكتب الإسلامية بلغات الشعوب الإسلامية أو اللغة الروسية .

٤ - وضع منهج موحد للتعليم الإسلامي في المدارس الإسلامية .

٥ - الحاجة إلى مشروعات اقتصادية تعود على المجتمع الإسلامي بالربح الذي يشتغل في المشروعات الإسلامية ، مثل تقديم الوجبات الإسلامية الحلال، وتنشيط العمل الاقتصادي باقامة مزارع أو التوسع في الاستثمار.

٦ - الحاجة إلى إعادة كتابة لغات الشعوب الإسلامية في روسيا بحروف عربية، والتوسع في استخدامها بالمدارس الإسلامية .

٧ - محاربة الشعوذة والدجل والإلحاد .

٨ - ضرورة وجود حضور إسلامي شبه مستمر ، ممثلا في زيارات لأبرز الشخصيات الإسلامية من علماء الدين .

٩ - التعاون مع الإدارات الدينية بروسيا

١٠ - ضرورة دراسة أحوال المسلمين في البلدان التي خضعت للحكم الشيوعي.

١١ - التوعية الإسلامية، وتنشيط دور الإعلام الإسلامي .

١٢ - تقديم منح دراسية لأبناء المسلمين في هذا البلد .

• • • • • •

المراجـع

أولاً : المراجـع العربيـة :

- أبـو سعيد ، حامد غنيم (د.ت) ، انـتشار الإسلام حـول بحر قزوين ، دار الثقافة، القاهرة .

- أبو العينين ، حسن سيد (١٩٧٩م) ، آسيـا الموسمية وعالم المحيط الهادي ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية .

- أبو القاسم ، الموسوي (١٩٩١م) ، تاريخ الهند : ذكر سلاطين دكن البهمنية والقطبية والعادلية وغيرهم ، تحقيق سليم محسن ، القاهرة .

- الحداد ، السيد (١٩٨٥م) ، مدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى ، عالم المعرفة ، القاهرة .

- الب ، تكين عيسى (١٩٧٨م) ، قضية التركستان الشرقية ، ترجمة إسماعيل حقي، مؤسسة مكة المكرمة للطباعة والإعلام ، مكة المكرمة .

- أرامكو (الظهران) ، قافلة الزيت ، محرم ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .

- بكر ، سيـد عبدالمجيد (١٩٨٨م) ، الأقليـات المسلمة في آسيا واسـتراليا ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة .

- بناء الصين (١٩٨٠م، ١٩٨٣م) ، المسلمون في الصين من هم ؟ ، بكين

- تشولينغ (١٩٨٨م) ، القوميات المسلـمة في الصين ، تعريب وجيه هواوي ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين .

- توماس ، أرنولد (١٩٧٠م) ، الدعوة إلى الإســلام ، تعريب حسن إبراهيم وآخرين، دار النهضة المصرية ، القاهرة .

حرب ، محمد (١٩٩٣م) ، المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان ، المركز المصري للدراسات العثمانية ، القاهرة .

- حمدان، جمال (١٩٧١م) ، العالم الإسلامي المعاصر ، عالم الكتب، القاهرة .

- حى ، بدر الدين (د.ت) ، تارسخ المسلمين في الصين ، بيروت .

- الدناصوري ، جمال وآخرون (١٩٧٠م) ، جغرافية العالم : دراسة إقليمية (آسيا وأوروبا) ، الأنجلو المصرية ، القاهرة .

- دار الفيصل الثقافية (١٤١٣هـ) (الرياض) ، الفيصل ، مجلة شهرية ، ربيع ١٤١٣هـ .

- الزوكة ، محمد (١٩٨٦م) ، آسيا دراسة في الجغرافية الإقليمية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .

- رابطة العالم الإسلامي (مكة المكرمة) ، العالم الإسلامي ، مجلة شهرية ، ربيع الأول ١٤١٥هـ ، محرم ١٤١٧هـ ، ربيع الثاني ١٤١٧هـ ، رمضان ١٤١٧هـ.

- رابطة العالم الإسلامي (مكة المكرمة) ، العالم الإسلامي ، مجلة أسبوعية ، ١١ شعبان ١٤١١هـ ، ١٣ ربيع الثاني ١٤١٢هـ ، ١٢ شوال ١٤١٥هـ ، ٢٧ ذي القعدة ١٤١٦هـ ، ٢٥ صفر ١٤١٦هـ ، ١٧ محرم ١٤١٧هـ ، ٤ جمادى الأولى ١٤١٧هـ ، ١ جمادى الآخر ١٤١٧هـ ، ١٢ شعبان ١٤١٧هـ .

- الساداتي ، أحمد (١٩٧٠م) ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

- السمرائي ، صالح (١٩٩٠م) ، عن المسلمين في اليابان ، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ، جدة .

- شاكر ، محمود (د.ت) ، العالم الإسلامي ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

شنتال ، طربيه كلجي والكسندر بيتفس (١٩٧٧م) ، المسلمون في الاتحاد السوفيتي، تعريب حقي إحسان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

- الشنتناوي ، أحمد وآخرون (١٩٣٣م) ، دائرة المعارف الإسلامية ، الأجزاء: ٤ - ٥ - ٩ - ١٤ - ١٥ ، القاهرة .

- اللواتي ، أبو محمد بن إبراهيم (١٩٨٥م) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت .

- عبدالحليم ، رجب (د.ت) ، انتشار الإسلام بين المغول ، دار النهضة العربية، القاهرة .

- عبدالقادر ، أحمد محمد (١٩٨٠م) ، المسلمون في الفيليبين ، الناشر العربي، القاهرة .

- غلاب ، محمد وآخرون (١٩٧٩م) ، البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .

- فهمي ، نعيم (١٩٧٣) ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

- المجلس الهندي للعلاقات الثقافية (١٩٥٠م و ١٩٦٢م) ، (دلهي) ، ثقافة الهند ، مجلة شهرية ، مارس ١٩٥٠، يناير ١٩٦٢م .

- محمد إسماعيل (١٩٥٧م) ، المسلمون في الاتحاد السوفييتي والصين ، دار زيني للطباعة والنشر ، القاهرة .

- معهد شؤون الأقليات المسلمة (١٣٩٨ و ١٣٩٩هـ) ، (جدة) ، نشرة معهد

شؤون الأقليات المسلمة ، صفر ١٣٩٨هـ ، ربيع الآخر ١٣٩٩هـ .

- مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر (١٩٨٦م) ، الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب ، القاهرة .

- موسى ، علي والحمادي ، محمد (د.ت) ، جغرافية القارات ، دار الفكر ، دمشق.

- مؤنس ، حسين (١٩٨٧م) ، أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة.

- النمر ، عبدالمنعم (١٩٩١م) ، تاريخ الإسلام في الهند ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة .

- هويدي ، فهمي (١٩٨١م)، الإسلام في الصين، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

- نوار ، عبدالعزيز (١٩٩١م) ، الشعوب الإسلامية (الاتراك ، العثمانيون ، الفرس، مسلمو الهند) ، دار النهضة العربية ، القاهرة .

• • • • • •

ثانيا : المراجع الأجنبية :

- Aguilar, C. (1991) ; Ethnic Ethnic Conflluct and Palitical Development in Philippine, The Casse of Muslim Mindanao, Current World Leaders, 34,2.

-Amercana Corporation (1976), The Encyclopedia Americana, New Tork, USA .

- The American Theological Library Assoviation, Journal : Institute of Muslim Minarity Affairs, Chicago, USA. :

. Vol I, No. 2, 1979 .

. Vol II, No. 1, 1980 .

. Vol III, No. 2, 1981 .

. Vol XIV, No. 1, 1993 .

- Brice, W. (1981) ; An Historical Atlas of Islam, Leiden .

- Chung Chin (1981) ; An Outlin of Chines Geography, Foreign Languages Press, Beijin, China .

- Dauday, Eyo (1979), Muslim in the Philippines L An Economic Appraisal, Institute of Muslim Minority Affairs, King Abdul Aziz Univ, Jeddah .

- Europa Publication Limited, (1985) ; The far East and Australasia .

- Esposito, J. (1995) ; The Ozford Rncyvlopedia of the Modern Islamic World , Oxford Univ, Press, New York, USA., vols. 2,3,4 .

- Europa Publications Limited, (1996) ; The far East and Australasia .

- Europa Publications Limited, (1993) ; The far East and Australasia .

- Europa Publications Limited, The Europa World Year Book :

. Vol. II, 1986 .

. Vol. I, 1992 .

. Vol. I, 1993 .

. Vol. I, 1996 .

. Vol. II, 1996 .

- Hafeez, M. (1993) ; Nationalusm in India and Pokistan, Public Affairs Press, Washington DC .

- Famighettin R. (1996) ; The World Almanac and Boo; of Facts .

- Fitzgerlad, A. & George, Y. (1984) ; Introduving China, Pits House, London .

- John, P. (1973) ; The Statsman's Year-Book, Macmilan Press, London .

- King Abdul Aziz Univ., Hournal : Institute of Muslim Mindrity Affairs :

. Vol. I, No. 2, 1980 .

. Vol. III, No. 2, 1981 .

. Vol. VII, No. 1,2, 1986 .

. Vol. XII, No. 1,2, 1992 .

- The Korean Muslim Federation (1977), Facts about Islam in Korea .

- Muslim India, Manthly Jouranl of Reference, Research and

Documentation, New Delhi :

. August 1984 .

. September 1084 .

. Nevember 1984 .

. March 1985 .

April 1997 .

- Oclopus Books Limited (1978); The New Encyclopedia of Eorld Geography, london .

- Paul, E. (1977) ; Geography pf USSR. , John Wiley & Sons, New York .

- Philip, W. (1991) ; The New Encyclopedia Britannica, Chicago, Vols : 16, 21 .

- Radiance (1992) ; Newsweekly, Vol. XXVII, No. 24, 5 - 11 April, New Delhi .

- Reza, Shah-Kazemi (1995) ; Crisis in Chechinia, Islamic World Report, Lonson .

- Weeks, R. (1984) ; Muslim Peaples A world Ethnographic Survey, Green Wood Press, USA .

- U.N. (1995) ; Popugation and Vital Statistics, Report Statistical Papers Series, Vol. XI - VII, No. 2 .

- wiley, J. (1984) ; Word Mark Encyclpedia of the Nationx Asia & Oceonia, New World Mark Press Ltd., New York .

فهرس الأشكال

فهرس الجداول

• • • • • •

الأقليات المسلمة في قارة أفريقيا

الدكتور / تاج السر أحمد حرّان

فهرس الموضوعات

• • • • • •

خلفية جغرافية

لما كان للبيئة الجغرافية في أفـريقيا أثر واضح في الطريقة التي دخل بها الإسلام إلى القـارة ، وعلى طريـقة وطبـيعة انـتشاره فـيهـا ، ثم على التـوزيع الجغـرافي للمسلمين في أرجائها المختلفة ، بل وعلى الظروف التي عاشها المسلمون الأفارقة ، وعلى المشاكل والتحديات التي يواجهونها اليوم ، لما كان لهذه الطبيعة الجغرافية كل هذا الأثر كان لابد من إعطاء نبذة مختصرة عنها .

أفريقـيا ثاني أكبـر القارات بعد قـارة آسيا ، وهي قـارة واسعة تغطـي خُمس مساحة اليابسة في العالم ، وتبلغ مساحتها ٠٠٠ر٢١٧ر٣٠ كيلو متر مربع ، أي ما يعادل ثلاث مـرات مساحة أوروبـا ، وتمتد من الشمـال إلى الجنوب حوالي ثمـانية آلاف كيلو مـتر، وحوالي سبـعة آلاف وثلاثمائة وسـتين كيلو متر مـن الشرق إلى الغرب، ويفصلـها في الشمال البحر المـتوسط عن أوروبا ، ولاتبتعد سـوى خمسة عشر كيلو متراً عنها عند مضيق جبل طارق ، وتتصل بقارة آسيا في الشمال الشرقي عبر شبه جزيرة سيناء، وقد فصلت عنهـا عندما شقت قناة السويس ، كما يفصلها البحر الأحمر عن شبه الجزيرة العربية ، وقد أوجد هذا الموقع صلة وثيقة بين أفريقيا الشمـالية وأوروبا وآسيـا. ولكن الأجزاء الجنوبـية ظلت مجـهولة لوجود الحـواجز الطبيعية التي أعاقت الدخول إليها مثل الغابات الاستوائية الواسعة ، والمستنقعات ، والصحاري الشاسعة، والأنهار كثيرة الشلالات والتي لا تصلح للملاحة إلا لمسافات قصيـرة ، إضافة إلى مناخـها المداري والاستوائـي القاسي وقصـر ساحلها بالنـسبة لمساحـتها ، وقلة تعـاريج ذلك الساحل، وقلـة الرؤوس والخلجان ، وبالتـالي قلة الموانئ الطبيعية الجيدة ، بالإضافة إلى انـتشار الأراضي القاحلة فيها والتي تفوق كل أراضي القارات القاحلة (مـاعدا أستراليا)، (New Ency . Britannica , 1995 , P. 37)

ذلك أن ظهير السواحل الأفريقية فقير ، وهي تؤدي إلى مناطق صحراوية أو شبه صحراوية ، أو غابات يصعب اختراقها . ومما قلل من المعرفة بأفريقيا أيضاً قلة الجزر القريبة من الساحل ، وهي قليلة وصغيرة باستثناء جزيرة مدغشقر ، وهي رغم اتساعها فإن تيار موزمبيق البحري جعلها منعزلة عن اليابس الأفريقي ، وحتى جزر زنجبار وبمبا ومافيا بعيدة عن الساحل مما قلل من قيمتها كمحطات اتصال (الجمل ، د. ت ، ص ٣) .

وفيما عدا بعض المنافذ مثل شبه جزيرة سيناء والبحر الأحمر فإنه توجد سلاسل من المرتفعات الضخمة ذات التعرج الوعر، تقوم على ساحل القارة الضيق، ذي المعالم الغامضة. تحف بشواطئه الحواجز الرملية، ويملأ المرجان جوانبه، كما أن النباتات المائية تزحم بعض أنهاره، والحواجز الرملية تسد مصاب الأنهار ومساقطها، كما هو الحال في أنهار السنغال، والكونغو، والنيجر، والزمبيزي والنيل، فتغلق أبواب الدخول إليها، كل ذلك أدى إلى عزلة أفريقيا.

تتكون قارة أفريقيا – في مجموعها – من منخفضات تفصلها عن بعضها البعض هضاب ، فهناك مثلاً منخفضات تشاد وتمبكتو ، ومنخفض الكونغو الذي يفصله عن المحيط الأطلسي جبال الكمرون والكرستال ، وهذا الوضع يفسر لنا العجز في القارة عن تصريف المياه، فأكثر من نصف القارة لا منفذ له إلى البحر ، لأن المياه فيه تضيع في المنخفضات، ولم تفلح في شق طريقها إلى المحيط إلا الأنهار الكبيرة (روكر، ١٩٨٦م ، ص ١٦) .

وتعتبر كل القارة هضبة ضخمة ، بل إنها تسمى في أحيان « بالقارة الهضبة» إذ إن عدة هضاب واسعة تغطيها ، تاركة منطقة ساحلية ضيقة عرضها حوالي ٣٠ كم في المتوسط، ويبدأ ارتفاع هذه الهضبة الحاد من الجهات الساحلية الضيقة، ويزداد علوها في الجهة الجنوبية الشرقية، ثم يبدأ انحدارها نحو

الجهات الشمالية الشرقية. ويمكن تقسيم كل الهضبة إلى قسمين : القسم الجنوبي الشرقي، والقسم الشمالي الغربي، والذي يشمل الصحراء الكبرى، وذلك الجزء من شمالي أفريقيا المعروف «بالمغرب»، وبه منطقتان جبليتان هما سلسلة جبال الأطلس في شمال غربي القارة، وأما الجزء الجنوبي الشرقي من الهضبة فيشمل الهضبة الأثيوبية، وهضبة شرقي أفريقيا، ويمتد ليشمل في شرقي جنوبي افريقيا سلسلة دراكنبرج Drakenberg Range .

ولعل أهم سمة جيولوجية تميز القارة الأفريقية هو أخدود شرقي أفريقيا والذي يقع بين خطي طول ٣٠ْ و ٤٠ْ شرقاً ، ويبدأ الأخدود في أطرافها الشمالية الشرقية ويمتد جنوباً من سواحل البحر الأحمر الأثيوبية إلى حوض نهر الزمبيزي (New Enc. Britanica, 1995 , P. 37) ، هذا الأخدود هو جزء من وادي الأخدود الأفريقي العظيم Great Rift Valley والذي هو عبارة عن تصدع في طبقات الأرض ممتد من غور نهر الأردن شمالاً إلى جهات موزمبيق جنوباً ، ماراً بالأراضي الأثيوبية المنخفضة ، وينقسم في أوغندا إلى قسمين ، وتتخلل غوره بحيرات « ملاوي »، والبرت، و إدوارد ، وتنجانيقا ، وهي بحيرات طويلة وضيقة وعميقة بسبب موقعها في غور هذا الأخدود، ويميزه في أواسط كينيا المرتفعات والجبال الشاهقة ، والتي تعلو سطح الأرض ببضع آلاف من الأمتار (Academic American . Ency . 1981 , P. 137) .

وعلى غير حال القارات الأخرى ، فليس في أفريقيا سلسلة عظيمة من الجبال، غير سلسلة جبال الأطلس ، وجبال شرقي أفريقيا . وتوجد جبال الأطلس في شمال غربي القارة ، وتمتد لأكثر من ٢٠٠٠ كيلو متر محاذية لساحل البحر المتوسط من ميناء أغادير في المغرب إلى العاصمة التونسية ، وترتفع قممها العالية لتفصل بين حوض البحر المتوسط في الشمال والصحراء في الجنوب مكونةً بذلك

حاجزاً قد يعوق ولـكنه لايمنع الاتصال بين المنطقتين ، إذ عبـره تمت هجرات بشرية عدة. وتبلغ أعلى قمم السلسة عند جبل توبكال (Toubkal) والذي يبلغ ارتفاعه ١٦٥ر٤ متراً فـوق سطح البحـر ، وقد تعلو قمـته طبقـات الجليد . وتنحـدر مياه الأمطار من سلسلة الجبال هذه مكونة بذلك نهيرات شديدة الانحدار ، وأودية عدة، مثل الأودية الموجودة في المغرب .

وقد كانت هذه الجبال على مر عصـور التاريخ ملاذاً للسكان الأصليين الهاربين من الغزوات المتتالية على المنطقة ، وهناك عاش البربر محتفظين بلغاتهم ومعتقداتهم وتقاليـدهم، فهم حريصون عـلى الإبقاء على هويتهـم - وقد أسلموا فيـما بعد ، ولعبوا دوراً مهماً في نشر الإسلام في الأجزاء الغربية من القارة .

أما جبال شرقي أفريقيا فتـقع إلى الشرق من الأخدود ، وهي الآن قمم بركانية خامدة، وتشمل جبال كينـيا ، وتنزانيا ، وأوغندا ، وزائير ، ورواندا ، وبورندي، ومنها سلسلـة جبال الرونزوري Ruwenzori البركـانية ، أو جبال القـمر ، والتي تبلغ أعلى قممـها أكثر من ٩٠٠ر٤ متر فوق سطح البحـر ، ورغم قربها من خط الاستواء فـإن طبقات الجليـد تعلوها . وتمتد هـذه السلسلة ما بين بـحيرة إدوارد - وبحيـرة البرت على الحدود الأوغنـدية - الزائرية أو الكنغولـية ، أما جبال فـرونقا Virunga فتقع إلى الجنوب وتمتد على حدود أوغندا، ورواندا وزائير (الكونغو).. وإلى الشمال من العاصمة الكينية نـايروبي يقع جبل كينيا ، أما جبل الجون Elgon فيقع على الحدود الأوغندية - الكينية ، وهناك جبل "مرو" Meru في تنزانيا . أما جبل «كلمنجارو» الواقـع على طول الحدود الشمالية التنزانية مع كـينيا ، فهو أعلى جبـال أفريقـيا ، إذ يبـلغ ارتفاع قـمتـه ٨٩٥ر٥ متـراً سطح البـحر New Ency (Britannica , 1995 , PP73-79).

وإلى جانب هذه الطبيـعة الأرضية التي وقفت عائقاً وحـاجزاً أمام القادمين إلى

أفريقيا مـن مكتشفين وغيرهم ، فهنـاك الغابات المدارية الكثيفة مـثل غابة «أيتوري» Ituri الواقعة في الـطرف الشمالي الشرقي مـن حوض نهر الكونغو في جـمهورية الكونغو (زائير سابقاً) ، وهناك أيضاً الصحاري مثل صحراء كلهاري ، والتي هي عبارة عن سـهل رملي منبسط يـشمل جزءاً من هضبـة جنوبي أفريقيـا ويشمل كل بوتسوانالاند تقريباً ، والثلث الشرقي من ناميبيا ، والطرف الشمالي من إقليم رأس الرجاء الصالح . وهنـاك صحراء « ناميب » Namib والتي تمتد لمسافة ١٩٠٠ كم على ساحـل المحيط الأطلسي ، من « نـاميب » Namibe في أنجولا عـبر ناميبـيا وحتى نهر «اولـفانتز» Olifants في إقليـم الكاب في جنوب أفـريقيا ، وكـلمة « ناميـب » تعني في لغـة « الناما » (الأرض التـي لاشيء فيهـا) إشارة إلى جـدبها وقحولتها .

أما الصحراء الكبرى فهي أكبر صحاري الـعالم، وتغطي معظم شمالي أفريقيا، ويحدها غربـاً المحيط الأطلسي، وشمالاً جـبال الأطلس والبحر المتـوسط، وشرقاً البحر الأحمـر، وجنوباً تلالٌ رملية تقع على دائرة عرض ١٦° شـمالاً، وهي سهول وهضاب قاحلة تغطيها الرمال والصخور الجـيرية ، وتتميز بمناخ جاف وشبه مداري في شمالهـا ، وجاف - مداري في جنوبها . . . . ورغم عظـم مساحتها فيـسكنها حوالي ٢ر٥ مليوني نسـمة فقط معظمهم من البربر والبـدو، ولعل أهـم ما يميز هذه الصـحراء مرور طرق تجـارية عبـرها. (New Ency . Britannica , 1995 , PP . 82-89)

ومن سمات أفريقيا الجغرافية أنهارها وبحيراتها ذات الشهرة . والتي تفرغ القارة من مياها ، وأهمهـا نهر النيل ، والذي يسميه البعض « أبو أنـهار أفريقيا » ، وهو أطول نهـر في العالم . إذ يـبلغ طوله ٦٫٦٥٠ كم ويـبدأ من بحـيرة فيكـتوريا ، ويجري شمـالاً متخطياً سـتة شلالات ليصب فـي البحر المتوسط . . . وهـناك نهر

الكونغو ، وهو ثاني أطول نهر في أفريقيا بعد النيل ، طوله ٤٧٠٠ كم ، يبدأ في مرتفعات شمالي شرقي زامبيا بين بحيرتي تنجانيقا وملاوي (نياسا سابقاً) ، ويجري غرباً تغذيه روافد عدة مثل رافد أوبانقي Ubangi ، ويصب بانحدار شديد في المحيط الأطلسي، ومن أهم أفرعه « لوالابا » Lualaba في إقليم شابا (كاتنقا سابقاً)، وهو في الواقع فرعه الأساس. وهذه الأفرع الكثيرة هي التي تجعل منه نهراً من أصلح أنهار أفريقيا للملاحة ، رغماً عن بعض الشلالات الموجودة في مجراه ، بخاصة في مجراه الأدنى. والأوربيون هم الذين أطلقوا عليه اسم « زائير» في القرن الخامس عشر الميلادي وتعني في عدة لهجات أفريقية « النهر »، وقد أطلق عليه اسم نهر الكونغو فيما بعد، ثم سمي « زائير » ولكن الاسم الشائع الآن هو الكونغو.

أما نهر النيجر، ثالث أنهار أفريقيا طولاً، إذ يبلغ طوله ٤٢٠٠ كم وهو النهر الرئيس في غربي أفريقيا . وقد أطلقت عليه عدة أسماء على طول مجراه، ومنبعه في أعالي غينيا، على بعد حوالي ٢٤٠ كم فقط من المحيط الأطلسي، ومن هناك يتجه شمالاً حيث تنصرف إليه أفرع أخرى مثل « باني » وهو أكبر أفرعه، «ونيادان» ثم يدخل مالي على مقربة من عاصمتها باماكو ، ثم يدخل منطقة البحيرات، حيث تعترض الملاحة فيه بعض المصاعب ، ولكنها تزول ، فيصبح صالحاً للملاحة مرة أخرى، ويستمر كذلك حتى مصبه في خليج غينيا . وفي نيجريا يتصل به فرعه نهر « ادونا » - أحد أفرعه المهمة ، حيث يضيف إلى مياهه كمية كبيرة . وهناك نهر السنغال أحد أهم أنهار غربي أفريقيا .

ورابع أنهار أفريقيا طولاً هو نهر الزمبيزي ، وطوله ٣٫٥٠٠ كم ويبدأ جريانه في جنوبي أواسط أفريقيا، حيث يتجه من هناك شرقاً ، متخطياً شلالات فيكتوريا البالغ ارتفاعها ١٠٨ متراً ، ثم يستمر في جريه جنوباً ليصب في المحيط الهندي .

أما نهر الأورانج ، فيبلغ طوله ٢٫٠٩٠ كم، وينساب من لوسوتو ليجري غرباً عبر جنوب أفريقيا، ثم ينتهي في المحيط الأطلسي بعد مروره على ناميبيا (جنوب غربي أفريقيا).

هذه الأنهار زائداً منطقة تجمع المياه في الداخل حول بحيرة فيكتوريا هي التي تفرغ أفريقيا من مياهها .

والشلالات ومساقط المياه السريعة موجودة بأعداد كبيرة في أفريقيا ، وقليل منها هو الذي يستفاد منه في توليد الطاقة الكهربائية ، رغماً عن إمكانات بعضها الهائلة، مثل نهر الكونغو الذي يستأثر بحوالي ١٨٪ من طاقة العالم الهايدروكهربائية (Academic American Ency . 1981 1140-141) أيضاً (New Ency . Britannica , 1995 , PP 92-98) .

وإلى جانب هذه الأنهار هناك بحيرات أفريقيا ، وأهمها المعروفة ببحيرات شرقي أفريقيا والتي يقع معظمها في نطاق الأخدود الأفريقي العظيم ، حيث في جنوبه تقع بحيرة « ملاوي » (نياسا سابقاً) ، وفي الغرب بحيرات تنجانيقا - وكيفو Kivu ، وإدوارد ، والبرت . وتنجانيقا هي أعمق البحيرات ، وذات مساحة تبلغ ٣٢٫٩٠٠ كيلو متر مربع ثم تأتي بحيرة « فيكتوريا » وهي أكبر البحيرات الأفريقية، إذ تبلغ مساحتها ٦٩٫٤٨٦ كيلو متر مربع . وتقتسم بحيرة فيكتوريا ثلاث دول هي: أوغندا، كينيا ، وتنزانيا . أما بحيرة « ركوا » Rukwa فتقع داخل حدود تنزانيا ، أما في الغرب فإن الحد الدولي الفاصل بين أوغندا وجمهورية الكونغو فيمر وسط بحيرة ألبرت، وهذا الحد الدولي نفسه يضع ثلثي بحيرة إدوارد في جمهورية الكونغو، والثلث الباقي في أوغندا . أما بحيرة « كيفو » فتقع بين رواندا وجمهورية الكونغو. وتقتسم مياه بحيرة تنجانيقا عدة دول هي : تنزانيا ، الكونغو ، بورندي، وزامبيا. وللملاوي مياه أقليمية في بحيرة « ملاوي » ، كما أن

تنزانيا ترى أن لها حقاً في مياه تلك البحيرة .

وهناك أخيراً بحيرة تشاد التي تقع في المنطقة الساحلية من غربي وسط أفريقيا، وبالتحديد في المنطقة التي تربط بين أربعة دول هي : تشاد ، ونيجيريا ، والكمرون، والنيجر، وهي رابع أكبر بحيرة في أفريقيا إذ تبلغ مساحتها ١٧٫٨٠٠ كيلو متر مربع، ويبلغ ارتفاع مستوى الماء على سطحها ٢٨١ متراً فوق سطح البحر، ومن ثمَّ فهي ذات إمكانات هائلة لتوليد الطاقة الكهربائية ، كما أن منطقة البحيرة منطقة ذات آثار تاريخية ، وكانت ذات شأن في التجارة عبر الصحراء ، وارتباط بالممالك الأفريقية التي قامت هناك وفي غربي وأواسط أفريقيا . . وكثيراً ما تأتيها قبائل الهوسا والفلاني في هجراتهم الموسمية كما تسكن بعض القبائل العربية على جنباته(Academic American Ency ,1981,P.141) .

• • • • • •

المنـــاخ :

يتأثر مناخ القارة بعدة عوامل أهمهـا : الموقع الجغرافي حيث يمر خط الاستواء في وسطهـا ، ومدار السـرطان في نصفـها الشـمالي ، ومدار الجـدي في نصفـها الجنوبي، فمعظم القارة - الجزء الممـتد بين دائرتي العرض ٥ر٢٣° شمالاً وجنوباً ، يقع بين هذيـن المدارين ، كما أن خط الاسـتواء يقطع القـارة إلى نصفين تقـريباً ، لكل نصف خواصه المناخية المميزة له . أما العامل الثاني المهم المؤثر في مناخها فهو امتداد القارة الواسع من الشرق إلى الغرب في نصفها الواقع شمال خط الاستواء ، وضيقها في الاتجاه نفسه في نصـفها الواقع جنوبي ذلك الخط . . . وهناك عامل أثر الرياح حـيث توجد منطـقة ضغط منـخفضة فـي وسط القارة ، بالقـرب من خط الاستـواء تجذب إليـها الرياح من مـنطقتي الـضغط المرتفـع قرب مداري السـرطان والجدي ، وتعـرف هذه الرياح الدائمة باسـم الرياح التجارية الشـمالية الشـرقية ، والجنوبية الشرقية . وللتيارات البحرية أثرها البارز في مناخ القارة ، فهي تؤثر على مناخ السـواحل ، حيث يـجري تياران بـاردان فيلطفـان درجات الحرارة ، أمـا في المحيط الهـندي فيؤثر تيـار الموزمبيق على ارتـفاع درجات الحرارة والرطوبـة معاً ، وللأماكن التي بها جبال ومرتفعات عاليـة طقسها الخاص بها ، والمتأثر بارتفاع تلك الجبال ، كما أن توزيع الأمطار يلعب دوره في تحديد مناخ القارة ، فتوزيع الأمطار يختلف من مكان إلى آخر . فالمناطق حول خليج غـينيا في الغرب مثلاً تتلقى كمية كبيرة من الأمطار ، بينما يندر هـطولها في المناطق الصحراوية. (روكر، ١٩٨٧م، ص ١٤٠) . فهطول الأمطـار وكمياتها عامـل مهم وراء الاختلافات المنـاخية في القارة، فـي حين أن هطول الأمطار ذاتـه يعتمـد على نوع خـواص الكتل الهـوائية المؤثرة في كل مـنطقة من مناطق الـقارة . ويمكن تقسـيم القارة إلى ثمـاني مناطق مناخية هي: الصحراوية الحارة ، وشبه القاحلة، والمدارية الجافة الرطبة، والاستوائية

(المدارية الرطبة)، ثم منطقة البحر المتوسط. والرطبة شبه المدارية، وأراضي المرتفعات المعتدلة المناخ ، وأخيراً المناطق الجبلية- وتكفي الإشارة هنا إلى مثال واحد وهو أن المناطق الصحراوية الحارة هي التي تشمل الصحراء الكبرى، وصحراء كلهاري ، والتي تكون دائماً تحت تأثير الكتل الهوائية القارية المدارية، كما أن المناطق الاستوائية والمدارية هي أكثر المناطق أمطاراً ، أما المناطق الجبلية ذات الطقس المعتدل أو البارد في بعض الأحيان فهي مثل مناطق أثيوبيا الجبلية . New Ency (Britannica , 1995 , PP 49-66).

ومناخ القارة حار ورطب عموماً على طول خط الاستواء ، ومعتدل في شماليها وشماليها الغربي أي في المنطقة المعروفة بمناخ البحر المتوسط . والمناخ كذلك معتدل في جنوبي القارة ، قرب رأس الرجاء الصالح ، وكذلك فوق العديد من هضابها الداخلية العالية . . والفروق بين مناطق القارة المناخية المختلفة هي فروق تدريجية وليست فجائية ، وذلك بسبب غياب السلاسل الجبلية الضخمة ، وانعدام الحواجز المناخية الرئيسة ، والتي قد تعوق انسياب الهواء المداري .

ويبقى القول أن الحزام المناخي الذي تحده دائرتا العرض ٥° شمال وجنوب على كلا خط الاستواء يتميز بحرارته ورطوبته طيلة العام ، وبأمطاره الغزيرة التي قد تصل إلى ٢٫٥٣٠ ملم سنوياً ، أما الحزام الواقع بين دائرتي العرض ٥ - ١٥ درجة شمال وجنوب خط الاستواء فدافئ وذو أمطار غزيرة في الموسم الذي تكون فيه الشمس مرتفعة ، من ناحية أخرى فإن المنطقة بين دائرتي العرض ١٥ و ٣٠ درجة شمال وجنوب خط الاستواء فتسودها الصحاري ، حيث يكون النهار حاراً والليل بارداً، والأمطار حوالي ٢٥٥ ملم سنوياً ، وربما تمر عدة أعوام دون هطول للأمطار. وتقع في هذه المنطقة الصحراء الكبرى ، وصحراء « ناميب » وصحراء « كلهاري»، أما المنطقة الواقعة بعد دائرة العرض ٣٠° شمال خط الاستواء وجنوبه

فذات شتاء ممطر معتدل، وصيف دافئ جاف .

وتتفاوت درجات الحرارة في القارة مابـين ٢٥درجة مئوية على خط الاستواء ، إلى ٣٧ درجة مئوية في المناطق الصحراوية ، لكنها تنخفض إلى ١٠ درجات مئوية في الأطـراف الشـمالـية والجـنوبيـة , Academic American Ency , 1981) . PP141-142)

• • • • • •

السكان وأنماط الحياة

المقولة السائدة اليوم هي أن أفريقيا كانت مهداً للإنسان الأول ، فالحفريات الأثرية تشير إلى أن القارة كانت مسكناً للبشر منذ فترة تزيد عن الأربعة ملايين عام، وأن آثار الحياة البشرية قد اكتشفت فيها ، وأنها شهدت مولد أقدم الحضارات الإنسانية والتي قامت في مصر على ضفاف النيل في حوالي عام ٣١٠٠ ق.م . واستمرت حتى عام ٣٣٢ ق.م ، وذلك حينما سيطر عليها الإسكندر الأكبر ، كما أن الفينيقيين أقاموا حضارةً لهم في « قرطاجنة » في القرن التاسع قبل الميلاد) . New Ency . Britannica , 1995 , PP 60-61)

كان لعامل المناخ وعوامل أخرى أثرها في نمط الاستقرار البشري في القارة، ففي الوقت الذي ظلت تزدحم فيه بعض الأماكن بالسكان منذ فجر التاريخ، فإن المناطق الصحراوية في شمالي القارة وفي جنوبها الغربي لاتشجع على الاستيطان ولهذا يأنف السكان من استيطانها، كما أن عوامل المناخ المداري والاستوائي، ووجود المناطق الموبوءة بالأمراض، ومناطق الغابات الاستوائية والسدود والمستنقعات، حدت من توطن السكان لمناطق معينة، وركزتهم في مناطق أخرى، ومن ثمّ وعلى الرغم من أن قارة أفريقيا هي ثاني أكبر قارات العالم، فإن سكانها سكّونون حوالي ١٠٪ فقط من مجموع سكان العالم، موزعين على خُمس أراضيها.

وسكان القارة الأصليون هم الزنوج السود ، وقد جرت عدة محاولات لتقسيم سكانها على أسس عرقية أو ثقافية ، ولعل السائد من تلك التقسيمات هو تقسيم القارة إلى مناطق أساسية هي :

١ - أفريقيا الشمالية .

٢ - أفريقيا الغربيــة .

٣ - وسط أفريقيا الغربي .

٤ - شرقي أفريقيـــا .

٥ - ووسط وجنوبي أفريقيا .

وربما أضيفت إلى تلك التقسيمات منطـقة جزيرة مدغشقر ، والتي تكون منطقة ثقافية قـائمة بذاتها. ولكل من هذه المناطق سمــاتها العرقية ، ولغاتهــا ، وسماتها الثقافيــة. فالبربر هم الفئة الغالــبة من سكان الشمالي الأفريقي ، ولــكنهم اختلطوا فيما بعد بالعــنصر العربي ، وتأثروا بلغته وحضارته ، وهناك عــرب الشوا يعيشون جنباً إلى جنب مع البربر ، أما منطقة الغرب الأفريقي فهي ذات تباين عرقي وثقافي واضح، ففيها قبائل الماندي ، وقبــائل الفولاني ، والهوسا ، والايبو ، واليوروبا ، والاشانتي (غانا)، والوولت وغيرهم . وتوجد بعض هذه القبائل في منطقة وسط السودان الغــربي، والتي هي في الواقع امــتداد جغرافي لمنــطقة غربي أفريقــيا وهي تشمل تشــاد، وجمهورية أفريقــيا الوسطى ، وكافة دول نطاق الــسودان . ثم هناك منطقة حوض نهــر الكونغو، وهي أيضاً ذات تباين عرقي ، فــالعرب موجودون في شمالها، والقــبائل المتحدثة بالبانتو واللــهجات السوادنية في جنوبها . بيــنما ينتشر الأقزام في الكونغــو والجابون. كذلك الحال بالنســبة لشرقي أفريقيــا ، وبها المناطق الأثيوبــية والصومــالية بكل ســماتها اللــغوية والثــقافية ، فــهناك قبــائل الأرومو ، والجالا، والصومال في القرن الأفريقي، والأمهــرة ، والبقري والتغراي وغيرهم في أماكن مختــلفة من أثيوبيا وكلّ هذا جــعل سكان القارة يتحدثون بحــوالي ألف لغة بعضها غير مكتوب .

لقد شـهدت القارة الأفريقـية عدة هجرات سـكانية عبـر عصورها التاريـخية، هجرات داخلـية وهجرات من خارجـها إلى الداخل ، ومن داخلهـا إلى الخارج مما شكل حركة سكانية مـستمرة . ومن تلك الهجرات هجرات مجـموعات البانتو في الداخل، والتي شـملت معظم أجزاء القـارة جنوب خط الاستواء ، وكـانت بسبب الانفجـار السكاني الذي شهدتـه تلك المنطقة . أما الـهجرات الخارجيـة الآتية إلى القارة فـهي هجرات المستـوطنين الأوروبيـين إلى شمالـها ، وهجراتهـم وهجرات الأسيويين إلى جـنوبيها، وأجزاء من شرقـيها . فقد بدأت هجرات الـهولنديين إلى جنوب القارة في أواسط القرن السابع عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري) ، كما شهد ذلك القرن نفسه مجيئ البريطانيين إلى الناتال Natal ، ثم إلى الداخل ، إلى زامبـيا وزمبـابوي الحاليـة، وكذلك إلى مـرتفعـات شرقي أفريـقيا ، كـما استـقر البرتغـاليون في أنجولا وموزمـبيق، والألمان في مايعـرف اليوم بناميبـيا . وقد أدى استقـرار تـلك العناصر الأوروبية إلى كثـيـر من عدم الاستقـرار في تلك المناطق ، وإلى صـدام مسلح كانـت نتيجته شعـور بالمرارة وسَمَ عـلاقات الأوروبيين بالسكان المحليـين .

أما الهجرات من القـارة إلى خارجها ، فشملت ترحيـل الملايين من أبناء غربي أفريقيـا، وإلى حد ما من أنجولا ، إلى الأمـريكتين ، وإلى منطقة الـكاريبي خلال فترة القرون ١٦-١٩ الميلادية ، والتي شهدت ازدهار تجارة الرقيق . ويقدر عدد من رُحِّلوا بحوالي ١٠-١٥ مليون نسمة كان لهم الفضل في بناء العالم الجديد ، وكان لفقدان أفريقيا لهم آثار سلبية كبيرة عليها .

وتجدر الإشارة إلى أنه من كل تـلك العناصر المهاجرة التي استوطـنت أفريقيا ، فالعنصـر العربي هو الذي ترك آثاراً واضحة وبـاقية ، فقد حمل مـعه الإسلام إلى أصقاع عدة من القارة ، فنشروه في شماليها ومن هناك امتد إلى جنوبي الصحراء ، ومنهـا إلى غربي القـارة ، وقبل ذلك إلـى شرقيـها وأجزاء من أواسـطها . New Ency . Britannica , 1995 , P. 37 and 62) . .

كما أن الحروب والصـراعات والمجاعات والجفاف التي أصابـت وتصيب القارة بين حـين وآخر ، أدت إلى حـدوث حركـة هجـرة ولجوء داخـلها ، كـاللاجـئين الصوماليـين والأثيوبيين والأريتريين والسودانيـين ، وكحركة اللجوء الضـخمة التي تشهدها منطقة وسط البحيرات ، كبورندي ، ورواندا ، والكونغو ، وتنزانيا . كما أن هناك حركة عبور للحـدود مستمرة ، مثل عبور كثير من الـقبائل التي تعيش في بلدين متجاورين، فالحدود لا تعني خطوطـاً فاصلة لمثل هذه القبائل . وهناك أيضاً هجرة العمالة من بلـدان فقيرة إلى بلدان أخرى تتوافر فيها فـرص العمل ، كهجرة العمال من البلـدان المجـاورة لجنوب أفريقيا إلى مواطن العمـل هناك . مضافاً إلى ذلك ، فإننا كثيراً ما نسمع عن تهجيـر أجانب أفريقيين من بلد أفريقي هاجروا إليه واستقروا فيه إلى مواطنهم الأصليـة ، مثل الذي حدث في غانا سنة ١٩٦٩م عندما طرد العديد مـن الأجانب الوافدين قسـراً إلى أوطانهم ، ذلك أن الاستعـمار قسم القارة الأفريقية إلى وحدات سياسية صـغيرة ، ذات حدود مفتعلة ، وتداخل عرقي واضح ، الأمر الـذي أدى إلى كثيـر من المشكلات الحدودية بـين البلدان الأفريقـية المستـقلة ، وأدى كذلـك إلى حدود ظاهرة الدول الـكبرى ذات الكثـافة السكـانية القليلة، إذ تتفاوت كـثافة السكان في القارة من بلد إلى آخر . وأكثـر المناطق كثافة للسكان هي المجاورة للـبحيرات، وعلى أحواض الأنهار ، كنهري الـنيل والنيجر ، وعلى السواحل الشمالية والغربية للقارة، وعلى المرتفعات ، في حين أن أقلها كثافة هي المناطق الصـحراوية، ومناطق السافنا. ونسـبة المواليد والوفيـات تعد من أعلى النسب في العالم، حيث يتزايد السكان بنسبة ٣٪ في العام، وهي زيادة في معظمها في أواسط العناصر الشابة .

وتعتبر الزراعـة أهم الموارد التي يعتمد عليهـا الأفريقيون في معيشـتهم فحوالي ٦٠٪ يعملون بالزراعة ، ولـكنها زراعة تقوم غالباً على الطرق والـوسائل البدائية،

وتكّون الزراعة معظم الناتج الوطني المحلي لمعظم البلدان الأفريقية ، وتسهم بحوالي ٣٠ - ٦٠٪ من ذلك الناتج - كما أن حوالي ٣٠٪ من الصادرات يأتي من المحصولات النقدية ، ولكن الأراضي المزروعة فعلاً حوالي ٦٪ فقط من جملة الأراضي الصالحة للزراعة ، ومن ثمَّ فإن الإنتاج الزراعي قليل ولا يوازي الزيادة السكانية (New Ency Britannica , 1995 , PP. 62 - 64) .

وفيما عدا جنوبي وشمالي أفريقيا ، والتي لها أنظمة انتاج متنوعة ، فإن اقتصاد معظم بلدان القارة اقتصاد متخلف ، وقد ظل ذلك الاقتصاد زراعياً رغم إمكانات القارة الهائلة . فالقارة غنية بثرواتها المعدنية ، وبها أكبر مخزون من المواد الخام، كالذهب ، والفوسفات ، والمنجنيز ، والكوبالت ، والماس ، واليورانيوم، والحديد، والنحاس ، والمروميت والبوتاس والملح ، بل إن بها عدداً من الدول المنتجة للبترول، كالجزائر ، وليبيا ، ومصر ، ونيجيريا ، والجابون . ويقابل هذه الثروات ثروات طبيعية أخرى ، مثل الغابات الاستوائية في وسطها ، وحيواناتها البرية في أجزائها الشرقية والجنوبية .

على الرغم من أن النشاط الاقتصادي الأساس في أفريقيا هو الزراعة، إلا أن خصوبة الأراضي منخفضة بشكل عام، فيما عدا حول شواطئ بعض الأنهار، كنهر النيل بفرعيه الأبيض والأزرق، ونهر جوبا في الصومال، والزمبيزي في موزمبيق، ونهر السنغال في غربي أفريقيا، كما أن هناك بعض الأراضي الخصبة في هضبة الترانسفال في جنوب أفريقيا، وكذلك في مرتفعات كينيا والكمرون، ولكن تبقى الحقيقة أن ثلث أراضي القارة قليلة الخصوبة، مثل أراضي الصحراء الكبرى، وأراضي صحراء ناميب، والتي هي أراضٍ رملية وصخرية وجيرية، كما أن وسائل الزراعة القائمة على تنظيف الأرض بحرق الحشائش، إضافة إلى إنهاك الأرض بكثرة الرعي، أدت إلى تدهور الطبقة الحشيشية، والغابات. ومن ثم إلى تزايد

عملية التصحر حيث بدأت الصحراء تزحف على مناطق عدة من أفريقيا (Academic American Ency, 1981 , P.P. 140 - 141)، أيضاً(روكر، ١٩٨٦م، ص ١٥).

ولأن الزراعة هي المورد الأساس الذي يعتمد عليه الأفريقيون ، فقد كان نمط استقرارهم هو السائد في الريف في القرى والدساكر المختلفة ، ولم تنتشر وتتسع المدن الكبيرة في أفريقيا إلا في هذا القرن العشرين الميلادي . أما المدن التي عرفتها القارة قبل مقدم الاستعمار عليها فقد كانت المدن القائمة على ضفاف نهر النيل ، وعلى سواحل البحر المتوسط في شماليها وفي أجزاء من غربي القارة . وبعض تلك المدن ضارب في القدم مثل الإسكندرية ، وفاس ، وتمبكتو ، وكانو ، وغيرها من مدن القرون الوسطى وكذلك مالندي وممباسا . . أما المدن التي أقامها الاستعمار فقد أقامها لتكون عواصم ومراكز إدارية له ، مثل جوهانسبرج ، لوساكا، وهراري، وكنشاسا، ونايروبي، ولاجوس. وقد بدأت ظاهرة التحول من حياة الريف -والتي كانت هي الغالبة - إلى حياة الحضر والمدن في أواسط هذا القرن العشرين الميلادي ، فبعد أن كان ١٥٪ من السكان الأفريقيين يعيشون في المدن في سنة ١٩٥٠م زادت نسبتهم إلى ٣٥٪ في عام ١٩٩٠م ، وهي في ازدياد مضطرد .

(New Ency Britannica , 1995 , P. 63)

وقد ظلت أفريقيا قارة مجهولة تماماً بالنسبة للأوروبيين إلى بضع مئات خلت من السنين، لا سيما مناطقها الجنوبية والوسطى، واقتصرت معلوماتهم على بعض المناطق الساحلية المتاخمة للبحر المتوسط، ثم توغل بعض الأوروبيين في المناطق الواقعة جنوبي الصحراء الكبرى، وهدفهم هو البحث عن الذهب. كان ذلك في القرن الخامس عشر الميلادي، ثم بدأت طلائع الغزو الأوروبي للقارة بمجيء البرتغاليين في القرن السادس عشر الميلادي، ثم تطور بهم الأمر إلى ممارسة تجارة

الرقيق التي بدأها الأسبان والبرتغاليون ثم تبعهم البريطانيون والفرنسيون والهولنديون، ثم أخذت المطامع الأوروبية تطل على القارة تحت مختلف العلل والأسباب، فجاءها التجار والمنصِّرون والجنود والمستعمرون، وتقاسمت أوروبا معظم أجزاء أفريقيا ، وببداية القرن العشرين الميلادي كانت سيطرة أوروبا تامة على أفريقيا، فكان هناك البريطانيون والفرنسيون والبرتغاليون والأسبان والألمان والبلجيكيون والهولنديون والإيطاليون.

شهدت نهاية الحرب العالمية الأولى ظهور حركات الاستقلال في أفريقيا، وفي بداية ثمانينات هذا القرن الميلادي كان هناك أكثر من خمسين دولة أفريقية مستقلة، ولكن الاستعمار رحل بعد أن خلف في أفريقيا مشاكل الفقر والتخلف، وبذر بذور الشقاق والصراع بين أعراقها ودولها، فترك بلاداً ذات حدود مصطنعة بل ذات كيانات وهويات مزيفة، وترك أكثريات وأقليات دينية وعرقية وثقافية مازال الصراع محتدماً بينها، إلى جانب مشكلات التنمية والتطور والتي مازالت تثقل كاهل الحكومات الأفريقية الوطنية المختلفة .

• • • • • •

انتشار الإسلام في أفريقيا

أفريقيـــا قارة متباينة الأديان، والأعـراق واللغات والثقافـات، وهي أول منطقة خارج الحجاز يصـلها الإسلام، حيث وطئت أقدام أصـحاب رسول الله ﷺ أرض الحبشـه عام خمس من البـعثة (انظر: علي أبـو بكر: معالم الهـجرتين إلى أرض الحـبشـه، ١٤١٣هـ، ص ٢٤٦. الموسـوعة الجـغـرافيـة، ١٤١٢هـ، ص ٥١٧ - ٥١٨).

والإسلام ثالث دين سـماوي تعرفه القارة بـعد اليهودية والنصـرانية. والإسلام قديم في أفـريقيا، يؤيـد قدمه ما كـتبه المؤرخـون والجغرافيـون المسلمون والـرحالة وغيرهم وقد كانت الكتابات العربية هي الرائدة والأولى من نوعها إذ إنها كتبت في فتـرة كانت القـارة فيهـا بعيدة عـن مجال المعـرفة الأوروبيـة، ولذا كانت مـادتها ومعلوماتها عن أفريقيا، ذات أهميـة بالغة، ذلك أن معرفة الأوروبيين وكتاباتهم عن القارة لم تـبدأ إلا في أعقاب حـركة الكشوف الجغـرافية في أواخر القـرن الخامس عشر، وأوائل القرن السادس عشر الميلاديـين (الثامن والتاسع الهجريين)، كما أن معرفتـهم ونشاطهم اقتصر على الـسواحل ومصاب الأنهار التي كان الـوصول إليها سهلاً وآمناً، في حين أن المعلومات عن أفريقيا بدأت تظهر في المصنفات العربية منذ القرن التـاسع الميلادي (الثاني- الـثالث الهجري)، واسـتمرت حتى القـرن الخامس عشر الميلادي (الثامن الهجري). وأولئك الكتاب كثر، منهم ابن خرداذبة، ومن أهم مؤلفاته «المسالك والممالك» في القرن الثالث الهجري، وابن الفقيه الهمداني، وكتابه «كتاب البلدان» وفيه يتحدث عن غانا، وكتب في القرن الرابع الهجري ثم يأتي من بعد ذلـك المسعودي أبو الحـسن صاحب كتـاب (مروج الذهب ومعـادن الجوهر)، والإصطخـري (المسالك والممـالك)، وابن حوقـل (صورة الأرض)، ثم كتـابات البيروني في القرن الخامس الهجـري (الحادي عشر الميلادي)، ومن أهمها « الآثار

الباقيـة عن القرون الخالية» والتـي اهتمت اهتماماً واضـحاً بساحل شرقي أفـريقيا، وجاءت في القرن الثاني عشر الميـلادي (السادس الهجري)، مصنفات الإدريسي، الجغـر افي العـربي الشـهير (٤٩٣-٥٤٨هـ / ١١٠٠-١١٥٤م)، والتي اهتـمت بأفريقـيا، وأهمها (نـزهة المشتاق في اخـتراق الآفاق)، وفيه وصـف لمدن ساحل أفريقيا الشـرقي وجزيرة «كلوة ومالندي وممباسا ».. الخ في وقـت كانت فيه تجارة العرب مزدهرة مع شرقي أفريقيا . والأمثلة لمثل تلك المصنفات العربية عديدة يفصل فيـها مؤلفـات كتاب (تـاريخ الأقليات الإسـلامية فـي العالم- أفـريقيا)(الـعراقي وجريس، ١٩٩٧م، ص ص ١٦-٢٠).

إن انتشار الإسلام في أفريقيا يشكل فصلاً مهماً في تاريخ القارة، وقد بدأ ذلك الانتشار فـي القرن الأول الهجري (السابـع الميلادي)، بالفتح الإسلامي لـلشمال الأفريقي، وبدخول المسلمـين إلى شمال شرقي أفريقيا، واستقرار مـجموعات منهم هناك، وفي جزر البحر الأحمر، والساحل الأريتري.

ومنذ القرن الأول الهجري(السابع الميلادي)، وحتى الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)، انتشـر الإسلام عبر الصحراء إلى غربي أفريقـيا، وعن طريق النيل والبحر الأحمر إلى الحزام السوداني، وعلى طول ساحل أفريقيا الشرقي.

أما المرحلـة الثالثة من انتـشار الإسلام ، فقـد اتسمت بحروب « الجـهاد » في غربي أفريقيا في فترة القرن الثاني عـشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) ، وبقيام الدويلات المـسلمة هنـاك ، وكان ذلك الانتـشار هو الأساس والأشـد أثراً وعمـقاً للإسلام في غربي القارة .

ثم جاءت الفـترة الاستعمـارية ، فأنشأت الطرق ، وبسـطت الأمن على طول طرق القوافل الـتجارية ، فزاد ذلك من انتـشار الإسلام في أماكن عـدة من شرقي وغربي أفريقيـا . ثم تلى ذلك توغل الإسلام في فترة القرن الثالـث عشر الهجري

(التاسع عشر الميلادي) من الساحل الشرقي لأفريقيا إلى داخلها .

لم يكن انتشار الإسلام في أفريقيا على نمط واحد ، وإنما اختلف انتشاره من منطقة إلى أخرى ، فقد انتشر مثلاً في شرقي أفريقيا بطريقة مختلفة عن الطريقة التي انتشر بها في غربها ، فكان انتشاره في الغرب الأفريقي من جهة الشمال إلى الجنوب، من المغرب عبر الصحراء جنوباً إلى منطقة السافانا في الغرب الأفريقي ، ثم من هناك إلى منطقة الغابات ، حيث قل بعد ذلك انتشاره ، وأصبح ضعيفاً في تلك الجهات الجنوبية، ثم انقطع أثره ، اللهم إلا فيما عدا بعض المناطق في سيراليون ونيجيريا ، ومن ثمَّ فقد لوحظ أن أثر الإسلام هناك كان يقل كلما اتجهنا جنوباً ، وأن أثره تركز في المناطق الشمالية الواقعة ضمن النطاق الصحراوي، ومنطقة السافانا مثل موريتانيا، مالي، السنغال، غامبيا، غينيا، النيجر، وتشاد، وتلك كلها أماكن بها كثرة إسلامية.

وعلى غير حال انتشار الإسلام في غربي أفريقيا ، فقد كان محور انطلاق النصرانية، وتغلغلها في تلك الجهات من الجنوب إلى الشمال ، أي من الجهات الساحلية الجنوبية إلى الجهات الشمالية ، مما عنى قصر أثرها على الساحل الجنوبي لغربي أفريقيا ، مثل ليبيريا ، ساحل العاج وغانا ، والتي غالباً ما احتفظت بدياناتها التقليدية، أو تأثرت بالنصرانية . وغالباً ما قل فيها الأثر الإسلامي ، ومن ثمَّ فهي بلدان أقليات مسلمة ، ولعل هذا الأمر أوضح ما يكون في نيجيريا ، حيث أضحى شماليها مسلماً في أغلبه الأعم خلافاً لما عليه الحال في جنوبيها .

أما في شرقي أفريقيا فإن محور انتشار الإسلام كان من اتجاه الشرق إلى الغرب- أي من الساحل إلى الداخل ، وقد اتبع المنصرون عند مجيئهم إلى شرقي أفريقيا الاتجاه نفسه عبر طرق قوافل التجار العرب ، بل إنهم أفادوا من تلك الطرق في نشر دينهم ، ومن ثمَّ فإن البعض يرى أن انتشار الإسلام ساعد بطريق غير

مباشـر على انتشار النصـرانية في الأماكن الداخـلية من شرقي أفريـقيا (Oded , 1974 , P.P. 4-5) .

إن الإسلام قديم في أفريـقيا ، وأنه وصلها قبل أن يصـل المدينة المنورة ، ذلك أنه وجد طريقه إلى القارة الأفريقية قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة ، فقد كان أول اتصال بين العرب المسلمـين وأفريقـيـا هجرة عدد من الصحابـة الأوائل (رضي الـله عـنهـم) من مـكة إلى الحـبـشـة ، والـتي أمـرهم بـهـا الرسـول الكريم ﷺ عندمـا رأى أن أذى قريش قد اشتـد عليهم (يراجـع : المجلد الأول من هذه الموسوعة ، ص ٥١٧- ٥١٩) .

ولعلـه من نافلة القـول أن نقرر أن من أهـم العوامل الرئـيسة المؤثـرة في هذه الصلات البشـرية بين شبه الجزيرة العـربية وأفريقيا هـي قربها الجغرافي من بـعضها البعض، وسهولة الاتصال بينهمـا ، وقد لعب هذا الموقع الجغرافي دوره الرئيس في دخول الإسـلام إلى القارة الأفـريقية ، وبـيان ذلك أن الإسلام دخـلها عن مـعابر ثلاث :

١ - عن طريق سيناء إلى وادي النيل ، وإلى الشمالي الأفريقي .

٢ - عبر سواحل البحر الأحمر ، وهجرات عرب الحجاز إلى الجانب الأفريقي المواجه لشـبه الجزيرة العـربية منذ عـهد الهجرة الأولـى إلى بلاد الحبشـة ، كما أن الإسلام عبر خليج عـدن حيث حمله الحضارمة واليمنيون والعـمانيون إلى سواحل شرقي أفريقيا مع التجارة التي كانت تسير مـع اتجاه الرياح الموسيمة الصيفية الجنوبية الشرقية، والموسمية الشتوية الشمالية الشرقية . (الشيخ ، ١٩٨٣م ، ص ١٣) .

٣ - من الشمال الأفريقـي عبر الصحراء الكبرى إلى غربي أفريـقيا مع القوافل التجارية على مسارات ثلاث هي :

أ - المسار الغربي المار عبر الصحراء من جنوبي المغرب إلى أدرار Adrar في موريتانيا. ثم إلى مصب نهر السنغال ، ومنحنى نهر النيجر الأوسط والأعلى.

ب - المسار المتجه من الحدود الجزائرية - المغربية الحالية إلى وقادوقو وغانا .

جـ - المسار المتجه من جنوب الجزائر إلى تمبكتو عبر توات Tuat ، وإلى بلاد شمالي نيجيريا .

وقد تفرعت من هذه المسارات طرق ثانوية إلى جهات طرابلس وإلى تشاد . . . (Lewis , 1969 , P. 21)

عبر هذه الطرق والمسارات كان انتشار الإسلام في أفريقيا، ولم يتوقف انتشاره، كما لم تتوقف عملية أسلمة القارة الأفريقية حتى اليوم، فهي عملية مستمرة ومتواصلة بدأت بالهجرة الأولى إلى الحبشة ثم بالفتح الإسلامي لمصر على يد عمرو ابن العاص في عام ٢٠هظ (٦٤٠هـ) ، حيث أسلمت مصر ، وتمكن الإسلام فيها، فأصبحت قاعدة ومناراً اتجه منها الإسلام نحو الغرب والجنوب ، فوصل إلى جنوب بلاد النوبة ، وإلى سودان وادي النيل (أو ما عرف بالسودان الشرقي تمييزاً له عن السودان الأوسط والسودان الغربي ، ثم سار من مصر غرباً إلى بلاد المغرب فوصل ساحل المحيط الأطلسي ، وهناك انتشر الإسلام بين السكان ، وتعززت سيطرته، حيث شهدت منطقة الشمال الأفريقي ، عمليتي أسلمة وتعريب استمرت منذ منتصف القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ، إلى منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، جعلت أهلها يعتبرون أنفسهم مسلمين عرباً تماماً. . . . تلك كانت هي المرحلة الأولى من دخول الإسلام إلى أفريقيا ، حيث تم فتح مصر وشمالي أفريقيا ، وتمت عملية أسلمتهما تماماً ، ليصبحا قاعدتين ينطلق منهما الإسلام إلى الغرب الأفريقي وإلى منطقة الحزام السوداني (أو مايسمى أحياناً بأفريقيا الحامية) .

المرحلة الثـانية من دخول الإسلام إلى أفريـقيا كانت في القـرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، عندما حمله التجار والمهـاجرون من جنوبي شبه الجزيرة العربية، ومن عُمان عـبر البحر الأحمر ، والمحـيط الهندي ، إلى سواحل شرقي أفـريقيا ، ولم يكن هذا فتحاً كما كان الحال في مصر وشمالي أفريقيا ، وإنما كان حركة تجارة وهجرة تبعـها نشر وانتشار للإسـلام في شرقي وشمال شرقـي القارة ، ومن هناك توغل وانتـشر الإسلام في أواسـط أفريقيـا ، وقد كانت منـطقة القرن الأفـريقي ، ومنطقة السودان الشرقي (سودان وادي النيل) هـما أول منطقتين يصلهما الإسلام في أفـريقيـا المدارية، وقد تمـت عمليـة الأسلمـة في شمـالي السودان عـن طريق المهاجرين القادمين إليه بعد فتح مصر في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ، وهجرات القبائل العـربية واستقرارها في أنحاء عدة منه، وكـذلك عن طريق التجار القادمـين من الشرق عبـر مواني البـحر الأحمـر، باضع وعيذاب وسـواكن، ومن أرخبيـل دهلك بعد سنة (١٣٠٢هـ/٧٠٢م) ثم عن طريق الأثر الإسلامـي القادم عن طريق الغرب - طـريق دارفور. وقد استمرت عـملية الأسلمة والتـعريب حتى ارتبط أهل شمـالي السودان بالإسلام، وبالأثر الـعربي والنسب العربـي . وشمالي السودان وأواسطه وغربيه مناطق كثرة إسلامية اليوم (Lewis , 1969 , P. 4) .

أما في منطقـة القرن الأفريقي وشمال شـرقي أفريقيا ، فقد انتـشر الإسلام في أواسط الجماعـات المتحدثة باللغـات الحامية والكوشـية من أمثال الساهـو والعفر (الدناكـل)، والصومالـيين ، ثم في أوسـاط الأرومو ، والبنـي عامر في الـسودان الشرقي وأريتريا . . . وكـان المعبر الرئيس لدخول الإسلام إلى كـل هذه المنطقة هو البحر الأحمـر ، والمحيط الهندي ، حيث وصلتـها جماعات مهاجـرة ومتاجرة من جنوبـي شبه الجـزيرة العـربية ومن عُـمان ومن فـارس . فأقـامت على السـواحل مستوطنات عربـية وفارسية مسلمة ، وسلسلة من المراكـز التجارية ، وكان من أهم

تلك المستوطنات الساحلية تلك التي في زيلع في الشمال ، ومقديشو في الجنوب ، وقد ورد ذكرهما في المصادر العربية والنقوش . فقد ذكر اليعقوبي زيلع في أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ووصفها . واستقر الفرس والعرب المسلمون في تلك المراكز الساحلية التجارية، واستقر فيها الدعاة، واختلطوا بالأهالي وتزوجوا منهم، ونتج عن كل ذلك انتشار الإسلام بين الأهالي، حيث ارتبط بعد ذلك بتحركات القبائل الصومالية والتي بدأت منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، والتي أوصلت الصوماليين إلى منطقة شمالي كينيا حيث كانوا هم حملة الإسلام إلى تلك الجهات.

وارتبط انتشار الإسلام في شمال شرقي القارة بطرق التجارة التي سلكها التجار العرب المسلمون ، والأفريقيون المتأثرون بهم . فقد كانت تلك الطرق التجارية تبدأ من زيلع متجهة إلى الهضبة الحبشية عن طريق هرر . وقد قامت عدة دويلات إسلامية في تلك المنطقة وارتبط قيامها بحركة وازدهار التجارة ، ومن تلك الدويلات (تسميها بعض المصادر ممالك إسلامية)، دولة أوفات، ودوارد ، واربابيني، وهدية، وشرخا، وبالي - واشتهرت هذه الدويلات باسم دول الطراز الإسلامي، لأنها على جانب البحر كالطراز له ، كما ذكر ذلك المقريزي (العراقي، وجريس، ١٩٩٧م ، ص٣٠) .

وقد قامت هذه الدويلات على أطراف دولة الحبشة النصرانية ، حيث دخلت معها في صراع مرير من أجل السيطرة والهيمنة السياسية ، واستمر الصراع سجالاً بينهما لمدة خمسة قرون ، دون أن تنتصر قوة على أخرى ، حتى كانت حركة الجهاد التي قادها أحمد جران في عام ٩٤٩هـ (١٥٤٢م) ، والتي كاد المسلمون فيها أن يقضوا على الدولة الحبشية النصرانية ، لولا مساعدة البرتغاليين والتي مكنتهم من هزيمة المسلمين، الأمر الذي أدى في النهاية إلى فقدان تلك الدويلات لأهميتها

السياسية، ولتقلص أثرها الإسلامي والدور الكبير الذي لعبته في نشر الإسلام بين الأريتريين والأحباش والدناكل . . فقد بدأ منذ تلك الهزيمة ازدياد النفوذ والقوة الحبشية النصرانية ، وضمور النفوذ الإسلامي في منطقة المرتفعات الحبشية (Lewis,1969,P.P.7-8) .

أما في شرقي أفريقيا فقد ظل الإسلام الذي جاء به التجار والمهاجرون الحضارمة واليمنيون والعمانيون والشيرازيون محصوراً في الساحل ، ولم يتوغل إلى الداخل إلا في فترة متأخرة (القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي)، وقد وقفت عقبات في طريق تغلغله إلى الداخل ، منها طبيعة الأرض الوعرة ، وانعدام الأمن، وعدم وجود مراكز سكانية عامرة ، أو كيانات سياسية مركزية يمكن أن تكون قاعدة لمصالح اقتصادية، وأداة لتأمين التجارة وطرقها ، وتحركات القبائل والتي كانت من الداخل ونحو الساحل مثل تحركات قبائل الزمبا Zimba في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، وتحركات قبائل الجالا فيما بعد في القطاع الشمالي، والتي كانت تقف عقبة أمام توغل التجار المسلمين إلى أراضي شرقي أفريقيا الداخلية، حيث ظلوا محصورين في الساحل والجزر القريبة منه مثل زنجبار ، وبمبا ومافيا . . وظلت التجارة هي نشاطهم الأكبر ، وعن طريقها ، وعن ماولدته من اختلاط بين أولئك التجار المسلمين والأهالي المحليين ، وقع التمازج بين المجموعتين ، ونتج عنْ ذلك أمران: انتشار الإسلام بين السكان المحليين ، وظهور ثقافة هجين بين العناصر البانتوية والعربية والفارسية ، هي الثقافة السواحلية ، بلغتها السواحلية وسماتها السواحلية الأخرى ، فكانت ثقافة قائمة بذاتها ، وليست صورة باهتة للحضارة والثقافة العربية كما ظن البعض، وأصبح المسلم في شرقي أفريقيا هو المسلم السواحيلي، وليس المسلم العربي أو الفارسي ، وأصبح لزاماً على الوافدين إلى منطقة الساحل، سواء كانوا عرباً ، أو أفريقيين قادمين من الداخل ،

التطبع بالحضارة السواحيلية، وقبولها حتى يصبحوا أعضاء مقبولين في المجتمع الساحلي .

وبازدهار التجارة ظهرت عدة مدن تجارية ، بلغت حوالي سبع وثلاثين في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) وامتدت على طول الساحل من كلوا في الجنوب وحتى مقديشو في الشمال ، وهذه المدن هي التي تسميها بعض الروايات «امبراطورية الزنج » ، وتقول إن قاعدتها كانت كلوا ، ولكن هناك من يرى أن الحديث عن هذه الإمبراطورية وعن قوتها أمر أسطوري، إذ إن الثابت الآن أن تلك المدن كانت متنازعة متشاكسة ، لايربطها رابط ، ويرون أن تفككها ذاك هو الذي مكن للبرتغاليين من السيطرة عليها في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وأدى إلى خرابها، وتقلص آثارها التجارية والإسلامية ، وقد ظلت تلك السيطرة البرتغالية على تلك السواحل حتى تمكن العمانيون من إخراجهم منها في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) .

ظل الإسلام في شرقي أفريقيا من ثمَّ إسلاماً مرتبطاً بالمراكز والمستوطنات التجارية، وظلت سمته الغالبة هي السمة الحضرية - المدنية ، بمعنى أنه مركَّز في المدن، ومتعدد الأجناس، إذ شملت الهجرات القادمة إلى بلدان شرقي أفريقيا مهاجرين من شبه القارة الهندية .

ونلخص من كل ذلك إلى أن السكان في الجزء الشمالي الشرقي من أفريقيا، مسلمون في معظمهم، من صومال وعفر ودناكل ، وأريتريين ، وأن الكثرة المسلمة تركزت في سواحل شرقي أفريقيا ، وفي جزرها مثل زنجبار ، وبمبا ومافيا ، والقمر، وأن أعداد المسلمين تقل وتتناقص كلما اتجهنا من السواحل إلى الداخل، فهم قلة في كينيا، وأوغندا ، وكثرة عددية في تنزانيا وأثيوبيا ، أما في أواسط القارة وجنوبيها فهم قلة قد لايتعدون ١٠٪ من جملة السكان .

أما المرحلة الثالثة من انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ، فهي انتشاره من شمالي أفريقيا المسلمة عبر الصحراء وبواسطة التجار إلى غربي أفريقيا . وهو انتشار من الشمال إلى الجنوب عبر وسائل سلمية هي التجارة والهجرة منذ حوالي منتصف القرن الخامس الهجري (منتصف الحادي عشر الميلادي) . وكما جاءت المراكب التجارية إلى شرقي أفريقيا جاءت القوافل التجارية إلى أفريقيا الغربية ، عابرة الصحراء والتي لم تكن فاصلاً بين شمالي القارة وغربيها ، بل حلقة اتصال تسربت عبرها الآثار والأفكار، ذلك أن الصلات التجارية بين المغرب وجنوب الصحراء لم تتوقف باستيلاء المسلمين على المغرب، وإنما استمرت ، فظلت منتجات غربي أفريقيا شمالي القارة، عن طرق تجارية تحدثنا عنها فيما سبق ، فكان الذهب من دلتا أعالي النيجر، ومن أودية السنغال، وكذلك العاج، وحبوب الكولا، وريش النعام والجلود تصدر من الغرب الأفريقي إلى شمالي القارة ، في حين كانت تأتي إلى غربي القارة سلع الشمال مثل الملح، والنحاس، والأقمشة، والخرز والأسلحة، ومنتجات منطقة البحر المتوسط. وهكذا كان ارتباط انتشار الإسلام بالتجارة المارة عبر طرق طويلة ربطت بين الشمال الأفريقي والغرب الأفريقي ، وتركز أثر الإسلام في المواقف والمراكز التجارية والحضرية التي مر بها التجار واستقروا فيها ، وفي مراكز القوى السياسية أيضاً، مثل حواضر الدويلات التي كانت قائمة آنذاك في غربي أفريقيا ، مثل دولة غانا مثلاً، والتي أمدنا أبو عبيد عبدالله البكري بمعلومات قيمة عنها في كتابه (المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب)، وقد ذكر فيما ذكر أنه في حوالي عام ٦٠هـ (٦٧٩م). كان هناك حي للتجار المسلمين في عاصمة غانا ، وقد وصف البكري هذا الحي، والاثنى عشر مسجداً التي كانت موجودة في تلك العاصمة، وتحدث عن الإسلام وقِدَمَه في غانا، وقد زار البكري غانا في الفترة ٤٥٩-٤٦٠هـ الموافق ١٠٦٦-١٠٦٧م (العراقي وجريس، ١٩٩٧م، ص: ٢٣ - ٢٤) و (Lewis,1969,P.P.15-19)

وقد تبع نشاط وتحركات التجار البربر المسلمين ، والذين كان لهم القدح المعلى في حمل الإسلام إلى جهات غربي أفريقيا ، تَحوُّل عدد من الزعماء والحكام المحليين إلى الإسلام، مثل « تلوتان بن تكلان » أحد ملوك غانا في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، ومثل « زاكاس » أحد ملوك الصنغاي الذي أسلم في حوالي عام ٤٠٠هـ (١٠٠٩م) ، وكذلك أسلم « وارجابي » War Jabi (توفي عام ٤٣٢هـ الموافق ١٠٤٠م) ملك التكرور (في منطقة السنغال)، وكذلك اسلم حاكم دولة ماندي (مالي) وآخرون في وسط السودان، وقد شهد القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، ميلاد مدينة العلم والثقافة الإسلامية العربية « تمبكتو » . وفي هذه المنطقة من غرب أفريقيا قامت مملكة غانا الإسلامية في القرن الرابع الهجري، وعرفت هذه المنطقة مملكة كانم الإسلامية التي امتدت من القرن الخامس الهجري حتى بداية القرن الماضي ، وعرفت الممالك الإسلامية في مالي والداهومي (بنين حالياً)، وممالك الفولاني ، والهوسا والبرتو ، وشهدت حركات الجهاد بقيادة عثمان دان فوديو، وعمر الفوتي في غربي القارة ، ومن هذه المنطقة الإسلامية في غربي أفريقيا انطلقت دولة المرابطين تحت قيادة العالم عبدالله بن ياسين من جزيرة صغيرة على نهر السنغال في أوائل القرن الخامس الهجري ، ومن هناك انتشرت إلى الشمال الأفريقي إلى أن استولت على الأندلس (قاسم ، ١٩٩٠م) .

انتشار الإسلام بهذه الصفة، وتحوُّل بعض الأسر الحاكمة إليه ، وامتداده هكذا إلى المجال السياسي، مرتبط بقيام حركة « المرابطين » والتي أدت إلى أسلمة بربر الصحراء، مثل الترادلا واللامتونا ، وهجرتهم جنوباً حيث تمكنوا من السيطرة على عاصمة دولة غانا في عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م ، الأمر الذي أدى إلى تفكك هذه الدولة إلى وحدات صغيرة ، كما أنهم تمكنوا من تحويل الأسرة الحاكمة في مالي

إلى الإسلام، ومـن أسلمة السـوننكة Soninke وكذلك مـن تحويل بعض زعـماء أعالي السنغـال التوكلور Trimingham , 1980 , Tokilor و(قاسم، ١٩٩٠م، ص١٩)، و(العراقي، وجريس ، ١٩٩٧م ، ص ص ٢٤ - ٢٦) .

وقـد لعب ملـوك كل هذه الدول دوراً واضـحاً فـي نشر الإسـلام في غـربي أفريقيا، فمثلاً كان للملك منسي موسى، ملك مملكة مالي (١٣٠٧هـ / ١٣٣٢هـ) التي حلت محل دولة غـانا ، بعد اضمحلال هذه الأخيرة ، جهـود جبارة في نشر الإسلام في وسط رعيته مثل قبائـل الماندنج (أكبر قبائل مالي) ، وفي أواسط بلاد النيجر، كما كـان للملوك مملكة صنغاي Songhay بقيادة ملكهـا سنى علي (توفي ١٤٩٢م) أثر آخر في نشر الإسلام حتى أوصلوه إلى جهات النيجر الشرقية ونشروه بين كثير من رعاياهم وجيرانهم الوثنيين . وقد بلغت هذه المملكة أوج عظمتها على عهد الاسكيا الحـاج محمد ، والاسكيا الكبير في الـفترة ٨٩٨-٩٣٥م ، ولم تلبث هذه الدولة والتي حلت محل مملكة مالي ، أن بدأت في الاضمحلال ، وبدأ أثرها الإسلامي في الضعف، بسبب المحاولة المغربيـة للسيطرة على منطقة السودان الغربي في القرن الـعاشر الهجـري (السادس عشـر الميلادي) ..Lewis , 1969 , P.P) (15-17 . وللمزيد من المعلومات عن سلطنة مالي . انظر : المجلد الأول من هذه الموسوعة، ص : ٤٦٠-٤٦٨ .

أمـا في منطقـــة السودان الأوسـط فقـد كان لجهـود أهل البرنـو، وأهـل كانم -وكذلك لحكامهـما- السبق في اعتناق الإسلام على أيدي الـدعاة ، وعلى العمل على نشره بين الوثنيين في تلك المنطقة ، وإلى حمله إلى زعامات الهوسة القبلية في القرن الـثامن الهجـري (الرابع عشـر الميلادي) ، وهناك دلائل عـلى أن الإسلام وصل إلى سواحل المحيط الأطلسي إلى جهات سـنقامبيا ، وفي أواسط التوكلور ، والولوف Wolof وإلى المالنـكي ، وإلى العوائل الحـاكمة هـناك في القرن العـاشر

الهجري (السادس عشر الميلادي) عن طريق العرب وبربر الصنهاجة ، وأن الإسلام كذلك وصل إلـى مناطق اليوروبا في الـقرن الحادي عشـر الهجري (السابـع عشر الميلادي) فقد كان أثره واضحاً في القرن الذي تلى في وسط أهالي وملوك «الموسي» Mossi ، وقد امتدت تلك الآثار إلى بعض المناطق الـواقعة في دولة غانا الحالية ، حيث كان للتجار المسلمين « الدايولا » Dyula دور رئيس في نشر الإسلام في تلك المناطق .

وقد وصلـوا بعد مدة قـرن إلى الساحـل الغيني ذاتـه ، وأسلمت على يـديهم الارستقراطية القونجيه Gonja حكام تلك المنطقة ، وتلى هؤلاء إسلام « الداقومبا » و« المامبروسي » Dogamba , Mamprussi وأخيراً الأشانتي حيث تذكر المصادر أن ملكهم « أوساي كوامي » أسـلم في حوالي عام ١١٩٤هـ (١٧٨٠م) (Lewis , 1969 , P. 17) .

ولقد اتسم الإسلام في غربي أفـريقيا بخصائص معينة ، فغـالبية المسلمين هناك مالكـية المذهب ، كمـا أن الإسلام ارتبط بالـدويلات ذات النظام المركـزي القوي، وبالحكم في تلـك الدويلات ، كما أن الإسلام لم يـنتشر في الغرب الأفـريقي عن طريق العـرب الآتين بمراكبهم عـبر البحـر والمحيط للمتـاجرة ، كما هـو الحال في شرقي أفريقيا، وإنما انـتشر عن طريق مسلمين متأثرين إلى حد كـبير بالعرب ، هم البربر .

أما في منطقة أواسط أفريقيا ، والتي تعتبر منطقة هامشية بالنسبة لتاريخ الإسلام وأثره في أفريقـيا ، فقد كان للعرب المـسلمين والسواحيليين دورهم الـبارز في نشر الإسلام في بـعض بقاعهـا ، ولكن الأثر الإسلامي كـان ولازال ضعيفـاً في تلك الجهات ، فنسبـة المسلمين مثلاً في منطقة الـبحيرات الوسطى والتي تعتـبر من أكثر المناطق تأثراً بالإسلام لاتزيد على مابين ٥٪ إلى ١٠٪ من جملة السكان ، وهناك

من يرى أن البرتغاليين الذين قدموا إلى منطقة نهر الزمبيزي في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، هم الذين أزاحوا الأثر الإسلامي من تلك الجهات ، فهم الذين أزاحوا مثلاً المستوطنة العربية - المكونة من عدة آلاف (في « سنا » Sena على نهر الزمبيزي (Lewis , 1969 , P.13) ، وقد ظلت تلك الآثار الإسلامية كامنة حتى القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ، عندما بدأ التجار العرب، والزنجباريون يجددون نشاطهم وصلاتهم مع تلك الأماكن ، يشهد على ذلك نشاطهم التجاري في منطقة « مانيما » في شمال شرقي جمهورية الكونغو ، وسعيهم للحصول على العاج ومنتجات تلك الجهات ، وكذلك إقامتهم كمركز تجاري - استيطاني بالقرب من شلالات ستانلي ، وأنهم وصلوا في نشاطهم ذاك إلى جوار بحيرة البرت ، في حوالي عام ١٣٠٧هـ (١٨٨٩م) ، حيث أقاموا شبكة من المراكز الإدارية - التجارية لعبت دوراً في بث الأثر الإسلامي والسياسي هناك ، وقد استفاد الملك البلجيكي ليوبولد الثاني في استعماره للكونغو من ذلك الوجود العربي - الإسلامي ، فازداد أثره، ولكن ليوبولد لنقلب على العرب فيما بعد .

مضافاً إلى هذا الأثر الزنجباري ، كان هناك أثر آخر قادم من الشمال ، ولكنه لم يتمكن من التغلغل إذ سرعان ما أوقفه التدخل الأوروبي ، ذلك هو الأثر الناتج عن ضغط المصريين ونشاطهم جنوباً نحو بحيرة فيكتوريا ، وكذلك الضغط الآتي من الدولة المهدية في السودان والتي تمكنت من بسط نفوذها في عام ١٣١٢هـ (١٨٩٤م)، ولفترة محدودة على منطقة أعالي النيل ، ولكن أُوقِفَت كل هذه الآثار الآتية من الشمال ، وأُوقِف معها تقدم الإسلام ، ولم يبق له من أثر إلا في بعض جهات شرقي جمهورية الكونغو ورواندا وما جاورهما من أراضي. وهكذا فعلى الرغم من موطئ القدم الذي كان للإسلام في أواسط أفريقيا ، إلا أن عوامل عدة،

أهمها الموقع الجغـرافي ، ومحاربة الاستعمار للإسـلام هناك، لم يمكنا الإسلام من تعميق وجـوده في تلك الأصقاع ، رغماً عن انتـشار السواحيلية إلى حَـدٍ كبير في بعض جهات من تلك الأواسط .

والواضح أن انـتشار الإسـلام في مناطق شـرقي وغربي وأواسط أفـريقيـا كان انتشاراً سلمياً يقوم على القدوة والمثل الطيب الذي يضربه التاجر المسلم أو الداعية، أو المهاجر المستوطن، ممـن ينزلون بين ظهراني القوم ، وكان لظروف البيئـة الطبيعية والمناخ أثرهمـا في تحديد مدى تحرك المجمـوعات المسلمة التي حـملت الإسلام إلى تلك الأصقاع من أفريقيا، من ذلك اجتيـازها للصحراء وتوغلها في مناخ السافنا ، ولكنها لم تقـدر على اقتحام حزام الغابات الاسـتوائية وإن سعت للتأقلم مـع البيئة المحيطة بـها، ولعل ذلك أقرب إلـى تفسير ضـعف انتشار الإسـلام في بعض هذه المناطق مما ذهب إليه «ترمنـجهام» حين أرجع ذلك إلى غلبة الوثنية ومعـتقداتها بين سكان هذه الأجـزاء من أفريقـيا مما استـعصى علـى الإسلام - كعـقيدة توحـيد - اقتحامه (ترمنجهام، ١٩٧٣م، ص١٣٢ ومايليها) .

وواضح أيضاً أن انتشار الإسلام كان عبر وسائل أبرزها وأهمها :

١ - الفتح الإسلامي - كما حدث في مصر وشمالي أفريقيا .

٢ - الدعوة والدعاة

٣ - التجارة .

٤ - الهجرة .

٥ - جهود الحكام المحليين .

عوامل انتشار الإسلام :

ركَّزت حركة الفتح الإسلامي الإسلام في كل من مصر والمغرب العربي وحمله الدعاة إلى أجـزاء القارة المختلفة ، حـيث إن الدعوة جزء من حيـاة المسلم ، وهي تكليف ديني عام . لهذا فـقد اهتم عقبة بن نافع فاتح شمالي أفريـقيا ، ومن أعقبه

من القواد والولاة ، من أمثال موسى بن نصيـر ، وإسماعيل بن أبي المهاجر ، بأمر الدعوة ، وتعليم البـربر القرآن والدين ، فأسلم على يديهم الكثـير من البربر وأهل المغرب الأقصى ، وامتد نشاط الدعاة إلى غربي أفريقيا ، حيث أسلم ملك التكرور في عـام ٤٣٢هـ (١١٠١م) ، وكـذلك مـلك مالـي ، ثم أسلـم أهل برنـو في السودان الأوسط عـلى أيدي الدعاة ، وكذلك أهـل كانم . وقد اشتهـر من أولئك عدة دعـاة من أمثال أبو يـزيد الفزاري الذي نشط فـي منطقة السـودان الأوسط في أوائل القرن الثـاني الهجري (الثامن الميـلادي) ، ومحمد بن عبدالـكريم المغيلي، وأصله من تلمســان، والذي كان له نشاط ملحوظ في بلاد الـسودان الغربي ، وفي بلاد التكرور ، وقد أسلم على يديه كثير من أبنـاء الهوسا حينما انتقل بالدعوة إلى تلك الجهات ، منهم مـلك كاتسينا، إحدى ولايات الهوسا ، وقد اسـتقر في كانو ومات هـناك مابـين عامي ٩٣٧-٩٤٧هـ يـرحمـه اللّه . وقد اهـتم أولئك الـدعاة والحكام الذين تحـولوا إلى الإسلام ببناء المساجـد كمراكز دعوة ، كالمسـاجد الاثنى عشـر التي يذكـرها البكري فـي عاصمـة غانا (كـومبي صـالح). (العبـيدي ، ١٤١٠هـ ، ص ص ٣٩-٤٣) .

أما التجارة وارتباطها بانتشار الإسلام في أفـريقيا ، فقد أشرنا إليها في مواضع عدة، وأوضحـنا أهمية هذا الـعامل بحسبـان أن التجارة كـانت دائماً عامل الـتقاء حضاري، وتبـادل الآراء ، وعامل اختلاط . ولاغرو أن تبع الإسـلام دائماً الطرق والقوافل التجارية ، واستقر في المراكز والنقـاط التجارية فكانت مراكز الانتفاع التي منها انتشر إلى الأصـقاع القريبة والبعيدة . وإلى تلك المدن جـاء العلماء والمعلمون ليعلموا الناس القـرآن ومبادئ الدين ، وليركزوا تعاليمه ، فالـتجار البربر هم الذين حملوا الإسـلام عبر الصحراء إلى دويـلات الساحل الأفريقي - وذلك قـبل ظهور دولة المرابطين (MAZRUI , 1988 , P.P. 688-690) ، كما أن كـل البدو في

شمال شرقي أفريقيا تحولوا سريعاً إلى الإسلام ، بسبب التجار ونشاطهم التجاري ، وبسبب وجود الطرق التجارية التي ربطت منطقة البحر الأحمر بالنيل ، حدث ذلك في أماكن التجارة والطرق التجارية ، في حين توقف انتشار الإسلام مثلاً في المناطق الواقعة جنوب « مقديشيو » والتي لم تـوجد بها طرق تجارية. فتواجد الإسلام كان دائماً على طول هذه الطرق التجارية ، حيث قامت المستوطنات التي أنشأها التجار، واستقر فيها العلماء ورجال الدين ، فكـانت تلك المستوطنات مراكز إشعاع إسلامي في المحـيط الوثنـي الذي أحاط بـها ، ومنهـا انتـشر الإسلام بـخاصـة في الفـترة الاستعمارية التي استتب فيها الأمن ، وفتحت الطرق ، وجال فيها التجار المسلمون والعلماء ناشرين دينهم في أماكن لم يكن قد وصلها من قبل . وقد تبع هذا النشاط التجاري تَحـوُّل العوائل الحاكمة في غربي أفـريقيا إلى الإسلام ، كنتيـجة للصلات التجـارية والاجتماعيـة التي أقامها الـتجار ، كما أن انـتشار الإسلام اقتـصر على المجتـمعات والـدول ذات الأنظمة المركـزية القويـة ، والتي غالبـاً ما كانـت ترعى وتشجع الـتجارة داخل وخارج حـدود دولها (TRIMINGHAM , 1980 , P.P 38-40) .

للهجرات والتحركات القبليه دورهـا المهم في نشر الإسلام في القارة الأفريقية، وهي هجرات وتحركات داخلية من مناطق أفـريقية إلى أخرى ، أو هجرات خارجية جاءت إلى أفريقيا من الخارج، كهجرة المسلمين الأولى للحبشة والتي أمر النبي ﷺ صحابته بها، وهي ذات أثر وإن كان محدوداً. ومن تلك الهجرات العربية إلى مصر والشمـال الأفريقي، ثم إلى سـواحل البحر الأحـمر، ومنطقة سـودان وادي النيل (السودان الشرقي)، وشرقـي أفريقيا ، وكلها هجرات تمت بسـبب القرب الجغرافي بين شبه الجزيرة العربية وبين تلك الجـهات، وهناك هجرة بني سليم وبني هلال في القرن الخامس الهجـري(الحادي عشر الميلادي)، والتي اتجهت نحـو الصحراء جنوباً

واضطرت السكان المحليين البربر إلى الهجرة جنوباً تحت ضغط هذه الجماعات العربية، مما نتج عنه انتشار الإسلام في المناطق الجنوبية من الصحراء، وفي غربي أفريقيا فيما بعد. وهناك أيضاً هجرة الهنود والباكستانيين من شبه القارة الهندية إلى شرقي أفريقيا، ثم إلى جنوبيها ، وقد وفد مع أولئك بعض من الفرق الضالة الخارجة عن الإسلام مثل القاديانية والبهائية إلى شرق أفريقيا .

وهناك الهجرات الداخلية من مناطق أفريقية إلى مناطق أخرى، والتي من أهمها هجرات البربر إلى غربي أفريقيا، حيث اختلطوا بالسكان، ونشروا الإسلام، كما بنوا مدناً إسلامية مثل ولاته، وتمبكتو التي تحولت إلى مراكز إشعاع وحضارة إسلامية. ومن تلك الهجرات الداخلية هجرة قبائل الفولاني التي قدمت من الغرب واستقرت في مناطق الهوسا في شمالي نيجيريا الحالية، حيث قامت بنشر الإسلام في حماس بالغ زمن ازدهار دولتهم (الخلافة الصكتية) في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ، والتي أسسها عام ١٢١٩هـ (١٨٠٤م) الشيخ: عثمان دان فوديو صاحب الحركة الإصلاحية التي قضت على الوثنية ومظاهر الانحراف التي طرأت على العقيدة واستطاع توحيد المنطقة في دولة إسلامية واحدة شملت رقعة واسعة من بلاد السودان الغربي، وظلت مزدهرة حتى قضى عليها المستعمرون البريطانيون في أوائل عام ١٣٢١هـ (١٩٠٣م) .

وهناك هجرات أخرى مثل هجرة الفونج الذين جاءوا من الشرق واستقروا في حوض النيل ، وهجرة أعداد من اليمنيين من ساحل الصومال إلى داخل القارة. وكل هذه الهجرات كانت وسائل مهمة لنشر الإسلام في القارة حتى أصبح الانتساب إلى قبائل عربية أو أشخاص عرب من قبل بعض القبائل، كما في سودان وادي النيل، أمر شائع. وهناك من عوائل غربي أفريقيا من تنتسب إلى عقبة بن نافع، وغيره من الشخصيات الإسلامية العربية التي لعبت دوراً في تاريخ انتشار

الإسلام في القـارة (العبيدي، رجب ١٤١٠هـ - فـبراير ١٩٩٠م ، ص ص ٤٤ - ٤٧) .

وإلى جانب كل هذه الأسباب والعوامل التي أدت إلى انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ، فهناك أسباب أخرى ، نابعـة من طبيعة الإسلام ذاته ، وهي أسباب قل ماتذكرها المصادر ، منها : أن الإسلام قدم لكثير من تلك المجتمعات الأفريقية التي كانت تعاني من التـفكك رابطاً جديداً متيناً بين أفرادهـا . ليس هذا فحسب بل إن الإسلام أعطى الذين اعتنقـوه شعوراً بالثقة ، وبالفوقية ، لثقـافته ، ولسلوك أفراده المسلمـين ، فهم (أي المسلمـون) متعلمـون ، يكتبـون ويقرؤون ، لهم نظـامهم التعليمي والقضائي ، ولهم نشاط دبلوماسي ، وحركة وأثر في المجتمع ، ولهم من المهارات وإمكانات التطـور والتحديث ، مايجعلهم عـامل تطور ضروري لكل دولة تريد أن تبقى وتتطور ، ولهذا السبـب كان تحوُّل وتعلق الحكام المحليين به ، بل إن الإدارة الاستعـمارية البريـطانية في نيـجيريا وغيـرها وجدت في المسلـمين وإرثهم الإداري والقضائي والتعليمي ركيزة من الركـائز التي اعتمدت عليها في إدارتها التي عرفت بالإدارة غير المباشرة Indirect Rule في نيجيريا . أضف إلى ذلك أن عالمية الإسلام حببته إلى نفوس الحكام ، حكـام الدول والامبراطوريات الكبيرة - كما أن الإسلام قدم رؤية ونظرة جديدة للحياة ، وللإنسان ولقدره ومصيره . . . وقد ساهم كل ذلك في استمراره وتطوره في القارة الأفريقية (Lewis , 1969 , P. 48) . و (Mazrui , 1988 , P.689) .

ومن الأسبـاب الذاتية التـي ساعدت على نـشر الإسلام في أفـريقيا ، مـقدرة الإسلام على التـأقلم مع بيئته الأفـريقية الجديدة، والتـكيف معها، بفضـل الطريقة السهلة التي استطاع بهـا التسرب والتأثير في المجتمعات الوثنيـة في كثير من التدرج والاعتدال، فلم يقم الإسلام بقلع الناس من جذورهم الأولى فجأة ودون مقدمات،

وإنما قدم مبادئه ومثله للناس دون أن يقتلع مـثلهم القديمة ، فعايش المسلمون الناس واختلطوا بهم وصاهروهم، وعاشوا معهم حياتهم، فكانت الأسلمة، وكان أن ولج الناس دين الله طـائعين مختارين، ولم يلـبثوا أن صاروا دعاة لهـذا الدين الجديد، يدعون له، ويبشرون به وسط أهليهم وذويهم وجيرانهم، فكان انتشار الدين بفضل هذا العامل، وبـفضل قوة جذب الإسلام ليـس بسبب ميزاته الاجتـماعية والثقـافية فحسب، بل بفـضل الممارسات التعبدية فـيه ، فقد كان لعمليـة الوضوء ، وطريقة أداء الصلاة مثلاً أثر عظيم على الناس، كما أن تلك الممارسات ، إلى جانب الملبس الإسلامي، والـسلوك الإسلامي، جـعلت من الإسلام ديـناً يحسه ويراه ويـشاهده الجميع، ويتأثـر به الكثيرون. أضف إلى ذلك أن الإسلام لم يبد للأفـريقيين كدين أجنبي غريب، حيث إن التحول إليه لم يؤد إلى اختلال النظام الذي كان سائداً ولم يؤد إلى أزمات نفسية لدى مـعتنقيه ، فقد كان ديناً سهلاً ليـناً لم يعكر صفو النظام الاجتماعي ، وإنما تسرب وتغلغل في يسر وهدوء وسلام (Mazrui , 1988 , P.P. 689-690) فكان طابعه السلم والإقناع ، ولم يشـهر دعاته السيف إلا في حالات الدفاع عن النفس والديـن ، فالتفوا حول الملوك والحكام ودعوهـم بالموعظة الحسنة إلى دين اللّـه، واندمجوا في المجـتمعات الـتي استقـروا فيها ، وصـاهروا الأهالي فكسبوهم مسلمين جدد ثم دعاة للإسلام تحمسـوا للتبشير به بين جيرانهم الوثنيين، واحترموا العادات والتقاليد ولم يحتقروها ، فنجحوا في نشر دينهم ، وقبلوا مبادئه وتعالـيمه وقرآنه عـبر المساجـد والمدارس التي أسسوهـا. ومع انتشاره بدأت الـلغة العربيـة في الانتشار أيضاً في أفـريقيا بفضـل جهود الدعاة، وبفضـل هجرة بعض القبائل الـعربية واستقرارهـا في أنحاء متفرقـة من القارة، وقد تركت اللغـة العربية آثارها في عدد من اللغات الأفريقية، كالسواحيلية والهوسا، ولغة الفولاني .

توزيع الأقليات وأعدادهم وأوضاعهم

وبانتشار الإسلام بالطريقة التي أسلفنا ، وبتغلغله بين أبناء وقبائل القارة الأفريقية المختلفة ، كانت هناك مناطق أكثرية مسلمة ، ومناطق أقليات مسلمة أيضاً، فقد عم الإسلام المناطق المجاورة للبحر المتوسط فأصبحت مصر مسلمة ذات أكثرية مسلمة، وأصبح الشمال الأفريقي منطقة مسلمة تماماً ، كما أصبحت المنطقة الصحراوية المجاورة له مسلمة أيضاً، وذات ثقافة مشابهة لثقافته الإسلامية والعربية. أما المنطقة التي تلي هذه المنطقة والواقعة بين دائرتي عرض ١٠ - ١٥ درجة مئوية شمالاً، والتي تشمل المناطق الشمالية من السنغال ، مالي، نيجيريا والنيجر، تشاد والسودان، فهي ذات كثافة إسلامية ، وأثر إسلامي واضح. ويرد ذكر هذه المنطقة في المصادر باسم بلاد السودان، وهي ثلاثة أقسام: السودان الغربي ثم السودان الأوسط، فالسودان الشرقي، أو النيلي، والأخير يختلف عن القسمين الأوليين، لكون الثقافة الإسلامية العربية ضاربة بجذورها في الأجزاء الشمالية منه، أما الجزء الجنوبي منه فالمسلمون فيه أقلية، وتقطنه في معظمه قبائل وثنية وبه أقلية نصرانية أيضاً . والمسلمون أقلية أيضاً في المنطقة المدارية من ساحل أفريقيا الغربي ، رغم توغل الإسلام الواضح في بعض أجزاء هذه المنطقة .

أما في الجزء الشمالي الشرقي من أفريقيا ، فالسكان بدوهم وحضرهم مسلمون في معظمهم ، من صومال ودناكل . . . الخ . وفي تنزانيا وأثيوبيا كثرة مسلمة لكنها لاتحظى بالنفوذ السياسي ، والمكانة الاجتماعية والاقتصادية اللائقة بكثرتها العددية . والمسلمون قلة في بقية أجزاء شرقي أفريقيا. أما في أواسط القارة وجنوبيها، فالمسلمون قلة تتراوح نسبهم مابين ٢٪ - ١٠٪ من جملة السكان. (Trimingham , 1980 . P. 37) . .

والملاحظ في التوزيع الجغرافي للمسلمين في القارة أن نسبتهم بين السكان تقل

تدريجياً كلما اتجهنا جنوباً من محور الصحراء الكبرى ، وكلما اتجهنا غرباً من محور ساحل المحيط الهندي . ولكن هذه القاعدة تختلف في مناطق السهول ، ومناطق الحشائش عنها في المناطق الجبلية أو مناطق الغابات ، فحيث تمتد السهول كما في الشمال نجد أن المد الإسلامي أعمق أثراً وأبعد امتداداً إلى الداخل ، وحيث تمتد منطقة الحشائش والغابات المفتوحة نجده يتوغل أكثر إلى الجنوب ، كما في مناطق غربي أفريقيا ، أما في شرقي أفريقيا ، فقد وقفت الجبال والهضاب عقبة في وجه الإسلام، كالهضبة الأثيوبية ، وهضبة البحيرات الاستوائية ، ومن ثمَّ فإننا نجد أن نسبة المسلمين في المرتفعات أقل منها في السهول المنخفضة . ففي الصومال، حيث السهول، كان انتشار الإسلام أعم وأيسر ، وقد استطاع الإسلام في النهاية أن يعبر الغابة الاستوائية في مناطق غربي أفريقيا ويصل إلى الساحل مع خطوط التجارة التي تمر في المناطق المكشوفة من الغابات .

والدول الأفريقية التي بها أغلبية إسلامية تزيد على ٩٠٪ مثل موريتانيا ، والنيجر، في غربي أفريقيا ، تعتبر امتداداً مباشراً لانتشار الإسلام من الشمال ، ومثل دولة الصومال في القرن الأفريقي ، والتي تعتبر كثرتها الإسلامية ، امتداداً مباشراً لانتشار الإسلام القادم من الشرق . أما في نيجيريا الشمالية وغينيا مثلاً اللتين تعتبران امتداداً ثانياً للانتشار المباشر للإسلام ، فتصل نسبة المسلمين فيهما مابين ٦٥٪ - ٨٠٪ من جملة السكان. وكما أسلفنا فإن نسبة المسلمين تقل كلما اتجهنا جنوباً في غربي أفريقيا، وترتفع نسبياً في المدن الرئيسة في الساحل حيث تجمعات المهاجرين من التجار المسلمين الذين ينتمون إلى عناصر الفولاني، والهوسا، والماندي، والديولا . . . أما في شرقي أفريقيا فهناك أقليات إسلامية في كينيا ، في المدن الساحلية الكبيرة لكن نسبها تقل كلما توغلنا غرباً نحو الداخل. أما في جزيرتي زنجبار وبمبا فالأغلبية العظمى من المسلمين ، حيث تصل نسبتهم إلى حوالي ٩٥٪ من جملة السكان .

وهناك دول أخرى بها أقـليات مسلمة تتراوح نسـبتها بين ٢٪ - ١٢٪ كما هو الحال في وسط وجنوب أفريـقيا ، والمسلمون قلة في الكونغـو، حيث يكاد الوجود الإسلامي فيـه يقتصر علـى مجتمعات الـهوسا والفولاني الذيـن هاجروا إلى المدن الرئيـسة في غربي الـكونغو، والمهاجـرين السواحـيليين الذين وصلـوا إلى الأجزاء الشرقية منه. وطبـيعي أن هناك مجموعة من أهل البلاد اعـتنقت الإسلام، وسيأتي الحديث عن الكونغو في مكان لاحق (عباس، ١٩٧٨م، ص ص ١١٤ - ١١٦).

وتتضارب الآراء والإحصــاءات وتختلف حول عدد المسلمين في أفـريقيا وحول عدد الأقليات المسلمة فيها ، فهناك مـن يرى أن نسبة المسلمين في أفريقيا تبلغ ٦٦٪ من مجـموع سكانهـا (رضوان، ١٩٨٩م، ص ٢٤٧)، وهناك من يرى أن نسـبة الأقليات تبلغ ٢٤٪ من مجموع المسلمين في القارة ، أي أنهم حوالي سبعين مليون مسلم من مجموع المسلمون في أفريقيا والبالغ عددهم ٢٩٢ مليون مسلم (الرياض، عدد ٦٤٢٧ - ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ) .

أما سيد عبدالمجـيد بكر فيقول إن في أفريقيا ٤ر٢٤١ مليـون مسلم من مجموع سكان القارة الـبالغ عددهم ٩ر٤٦٦ مليون نسـمة ، أي أن المسلمين يشكلـون نسبة ٧ر٥١٪ من جملة الـسكان ، والنسبة البـاقية وهي ٣ر٤٨٪ يشترك فيـها النصارى واليهود والوثنيـون ، ويقول إن المسلمين بين سكان الدول العربية الأفـريقية يصلون إلى نسبة ٩٠٪ ، وأن نسبة المسلـمين في دول الأغلبية المسلمة الأفريـقية تصل إلى ٦١٪ ، وأن عدد الأقليات المسلمة في أفريقيا يبلغ ٧٣ مليون مسلم من جملة سكان دول الأقليـات المسلمـة وقدره ٧ر٢٤٥ ملـيون نسمـة ، أي أن نسبـتهم تـصل إلى ٧ر٢٩٪ (بكر، ١٩٨٥م ، ص ص ١٠-١١) .

وادعى فـريق ثالث أنهم يمـثلون ٩ر٥٨٪ من جـملة سكان الـقاة، وأن نسـبة الأقليات المسلمة في أفريقيا تبلغ١٤٪ (جدول رقم١).(Qureshi , 1993 , P. 2) .

والجداول الإحصائية للمسلمين في أفريـقيا، توضح التضارب الذي تحدثنا عنه، وانعدام الإحصاءات الدقيقة لأولئك المسلمين وخاصة للأقليات المسلمة في القارة.

ولعل التباين الواضح في إحصاء عدد المسلمين في أفريقيا -أكثريتهم وأقليتهم- نتج عن عدة عوامل حالت دون الحصول على إحصاءات صحيحة لأولئك المسلمين. ومن أهم تلك العوامل اختلاف الباحثين حول تحديد مفهوم الدولة الإسلامية.

ومشكلة أخرى هي غياب الإحصاءات التفصيلية عن الأقليات المسلمة من حيث توزيعاتهم ، وحرفهم ، ومستوياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ومرد

جدول رقم (١) نسب الأقليات المسلمة في القارة الأفريقية

اسم البلد	نسبة المسلمين	اسم البلد	نسبة المسلمين
جزر الرأس الأخضر	٣٠٪	جزيرة ريونيون	غير متوافر
ليبيريا	٢٥٪	جزيرة سيشل	غير متوافر
غانا	٣٢٪	جزيرة موريشس	غير متوافر
بوروندي(بوجومبورا)	٣٠٪	الكونغو الشعبة/ برازفيل	١٧٪
رواندا	١٨٪		
كينيا	٤٥٪	الكونغو الديمقراطية/ زائير	٢٠٪
زامبيا	٢٧٪		
موزمبيق	٣٥٪	أنجولا	٢٦٪
نلاجاسي(مدغشقر)	٣٧٪	بوتسوانا	٢٪
جنوب أفريقيا	١٨٪	ناميبيا	٤٪
ليسوتو	٥٪	زيمبابوي	١٢٪
أفريقيا الوسطى	٤٠٪	=	–

المصدر : تقرير صادر عن رابطة العالم الإسلامي ، غير منشور ، ولاتاريخ له ، صفحة : ٢٢

تلك المشكلة إلى عدة أسباب ، أهمها :

١ - عدم اهتمام كثير من الدول الأفريقية بإحصاء الأقليات الدينية فيها ، وبصفة عامة عدم اهتمامها بتسجيل التركيب الديني للسكان ، بحجة أن مثل هذا الإحصاء قد يؤدي إلى مشكلات طائفية . والحقيقة التي لايمكن إنكارها أن بعض هذه الدول تخشى أن يدرك المسلمون حجم أعدادهم الحقيقية ، والأثر الذي قد يترتب على ذلك .

٢ - يعيش بعض المسلمين في أقطار نامية لاتجري إحصاءات حيوية خاصة بعدد المواليد والوفيات ، وعدد أفراد الأقليات الدينية .

٣ - تباين التعدادات التي تجريها الأقطار التي تضم المسلمين من حيث مواعيدها ودقتها وشمولية معلوماتها ، كما أن هناك أقطاراً أفريقية لم تعرف الإحصاءات .

٤ - بعض الجهات ذات الغرض -كالشيوعيين، والمستعمرين، والمنصرين . . . الخ. تعمد إلى تقدير عدد المسلمين بأقل من الواقع ، ومن جهة أخرى فإن هناك بعض الباحثين المسلمين الذين يبالغون في تقدير أعداد المسلمين - وكل هذه أمور لاتساعد على وجود التقديرات الصحيحة لأعداد المسلمين (سواء كانوا أغلبية أم أقلية) .(الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٩٨٦م، ص ٤٠٤).

والأمثلة عديدة على تخبط المصادر في تقديراتها لأعداد المسلمين ، وأعداد الأقليات المسلمة في أفريقيا ، فالمصادر الغربية مثلاً ، بخاصة التي تعتمد على إحصاءات البعثات التنصيرية للمسلمين في أفريقيا ، تبالغ بدرجة ملحوظة في ضآلة تقديراتها لأعداد المسلمين - كثرتهم وقلتهم - فسبنسر ترمنجهام والذي له عدة

مؤلفات عن الإسلام في أفـريقيا ، يضع تقديرات جد ضئيلة للمـسلمين في تنزانيا وأثيوبيـا، وسيراليون وبـوركينا فاسو والـكمرون ، مع أن المسلمين فـي بعض تلك البلدان يفوقـون نسبة الـ ٥٠٪ فهو يقـول إن نسبة المسلمين في أثيوبـيا مثلاً ٣٣٪، وفي تنزانيا ٢٥٪، وفي كينيا ٤٪ في حين أن مصادر أخرى هي الآن أقرب للصحة تضع نسبة مسلمي أثيوبيا مابين ٥٠٪- ٦٥٪والراجح أن المسلمين في أثيوبيا أكثرية عددية ، كما أنهم في كينيا يقدرون بحوالي ١٠ - ٣٥٪ أما في تنزانيا فهم أكثرية عددية بإجـماع معظم المصـادر ، وهم حوالي ٦٠٪ من جملة السكان . (بكر ، ١٩٨٥م ، ص ص ٣٣٧-٣٣٨) ، (إعداد عمـادة البحث العلمي بجامـعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، غير منشور ، ص ٢٢) و (Qureshi , 1993 , P. 2)

ولايمكن الاعتماد على الإحصاءات الصادرة عن البعثات التنصيرية ، عن أعداد المسلمين والأقليات المسلمة في أفريقيا ، ذلك أن تلك البعثات التي تهدف إلى جعل قارة أفريقيا قـارة نصرانية بحلول عام ٢٠٠٠م ، لا تتوخى الموضوعـية في حديثها عن الإسلام والمسلمين في القـارة الأفريقية، فالإسلام هو العقبة الـرئيسة التي تقف في طريق نشاطها التنـصيري، ومن ثمّ فهي تحاول بكل السبل طمس معـالم الحقيقة عن الإسلام هناك، بـل إنها تحاول أيضاً وبحـماس شديد إيقاف المـد الإسلامي في القارة، فلا غرو أن تحيّـزت وضلّلت . وقد تبالغ بعض المصادر الإسلامـية في كثرة المسلمين، ولكن تقديرات معظمهـا هي أقرب إلى الواقع الذي يلحظه الزائر لبعض تلك البلدان الأفريقية، والذي تؤيده بعض الإحصاءات غير الرسمية ، وتؤيده أيضاً قرائن الأحوال.

وإذا نحن أردنا الدقة في إيراد إحصاءات للمسلـمين الأفارقة علينا اختيار أسس موضوعـية تتحاشى المبالـغة من جهة ، وتتجـنب الاعتماد على تقـديرات الجهات المعادية للإسلام من جـهة أخرى ، وربما كان توثيق الصلات بالأقلـيات المسلمة في

أفريقيا من أفضل الأساليب التي يمكن الاعتماد عليها والاستعانة بها في هذا المجال كما أنه يمكن الاستفادة من المراكز الإسلامية الموجودة في تلك الأقطار ، ومن المنظمات الإسلامية الرسمية والطوعية، ومن فئات الدعاة العاملين هناك، لتتبع أحوال المسلمين، وتقدير أعدادهم.

فالتقديرات الموجودة الآن تعطينا أرقاماً أكبر من تلك المتوافرة في الكتب والمصادر المعروفة عن المسلمين في أفريقيا ، فمثلاً هناك ضعف العدد من المسلمين الذي تقول المصادر الرسمية إنه موجود في الكونغو (بشقيه) ، وكذلك الحال في تنزانيا وأثيوبيا، كما أسلفنا ، فهناك أعداد كبيرة تحولت إلى الإسلام حديثاً ، وذلك سبب من أسباب عدم دقة الإحصاءات الرسمية ، والتي عفى عليها الزمن) (Kritzek and Lewis , 1969 , P.P. 3-5 .

تُكوِّن الدول الإسلامية في أفريقيا كتلة متصلة تمتد من المحيط الأطلسي غرباً حتى ساحل البحر الأحمر والمحيط الهندي شرقاً ، وتمتد من ساحل البحر المتوسط شمالاً حتى نطاق السافنا جنوباً ، والذي يمتد كحزام من غربي أفريقيا إلى شرقي. ويعيش المسلمون كأقليات في ٢٥ دولة أفريقية، وبعضاً من الجزر المتناثرة حول القارة، وتلك الدول هي:

١ - ساحل العاج .
٢ - توجو .
٣ - أفريقيا الوسطى .
٤ - ملاوي .
٥ - كينيا .
٦ - غانا .
٧ - ليبيريا .
٨ - موزمبيق .
٩ - غينيا الاستوائية .
١٠- مدغشقر (ملاجاسي).
١١- بورندي .
١٢- جزر الرأس الأخضر .

١٣- موريشوس .

١٤- أنجولا .

١٥- الكونغو الديمقراطية (زائير سابقاً)

١٦- الكونغو الشعبية .

١٧- ليسوتو .

١٨- بوتسوانا .

١٩- سوازيلاند .

٢٠- رواندا .

٢١- سيشل .

٢٢- زامبيا .

٢٣- ناميبيا .

٢٤- جنوب أفريقيا .

٢٥- زيمبابوي .

وهناك من يجعلها ٢٨ دولة ، ومنهم من ينقصها إلى ٢٢ دولة أو أقل من ذلك، كما ورد في الجدول رقم (١) الذي يحتوي على نسب المسلمين المئوية حسب أحدث التقديرات التي حصلنا عليها (محمود ، د . ت . ص ٤٦ ، أبو العلا، ١٩٨٦م، ص ٣٥ ، بكر ، ١٩٨٥م ، ص ص ٣٣٧ - ٣٣٣٨ ، رضوان، ١٩٨٩م، ص ٢٥٣) .

وهناك من يتحاشى تقسيم المسلمين في أفريقيا تقسيماً تفصيلياً بحيث يحدد الدول اتي توجد بها أغلبيات، والدول التي بها أقليات، وإنما يقسمها تقسيماً عاماً، على النحو التالي:

١ - دول إسلامية : وهي التي بها مابين ٩١ - ١٠٠ ٪ من المسلمين ، مثل مصر وليبيا وتونس والجزائر والصومال .

٢ - دول ذات كثرة إسلامية : سكانها مابين ٥١ - ٩٠ ٪ مثل السودان ، والسنغال ، وغينيا .

٣ - دول المسلمون فيها هم أهم المجموعات أو أكبر المجموعات الدينية ، مثل نيجيريا ، وتشاد ، وأثيوبيا ، وتنزانيا .

ومثل هذا التقسيم العام لايفي بحاجتنا إذ إنه لايشير إلى دول الأقليات إلا عن طريق غير مباشر ، ومن ثمَّ فهو غير مهتم بأمرها الاهتمام الذي نريد ، ولا بتوضيح أحوالها وظروفها وواقعها المعاش ، والمشكلات التي تعاني منها .

الأوضاع والتحديات :

الواقع أن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعيشها أقليات أفريقيا المسلمة، هي نتاج للظروف التاريخية التي مرت بها تلك الأقليات بخاصة خلال الفترة الاستعمارية والفترة الوطنية التي تلتها. فالأقليات المسلمة في أفريقيا على ثقلها العددي، تعاني من ضعف عام لايمكنها من المشاركة الفاعلة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في بلادهم، فمشاركتهم في تلك المجالات جد محدودة بسبب تخلفهم المادي الناتج عن تخلفهم التعليمي والفكري، والذي جعل منهم قوة مهمشة تعيش على حافة مجتمعاتها، وإن كثرت أعدادهم. وتلك المشاركة المحدودة والتي لاتتناسب وأعداد الأقليات المسلمة في بعض الدول الأفريقية وبخاصة في مجال المشاركة السياسية ، أمر تشكو منه كل قيادات تلك الأقليات دون استثناء، وهو سمة عامة في مجال نشاطها السياسي ، وبرهانه قلة المسلمين المؤهلين العاملين في المجالات التنفيذية . فالوزراء المسلمون قلة - إن وجدوا - وفي مناصب وزارية دنيا ، والأمثلة على ذلك عديدة . فمثلاً في كينيا والتي يقدر فيها المسلمون بثلث السكان لم يحظ فيها مسلم واحد بوظيفة وزارية منذ استقلالها، والحال كذلك في عدة أقطار أفريقية أخرى (سوار الذهب، ١٤٠٨هـ، ص ٦).

ويعاني المسلمون في بلدان الأقليات المسلمة في أفريقيا من الجهل والفقر، والذي وقف عقبة في عدم مشاركتهم في الحياة العامة ، بل إنه كان سبباً فيها، نتيجة لعزوف المسلمين عن التعليم المدني الحديث والذي احتكرته المؤسسات التنصيرية، وجعلته أداة ووسيلة أساسية من وسائل التنصير ، الأمر الذي جعل

المسلمين ينأون بأنفسهم وبأبنائهم عنه ، خوفاً على دينهم ، وهويتهم الثقافية ، وما كان المسلمون في أفريقيا أميين ، منذ مقدم المنصِّرين وإرسالياتهم إلى بلادهم ، بل كانوا هم الفئة الوحيدة التي حظيت بقدر كبير من التعليم في مدارسهم القرآنية ، وحلقات العلم في المساجد، وفي بيوت العلماء ، الأمر الذي جعل الإدارة الاستعمارية التي جاءت في أعقاب مجيء المنصِّرين ، تعتمد عليهم في كثير من نواحيها الإدارية ، كاعتمادها عليهم في شرقي أفريقيا ، ثم في غربيها عندما أنشأت نظامها الإداري المعروف بالإدارة غير المباشرة ، وقد أحجمت تلك الإدارة الاستعمارية عن هذه السياسة فيما بعد. والمهم أن القوى الاستعمارية التي أظلت القارة وجدت مسلمين على درجة كبيرة من العلم، لهم مدارسهم ، وإرثهم الثقافي، ولكن ذلك لم يكن معيناً لها لتحقيق أهدافها، وأهداف أعوانها من الإرساليات التنصيرية والتي كانت تريد إدخال نظامها التعليمي العلماني الغربي، لتخريج فئات تقوم على مصالحها الاستعمارية، وتخلفها في إدارة البلاد بعد رحيلها عنها. ومن ثمَّ ارتبط ظهور التعليم العلماني (التعليم المدني الغربي) في أفريقيا بوصول أولئك الأوروبيين إليها ، وارتبط بخدمة المصالح الاستعمارية الرامية إلى تثبيت وإقرار الحكم الاستعماري في القارة ، وإلى إجهاض روح الدين باستراتيجية مبرمجة بدأت في معظم البلاد الأفريقية بعزل التعليم الإسلامي عن حركة المجتمع الفاعلة وحصره في جزر معزولة في الخلاوي، والكتاتيب والمعاهد الديني، وإدخال بعض المواد الحديثة في بعض هذه المؤسسات الدينية، لتضعف من محتواها الإسلامي ، ثم تقوم بعد ذلك بتعميم خطة تعليمية تتجاوز التعليم الإسلامي، وتوجه مسار المجتمع على أسس غربية علمانية (قاسم، ١٩٩٠م)، وبتخريج الكوادر المساعدة التي تقوم بالأعمال الوسيطة في الجهاز الحكومي تحت قيادة موظفي الإدارة الاستعمارية، ثم فصل المتعلمين عن تراثهم الوطني، والسعي لدمجهم في الحضارة الغربية، حتى يكونوا مسخاً مشوهاً فاقداً لثقافته التقليدية، ومكتسباً لقشور الثقافة الوافدة.

لحق بالمسلمين من جراء عزوفهم عن إرسال أبنائهم إلى مدارس البعثات التنصيرية تخلف علمي، استمر بدرجات متفاوتة حتى على أيام المعهد الوطني، حيث إن الفجوة كانت قد اتسعت بين أبناء المسلمين، وبين الآخرين الذين تلقوا تعليمهم في مدارس الإرساليات التنصيرية، ولم يستطع المسلمون سد هذه الفجوة، مما نتج عنه عدم مقدرتهم على الالتحاق بالعمل الحكومي، والذي كان وقفاً على ذوي التعليم الغربي المدني. وزاد من تخلف المسلمين العلمي أن نظامهم التعليمي التقليدي كان يعاني من بعض السلبيات والمعوِّقات، مثل محدودية مناهجه، وجعلها وقفاً على العلوم الدينية فقط، وانغلاقها على تلك العلوم دون سواها من العلوم العصرية، ومن ثمَّ محدودية خريجي تلك المدارس الإسلامية، ومحدودية فاعليتهم في المجتمع، ومواجهة تحديات العصر. ومن تلك السلبيات عدم توافر الإمكانات المادية، وعدم توافر المعلم المؤهل، والمكان المناسب للدرس . . . الخ. ثم عدم حماس الآباء والأبناء للتعليم لجهلهم، ولضيق ذات اليد التي تجعلهم لايهتمون بتعليم أبنائهم. وزاد كل ذلك من تخلف المسلمين في المجالات التعليمية، وافتقارهم إلى العلم الحديث والذي كان هو السبيل الوحيد للمشاركة في الأجهزة التنفيذية، والسياسية، وأجهزة الدولة الأخرى (عبدالرحمن، ١٩٨٩م، ص ص ١٢-١٦). ولن يتقدم المسلمون الأفريقيون، ولن يتمكنوا من مواجهة الصعاب والتحديات التي تواجه أمتهم إلا باللجوء إلى الأساليب الحديثة مثل إنشاء المدارس الحديثة التي تجمع في منهجها الدراسي، وفي تناسق تام، بين العلوم الدينية والعلوم العصرية، ففي ذلك العلاج لأزمة التضارب الثقافي التي تحيق بهم، ولازدواجية التعليم التي يعانون منها.

يرى البعض أن سياسات ومواقف الدول المستعمرة- الرسمية وغير الرسمية من الإسلام ، اختلفت بقدر ارتباط الدولة المستعمرة بدينها النصراني ، وبقدر تباين

الظروف المحلية ، ومن ثمّ فقد اختلفت سياسات الدولة المستعمرة الواحدة من منطقة إلى منطقة ، كما اختلفت سياسات الدول المختلفة من الإسلام وأهله في مستعمراتها الأفريقية ، فهادنت الإسلام والمسلمين في الدول التي كان ارتباطها بالإسلام قوياً ، أو التي شهدت حركات إسلامية ثورية ، كالحركة المهدية في السودان . فسياسة بريطانيا مثلاً في الساحل الكيني ، ثم في نيجيريا والسودان كانت سياسة مهادنة للإسلام، بعد القضاء على الحركات الإسلامية التي كانت قائمة هناك، وهذه المهادنة مع (سياسة الحكم غير المباشر) في غربي أفريقيا أدت إلى استمرار انتشار الإسلام في تلك الجهات ولكن وبالقدر نفسه عارضت بريطانيا وغيرها من الدول المستعمرة كفرنسا وبلجيكا وألمانيا حركة المد الإسلامي في المناطق التي كان الوجود الإسلامي فيها قليلاً، كما أنها عارضته وحاولت الحد من انتشاره في كل مستعمراتها فيما بعد وبعد أن استتب لها الأمر ، وزال خطر الحركات الإسلامية التي كانت قائمة في أماكن مثل السودان، ولأنها دول نصرانية ، تعمل كما تعمل المؤسسات التنصيرية على نشر دينها ومُثُل حضارتها الغربية، ولأنها كانت ترى أن الإسلام هو الدين السماوي الوحيد الذي يشكل عقبة كؤود أمام الدين النصراني . فقد عملت بالتعاون مع الإرساليات لمنع انتشاره، والحد من نفوذه في أوساط الأهلين ، وكانت كل أسس سياساتها الاجتماعية - والسياسية تقوم على عدم الثقة بالمسلمين، واعتبارهم عنصر ثورة وعنصر عدم استقرار مهدد لمصالحها الاستعمارية ، فلم تعمل على تقدمهم وتطورهم وإنما أبقتهم حيث وجدتهم فحرمتهم من التعليم، ومن الأراضي والزعامات والرئاسات القبلية، كما فعلت في أوغندا ، كما حرمتهم من كل مظاهر النفوذ السياسي والاقتصادي فعاشوا مهمشين سياسياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً، في مؤخرة الركب، أقلية تعيش واقعاً لايتناسب ووزنها العددي في المجتمع ، ولا يتماشى مع تطلعاتها (Lewis , 1969 , P.P. 67 - 90) .

كما أن الاستعمار عمل على تذويب الأقليات المسلمة في المجتمعات من حولهم، وضياع هويتهم الدينية والثقافية بفصل المسلمين عن اللغة العربية لغة القرآن، وبتجهيلهم بها ، بعد أن أصبحت معظم اللغات الإسلامية كالسواحيلية والهوسا والصومالية تكتب بالأحرف اللاتينية بعد أن كانت تكتب بالعربية، وهذا بدوره فصل الشباب المسلم عن تراثهم الإسلامي المكتوب باللغة العربية، بما في ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة (قاسم ، ١٩٩٠م ، ص ٣٢). كما أن الإدارة الاستعمارية والمؤسسات التنصيرية عملت على تشجيع التفسخ الاجتماعي في مناطق المسلمين، وذلك بتقليل قيمة المثل الإسلامية ، وتصويرها على أنها قيم متخلفة جامدة لاتتماشى وأسس المجتمعات الحديثة المتطورة ، ومن وراء ذلك تمّ بث عدم الثقة في نفوس المسلمين، وجعلهم ينظرون إلى الحياة بنظرة هذه المجتمعات، والتطبع بطباعها، والتخلق بمثلها مهما بعدت تلك المثل عن مثل الإسلام وقيمه، فذلك هو مقياس التحضر والتمدن . ولاغرو أن نجحت تلك السياسة - بخاصة في أماكن الأقلية الإسلامية - مثلاً في شرقي أفريقيا ، حيث بدأ بعض شبان وشابات المسلمين في أوغندا مثلاً يغيرون أسماءهم الإسلامية إلى أسماء أفرنجية ، إخفاءً وخجلاً من هوياتهم الإسلامية، حيث إنهم ظنوا - كما شبه لهم - أن الإسلام دين تخلف وجمود، ونشأ عن كل ذلك أزمة ثقة بالنفس ، وجهل بأمور الدين ، بل وعدم حماس لمعرفتها في أحيان ، فاهتزت مجتمعات المسلمين ، وضعفت روابطها الدينية التي ربطتها وعصمتها في الماضي ، ولم يحل محلها رابط اجتماعي جديد ، فوقع التهتك الاجتماعي، والتخلف الاجتماعي، حيث ظلت معظم -إن لم يكن كل- مجتمعات الأقلية، تشكل غالبية الشرائح الاجتماعية الدنيا، بعد أن كانت قبل مقدم الاستعمار عزيزة بمثلها وقيمها، وبوضعها الاجتماعي المميز ، فقد كان الإسلام وقتئذٍ عنصر تطور وتقدم وتحديث، ولكن السياسة الاستعمارية المعادية له، صورته وشبهته لأهله، ولغيرهم على أنه عنصر

تخلف وعـدم استقرار ، فـعزف عنه العازفـون، وتمسكت به قلة من الـذين تعزت مبادئ الدين في أنفسهم بفضل تعليمهم الديني في مدارس القرآن وغيرها ، فعضوا على هويتـهم الإسلامية بـالنواجز ، والفضل بعـد الله تعالى لهـم وللمدارس القرآن ووسائل التعليم الإسلامي الأخرى في حـفظ الإسلام ، وفي الحفاظ عليه في وجه ماتعرض إليه من حرب ومعارضة . ولولا تلك المدارس القرآنية لضعف الإسلام في النفوس، ولتمكنت القوى العاملة على تذويب أهله في بوتقة نظمها الاجتماعية من تذويب المسلمين في تلـك البوتقة ، ولقضت على هويتهم الإسـلامية، ولولا تلك المدارس وخـريجوهـا لزال الإسلام من بـعض مناطـق أفريقـيا . (سـوار الذهب، ١٤٠٨هـ ، ص ص ٦ - ٨) .

ولقد تضافرت عوامل أخرى إلى جانب التخلف التعليمي - على إبعاد المسلمين في بلدان الأقليات المسلمة عن المشاركة السياسـية والاقتصادية والاجتماعية في أمور بلادهم، وسـلبهم حـقوقهم تـلك ، ومن تلك العـوامل، كثـافة حركـة التنصـير واستمراريتها، سيطرة الاستعمار الفكري والاقتصادي ، العمل المستمر لوقف انتشار الإسلام، وإبعـاد أهله عن مراكـز النفوذ ، نشـر العلمانيـة حيثمـا كانت الأغلبـية للمسلـمين والغلبة لغيـر المسلمين، ونشر الفكر المنـاقض للمثل والقيم الإسـلامية، وتشجـيع الأفكار الهـدامة كالماسـونية والقـاديانية والبـهائية ، والأفـكار الشيوعـية والإلحاديـة، كل ذلك بغـرض حرب الإسلام والـوقوف في طـريقه وطريـق أهله. يضاف إلـى هذا أن هناك عوامل ذاتـية خاصة بـالمسلمين أنفـسهم أعاقـت تطورهم ومشـاركتهم في الأمـور السياسيـة والاقتصـادية والاجتماعـية في بلادهم وأهمـها معاناتهم من الفرقـة والشتات وانقسامهم إلى طوائف وشيع متناحـرة، مختلفة على أبسط الأمور وأتفهها، وحول قضايا هامشية ليس لها وزن في مبادئ الإسلام ، مثل صحة صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة، وهل يجـوز قراءة خطبة الجمعة باللغة العربية

الفصحى أم ينبغي ترجمتها إلى اللغة المحلية، أو ضرورة استعمال التقويم الشمسي بدلاً من التقويم القمري ، وغيرها من الأمور الهامشية التي انقسم حولها مسلموا أوغندا مثلاً . وغالباً ما يكون لخلافات المسلمين هذه طبيعة دينية - سياسية ، مثل أن يتطور الخلاف حول الزعامة إلى خلاف ديني، ولها أسباب عدة أهمها الجهل بأمور الدين . وغالباً ما تذكي نار الخلافات جهات خارجية من بعض ساسة البلد ، وإن كانوا نصارى ، يستغلونها لمصالحهم الذاتية، ومصالح أحزابهم السياسية (Kalisa,1994,P.P.70-92) . كما أن السلطات السياسية -منذ عهد الاستعمار- كانت تعمل على بث الخلافات الفكرية والعقائدية في أواسط المسلمين - كثرتهم وقلتهم - من ذلك تشجيع البريطانيين لبعض الفرق الهدامة الخارجة عن الدين، مثل القاديانية في شرقي وغربي أفريقيا ، ومثل القاديانية والبهائية والإسماعيلية في شرقي القارة ، ثم الصراع بين المتصوفة ومعارضيهم في القرن الأفريقي، مما شل حركة التوسع الإسلامي ، وأضعف جماعات المسلمين، وفتح المجال لغير المسلمين للتدخل في شؤونهم ، مما وسع انقساماتهم، وولد أزمة قيادة عانت وتعاني منها كل جماعات الأقليات المسلمة في شتى أنحاء أفريقيا، فهي السمة الواضحة، والهدف الأكبر الذي يواجهه مسلمو شرقي أفريقيا، وغربها ووسطها وجنوبيها، وهو الذي قعد، ويقعد بهم عن النهوض والأخذ بأسباب التطور، حتى يتبوؤا المكان الذي تؤهلهم له أعدادهم، في المجتمعات التي يعيشون فيها .

• • • • • •

النشاط التنظيمي

أولاً : الجمعيات والمؤسسات الإسلامية :

مامن بلد من بلدان الأقليات المسلمة الأفريقية ، إلا وبه « مجلس إسلامي أعلى» ينتخبه المسلمون ، أو تعينه الحكومة ، أو يعين أعضاؤه أنفسهم ، ويكون هدفه في كل هذه الحالات رعاية مصالح المسلمين ، ومحاولة النهوض بهم في شتى المجالات التعليمية والاقتصادية والسياسية ، وأن يكون هو الممثل الوحيد للمسلمين، وواسطتهم لتمثيل مصالحهم كلها لدى السلطة الحاكمة ، وأن يكون الأداة المركزية التي تنضوي تحت لوائحها جميع تنظيمات المسلمين الدينية والسياسية والاجتماعية والتعليمية، ويكون هو وعاؤها الذي ينظم نشاطاتها وينسق بينها، ومن المجلس تنطلق الأنشطة الدعوية . . هذه باختصار هي أهداف المجالس الإسلامية العليا الموجودة في أواسط الأقليات المسلمة في أفريقيا، ولقد كان الغرض الأسمى من إقامة هذه المجالس، في معظم الأحيان، هو العمل على وقف انقسامات المسلمين، وإحداث وحدة بينهم، ولكن قيامها أدى في حالات - مثل حالة جنوب أفريقيا، وأجزاء من غربي أفريقيا - كغانا وغيرها - إلى زيادة الانقسامات، واحتدام الصراع بين الفئات المتصارعة حول قيادات تلك المجالس إلى الحد الذي أدى في أحيان إلى اللجوء إلى المحاكم المدنية لحل النزاع القائم حول عضوية وقيادة المجلس، بل إنه أدى في أحيان أخرى إلى قيام مجلسين متنافسين في البلد الواحد. ففي كينيا مجلس لايرضى به معظم المسلمين، وإنما هم منقسمون حوله . وفي الجنوب الأفريقي، وفي غانا، مجالس إما أقامتها الحكومات أو نصبت نفسها ، والمسلمون أيضاً غير معترفين أو راضين بها ، وحولها منقسمون ، باعتبارها تنظيمات عميلة للسلطة الحاكمة، أو كيانات لا تمثل إلا نفسها ، ولاتقوم إلا على مصالح أعضائها التنفيذيين الذاتية، وبسبب هذه الخلافات وبسبب هذا الصراع حول القيادة، أصبحت

هذه المجالس مشلـولة الحركة، وغير ذات فاعليـة في مجتمعات المسـلمين، بل إنها أصبحت أحد العناصر السالبـة في حيـاة تلك المجتمعات، وسنرى صدق مانقول في حديثـنا اللاحق -إن شاء الـلَّه- عن بعض بلـدان الأقليات المسـلمة , Kiyimba) 1990 , P.P. 110-112) (Kasozi , 1985 , P. 48) ففي أفريقيـا الإسلامية اليوم - بخاصة في بـلدان الأقليات المسلمة - عدد كـبير من المنظمات المحليـة، والعالمية الإسلامية غير الحكومية (الطوعية) تعمل من أجل رفع مستوى الإسلام والمسلمين في المجالات التـعليمية والاجـتماعية والثـقافية، وعمـلها يتفاوت مـابين بناء الدور لرعاية الأيتام إلى إنشاء البنيات الاجتماعـية الأساسية، مثل المدارس ، والمستشفيات والمراكز الصـحية، والمساجـد، وحفر الآبار وغيـر ذلك . والناظر لتلك المـنظمات بخاصة المحليـة منها - يلحظ كثرتها، وقلة فـاعلية معظمها . فوجود بـعضها على الورق فقـط، أما الأخرى الفـاعلة نوعاً مـا فهي إمـا جمعيـات وروابط شبـابية أو طلابيـة، أو تعليمـية، وينحـصر جل نشـاطها في المجـال التعليـمي، أو التوعـية الإسلامـية في أواسط الشـباب في المدارس والجـامعات وخـارجها، أو في مـجال الدعوة، وذلـك بتصحيـح مبادئ الدين ومـفاهيمـه في أواسط عامة المـسلمين، أو بدعوة غير المسلمين إلى دين الله، ولعل من أنشطـها وأكثرها حماساً للعمل روابط الشباب المسلم، وروابط الـطلاب المسلمين، وجمعيات التعلـيم والمعلمين المسلمين، في شرقي وغـربي أفريقيا، وفي جـنوبيها، ثم بعض جـميعات ومجـالس الدعوة، كتـلك التي يـرأسها داعـية جـنوب أفريقـيا المـعروف أحمـد ديدات. أمـا الروابط والجمعيات النسائية والمهنية كجمعيات الأطباء المسلمين وغيرها - فهي أقلها نشاطاً ، وأقلها فاعلية، ذلك أن أسبقيات العمل الإسلامي في أواسط المسلمين لاتشمل مثل هذه المجالات، وإنما تتـجه في معظمها إلـى مجالات التعليم، والمجـالات الخدمية والاجتماعية.

وكثـرة تلك الجمـعيات والروابط تـشكل في بعض الأحـيان إحدى مـشكلات المسلمين العامة، كمـا في كينيا ، حيث يزيد عددها على الخمـسين جمعية (بكر، ١٤٠٥هـ، ص ٩٦) ، وكمـا أسلفنا فـهي في كثيـر من الأحوال -أسمـاء فقط، توردها بعض الكتب -كقوائم، ولكن لانشاط لها، (انظر: كتاب عبدالحميد بكر- الأقليات المسلمة في أفريقيا - مثلاً) .

إلى جانب هذه المنظمات المحلية ، هناك عدد من المنظمات الإسلامية العالمية · الرسميـة وغير الرسمية الـعاملة في أواسط المسلمين في أفـريقيا ، وهي كمثـيلاتها المحليـة تهتم بالـعمل الاجتـماعي ، والصـحي ، والتعـليمي ، كـبناء المدارس ، والمستشـفيات والمراكز الدينية والـثقافية ، كما أن بـعضها يعمل في مـجالي الإغاثة والأعمال الخيرية ، وقد يصل عددها في بعض بلدان الأقليات المسلمة إلى أكثر من إحدى عشرة منظمة من أبرزها :

١ - رابطة العالم الإسلامي (السعودية) .

٢ - منظمة الدعوة الإسلامية (السودان) .

٣ - هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية (السعودية) .

٤ - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية) ليبيا) .

٥ - الوكالة الإسلامية الأفريقية (الكويت) .

ولعل هذه المنظمات هي إحدى أقوى وأهم الصلات التي قامت حديثاً بين تلك الجماعـات الإسلامية الأفريقـية ، والعالم الإسلامـي العربي. ورغم أهميـة العمل المنوط بها، فهناك ملاحظات على أساليب عملها ، إذ يرى البعض أن هناك تقصيراً واضحاً في أعمالها، وأن أساليبها تفتقر إلى التنسيق والتخطيط الصحيح بخاصة إذا ماقورنت بأساليب عمل المنظمات النصرانية، والتي تكون تحدياً أساسياً لها. بل إنها

تتفوق عليها في المجالات الإدارية، والمالية، ومجال العمل الدعوي والتخطيط وتحديد الأسبقيات، وذلك راجع ربما إلى افتقادها (أي الإسلامية) للرؤية الصحيحة لمشاكل المسلمين، ولعدم معرفتها بما تريد عمله في أحيان، ومن ثمَّ فقد أضاعت الكثير من الجهد والمال في المنافسة مع بعضها البعض منافسة تؤدي إلى تكرار الجهود. وكثيراً ماتركز تلك المنظمات أنشطتها في مكان واحد ، وفي أعمال لاداعي لها، كبناء المساجد الفخمة المكلفة، في حين أن الحاجة ماسة إلى مساجد بسيطة وكثيرة، وقليلة التكاليف. ويتهمها البعض بأنها توزع أحياناً الغذاء والكساء لغير الجوعى والمحتاجين، وبأنها لاتحسن استغلال الكوادر والإمكانات المحلية بالطريقة الصحيحة، ولا تكلف نفسها عناء تدريب الدعاة المحليين التدريب الصحيح الذي يمكنهم من أداء مهمتهم الأداء المطلوب، وإنها لاتقوم بإجراء الدراسات العلمية المناسبة لأحوال البلاد وأهلها المسلمين وغير المسلمين قبل إرسال دعاتها إليهم ، والشروع في تنفيذات مشروعاتها في بلادهم، وهو أمر تفعله المنظمات والمؤسسات التنصيرية وتقوم به على أحسن وجه، وذلك تحديداً لعملها ، وتحقيقاً لأهدافها. وعلى المنظمات الإسلامية مجاراتها في ذلك بتدريب دعاتها التدريب المطلوب، وتحديد وسائل عملها وأسبقياتها، كما أن عليها بث روح العمل الذاتي في أوساط المسلمين، وإقناعهم بالاعتماد على أنفسهم بدلاً من الاعتماد على المساعدات الخارجية، وذلك بإنشاء مشروعات منتجة تستطيع الإنفاق على نفسها وعلى برامجها، وعليها إنشاء المراكز الإسلامية للاعتناء بالمسلمين الجدد، وتعليمهم أمور دينهم، حتى لايرتدوا عنه ثانية بفضل إغراءات المؤسسات التنصيرية وبرامجها الترغيبية النشطة في أوساط الطبقات الفقيرة من أبناء المسلمين، أو الجماعات المتضررة من المجاعات والكوارث الطبيعية، وعلى المنظمات الإسلامية أيضاً توطيد علاقات أولئك المسلمين بالعالم الإسلامي، بإقامة المؤتمرات الإسلامية في بلادهم، وإشراكهم في شتى مجالات النشاطات الإسلامية، من مؤتمرات وحلقات دراسة،

وورش عمل . . . الخ، ثم بتوفير فرص البعثات الخارجية لـلطلاب المسلمين ليس لدراسة العلوم الإسلامية فقط ، كما هو الحال الآن ، بل أيضاً لدراسة العلوم المدنية كالطب والهندسة . . . الخ ، وذلك سداً للفجوة التعليمية التي تفصل المسلمين عن غيرهم، وإعداداً للكوادر الإسلامية المؤهلة التي تستطيع قيادة أمتها والمساهمة الفاعلة في شؤون المجتـمعات التي تعيـش فيها، فهم قادة المـستقبل وجانب مـهم آخر هو ضرورة الاعتناء بـأمر المرأة المسلمة في أفريقـيا، بانتشالها مـن الجهل والمرض، فإن غيابـها عن المجتمع يـقعد بذلك المجتـمع، بخاصة وأن نظيـراتها النصرانـيات جد نشطات في المجالات الاجتماعية والصحية والثـقافية. كذلك على المنظمات التركيز على الأفارقة أنفسهم في بث الدعوة في مجتمعاتهم لمعرفتهم بها ، وضرورة التركيز على الخدمات الاجتـماعية والتربوية والثقـافية والصحية عن طريق المسـاجد المتعددة الأغراض الـتي تصل العـبادة بمصـالح الناس ، وعليـها الاهتـمام بتـوفير الكـتاب الإسلامي، وتـرجمة المادة الإسلامـية إلى اللغـات المحلية، وتيسـير توزيعهـا على المسلمين ، كإعطائها للفقراء مجاناً، أو بأسـعار رمزية لغيرهم من القادرين، وعليها إنشاء المكتبات الإسلامـية العامة التي يرتادها الجميع ، ثم المراكز الثـقافية الإسلامية التي تساعد على ربط المسلمين وبث الوعي والمعرفة الإسلامية بينهم ، وعليها أخيراً جمع المعلومات والإحصاءات الدقيقة عن المسلمين وعن أحوالهم ، حتى تكون عوناً لها على وضع خططهـا وبرامجها على أساس علمي صحيح ، وحـتى تكون معيناً للباحثين والدارسين لأحوال أولئك المسلمـين، وعليـها الاهتمام بنشر أخبار المسلمين في صحـف بلادها وعبر وسـائل إعلامـها حتى تغـطي على التـعتيم الإعـلامـي والتشويه لصورة المسلمين الذين يعانون منهم. (Kiyimbi , 1990 , P. 84) .

وليس عمل تلك المنظمـات كله سلبياً ، فإن مجرد مجيئـها إلى بلدان الأقليات المسلمة، واهتمامهـا بأمر المسلمون هناك، ومحاولة رعاية مصالحـهم ، يعد انفتاحاً منها على تلك الأقليات، وإيجاداً لصلة مهمة، سيكون لها الأثر العظيم في المستقبل

بينهم وبين إخوانهم في العالم الإسلامي، وإشعارهم بأن هناك من يهتم بهم، ويشعر بمشكلاتهم ويعمل على حلها لهم، من منطلق الأخوة الإسلامية، الأمر الذي عزز من ثقتهم بأنفسهم، وأعطاهم حافزاً للعمل من أجل تحسين أحوالهم ورعاية مصالحهم، خاصة وأنهم يرون الدعم الخارجي الذي يحظى به النصارى من المنظمات والبعثات التنصيرية الأوروبية والأمريكية. ولا ينكر أحد الدور الذي قامت به المنظمات الإسلامية العالمية في مجال التعليم، من بناء للمدارس، ومساهمة في إتمام بعضها، ومن دفع لمصروفات بعض الطلاب الأيتام والفقراء المتفوقين ، ومن مساعدة بعض الطلاب المبتعثين لدراسات عليا في الخارج ، بإيجاد الأماكن المناسبة لهم في الجامعات الإسلامية، كما أن للمنظمات مساهمات في المجال الصحي والاجتماعي أيضاً، فقد أقامت وساعدت في إنشاء العيادات والمراكز الصحية، كما أن بعضها ساهم في إنشاء مراكز لأعمال السكرتارية ، وتعليم الحياكة للبنات المسلمات، واهتمت ببناء المساجد، وهو أمر تشهد به المساجد الكثيرة المنتشرة في أنحاء عدة من بلدان الأقليات المسلمة، ثم هناك جهودها في تخفيف مشكلة المياه والعطش بحفرها للآبار في مناطق معينة حيث استفاد منها المسلمون وغير المسلمين، مما أعطى انطباعاً طيباً عن الإسلام لدى السكان. وقد اهتمت بعض المنظمات مثل (الندوة العالمة للشباب الإسلامي) ومقرها مدينة الرياض بالسعودية برعاية الشباب والمنظمات الشبابية الإسلامية، فقامت بمجهودات مقدرة في مجال تنظيم حلقات النقاش الإسلامية ، وإقامة المعسكرات لتجنيد إمكانات الشباب، واتحادات وروابط الطلاب المسلمين ، لصالح الإسلام وأمته في بلادهم الأفريقية. وتكفي في مجال التعليم الإشارة إلى جهود منظمة المؤتمر الإسلامي، وإلى إنشائها للجامعة الإسلامية في مدينة (امبالي) بأوغندا ، إدراكاً منها لضرورة سد الفجوة التعليمية التي تفصل المسلمين عن النصارى ، وخدمةً وتطويراً للتعليم في أوغندا، وكان من المفروض أن تكون هناك جامعة إسلامية أخرى في غربي أفريقيا، للبلاد الناطقة باللغة الفرنسية، ولكن حالت ظروف دون قيامها .

ويبقى القول أنه لابد للمنظمات الإسلامية العالمية ، ونظيراتها المحلية من عمل شامل مدروس ، ومن رسم استراتيجية شاملة لمواجهة التحديات التي تواجه المسلمين في أفريقيا - كثرتهم وقلتهم - عن طريق عمل جماعي مشترك في شكل مراكز ومعاهد ومجالس للتوثيق والتنسيق ورسم الاستراتيجيات (قاسم ، ١٩٩٠م، ص ٣٣) .

• • • • • •

ثانياً : المشكلات والتحديات المعاصرة والمستقبلية :

لقد تعرضنا في الأجزاء السابقة من هذه الدراسة إلى عدد من المشكلات التي تواجه الأقليات المسلمة في أفريقيا، مثل التخلف التعليمي والثقافي، والذي تسبب عنه تخلفهم في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعدم مشاركتهم في تلك المجالات بالصفة التي تناسب أعدادهم وثقلهم الاجتماعي، وتحدثنا عن كونهم جماعة مهمشة تعيش على أطراف مجتمعاتها دون مشاركة فاعلة منهم في تسيير أمور ذلك المجتمع، وأرجعنا كل ذلك إلى أسبابه، ثم تحدثنا عن مايهدد تلك الجماعات من جراء السياسات الاستعمارية والتي ورثتها الحكومات الوطنية، وعملت بمعظمها فيما يخص المسلمين، من ضياع هويتهم الإسلامية، ومحاولة إذابتها في البيئة المحيطة بها، وقلنا إن هذا هو التحدي الأكبر الذي يواجه المسلمين في تلك البلاد، إلى جانب مخاطر أخرى تتهددهم مثل : تهتك النسيج الاجتماعي، والغياب الإعلامي في مواجهة طغيان أجهزة الإعلام المعادية لهم، وأشرنا إلى إحدى مشاكل تلك الأقليات والتي مازالت تقعد بهم وعن النهوض بمجتمعاتهم المسلمة، وعن محاولة تبوء المكان اللائق بهم في مجتمعاتهم الكبرى التي يعيشون فيها، تلك هي مشكلة الانقسام الداخلي الذي تعاني منه تلك الأقليات - انقسامات طائفية - . فهناك فئات هدامة خارجة عن الإسلام مثل : القاديانية والبهائية والإسماعيلية إلى جانب طوائف علمانية أخرى مثل : الماسونية والشيوعية وغيرهما تعمل في داخل كيان الأقليات، فتفرقها، وتضعف من أمرها، وكذلك هناك خلافات حول قيادات تلك الأقليات، هي الأهم في تفتيت إمكانات تلك الجماعات، وخلافات حول أمور إسلامية هامشية، تنم عن جهل بالإسلام ومبادئه.

وهناك من يرد معظم هذه المشكلات والتحديات إلى سياسات الإدارات الاستعمارية التي تتحكم في مصير القارة الأفريقية حتى وقت قريب، وهي سياسات

كانت ترمي إلى الحد من انتشار الإسلام في القارة، والوقوف في وجهه ووجه أهله، وقد استمرت تلك السياسات ، بصورة أو بأخرى على عهد الحكومات الوطنية، وهي كلها حكومات تربى قادتها في أحضان المدارس التنصيرية، وبين يدي المستعمر، فورثوا عنهم نظرتهم للإسلام والمسلمين ، وهي فوق هذا وذاك حكومات تقول إنها عصرية علمانية لا موضع فيها للدين سواء أكان إسلامياً أم غير إسلامي ، وهو قول مردود، إذ إن علمانيتها لاتتعدى موقفها السلبي من الإسلام وأهله في كثير من الأحيان . . . ومادامت تلك المشكلات وغيرها هي من مخلفات الاستعمار، فهناك من يردها إلى تدبير جهات ثلاث هي: الاستعمار ، والتنصير ، والتيارات الأخرى المعادية للإسلام كالشيوعية والصهيونية والماسونية . . ولعل أهم وأخطر تلك الجهات هي المؤسسات التنصيرية بحسبان أن التيارات المعادية للإسلام لاتمثل خطراً يرقى إلى مستوى خطر التنصير على الإسلام والمسلمين في أفريقيا . فالتنصير هو التحدي الأكبر الذي يواجه أمة الإسلام في أفريقيا، ذلك أنه يهدف إلى محو الوجود الإسلامي في القارة، وإحلال النصرانية محله، مستغلاً في ذلك حالة الفقر التي يعيشها المسلمون، وبخاصة الأقليات منهم، وحالة الجهل بالدين ، وأنه يعمل متخفياً في معظم الأحيان تحت ستار مؤسسات تعليمية وصحية وثقافية وإنسانية ، ذات إمكانات مادية وبشرية هائلة، وأنه يعمل وفق مخطط مدروس ، يقال إنه يرمي إلى تنصير القارة الأفريقية بحلول عام ١٤٢١هـ . وقد بدأ هذا النشاط واضحاً في اهتمام بالبا (يوحنا بولس الثاني) بابا الفاتيكان ، وراعي الكنيسة الكاثوليكية - بحركة التنصير في أفريقيا، ومن خلال زياراته الثلاث للقارة التي قام بها في غضون خمس سنوات فقط .

وقد ارتبط دخول النصرانية إلى أفريقيا بمقدم الاستعمار إلى القارة السمراء، وبخاصة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (التاسع عشر الميلادي)،

إذ جاء الاستعمار بالإرساليات والقساوسة لتمكينه من إخضاع الأفارقة لسلطته السياسية، وقد نجحوا في ذلك إلى الحد الذي جعل السياسيين الأفارقة يقولون إن الاستعمار جاء ومعه الإنجيل، وبعد فترة أعطانا الإنجيل وأخذ منا الأرض . وكانت الاستراتيجية التنصيرية تقوم على دعامتين أولاهما - التركيز على أصحاب الديانات التقليدية والوثنيين وتنصيرهم، وثانيهما: محاربة الإسلام والوقف بشتى السبل في سبيل انتشاره، باعتباره الدين السماوي الوحيد الذي يقف عقبة في طريق مشروعاتهم التنصيرية. وتمثلت حربهم (ومعهم الاستعمار) على الإسلام في عدة أمور منها: محاربتهم للغة العربية بحسبانها لغة القرآن الكريم ، فلم يضمونها مقررات مدارسهم وأهملوا تعليمها تماماً ، بل تطور الأمر إلى أبعد من ذلك حينما قامت السلطات الاستعمارية بتغيير الحرف العربي الذي كانت تكتب به بعض اللغات الأفريقية، كالسواحيلية ، والفولانية ولغة الهوسا ، إلى الحرف اللاتيني ، قطعاً للصلة بين أولئك الأفارقة المسلمين وإرثهم الإسلامي ، من قرآن وحديث وتراث. كما قامت الإدارة الاستعمارية عن طريق وسائلها التعليمية ، وقام المنصرون أيضاً في مدارسهم وكنائسهم ببث كراهية العرب في نفوس الأفريقيين ، باعتبارهم تجاراً للرقيق، ثم بما أدخلته من شوائب على الكتب الإسلامية المترجمة ، أو الطبعات المزيفة للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، أو الدس الرخيص في المقررات المدرسية من تهم وافتراءات ضد المسلمين (مثلما حدث في مدارس الكونغو الديمقراطية). ولقد ورثت الحكومات الوطنية هذه النظرة المتحيزة ضد الإسلام ، فأصبحت سياستها المنبثقة عن «فلسفة الدولة النصرانية العلمانية » تسير على خط السياسات النصرانية المعادية للإسلام وأهله، فأصبحت النصرانية في نظرهم دليل الإخلاص والوطنية ، في حين ظل الشك وعدم الثقة في كل من يحمل اسماً مسلماً أمراً شائعاً في الأوساط الرسمية بين موظفي الدولة، كما ظلت المشروعات المقدمة من جهات نصرانية تحظى بدعم الدولة وسندها في الوقت الذي

نجد فيه المشروعات الإسلامية تواجه عقبات الروتين الحكومي، وتحيزات الموظفين ، وقد ينظر إليها على أنها مشروعات آتية من خارج البلاد، ومن جهات تريد إثارة الفتن والنعرات الدينية، وتريد زعزعة الأمن والاستقرار الداخلي، وترمي إلى هدم كيان الدولة العلماني، ومن ثمَّ فهي لاتجد إلا الرفض وعدم القبول (Wandeti , 1993 , P.P. 9 - 10) .

ومن وسائل التنصير الفاعلة، إلى جانب العمل الدعائي والأكاديمي المغرض، العمل الإنمائي والاجتماعي والإغاثي في مناطق المسلمين التي تتعرض للكوارث الطبيعية، كالجفاف والأوبئة والمجاعات والحروب، استجلاباً لقلوب المسلمين ولتعاطفهم، كخطوة أولى نحو تنصيرهم يساعدهم في ذلك غياب العمل الإسلامي الخيري، أو عدم استجابته السريعة لحاجات المسلمين المتضررين من تلك الكوارث، ومن ثم فإن منظمات الإغاثة العالمية ، مثل منظمة الصليب الأحمر وماشاكلها، تلعب دوراً في عملية التنصير، بخاصة في مناطق المسلمين الفقيرة والمتضررة، وكذلك منظمة أطباء بلا حدود، والتي تبدو منظمة إنسانية بحتة ، ولكنها هي الأخرى منظمة تنصيرية نشطة (أبو بكر ، ١٤٠٥هـ ، ص ٢٥٩) . وفي غياب الدعوة الإسلامية في كثير من المناطق المعرضة لخطر التنصير ، ولعدم فاعليتها في أحيان ، يتهيأ الجو للمنصرين للتغلغل في أواسط الجماعات الإسلامية الفقيرة . فالدعاة المسلمون قليلون، وغير مفرغين ، وفي كثير من الأحيان لا رواتب لهم ، وينقصهم التأهيل بسبب ضعف التعليم الإسلامي، كما أن إمكانات الدعوة المادية محدودة، والحكومات الأفريقية رغم كونها حكومات علمانية ، إلا أنها تؤيد جهود المنصرين بطرق غير مباشرة (أبو زيد ، ١٤١٠هـ ، ص ص ٩٣ - ٩٦) .

وما لم توجد دعوة إسلامية فاعلة في بلاد الأقليات المسلمة في أفريقيا ، فإن خطر التنصير يهدد تلك الجماعات ، وينذر بشر مستطير ، إذا ما تمكن من تحويل

المسلمين عـن دينهم . ولابد لأي دعوة ناجـحة من العمل على تحـديد احتياجـاتها وأسبقـياتها ، وبرامـجها ووسائل عـملها بموجب خطة عـلمية مدروسـة تأخذ في الاعتبـار أعداد واحتياجات المسـلمين ، وأماكن تواجدهم ومـشكلاتهم . . . إلخ. ولابد أيضاً من تنـسيق العمل بين المنظمـات الدعوية المختلفة. ومـن تدريب الدعاة على أمور الدعوة التدريب المناسب ، حتى يكونوا نداً لرصفائهم المنصرين المدربين، ولابد مـن جمع المـعلومـات الخاصـة بالدعـوة والدعـاة وتحديـد المشكلات الـتي يواجهونها، وتحليل تلك المعلومات من أجل الوصول إلى نتائج موضوعية تسهم في دفع عجلة الدعـوة إلى الأمام، كما لابد من خلـق جهاز مركزي يقوم عـلى تنظيم الجهود الدعوية والإشراف عـليها، ويهتم بنشر المعلومات الصـحيحة عن الإسلام ، ويراجع مايكتب عنه في المقررات المدرسية من تحريض وتشهير ، ولابد من الاهتمام بالجانب الإعلامـي، فهو وسيلة الاتصال الحـديثة الفاعلة والمؤثرة فـي عالم اليوم، فالتـركيز على وسـائل الإعلام المقروءة والمسـموعة والمرئيـة أمر لازم لمقابلـة نشاط المنصرين، ولتفعيل الدعوة الإسلامية، وبث روح الحياة فيها من جديد. وأخيراً لابد من توفـير الموارد المـادية اللازمة لـلدعوة ، فذلـك أمر ضروري لـلعمل الـدعوي الفاعل.

ولإلقاء المزيد من الأضواء علـى أوضاع الأقليات المسلمة في أفريقيـا فسيتم في الصفـحات التالـية التطرق بالـتفصيـل لأربع نماذج قطرية هي : كـينيا ، الكـونغو الديمقراطية ، غانا ، وجنوب أفريقيا .

• • • • • •

الأقلية المسلمة في كينيا

العقبة الكبرى التي تواجه كل دارس لأحـوال المسلمين في كينيا هي قلة المصادر والدراسات المنشـورة ، فليس هناك من شواهد مـثبتة منشورة عن أحـوال المسلمين الاجتمـاعية أو الاقتصـادية أو الثقافـية أو السياسـية في كينيا ، إلا بـعض المقالات المنشورة باللغة الإنجليزية والمبعثرة هنا وهناك ، والدراسات التي قدمت لحلقة النقاش الوطني عن الإسلام في كينيا Islam in Kenya والتي انعقدت في مدينة ممباسا في شوال ١٤١٤هـ (أبـريل ١٩٩٤م) ، والتي نشـرت أجزاء من بحـوثها في كـتاب الإسلام في كينيا تحقيق الدكتورين محمد باكاري ، وسعد يحيى يضاف إلى ذلك أن المصادر والكتب العربية التي تتحدث عن مسلـمي كينيا جد قليلة لأسباب كثيرة، أهمها قلة اهتمام الباحثين العرب بتـاريخ الإسلام في شرقي أفريقيا ، بسبب الصلة المحدودة بين العالم العربي الإسلامي وتلك المنطقة ، والعزلة التي فرضها الاستعمار عليها.

خلفية جغرافية :

كينيا جمهورية مستقلة ، عاصـمتها نايروبي ، استقلت عام ١٩٦٣م بعد حكم بريطاني دام سبعين عاماً ، وتبلغ مساحـتها ٣٦٧ر٥٨٠ كيلو متر مربع ، وتقع على جانبي خط الاستواء بين دائرتي العرض ٤ درجة مئوية شمالاً وجنوباً ، وبين خطي الطول ٣٤ درجة مئوية شـرقاً ، و ٤١ درجة مئوية غرباً ، ويحدها شـرقاً الصومال والمحيط الهـندي ، وجنوباً تنزانيـا ، وغرباً أوغندا ، وبحـيرة فيكتوريـا ، وشمالاً أثيوبيا والـسودان، وتتبعها بعـض الجزر في المحيط الهندي ، وأهمهـا جزيرة باتا ، ويجري فيها عدد قليل من الأنهار ، من أهمها تانا ، وجلانا ، ونزويا ، وجوري، وبها عدد من البحيرات، مثل بحيرة تركانا ، وبـحيرة فيكتوريا (مشتركة بينها وبين جيرانها)، كما تكثر في كينيا الأودية التي تسيل في وقت هطول الأمطار .

أرضهـا عبارة عن سهـل ساحلي ضيـق ، يمتد بامتـداد الساحل ويتسع بعض الشيء في الشمال الشـرقي من الساحل، بينما مناطقها الواسـعة الأخرى عبارة عن هضبة مرتفعة تتمركز فيها الجبال في الغرب الأوسط، وأعلى قممها جبل كينيا الذي يرتفع إلى ٥١٩٦ متراً فوق سـطح البحر. يبدأ ارتفاع الهضبة مـن جهة البحر، من الحزام الساحلي إلى منطقة حشائش السافنا، والمناطق المرتفعة ذات الأمطار الغزيرة، ثم هناك منطقة الأخـدود الأفريقي والذي يمتد من شمالي البلاد إلى جـنوبيها حيث يبلغ عـمقه مابين ٦١٠ – ٩٤٠ متـراً تحت سطح البحـر، وتبرز منه حافات عـالية يصل ارتفاعـها أحياناً إلى ٣٠٠ متر فـوق سطح البحر. أما السهـل المنبسط والذي يتكوّن منه الإقليـم الشمالي الشرقي، فذو طبـيعة شبه صحراوية في شـرقه ، وفيه أراضٍ وعرة، وأخرى منبسطة خاصة في جزئه الواقع غربي بحيرة تركانا (Europa , 1995) .

المنـــاخ :

على الرغم مـن وقوع كينيـا على خط الاستواء ، إلا أن المـناخ والنبات فيـها بعيدان كل البعد عـن صفات مناخ ونبات المنطقة الاستوائية ، هذا فـيما عدا السهل الساحلي المنخفض الذي تظهر عليه بعض السـمات الاستوائية ، أما المناطق المرتفعة فتتمتع بمناخ معتدل ، وهطول معتدل للأمطار ، والتي تكثر في الساحل وفي غربي البلاد بالقرب من بحيرة فيكتوريا . أما السهول المنخفضة الواسعة والتي تكون على انخفـاض ١٢٠٠ متر تحت سطح البـحر فمناطق قـاحلة ، أو شبه قـاحلة. والجزء الأكبر من كينيا منطقة صحراوية، أما إقليم بحيرة فيكتوريا ومنطقة المرتفعات الواقعة غرب الوادي الأخدوي فتتميز بموسم أمطار طويل .

الاقتصـــاد :

تعتمد كينيـا على السياحة ، وعلى البن والشاي كمصادر لـلنقد الأجنبي، كما

أنها تنتج الـذرة بأنواعها ، والدخن ، والأرز والموز ، ومختـلف أنواع المحصولات الزراعية التي تختلف باختلاف التـضاريس وكمية الأمطار، حيث تزرع المحصولات النقدية فـي المرتفعات ذات المناخ المعـتدل والمطر الوفيـر . ولكينيا ثروة حيـوانية ، وغابية هائلة، ولها ثروةٌ سمكية أيضاً ، بخاصة حول بحيرة فيكتوريا وتركانا ، وبها العديد من المعـادن مثل الملح والجير والذهـب ، ولكن ثروتها المعدنيـة تشكل قدراً ضئيلاً من دخلها الوطني (Salim , 1978 , P. 885) .

السكـــان :

حسب النتائج الأولية لإحصاء عـام ١٩٨٩م فسكان كينيا كانوا ٢١ر٤٤٣ر٦٣٦ مليون نـسمة ولكنهم فـي نهاية التسـعينات الميلاديـة يقدرون بأكثر مـن ٢٣ مليون نسمـة، وهم يتزايدون بـنسب عاليـة ، تبلغ ٣ر٦٪ . والسكان مركّـزون في ثلث مساحة البلاد، بخاصـة الزراعية منها، وحوالي ١٥٪ يعيشون في المراكز الحضرية، مثل نـايروبي (١ر٣٤٦ر٠٠٠ نسمـة)، وممباسـا (٤٦٥ر٠٠٠ نسمة) ، وتـعيش معظم الجاليات الأجنبية في المدن، وهم :

١ - آسيويون ، ويبلغ عددهم ٨٩ر١٨٥ نسمة .

٢ - أوروبيون ، وتعدادهـم حوالي ١٣٤ر٥٦٠ نسمة .

٣ - عرب ، وهم حوالي ٤١ر٥٩٥ نسمة - حسب إحصاء عام ١٩٨٩م .

ويبلغ سكان البلاد الأصليون (الأفريقيون) حوالي ٨٩٪ من مجموع السكان، وينتمـون إلى حوالي ٤٢ قبيلة مـختلفة - أهمها قـبيلة « الكيكويو » وقـبيلة «لوو» وقبيلة « الكمبا » و « الجالا » في أقصى الشـمال . ثم « الصوماليون » في الشمال الشرقي ، و « الهاساي » في أقصى الجنوب . وهذه الـثلاثة الأخيرة قبائل رعوية. ويسكن العـرب والسواحيليون المناطـق الساحلية، في حين يسكـن الهنود في المدن

الكبرى والعاصمة. واللغة السواحيلية هي لغة البلاد الوطنية في حين أن اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية (Eunopa , 1995 , P. 485) .

النظام السياسي في كينيا جمهوري دستوري. يتولى السلطة التشريعية مجلس النواب والتنفيذية رئيس الجمهورية والوزراء، ولرئيس الجمهورية سلطات واسعة. وتنقسم كينيا إلى ثمانية أقاليم إدارية، بما فيها إقليم نايروبي ، هي : إقليم الساحل، الإقليم الشرقي، والإقليم الشمالي الشرقي (سكانه صوماليون)، والإقليم الأوسط، وإقليم مدينة نايروبي ، إقليم الريفت فالي (وادي الأخدود)، والإقليم الغربي وإقليم نيانزا .

والحكومة تعتمد على الزراعة كعصب لاقتصادها ، كما أن بكينيا عدة صناعات، تجعلها من أكثر بلاد شرقي أفريقيا تعدداً في المجال الصناعي، مثل صناعة مستخرجات البترول الخام المستورد، وصناعة حفظ المنتجات الزراعية وصناعة تجميع السيارات. . . إلخ .

حوالي ٤٨٪ من السكان وثنيون ، و ١٦٪ نصارى بأنواعهم المختلفة، وحوالي ٣٥ - ٣٧٪ مسلمون ، ولكن الحكومة تقول إن المسلمين ٢٥٪ فقط، وغالبية المسلمين يسكنون ممباسا والساحل ، وهو يعودون في الأصل إلى عرب، وآسيويين (عنود وباكستانيين) وصوماليين ووطنيين (أفارقة) . وهناك ٢٪ يهود وديانات أخرى .

تاريخ الإسلام في كينيا :

الإسلام أقدم دين « وافد » وصل إلى كينيا ، وأنه يأتي من ناحية القِدَم في الدرجة الثانية بعد الديانات الأفريقية التقليدية ، وإن مجيئه إلى كينيا ربما يرجع إلى القرن الثاني الهجري (بداية الثامن الميلادي) ، وأنه جاء من ساحل شرقي أفريقيا، وعن طريق التجار العرب والسواحيلين الذين جاءوا من الساحل إلى منطقة الداخل

تجاراً ولم يأتوهـا مبشرين ، ومن ثمَّ كان الإسـلام في كينيا محـصوراً في أوله في المراكز التجارية الحضرية وذا سمات حضرية ، وكان انتشاره إلى داخل أراضي كينيا انتـشاراً تدريجـياً، سـاعده على ذلك تحـسن طرق المواصـلات على عـهد الإدارة الاستعمارية، واستتباب الأمن، مما مكَّن التجار من التوغل إلى داخل البلاد حاملين وناشرين معهم دينهم.

وتميز دخول الإسلام إلى كينيا بأنه كان سلمياً، لم تشوبه حروب بين المهاجرين والسكان الأصليين، وإنما تم التواصل بين المجموعتين في هدوء وسلام. وكان نتيجة هذا التمازج ظـهور اللغة والحضارة السواحـيلية والتي هي مزيج بين لـغة وحضارة الوافدين الجدد، ولغة وحضارة سكان البلاد البانتويين.

ولأن الإسلام ظاهرة حضرية فقد تمركز مـعظم أهله في الساحل ومدنه، حيث يصل عـدد المسلمـين العرب والسـواحيلـيين هناك إلى حـوالي ٦٢٪ من مجـموع السكان. وتبلغ نسبة المسلمين في شـمال شرقي كينيا ما يقرب من ١٠٠٪ أما بقية المسلمين الكينيين فمفرقون في جماعات وأقلـيات صغيرة مفرقة في النواحي الريفية والحضـرية من البـلاد، وقد كان لتـشتتـهم أثر سلـبي على أحوالـهم الاقتصـادية والسياسية، وجعلهم أقليـات تعاني من ضياع حقوقها ، تعيش على هامش المجتمع الذي تعيش في وسطه. (Bakari , 1995 , P. 76) . ولم يكن انتشار الإسلام في كيـنيا وقفـاً على التـجار العرب والـسواحيلـيين ، وإنما أيضاً عـلى زحف القبـائل الصومالية المسلمة الزاحفة من الشرق عـبر المناطق الصحراوية طلباً للماء والعشب . وحاملة مـعها إسلامهـا إلى قبائل الجالا في إقـليم « التانا » ، منذ القـرن السادس الهـجري (الـثاني عـشر المـيلادي)، وإلـى ماجـاورها من قـبائل ال « رنـديل » Rendille.، و « الدوران » حـيث تصـل نسبـة المسـلمين اليـوم في أواسط تـلك المجموعات القبلية إلى حوالي ٩٠٪ .

كما أن بناء خط حديد كينيا - أوغندا في بداية العهد الاستعماري ساعد على انتشار الإسلام إلى داخل الأراضي الكينية، وإلى ظهور العنصر الآسيوي كعنصر من عناصر الأقلية المسلمة في كينيا. والواقع أن جل المسلمين الآسيويين الذين جاءوا إلى كينيا مع الخط الحديدي، عرفوا بعيشهم بعيداً عن المجتمع الكيني الذي جاءوا مهاجرين إليه، كما عرفوا بحسن تنظيمهم واهتمامهم بشؤونهم التعليمية والخدمية. ولأنهم عاشوا في عزلة ، فقد كان أثرهم في المجتمع طفيفاً، إلا في النواحي الاقتصادية التي بزوا فيها غيرهم.

وعلى الرغم من هذا التباين العرقي والمذهبي والثقافي في أمة الإسلام في كينيا إلا أنها في رأي كثير من الباحثين المسلمين ظلت أمة مترابطة يجمعها رابط الإسلام، وأخوته، وأنها أمة ذات هوية إسلامية واضحة، في حين يرى آخرون أنها ظلت على قدر من ولائها القبلي والعرقي. وسواء كان هذا أو ذاك، فالمسلمون في كينيا كيان قائم بذاته له خصائصه وسماته ومشاكله وتحدياته (Said,1995,P.P.19-20) .

يصعب تحديد تاريخ بعينه لدخول الإسلام إلى كينيا ، وترجع بعض الروايات وصول المسلمين الأوائل إلى الساحل الكيني إلى القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ، وبعضها ترجعه إلى القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . وتتفق المصادر على قدم العلاقات بين سكان ساحل شرقي أفريقيا والتجار القادمين من جنوب غربي شبه الجزيرة العربية ، وإن تلك العلاقات قويت وزادت منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كما زادت وضوحاً على عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، ثم على عهد الخلافة العباسية ، وأنه نتج عنها قيام عدة مدن تجارية ذوات كيان سياسي مستقل (تسميها المصادر « دول مدن » City States) وكانت مواقعها على الساحل وسكانها خليط من العرب والأفريقيين

والشيرازيين (الفرس) والصوماليين وغيرهم ، وقد سمتهم المصادر العربية « سواحيليين » نسبة إلى السواحل التي تمركزوا فيها وعلى يد أولئك السواحيليين والعرب انتشر الإسلام من الساحل إلى داخل كينيا كما أسلفنا، بل وإلى دول شرقي أفريقيا مثل: تنزانيا، وأوغندا، والكونغو (بشقيه) ورواندا وبورندي، وإفريقيا الوسطى.

والرأي السائد اليوم بين الكتاب المسلمين ، من كينيين وغيرهم، هو أن الإسلام دخل كينيا واستوطنها على عهد الخليفة عبدالملك بن مروان ، أي في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، وأن أول مستوطنة إسلامية كانت في مدينة «باتي» في أرخبيل لامو في حوالي عام ٨١هـ(٧٠٠م) ، وأن مؤسسيها كانوا مجموعة من المسلمين المناوئين للخلافة الأموية، وأن وصول الإسلام إلى كينيا مرتبط بنشاط التجار العرب والسواحيليين كما هو مرتبط بوصول جماعات عربية وفارسية هاجرت إلى شرقي أفريقيا أولاً ومنها إلى السواحل الكينية ، طلباً للأمن ، وفراراً من يد خلفاء بني أمية بعد أن اشتدت خلافاتهم معهم ، ومن أولئك جماعة من مسلمي الشام، وجماعة من أهل عُمان ، منهم سليمان وسعيد ابنا عباد الجلندي (من أزد عمان)، وكانوا على خلاف مع الخليفة عبدالملك بن مروان ، هاجروا على أثره، واستقروا في الساحل الكيني حيث أقاموا إمارة إسلامية لهم في لامو (شمال ممباسا). وتوالت الهجرات إلى ساحل شرقي أفريقيا ، والذي أطلق عليه العرب اسم «بر الزنج » فوصلته في عام ٣٠٨هـ (٩٢٠م) مجموعة من أهل الأحساء واستقرت في مقديشيو وبروا . وشملت تلك الهجرات عرب حضرموت ، وبعضاً من الشيرازيين من فارس، ذكرهم الشيخ محيي الدين الزنزباري في كتابه (السلوى في تاريخ كلوا»، وقال إنهم نزلوا أماكن متفرقة مثل ممباسا ، جزيرة بمبا ، كلوا وجزر القمر ، وانتشر جزء منهم على الساحل حيث أقاموا مستوطنات لهم هناك .

وإلى أولئك الشـيرازيين يرجع الفضل فـي تأسيس أمبراطوريـة الزنج ، ولهم الدور الأعظم في أسلمة ساحل أفريقيا الشرقي ، فتزاوجوا مع السكان الأصليين واختلطوا بهم، حتى أصبحت كلمة«شيرازي» تـطلق على العوائل المنحدرة من أصل فارسي- أفريقي- وقـد كان هـذا الاختـلاط العرقي والثقـافي سمة من سـمات الإمـارات ودول المـدن City States التي أقامها المهاجرون الـعرب والفرس في ساحل شرقي أفريقيا، وفي السـاحل الكيني، نتج عنها انتشار الإسلام فـي تلك الأصقاع وظهور الحـضارة السـواحيـلية. (تـرمنجـهام ، ١٩٧٣م ، ص ص ٥٥-٥٦) ، أيضـاً) . Salim . 1978 , P.886)

أنهى البرتغاليون عندما غزوا ساحل شرقي أفريقيا ، بدوافع صليبية تجارية - في عام ٩٠٣هـ (١٤٩٧م) وجود تلك الإمـارات الإسلامـية ، مسـتغلـين المنافـسة والعداء الذي كان قائماً بينها ، فهاجموا جزيرة زنجبار في عام ٩٠٩هـ (١٥٠٣م) ودمروا كل مظاهر الوجـود الإسلامي هناك ، واحتلوا « كلوا » وأحرقـوا مساجدها الثلاثمائة كلها، وأحرقوا ممباسا وأقامـوا المذابح لأهلها . وباختصار شن البرتغاليون حرباً صليبية على الوجود الإسلامي في شرقي أفـريقيا بعامة ، وفي كينيا بخاصة ، استـمرت لمدة قرنين بغـرض محوه وإحـلال الوجود البرتـغالي النصرانـي مكانه ، وبغرض فرض سيطرتهم على تجارة المحيط الهنـدي . وقد انتهت السيطرة البرتغالية على ساحل شرقي أفريقيا على يد السلـطان اليعربي العُماني ، سيف بن سلطان ، والذي استطاع طردهم من هناك في بداية القرن الثـاني عشر الهجري (نهاية السابع عشر الميلادي)، وكان ذلك بداية للهيمنة الـعُمانية على ذلك الساحل، حيث حول السلطان سيـف بن سلطان، عاصمته مـن عُمان إلى كلوا ، وعندما خلـفت العائلة البوسعيدية السـلاطين اليعاربة على حكم عُمان واصلوا جهـادهم ضد البرتغاليين ، وما أن حل القرن الثالث عشر الهجري (الربع الأخير من الثامن عشر الميلادي) ،

حتى كان كل الساحل الشمالي الشرقـي تحت السيطرة الإسلامية تماماً ، الأمر الذي جعل السلـطان «سعيد بن سلـطان» يحوّل عاصمتـه من مسقط إلى زنجبار في عام ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) ليباشـر حكمه على الساحل وماجـاوره من هناك . وقد تبع الازدهار التجـاري الذي شهدته الفـترة العُمانيـة انتشار للإسلام فـي أراضي شرقي أفريقيا الداخلية ، بما فـيها كينيا، بفضل الهجرات العربية الـقادمة من عُمان وحضر موت والهند، وبفـضل نشاط أولئك التجار ، وإنـشائهم لمراكز ومستـوطنات تجارية كانت هي مراكز إشـعاع إسلامي. وما أن حل الربع الأخير من القـرن الثالث عشر الهجري (التـاسع عشر الميلادي)، حتى كانت كـل منطقـة شرقي أفريقـيا منطقة نفوذ إسلامي ، قاعدتها في زنجبار،وقوامها التجارة (Salim , 1978 , P. 888) .

بقي الإسـلام قبل مجئ الاسـتعمـار إلى كينيـا في عام ١٨٩٥م محـصوراً في الشريط الساحـلي الكيني ، والأماكن الداخلية المجاورة ، لـذلك الساحل ، ولكن رغم المعارضة التي لقيها من الإدارة الاستعمـارية ومن الهيئات التنصيرية ، فقد زاد انتشاره في مناطق الداخل بسبب تحسـن طرق المواصلات ، وإنشاء خط حديد كينيا - أوغندا، وبسـبب الأمن الذي استتـب ومكن للتجـار المسلمين من ارتيـاد المناطق الداخلية التي لم يتمكنوا من الوصول إليها من قبل ، ثم بسبب التفكك الاجتماعي الذي أحدثته السياسات الاستعمارية في مـجتمع كينيا القبلي ، والذي جذب الناس إلى الإسلام، وأخيراً بسـبب استعانة تلك الإدارة بالمسلمـين كموظفين ، ووكلاء ، وشرطة، وجنود، ومدرسين ومـترجمين، وجباة للضرائب، وذلك بفضـل معرفتهم للكتابة، ولكونهم أكثر تحضراً ومعرفة من الأهالي الوثنيين الخام . ولكن سرعان ما انقلبت تلـك الإدارة على المسلمين، بتحـريض من الهيئـات التنصيرية الحـانقة على انتشار الإسلام ، فعملت على إقصائـهم من الوظائف ، بتأهيل الوثنيين والنصارى ليحلوا مكانهم في الإدارة. وهكذا بدأ نفوذ المسلمين السياسي في التراجع ، وبدأت

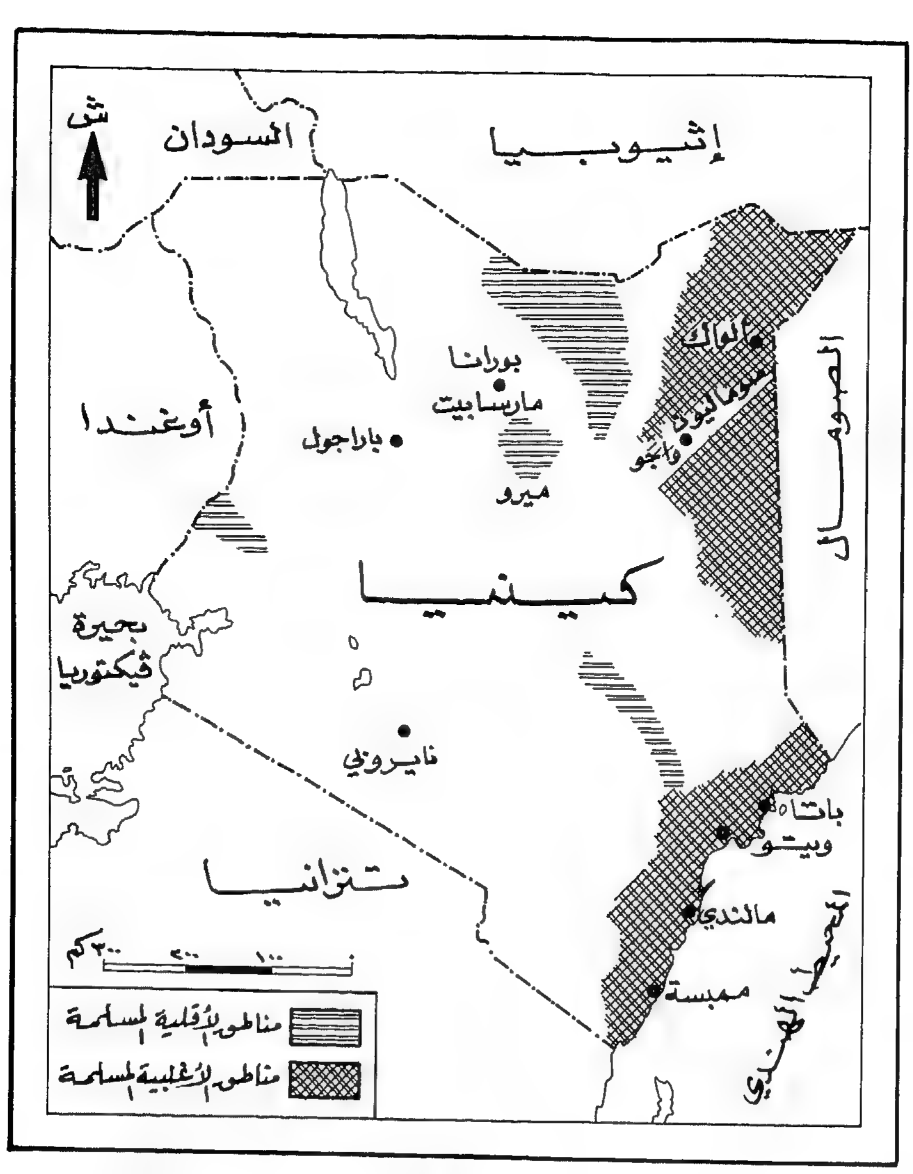
معه عملية تهميش المسلمين سياسياً، ثم إهمالهم تعليمياً ، ثم جعلهم في النهاية قوة تعيش على حافة المجتمع، وتعاني من غمط حقوقها كافة ، السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية. وقد استمرت هذه السياسة بدرجات متفاوتة على عهد الحكومات الوطنية إلى يومنا هذا (Salim . 1979 , P.P. 61-62) .

كانت حصيلة العهد الاستعماري في كينيا ، تخلف المسلمين تعليمياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، وتلك هي المشاكل الأساسية التي يعاني منها المسلمون الكينيون اليوم. وقبل التعرض إلى تلك المشاكل لابد من إلقاء نظرة على أعداد أولئك المسلمين، وتوزيعهم المجالي، وجنسياتهم، ثم على نشاطاتهم السياسية والاقتصادية. . . إلخ .

التوزيع المجالي للمسلمين وجنسياتهم (شكل رقم ١) :

المصادر تختلف في تقدير أعداد الأقلية المسلمة في كينيا ، ونسبها المؤية، فمن يقول إنهم ٢٥٪ من مجمل السكان ، و ٣٠٪ أو حتى ٤٠ - ٤٥٪ ، والراجح أنهم بين ٢٥-٣٠٪ (Wandati , 1993 , P.P. 2 - 3) .

وتقول آخر إحصائية سكانية أجريت في كينيا في عام ١٤٠٨هـ (١٩٨٩م) «إن المسلمين في كينيا يكونون ٥ر٧٥ ملايين مسلم من مجموع السكان الكينيين البالغ عددهم ٢٣ مليون نسمة ، أي نسبة ٢٥٪ ، وإذا ما أضيف إلى ذلك معدل زيادة السكان السنوية فقد تصل نسبتهم إلى ٣٠٪، والمسلمون الكينيون قسمان: الأول: المنحدرون من أسلاف وفدوا إلى شرقي أفريقيا قبل نهاية القرن الثاني عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، والذين اعتنقوا الإسلام في فترات سابقة وعدد هؤلاء ٠٠٠ر٩٦٠ سواحيلي، و ٠٠٠ر٥٤٠ صومالي و ٠٠٠ر٦٠ عربي . أما القسم الثاني من المسلمين: فهم أولئك الذين جاء أسلافهم إلى شرقي أفريقيا بعد عام



شكل (١) توزيع المسلمين في كينيا (١٩٩٦م)

هذه الخريطة ليست مرجعاً للحدود السياسية.

١٨٨٢م، وهم المهاجرون الهنود والذين يبلغ تعدادهم عشرات الآلاف فقط والأفريقيين الذين اعتنقوا الإسلام أثناء تلك الفترة .

ويكّون الأفارقة المسلمون المجموعة الكبرى من مسلمي كينيا، وقد جذبهم إلى الإسلام ما أشرنا إليه سابقاً من سهولة مبادئة وأخوته ومساواته . . . إلخ .

ولاتخلو قبيلة من مسلمين فيها. فالبوران مثلاً كلهم مسلمون تقريباً رغماً عن أنهم كانوا وثنيين قبل قرن من الزمان . وهناك نسب كبيرة من المسلمين في أواسط المجموعات العرقية واللغوية الأخرى مثل الصوماليين ، والسواحيليين والأرومو والبانتو، كما أن هناك نسباً مئوية أقل من المسلمين في أواسط قبائل الفيكويو، مرو، الاكامبابا ، الماساي ، اللو ، والكالنجين .

ويعيش المسلمون السواحيليون في القرى الواقعة على شريط كينيا الساحلي، وفي مدن لامو، وممباسا ومالندي ، وقانجا ، وكليفي ، وهم منحدرون من تزاوج التجار العرب بنساء البانتو. أما المسلمون الصوماليون والذين كانت أعدادهم عند استقلال كينيا حوالي ٤٠٠ر٠٠٠ نسمة، فيسكنون الإقليم الشمالي الشرقي من كينيا، ويحترف حوالي ٦٠ - ٧٠٪ منهم الرعي ، وقلة منهم زُرَّاع ، وأعدادهم الحالية تبلغ حوالي ٥٤٠ر٠٠٠ شخص ، وكان الكثير منهم قد قتل أو لجأ إلى البلاد المجاورة عندما قاموا بثورتهم المعروفة إبان الاستقلال مطالبين بالانضمام إلى جمهورية الصومال، والتي يعتبرونها وطنهم الأم ، ويلجأ بدو الصومال إلى قانونهم العرفي، ولكن الشريعة الإسلامية هي المقدمة على العرف دائماً عندهم .

أما الارومو فيعيشون في المنطقة الواقعة بين شمال شرقي اثيوبيا وأواسط كينيا، وبين حدود الصومال والسودان، كما أن جزءاً منهم يعيش في المناطق الشمالية الوسطى والشمالية من كينيا ، وهي مناطق ذات كثافة سكانية ضئيلة ، وعلى الرغم من أن ممارستهم للشعائر الدينية تختلف قوة وضعفاً من مكان إلى آخر إلا أن لهم

إحساساً قوياً بهويتهم الإسلامية وبانتمائهم للعالم الإسلامي .

والمسلمون البانتو في كينيا يؤلفون حوالي ٣٨٪ من مجموع البانتو في شرقي أفريقيا والبالغ عددهم خمسة ملايين نسمة، وهم مسلمون كان للتجار العرب والسواحيليين دور كبير في اعتناقهم للإسلام. ومعرفتهم بمبادئ الدين ، وتمسكهم بها، قليل نوعاً ما . ومن أهم مجموعاتهم في كينيا ، قبائل الميجيكندا Mijikenda والـ « تيتا » Tita .

أما المسلمون الآسيويون القادمون من جنوبي آسيا، فيكّونون حوالي ١٠٪ من جملة المسلمين في كينيا، وقد اندمجوا في البيئة الأفريقية، ويتحدثون السواحيلية بطلاقة. والمسلمون الآسيويون عامة منعزلون على قلتهم، وهم جماعات مختلفة، ظلت تلعب دوراً اقتصادياً بارزاً في كينيا، ولازالت تلعب ذلك الدور ، فهم تجار ورجال أعمال ، ولهم تنظيمات جيدة، ساعدت على ازدهارهم الاقتصادي، وساعدهم تعاونهم وتعاضدهم الناتج عن شعورهم بأنهم أقلية عزلت نفسها إلى حد كبير عن المجتمع .

الوضع السياسي للمسلمين الكينيين :

على الرغم من أن المسلمين يكّونون أغلبية السكان في ثلاثة أقاليم من أقاليم كينيا الثمانية (هي إقليم الساحل، الإقليم الشرقي، والإقليم الشمالي الشرقي)، إلا أنهم ظلوا من أفقر طبقات المجتمع الكيني ، وأقلها تمثيلاً وتعليماً، وذلك أنهم بعدوا بأنفسهم وأبنائهم عن مدارس الإرساليات التنصيرية، خوفاً على دينهم وهويتهم، على العهد الاستعماري، وإلى حد ما على العهد الوطني ، وأمَّ تلك المدارس أبناء الوثنيين ومن تنصروا، فبرزت طبقة من المتعلمين الكينين النصارى، كانت هي الصفوة السياسية التي آلت إليها أمور الحكم في البلاد عند الاستقلال. واستمرت هذه الفجوة التعليمية بين المسلمين وغير المسلمين، كما استمر تخلف

المسلمين التعليمي، والذي كان سبباً أساسياً في عزلتهم السياسية ، وفي غيابهم عن المشاركة في السلطة السياسية والخدمة المدنية، وعدم فاعليتهم في المجال الاقتصادي، وفي صياغة القرارات المصيرية. وأسباب ذلك سياسية واقتصادية واجتماعية ، منها سيطرة غير المسلمين من النصارى على مقدرات البلاد بعد الاستقلال ، ونظرة هؤلاء المتحيزة ضد المسلمين والتي ورثوها عن الإدارة البريطانية، والتحيز ضدهم في المجالات التعليمية ، وفي مجال منح الجنسية وحق المواطنة ، باعتبار أن المسلمين الكينيين عرباً وليسوا مواطنين كينيين أفريقيين، عليهم إثبات مواطنتهم الكينية ، حتى وإن كانوا هم وآباؤهم مولودين في كينيا . ولم يكن غريباً إذاً أنه لم يعين وزير مسلم في الحكومة الوطنية إلا في عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٣م)، وحتى يومنا هذا لايوجد في الحكومة الكينية إلا وزير مسلم واحد (بدون أعباء) في مكتب رئيس الجمهورية) ، وأربعة نواب وزراء مسلمين، وهذ أمر لايتناسب ووزن المسلمين السكاني والذي تبلغ نسبته ٢٥٪ من مجموع السكان، كما أن للمسلمين أربعة وعشرين نائباً في البرلمان الكيني البالغ عدد نوابه مائة وواحداً وسبعين نائباً، أي حوالي ١٤٪ فقط. وهكذا تبقى أعداد المسلمين في المجالات التنفيذية، والتشريعية والإدارية قليلة ولاتناسب حجمهم السكاني.

ورغم الكثرة العددية فقد ظل المسلمون دون قيادة ، ودون تنظيم أو حزب سياسي يمثلهم، ويدافع عن مصالحهم. وفي غياب ذلك فقد كانت مساهمات المسلمين السياسية في تاريخ كينيا السياسي مساهمات فردية، ومن داخل الأحزاب السياسية العاملة مثل « حزب المنتدى لإعادة الديمقراطية »، « الحزب الديمقراطي » و « حزب اتحاد كينيا الوطني الأفريقي » ، ومن ثمَّ لم يكن لهم برنامج إسلامي خاص بهم يعملون من أجله . فقد كانوا سياسيين أولاً ومسلمين ثانياً . ولقد حاولت فئتان ملء هذا الفراغ السياسي بخلق قيادة سياسية للمسلمين ، أولاهما:

رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في كينيا، والذي تأسس سنة ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) من قِبَل الدولة ليشرف على النشاط السياسي، أما الفئة الثانية التي حاولت قيادة المسلمين: فهم جماعة من الشباب المسلمين الذين اجتمعوا في رجب ١٤١٢هـ (يناير ١٩٩٢م)، وقرروا تكوين حزب إسلامي كيني، والسعي لتسجيله كحزب سياسي يمثل كل الكينيين على اختلاف معتقداتهم الدينية، ويقوم على رعاية المثل الديمقراطية وحمايتها وحماية حقوق الإنسان ، ويعمل على إزالة جميع أشكال التمايز وعلى كافة المستويات. ولكن ورغم هذه المبادئ العامة، فقد رُفض تسجيله بحجة أنه حزب ديني لايتماشى وعلمانية دستور الدولة، وإن قيامه سيهدد وحدة واستقرار البلاد وقد أدى موقف الحكومة هذا إلى حدوث حوادث شغب في مدينة ممباسا ولامو ذواتا الكثرة المسلمة (Salim , 1978 , P. 890) .

وهكذا باءت المحاولة لخلق قيادة سياسية إسلامية بالفشل في وجه رفض الحكومة تسجيل الحزب الإسلامي . . كما أنه قامت في الفترة الأخيرة فئة من المسلمين تعارض الحزب الإسلامي هذا ، بتكوين حزب إسلامي آخر ، يقولون إنه أكثر اعتدالاً ، وأنه ضد العنف وضد الحزب الإسلامي ، ذلك هو حزب « مسلمو أفريقيا المتحدين » United Muslims of Africa ، ومرة أخرى يبدو واضحاً عجز المسلمين في كينيا في إيجاد سياسية توحدهم ، وترعى مصالحهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية (Ayubi and Mohyuddin , 1994 , P.P. 148-149) .

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية :

أوضاع المسلمين الاقتصادية ليست أسعد حالاً من أوضاعهم السياسية، فهم متخلفون اقتصادياً عن بقية قطاعات المجتمع ، إلا القلة القليلة ممن وصلوا إلى وضع اقتصادي مميز بفضل كدهم وجهدهم ، وكذلك بعضاً من أعضاء الأقلية الآسيوية المسلمة الذين طرقوا مجالات التجارة ، والصناعة ، فأثروا وأصبحوا من

الأغنياء. أما جمهـرة المسلمين ففقراء يعملون حرفـيين ، وعمال وفعلة ، وزراع ، وفي القطاعات ذات الدخل المحدود ، والحرف الهامشية ، ومن ثمّ فالأمة الإسلامية في كينيـا تحتاج إلى قاعدة وبنيـة نقدية قوية ، فليـست لها تنظيمات تـعاونية ذات وزن، والأفراد الأثـرياء فيـها حالات مـحدودة ، مـتفـرقة هنا وهـناك ، لا رابط ولاتعاون بينهم. واحتياج الأمة إلى مثل هذا الجهد المشترك المنظم أمر ظاهر . ولابد لتلك الأمـة من أن يكون لها مايـشبه « بيت المال » لـيمثل لأفرادها سـنداً وعوناً . وهناك من يرى أنه على المنظمات الإسلاميـة التي تقوم بجمع الزكاة من المسلمين ، أن تجمعها وتحفظها في مؤسسة نقدية مركزية تستطيع عن طريقها إعانة المحتاجين من المسلمين، والمسـاهمة بعض مشروعات الأفراد والجـماعات الاقتصادية التـعاونية . (Azevedo and Patel, 1991, P.490) .

وحيث إن الإسـلام قد بدأ واستـمر في كيـنيا كظاهرة حـضرية، أهله أسـاساً يعيشون في المدن والمراكز التجارية - الحضرية وحولها فلعل هذا الوضع الاجتماعي للمسـلمين هو الذي جعل غـيرهم ينظر إليـهم نظرة فيـها شيئ من الدونـية وعدم التقـدير، بحسبـانهم مدنيين ، أي أهل مـدن وحضر ، لاجذور لـهم في الريف، بخاصة وأن المجـتمع يضع اعتبـاراً كبيراً ووزناً عظيمـاً للعلاقات الريفيـة والقروية، ولأهميتها الاجتماعية، كما أن بعـض الناظرين لمجتمع المسلمين في كينيا يقولون إن نسبة الطلاق، والتفكك الأسري فيه كبـيرة ، وأن الفقر والجهل والمرض منتشر فيه، شأنه في ذلك شأن معظم المجتمعات الحضرية (Salim . 1978 , P. 840) .

المسلمون والتعليم :

كان للمـسلمين تعليـمهم الإسلامي الخـاص بهم حتى قـبل مجيء الاستـعمار البريطانـي إلى كينيا ، وكان تلـقيه يتم في مرحـلتين: المرحلة العليا: فـي المساجد وحلقـات العلماء حيـث يتم تعليم اللـغة العربيـة والتفسيـر والفقه وعلـم الحديث الشريف، وشيء من عـلوم الشريعة والمرحلة الدنيـا : والتي يتم فيها تـعليم الطفل

المسلم في مـدارس القرآن وخلاويه مبـادئ الكتابة والقراءة ، وتلاوة وحـفظ القرآن الكريم دونما فهـم لمعانيه، ثم مبـادئ الدين الأساسية من صـلاة وصيام . . . إلخ، وكان ذلك الـنوع من التعلـيم لا يؤهل الطالب لـلوظائف الدنيـوية، بخاصـة بعد وصول الاسـتعمار وتـشعب متطـلبات الحيـاة ، لهذا فقـد ظل التعليـم الإسلامي محـصوراً في نطاق محـدود، في حين أدخل الاستـعمار تعـليمه الغـربي المدني (العلـماني)، وجـعله مـحصوراً فـي مدارسـه الحكوميـة، وفي مدارس الـبعـثات والمؤسسات التنصيرية والتي جعلت منه وسيلة للتنصير، ولبث المبادئ والقيم الغربية النصرانية، الأمـر الذي جعل المسلمين يقفـون منه موقفاً رافضاً، خـوفاً على دينهم وهويتهم الإسلامية ونتج عن ذلك تخلفهم التعلـيمي، كما أسلفنا، واستئثار غيرهم من النصـارى بمواقع النفـوذ والسلطة فـي دواوين الحكومة وأروقـة الخدمة المـدنية، وانعزل المسلمون عن المشـاركة السياسية، وعن النشاط الاقتـصادي والاجتماعي في بلادهم، وأصبحوا عدداً بلا نفوذ ولا سلطان.

والتعلـيم الإسلامي في كيـنيا لايتعـدى المرحلة الثانويـة ، فليس هناك جامـعة إسلامية فـي كينيا كما هو الحـال في أوغندا ، وإن التعليم الديـني الإسلامي الذي صار إجـبارياً فـي مدارس الحكومـة الأولية والمـتوسطة عـام ١٤٠٦هـ (١٩٨٥م) متدنى المستوى إذا مـاقورن منهجه بمنهج تعليم الدين النـصراني . وما لم تقم الأمة المسلمة في كينيا بمعالجة هذا القصـور فإن أبناءها الملتحقين بمدارس الحكومة سيظلون على جهل بأمور دينهم، وفي ذلك خطر عـلى هويتهم . والملاحظ أيضاً قلة أعداد الطلاب المسلمـين في مراحل التعليـم العليا ، فأعدادهـم تتناقص كلما انتـقلوا من مرحلة إلى أخرى، لدرجة أن نسبتهم في الجامعات الكينية لاتتعدى الـ ١٠٪ وأيضاً يلاحظ قلة عدد الأساتذة الجـامعيين المسلمين، ولعل أهم مشاكـلهم هي عدم توافر المال الذي يمكِّنهم من الاعـتناء بمدارسهم، وترشيدها، وتحسين الأداء فـيها، بإعداد

المدرس المؤهل، والمنهج السليم الذي يجمع بين العلم المدني والعلم الديني، وبتحسينه، وتوحيده في كل مراحل التعليم، Badamana and Mazrui , 1993) P.P.3-5) .

وهذا الوضع المتدني للمسلمين ، أدى إلى إعطائهم فرصاً كافية ، ناهيك عن متكافئة مع فرص النصارى في وسائل الإعلام . فالإذاعة الكينية – مثلاً – لاتبث إلا برامج إسلامية قليلة جداً ، وفي أوقات غير مناسبة ، علماً بأن ميزانيتها آتية من دافع الضرائب المسلم وغير المسلم .

دور التنظيمات والجمعيات الإسلامية في تنمية المجتمع المسلم في كينيا :

إدراكاً من بعض شباب وقادة المسلمين لأحوالهم التي وصفنا ، فقد اتجهوا إلى تكوين تنظيمات وجمعيات واتحادات وروابط بهدف تحسين مستوياتهم المعيشية والتعليمية والصحية والثقافية، ومن ثمَّ تنمية مجتمعهم. وقد بلغت تلك الجمعيات أكثر من مائة وعشرين جمعية، فأصبحت بكثرتها تلك إحدى مشكلات المسلمين في كينيا حيث وزعت الجهد الإسلامي بدل أن توحده ، كما أن الكثير منها أصبح حبراً على ورق. ومن بين الجمعيات العاملة في المجال التعليمي والاجتماعي. الجمعيات الآتية:

١ – الجمعية الخيرية الإسلامية .

٢ – الاتحاد الوطني للمسلمين .

٣ – جمعية الشبان المسلمين في نايروبي .

٤ – المؤسسة الإسلامية .

٥ – مؤسسة القرآن الكريم في نايروبي .

٦ – جمعية الدعوة الإسلامية في ممباسا .

٧ – الجمعية النسائية العربية الأفريقية في ممباسا .

٨ – الجمعية الإسلامية الصومالية .

٩ – الجمعية الإسلامية الباكستانية في ممباسا .

١٠– جمعية الرعاية الاجتماعية لمسلمي شمال شرقي كينيا (جاريسا) عاصمة الإقليم .

١١ – المجلس الأعلى لمسلمي كينيا الذي تأسس سنة ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م).

ولعل من أهمها وأكثرها نشاطاً وفاعلية ، « المؤسسة الإسلامية » وهي مؤسسة دينية تعليمية ، وفرع من المؤسسة الإسلامية في مدينة « ليستر » بإنجلترا، ومهمتها إصدار الكتب الإسلامية باللغات المحلية ، كالسواحيلية مثلاً ، وقد تأسست في ربيع ثاني ١٣٨٣هـ (أغسطس ١٩٦٣م) في نايروبي من بعض الغيوريـن على الإسلام، بغرض النهوض بالإسلام وأهله في كينيا بإنشاء المدارس للبنين والبنات ، والاهتمام بالعمل الدعوي وتأسيس المراكز الإسلامية، مثل معهد « منشاكوس » الذي أنشأته وتشرف عليه، ومركز « اسيولو » الذي يضم مدرسة الفلاح الإسلامية ومعهداً لتحفيظ القرآن ومستشفى إلى جانب مركز زراعي ومهني، ومدرسة ثانوية للبنين وأخرى للبنات. وللمؤسسة نشاط إذاعي ، وجهود لمواجهة حركة التنصير في كينيا .

جمعية الشبان المسلمين (نايروبي) :

هي من أهم الجمعيات الفاعلة في أواسط المسلمين في كينيا ، بخاصة في مجال توفير التعليم الإسلامي، وقد تأسست عام ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) على يد شباب متحمس لبث تعاليم الدين بين الشباب، وبخاصة الشباب الجامعي، ولها نشاط في مجال الإغاثة، ورعاية فقراء المسلمين وأتباعهم، وطلابهم الفقراء، وحماية الشباب

من التيـارات الهدامة، وإقامة المـعسكرات ... الخ. وهي جمعـية غير سيـاسية، مسجلة لدى السلطات، وقد ركزت نشاطها في الأقاليم الأكثر عرضة للتنصير، مثل الإقليم الشـمالي الشرقي. ومـن مشروعاتها الـكبرى « بيت الأطفال المـسلمين في (جاريسا)». وهناك جمعيات طلابية تعمل مـعها، مثل جمعية الطلاب المسلمين في جامعة نايروبي.

وأخيراً : لابد من الإشارة إلى العلاقة بين الأقلية المسلمة في كينيا بغيرهم من سكان كـينيـا من النصـارى وأصحـاب الديانات الأخـرى السـماوية والتـقليـدية. فالعلاقات بين هؤلاء وأولئك ظلت حسنة لـم يشبها عنف أو قتال أو صراع دموي، إلا عندمـا منعت السلطـات تسجيل الحـزب الإسلامي ، فقـامت مجمـوعات من الشباب المسلم باحـتجاجات في ممباسا أدت إلى صدامات دمويـة ، وفيما عدا ذلك فليس هناك مـن عنف في الصلات ، على الرغم مـن الحساسيات التـي تفصل بين قادة النصارى سواء كانوا في الحكومة ، أو في مـؤسسات التنصير وبين المسلمين . فالمسلمون لايعيشون متقوقعين ومنـغلقين على أنفسهم في كينيا ، وإنما هم جزء من المجتـمع، ولكنه الجزء المـستضعـف، المهمش ، الذي لايـحظى بنصيـب عادل في الشؤون السياسـية، ولايحظى بوضع اقتصادي أو اجتمـاعي أو ثقافي مريح ، وهم أمة مـتماسكـة، رغم خلافاتـها القيـادية، ولها إحـساس قوي بـهويتهـا وذاتيتـها الإسلامية.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن للأقلية الإسلامية فـي كينيا قدر كبير من الحرية في ممارسة شعـائرها الدينية ، فالحكومـة نادراً ما تتدخل في الأمور الديـنية ، ولم تقم باضطهاد المسلمـين بسبب ممارستهم لدينهم ، فـالمساجد مفتوحة يؤمـها المسلمون ، والأذان يرفع مـن على المآذن في المـدن والقرى دون تدخـل أو اعتراض مـن أحد، وعيد الفـطر من أعياد الدولة الرسـمية، أما عيـد الأضحى فعيد خـاص بالمسلمين

وحدهم. وهـناك حوالي الخمـسمائة مـسلم كينـي يؤدون فريضة الحـج كل عام ، والدولة توفر لهم العمـلات الصعبة، والشريعة مطبقة في أوسـاط المسلمين الكينيين في قـضايا الأحـوال الشـخصـية، كـالزواج والطلاق وأمـور الميـراث والأوقاف ، وللمسـلمين قضاتهم الـذين تعينهم الدولـة في أماكن تواجد المسـلمين ، ولأولئك القضـاة محاكمهـم، ولهم رئيس هو قاضي الـقضاة (Mwangi , 1995 , P.P.. 252-259) .

ووعي المسلمين بدينهم وهويتهم الإسلامية متزايد في السنوات الأخيرة ممثلاً في لبس الحجاب بين النـساء ، وحرص المسلمين على صيام رمـضان ، وحضور صلاة الجمعة ، وإحجامهم عن التطبع بالأخلاق والعادات الغربية .

وأخيراً : لاينبغي تجاهل أثر الإسلام ودوره في حياة كيـنيا السياسية، بخاصة بعد أحـداث العنف التي وقـعت في ممباسـا، بسبب رفـض الدولة تسجـيل الحزب الإسلامـي، وقد وضح أنهُ لايمكـن تجاهل المسلـمين على الرغم مـن كونهم أقلـية سكانية كما لايمكن تجاهل أثرهم في مجريات السياسة .

• • • • • •

الأقلية المسلمة في الكونغو الديمقراطية

(زائير سابقاً)

الأقلية المسلمة في الكونغو الديمقراطية
(زائير سابقاً)

لابد في البداية من الإشارة إلى شح المادة وقلتها إلى الحد البعيد عن الأقلية المسلمة في الكونغو الديمقراطية ، فالمسلمون هناك قلة لم يأبه لهم الكثيرون ممن كتبوا عن تاريخ الكونغو، الحديث والمعاصر ، ثم إنهم محصروون في مناطق - تكاد تكون مغلقة على نفسها ، إضافة إلى أن معظم من كتبوا عن الكونغو ، كانوا غربيين: بلجيكيين أو ناطقين بالفرنسية ، ومن ثمَّ كانت كتاباتهم بتلك اللغة ، وربما وجد من يعرفها، شذراتٍ مفيدة عن المسلمين وأحوالهم هناك . أما الكتابات العربية فهي قليلة، وعرضية، وبها شيئ من السطحية ، وكثير من النقل والاقتباس ، فهي تنقل وتردد القليل من المعلومات الذي وجدته إما مترجماً ، أو منقولاً بنصه من مصادر أخرى أو هو في أحيان كثيرة مجرد انطباعات لزائر مسلم زار الكونغو الديمقراطية وسجَّل خواطره أو ماسمعه من آخرين عن المسلمين ، ومن ثمَّ فدارسة الأقلية المسلمة هنا مجال غير مطروق ، يستحق الدراسة والعناية من الباحثين والدراسين.

خلفية جغرافية :

تقع الكونغو الديقراطية (والتي كانت حتى عهد قريب تعرف بزائير) في وسط أفريقيا، تحدها الكونغو الشعبية من جهة الشمالي الشرقي ، وتحدها وسط أفريقيا والسودان شمالاً ، وبورندي وأوغندا ورواندا وتنزانيا شرقاً ، وتحدها جنوباً زامبيا وأنجولا ، ولها شريط ساحلي قصير على مصب نهر زائير ، ومناخها مداري ، بدرجة حرارة تصل في متوسطها إلى ٢٧ درجة مئوية ، وأمطار يبلغ متوسطها السنوي مابين ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ ملم .

اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية ، وهناك أكثر من ٤٠٠ لهجة سودانية وبانتوية سائدة في تلك البلاد ، وأكثرها تداولاً وانتشاراً هي اللغة السواحيلية ، والكيلوبا والكيكونفو ، والكلابا ، والنقالا .

مساحتها ٢٫٣٣٤٫٨٨٥ كيلو متر مربع ، وسكانها حسب تقديرات عام ١٩٩١م الإحصائية ٣٦٫٦٧٢٫٠٠٠ مليون نسمة(Europa , 1996 , Vol 11 , P. 3614).

والكونغو الديمقراطية مقسمة إلى ثمانية أقاليم أكبرها «هوت زائير» Haut Zaire، ثم «اكواتور Equateur ، ثم إقليم شابا -المشهور بمعادنه-، وإقليم كيفو Kivu. ، عاصمتها كنشاسا التي يبلغ عدد سكانها حسب تقديرات ١٩٩١م حوالي ٣٫٨ ملايين نسمة .

وتلي كنشاسا مدينة لوبمباشي (٧٣٩٫٠٠٠ نسمة) ، ثم كتانقا ، وكيسنجاني، وكلويزي.

أما الديانات فيها ، فكثير من أهلها ذوي معتقدات وثنية ، وجزء كبير منهم نصارى وتتفاوت نسبهم مابين ٥٢٪ حسب تقديرات(Europa , 1996 , P. 3612)، ويقول مصدر آخر أن حوالي ٧٠٪ من السكان نصارى ، وحوالي ١٠٪ مسلمون، و٢٠٪ معتقدات أخرى . (World Almanac and Book of Facts , 1996 , P. 836) ، وفي عام ١٣٩١هـ (١٩٧١م) اعترفت قوانين البلاد بالكنائس النصرانية، بعد الخلاف الذي كان قائماً بين الكنيسة والرئيس السابق موبوتو بسبب سياساته الوطنية الداعية إلى العودة إلى الجذور الأفريقية. أما الأقليات المسلمة واليهودية،فقد اعترف بها في ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) .

يشكل حوض نهر زائير (الكونغو) معظم أراضي الكونغو الديمقراطية وهو حوض سهلي يتسم بالانبساط وقلة التضاريس ، ويجري في وسطه النهر بروافده المتعددة، والذي يبدأ انسيابه من أقصى جنوبي البلاد متجهاً شمالاً، ثم غرباً ثم

جنوباً ليصب في المحيط الأطلسي ، ويأتي بعد نهر النيل في الطول إذ يبلغ طوله ٤٧٠٠ كيلو متر. والأجزاء الوسطى من البلاد هضبة منخفضة تغطيها الغابات المطرية، كما أن هناك منطقة جبلية في الغرب ، وأراضي سافنا في الجنوب والجنوب الشرقي، وأراضي تغطيها الحشائش باتجاه الشمال، ثم هناك جبال «الرونزوري» Ruwenzori في الشرق كما أن هناك منطقة ضيقة تقع على ساحل المحيط الأطلسي أيضاً (بكر، ١٤٠٥هـ، ص ص ٢٢٤-٢٢٥) ، (World Almanac and Boo; of Facts , 1996 , P. 836) .

المناخ :

مناخ الكونغو الديقراطية حار رطب في منطقة حوض النهر وبارد نسبياً وجاف في المرتفعات الجنوبية، وهو أكثر برودة وأمطاراً في المرتفعات الشرقية. أما في المنطقة الواقعة شمال خط الاستواء فيمتد موسم الأمطار من إبريل إلى أكتوبر ، ويمتد موسم الجفاف من ديسمبر إلى فبراير ، كما أن موسم الأمطار في المنطقة الواقعة جنوب خط الاستواء يمتد من نوفمبر إلى مارس، وموسم الجفاف من إبرايل إلى أكتوبر، ومن ثمَّ فإن الأمطار وفيرة في الشمال والوسط، ولهذا تغطي الغابات الاستوائية معظم حوض النهر وألطف المناطق مناخاً تلك المرتفعة في الجنوب والشرق. والمناخ متعدد ومتنوع في البلاد نسبة لاتساعها ولتضاريسها. فالمنطقة الوسطى ذات مناخ استوائي، ومعدل درجات الحرارة مرتفع طيلة العام، والمطر يهطل في كل المواسم تقريباً، أما باقي المناطق فيعتمد مناخها على موضعها من خط الاستواء- إن كانت شماله أو جنوبه، وهي ذات مواسم ممطرة أو جافة محدودة(World Facts Book,1995,P.466) .

السكان :

يسكن الكونغو الديقراطية خليط من الأجناس البشرية تقدر بأكثر من مائتي

مجموعة عرقية، لكل منها لهجاتها بل لغاتها المتعارف عليها ، ومعظمهم من البانتو الذين يقـدرون بحوالي ٨٠٪ من السكان بالإضـافة إلى قبائل الزانـدي وباكونجو، ومونجو، والأقزام، وجماعات مهاجرة من شرقـي أفريقيا وغربيها وهي التي حملت الإسلام إلى حوض نهـر زائير (الكونغو). وتتعـدد اللهجات، ولكن الفـرنسية هي اللغة الرسمية، علماً بأن اللغة السواحـيلية تسود في شرقي البلاد وفي هضبة شاباً (الغنيمي «د.ت» ص ص ٣٢٤ - ٣٢٥) .

الحالـة الاقتصاديـة :

كونت الـزراعة (بما فيـها الغابات وصـيد الأسمـاك) حوالي ٥٩٪ من الناتج الوطني الإجمالي في عام ١٩٩٥م، وحتـى منتصف عام ١٩٩٤م كان حوالي ٦٤٪ من السكان النشطين يعملون في المجال الزراعي. وحاصلات البلاد النقدية الأساسية هي: البن (والـذي كوّن ٥ر١٢٪ من صـادرات عام ١٩٩٤م) ، وزيـت النخـيل وثمار النـخيل، والسكر والشـاي والكاكاو والمطاط والـقطن، كما أن في الـكونغو الديمقراطية ٦٪ من غابات الأخشاب الموجودة في العالم.

أما الصناعة (بما فيها التعـدين، توليد الكهرباء . . . إلخ) فقد كونت ٩ر١٤٪ من النـاتج الوطني الإجمـالي عام ١٩٩٥م، وحـوالي ٩ر١٥٪ من جملـة السكان النشطين يعملون في مـجال الصناعة واستخراج المعادن التي تمـثل عصب الصناعة، وكان نصيب المعادن في عام ١٩٩٣م حوالي ٩٢٪ من صادرات البلاد. وأهم المعادن هي: النحاس والكـوبالت (حوالي ٦٥٪ من احتياطي العـالم) المنجنيز، الزنك، اليورانيوم، الحديد، والذهب، كما أن هناك تـرسبات من اللؤلؤ ، وكانت الكونغو في فترة الثمانينات الميلادية البلد الثـاني في العالم المصدر للؤلؤ الصناعي، كما كان اللؤلؤ هو أهم مصدر للعملات الأجنـبية في عام ١٩٩٣م إذ يبلغ دخله ٥٣٢ مليون دولار أمريكي، وقـد انخفض إنتـاجه ، كما انخـفض إنتاج النحـاس في السنوات الأخيرة. وهناك صناعات النسيج والأسمنت .

والكونغو الديمقراطية تعتبر من أغنى البلاد الأفريقية، بمواردها الزراعية والمعدنية، وبطاقتها، ولكنها شهدت تدنياً اقتصادياً في الأعوام الأخيرة، أدى إلى تدني دخل الفرد، وإلى التضخم، مما أدى بدوره إلى عدم الاستقرار الاقتصادي والسياسي، كما أدى إلى إحجام رأس المال الأجنبي من الاستثمار في البلاد، وإلى مصاعب مع المؤسسات المالية والاقتصادية العالمية كمؤسسة النقد الدولي وغيرها .

التاريخ الحديث والمعاصر :

كانت الكونغو الديقراطية تعرف في الماضي بالكونغو البلجيكي، ذلك أنها كانت حتى استقلالها في محرم ١٣٨٠هـ (٣٠ يونيو ١٩٦٠م) مستعمرة بلجيكية تحت إدارة التاج البلجيكي مباشرة حيث كان حاكم البلاد العام هو الممثل للملك بلجيكا، وقد قامت تلك الإدارة البلجيكية في الكونغو على دعائم ثلاث هي الدولة والكنيسة والشركات، وعن طريقها أحكمت بلجيكا سيطرتها على البلاد، مما قتل روح الاستقلال أو حتى التطلع إليه في أوساط الأهالي ، فهم واقعون تحت حماية الدولة تماماً، وتحت سياستها التي عرفت بسياسة « التبني » أو سياسية «الرعاية الأبوية» Paternalism، وهي سياسة تعتبر الأمة الواقعة تحت الاستعمار كالطفل الذي يحتاج للرعاية والتوجيه من والده ، فهي ترعاه كذلك تربية له ، وتحضيراً له، وتحسيناً لأوضاعه كلها، وهي سياسة ترمي أيضاً إلى عزل الكونغو تماماً عن ماحوله. وقد نجحت في فترتها الأولى - فترة الثلاثين سنة الأولى - ولكنها سرعان ما انهارت، وتبدَّلت بفضل المتغيرات السياسية التي اجتاحت القارة الأفريقية وأثَّرت على الكونغو وأهله.

وقد تجلى أثر الكنيسة في سيطرة النصارى على وظائف الدولة، وعلى هيمنتها الكاملة على التعليم والذي ترك أمره للإرساليات التنصيرية. ويكفي التدليل على ذلك بإيراد إحصائية لعام ١٣٧١هـ (١٩٥١م) عن عدد المدارس، تقول الإحصائية

أن عدد المدارس آنذاك كان ٢٥٫٧٩٦ مـدرسة، منها ٩٫٤٦٣ مدرسة حـكومية تحت رعاية وسيطـرة الحكومة و ١٥٫٧٦٩ مدرسة تحت إدارة الإرساليـات تماماً، و ٥٦٤ مدرسة حرة تابعة لجمعيات ومؤسســات خاصة. وإحكاماً للسيطرة لم تهتم الحكومة الاستـعمارية بالتـعليم العالـي خوفاً من ظهـور صفوة متـعلمة قد تنـادي وتطالب بالاستقـلال، فلم يشهد الكونغـو قيام جامعـة له إلا في عام ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) وانصب الجهد على التعليم الإبتدائي بقصد تدريب الأهالي فقط ، وكل ذلك تنفيذاً لسياسة الرعاية الأبويـة التي أشرنا إليها، والتي حرمت البلاد من فئة مـتعلمة تسهم في الإدارة وتقـود بعد الاستقـلال. ولقد بدأ هذا الـعجز واضحـاً في فترة مـابعد الاستـقلال حـيث شهدت الـبلاد اضطرابـات سياسـية وحركـات تمرد وانفـصال، وانقلابات عسكرية كان يقودهـا بعض صف الضباط من جاويشية وغيرهم . بل إن بعضاً من أولئك الرئيـس موبوتـو، والــذي كـان حتى انقلابــه، جنديـاً متواضعاً برتبة الجاويــش. (Merriman , 1961 , P.P.27-41) .

• • • • • •

تاريخ الإسلام في الكونغو الديمقراطية

دخل الإسلام إلى الكونغو الديقراطية منذ مائة عام ونيف عن طريق تجار زنجبار والساحل الدالفين عبر طرق تجارية معينة إلى وسط القارة ، وإلى الكونغو بالذات، طلباً للعاج، الموجود بكثرة في تلك الأصقاع ، والمطلوب بشدة في أسواق ساحل شرقي أفريقيا، حيث كان يأخذه الأجانب إلى أوروبا . كما دخل الإسلام أيضاً عبر التجار المسلمين والمهاجرين القادمين من نيجيريا ومالي والسنغال ، وقد ساهم المصريون أيضاً في دخول الإسلام إلى الكونغو عن طريق بحر الغزال (يماني، ١٤١١هـ ، ص ١١٩) .

امتد نشاط وسلطان دولة زنجبار إلى وسط أفريقيا عن طريق التجار القادمين منها إلى تلك الجهات. فقد توغل هؤلاء عبر تنزانيا حيث أسسوا في عام ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) مركزاً تجارياً لهم في مدينة « أوجيجي » على الساحل الشرقي لبحيرة تنجانيقا، اتخذوها قاعدة لهم انطلقوا منها إلى داخل الكونغو، حيث انحصر نشاطهم في الأجزاء الشرقية والشمالية منه، ناشرين الإسلام والثقافة السواحيلية هناك، مستغلين في ذلك التفكك الذي كانت تعاني منه المجتمعات في تلك الجهات. ، وقد وصل التجار المسلمون إلى الكونغو عن عدة طرق:

١ – من الساحل إلى ضفاف بحيرة تنجانيقا .

٢ – من بحيرة تنجانيقا (ومن قاعدتهم في أوجيجي) متجهين غرباً عبر «فيزي» و« كبامباري » إلى أفرع نهر الكونغو (زائير) متجهين إلى « نيانقوي » و« كاسونغو » على نهر « لوالابا » حيث أقاموا لهم عدة مراكز تجارية على ذلك النهر .

٣ – طريق يبدأ من « كلوا » إلى بحيرة ملاوي (نياسا) ثم يدخل إلى وسط

القارة، وعند دخولهم إلى الـكونغو فقد توغلوا غرباً مستـغلين أفرعه كنهر اللوالابا، أو شـمالاً حتى فـرع « اروبمي » ليصلـوا عن طريقه إلى شـمال شرقي الـكونغو الملـئ بالعاج . وتحرك الـتجار المسـلمين عبـر هذه الطرق والمراكز هو الذي حدد مناطق انتشار الإسلام ، فأصبحت مدنٌ مثل نيانجوي وكاسنجو مثـلاً مراكز إشعاع إسلامي في وسط أفريقـيا . ولقد أشاد الزوار والمكتـشفون الأوروبيـون الذين زاروا « كاسونجـو » بمظهرها الرائـع وغناها الزراعـي ، وتحدثوا عـن الآثار الإسلامـية الـباديـة في ملبـس النـــاس، وعاداتهم، وفي أساليبهم المعمارية التي بنـــوا بهـا دورهـم . (Kritizeck and Lewis , 1969 , P.P. 251-269) .

وكا أول من دخل الكونغـو بشكل منظم في شكل حملات تجـارية عسكرية من الرواد الأوائل هو حـمد بن محمـد المرجبي (أو الرجـبي أو المجربي) ، وتسمـيه المصادر الأجنبيـة « تبوتيب » ، والذي كان له فضل الريـادة في الدخول الإسلامي المنظم إلى الكـونغو . وتتحدث المصادر عـن رحلاته التي كان يقوم بـها إلى هناك بهدف الاتجار في العاج والرقيق ومحاصـيل وسط القارة ، وقد استقر بعض الوقت وأنشأ وجوداً إسـلامياً منظماً في شـرقي الكونغو الديمقـراطية يسميه البـعض مملكة إسلامـية، وآخرون إمـارة ، وفريق ثـالث امبـراطورية ، والأصح أنه كـان وجوداً إسلاميـاً، لاندري إن كان يرقى إلى مستـوى الدولة أو الدويلة ، قوامـه التجارة ، ونشـاطه تجاري في المـقام الأول. وكالـشأن مع كل نشـاط تجاري مـسلم ، انتـشر الإسلام مع التجارة وحمد المرجبي هذا من أصول عربية أفريقية ، إذ يعتقد البعض أنه نتاج زواج إبـيه محمـد من ابنة حاكم «طابورا» ، وأنـه عاش معظم حـياته في مسقط رأسه « طابورا » وتزوج من هناك، وعن طريق المصاهرة كوَّن علاقات تجارية وسياسـية قوية ، اسـتغلها في نشـاطه التجاري والعـسكري في شرقي الـكونغو (

الشيخ، ١٤٠٢هـ ، ص ص ٤٣-٦٣)، ولكن سرعان ماتكالبت على وجوده الإسلامي في شرقي الكونغو القوى الاستعمارية البريطانية والبلجيكية ، فأخرجته من هناك بعد حروب دارت بين بلجيكا وأنصار تبوتيب من العرب والسواحيليين . كان العرب ينتصرون فيها أحياناً والبلجيك أحياناً أخرى حتى كانت الواقعة الأخيرة في ١٣١٢هـ (١٨٩٤م) ، حيث تم فيها القضاء على الوجود العربي وهزم تبوتيب فرجع إلى زنجبار ، حيث الصقت به تهمة سجن بسببها إلى أن مات في السجن ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) . وبسط البلجيكيون سلطانهم على المنطقة والتي أصبحت تعرف فيما بعد باسم الكونغو البلجيكي .

وقد ترك التجار المسلمون آثارهم في شرقي الكونغو في مجال الدين ، حيث نشروا الإسلام بين الأهالي على الرغم من أن نشر الدين لم يكن هدفهم الأول ، فقد كانت التجارة هي هدفهم ، وكان أولئك التجار موجة إنسانية اختلطت بالأهالي وصاهرتهم. وتركت بصماتها على الحياة هناك (مرقص ، ١٩٨٧م ، ص ص ٢٢١-٢٢٥) .

واجهت الجماعة الإسلامية في شرقي الكونغو على قلتها وضعفها إدارة بلجيكية استعمارية شرسة ، سياستها نحو مستعمراتها سياسة التبني الأبوية أو الرعاية الأبوية Paternalism التي أشرنا إليها سابقاً، ولم يكن عجباً أن وجهت تلك السياسة، التي كان للكنيسة دور كبير فيها، همها الأكبر لمحاربة الإسلام في الكونغو. فقتلت وشردت أعداداً كبيرة من المسلمين ، وهدمت مساجدهم ومدارسهم ، وظلت تقاومهم حتى خروجها من البلاد في عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) واستمرت تلك السياسة حتى بعد الاستقلال ، حيث مازال نفوذ الكنيسة قوياً في تلك البلاد، ومازالت النظرة للإسلام هي النظرة العدائية القديمة نفسها . فالتنصير حركة نشطة ومستمرة ومدعومة من الجهات الرسمية في الكونغو

الديمقراطية . وعلى الرغم من أن الحكومة اضطرت أخيراً في عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) إلى الاعتراف بالدين الإسلامي رسمياً، إلا أنها عمدت في الوقت نفسه إلى إبعاد المسلمين من أهالي نيجيريا ومالي والسنغال المقيمين في البلاد ، رغبة في إضعاف المسلمين وتقليل أعدادهم.

ورغم ذلك ظل للمسلمين وجود في الكونغو الديمقراطية، يتمثل في الشرق والشمال الشرقي، وفي إقليم شابا ، ولهم كلية إسلامية وجمعيات إسلامية (لانعرف الكثير عنها) ، وهم يواجهون حملات صليبية يدل عليها وجود أكثر من خمسة عشر ألف قسيس في مدينة كنشاسا العاصمة وحدها (يماني ، ١٤١١هـ ، ص ١٢٠) .

• • • • • •

المشكلات والتحديات

أماكن الكثرة الإسلامية في الكونغو الديمقراطية هي مدن: كاسنجو، وكيسنجاني (استانلي فيل) وكيروندو وكيندو وكيمبومبو ، وفي أراضي الحوض الأوسط لنهر زائير، وكذلك في القطاع الممتد من نهر لوالابا من كيسنجاني إلى كنفولو، كما أن هناك أعداداً من المسلمين المهاجرين في العاصمة كنشاسا ، وفي مناطق التعدين في إقليم شابا (بكر ، ١٤٠٥هـ ، ص ٢٣١) .

ولعل عدم المعرفة الدقيقة بأعدادهم وأحوالهم الآن والتعتيم الإعلامي المضروب حولهم، ثم العزلة التي فرضها الاستعمار البلجيكي عليهم، لعل ذلك هو أولى مشكلاتهم، إذ بلا معرفة دقيقة لأحوالهم، لايمكن العمل السليم على تفهم ظروفهم، والتخطيط لمواجهة مايعترضهم من مشكلات وتحديات. فنحن نعرف أن نسبتهم هي مابين ١٠ - ٥ر١٢ ٪ من مجموع السكان، وإن كانت بعض التقديرات المعتمدة على مصادر الإدارة الاستعمارية البلجيكية تضع نسباً لهم أقل من ذلك بكثير، مثل قولها إنهم ٤ - ٥ ٪ ولكن تلك التقديرات مغرضة ولايمكن الاعتماد عليها . (الغنيمي، (د . ت)، ص ٣٢٤) .

ونذلل على عدم توافر المعلومات عن المسلمين في الكونغو الديمقراطية، بالقول إننا لانعرف الكثير عن نشاطهم ، ونشاط منظماتهم، أو حتى نشاط المنظمات الإسلامية الخارجية في وسطهم إلا النذر اليسير. فنحن نعرف أن هناك المؤتمر الإسلامي (الزائيري)، والجمعية الخيرية الإسلامية ، وإن هناك بعض الجمعيات الدينية والمدارس القرآنية المرتبطة بالمساجد ، مثل مساجد كنشاسا الثلاثة. والواضح أن هدف هذه الجمعيات (على قلتها) هو رعاية مصالح المسلمين ، وربما التصدي لحركات التنصير التي تحارب الإسلام، والتي تمثل التحدي الأكبر للمسلمين، كما أوضحنا سالفاً (الدوبي ، ١٩٩٠م) ومن مشكلاتهم الكبرى قلة ذات اليد

وحاجتهم الماسة للكتب الإسلامية المترجمة إلى لغاتهم أو إلى السواحيلية على أقل تقدير، وإلى المصاحف، ثم إلى المدارس، وإلى فتح باب البعثات الخارجية أمام أبنائهم، حتى ينفتحوا على العالم الإسلامي، وينفتح عليهم بعد طول إغلاق، والحاجة ماسة إلى عمل جاد يقوم على التخطيط العلمي من جانب المنظمات الإسلامية الخارجية والفرعية لانتشال المسلمين في الكونغو الديمقراطية من الجهل والفقر، ولوضعهم على الطريق الصحيح حتى يقوموا بمساعدة أنفسهم، فهم الأدرى بحاجاتهم وطرق علاج مشكلاتهم.

وختاماً: لابد من الإشارة إلى أنه على الرغم من أن الإسلام بقي محصوراً ومعزولاً في مكان ضيق محدود من الكونغو الديمقراطية ، وعلى الرغم من عزلة المسلمين وتأخرهم، إلا أن بقاءهم على دينهم كان إنجازاً عظيماً في ذاته.

• • • • • •

الأقلية المسلمة في غانا

الأقلية المسلمة في غانا

الكتـابات الموجودة عـن المسلمين في غـانا عبـارة عن جزئيـات مختـصرة، أو وصفات تاريخية، مذكرات ذات أساليب صحفية ، أو مقالات نشرت في الصحف والمجلات عن مجـالات معينة، ولاتعطي الموضـوع حقه ، وهي متأثرة بـالكتابات الغربية التي تتجاهل الإسلام في غانا ، وتطمس معالمه ، وتصوِّر مقدم الحضارة إلى غانا مرتبطاً بمجيء الغربيين إليهـا ، وذلك بغرض القضاء على الإسلام وعلى اللغة العربية التي كـانت سائدة في المنطقة ، وعزل المسلمين عن حضـارتهم الإسلامية ، وإشعارهم بأن الغربيين هم صانعوا الحضارة الأفريقية ، مما قد يواجه المسلمين بأزمة ثقة في النفس، ويمهد لهيمنة الثقافة الغربية النصرانية . ويبدو أن اختيار المستعمرين قد وقع علـى غانا لجعلها مـنطلقاً لمحاربة الإسـلام وحضارته في أنحـاء بلاد غربي أفريقيا، بحسبانها أكثر الدول تأثراً بالثقافة الغربية في جنوب الصحراء .

خلفية جغرافية وتاريخية :

لابد من التنبيه إلى أنـه لاصلة لمملكة غانا القديمة التي قامت في غـربي أفريقيا في القـرن الأول الهـجري (السـابع الميـلادي) ، من حيث المـوقع ، بدولة غـانا الحديثة، فغانا القديمة تقع بين أعالي نهـر النيجر ، ونهر السنغال ، في المنطقة التي تتقـاسمها الآن حـدود السنغال مع حـدود موريتانيـا ومالي . ولأن الزعيم الـغاني كوامي نـكروما وصحـبه أرادوا تذكيـر العالم بالماضـي المشرق للمـملكة الأفريقـية القديمة، وافتخاراً منهم بهذا الاسم التاريخي العريق أطلقوا اسم غانا على الجمهورية الحديثة كبديل وطني للاسم الذي أطلقه عليها المستعمرون البريطانيون وهو « ساحل الذهب» وتجاور غانا كلاً مـن توجو وساحل العاج وبوركينافاسـو ولها ساحل على خليج غينيا.

السطح :

يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام تضاريسية هي :

١ - **السهول الساحلية** ، ومنها السهول الواقعة إلى الغرب من أكرا العاصمة، وإلى الشرق منها نجد السهول المعروفة بسهول « أكرا » أو سهول فولتا الأدنى.

٢ - **هضاب أشانتي** ، وهي تشكل سلسلة من الأحواض، وإلى الشمال منها تقع هضاب أهمها هضاب « غونجا »، وهضاب « وا » Wa ، وهضاب مامبروسي.

٣ - **حوض نهر فولتا** ، تحف به هضاب عالية .

المناخ والبيئة الحيوية :

مناخ غانا يجمع بين المناخ الاستوائي والمناخ المداري ، ويتجلى تنوع المناخ هذا في وجود فصول جافة ورطبة واضحة المعالم . ففي الأجزاء الجنوبية من البلاد، حيث يبلغ متوسط هطول الأمطار مابين ٢٠٠٠ - ٢٢٧٠ ملم ، هناك موسمان ممطران: من إبريل إلى يوليو ، ومن سبتمبر إلى نوفمبر ، في حين أن الأجزاء الشمالية تشهد موسماً ممطراً واحداً ، يبلغ متوسط هطول الأمطار السنوي فيه مابين ١٠٠ر١-٢٧٠ر١ ملم، ويستمر من إبريل إلى سبتمبر ، ويعقب هذا الفصل الممطر، فصل طويل جاف تهب فيه رياح الهرماتان Harmattan .

يتراوح متوسط درجات الحرارة مابين ٢٧ - ٢٩ درجة مئوية ، وهذا المتوسط مع نسبة الرطوبة العالية يجعل من الجو جواً خانقاً في معظم الأحيان (Europa,1996,P.435) .

ويتحكم المناخ ونوع التربة في الحياة النباتية ، فالغابات الموسمية تغطي أرض

الأشانتي الوسطى والجنوبية ، وفي الشمال نجد منطقة السافنا (الإقليم الشمالي- وشمال منطقة الأشانتي) أما الشريط الساحلي فالظاهرة النباتية الغالبة فيه هي الحشائش والشجيرات . وفي الشمال نجد مناطق ذات أودية مناخها شديد الحرارة. أما المنطقة الجنوبية الغربية فأرطب من غيرها ، في حين أن المنطقة الساحلية ذات مناخ معتدل، ومن ثمَّ فهي أكثر ازدحاماً بالسكان.

سكان غانا والتوزيع السكاني والجغرافي للمسلمين :

عدد سكان غانا حسب تقديرات عام ١٩٩٥م ١٦٫٤٧٠٫٠٠٠ نسمة يعيشون في مساحة تبلغ ٢٣٨٫٥٣٧ كيلو متر مربع . وتبلغ الزيادة السكانية السنوية حوالي ٣٫٥٪، ويكثر السكان في المدن والمراكز الحضرية ، وأماكن زراعة الكاكاو في الأجزاء الجنوبية من البلاد ، وهم موزعون على مناطق البلاد العشرة ، وهي: الإقليم الشرقي، والغربي ، والأوسط ، والأشانتي ، والشمالي ، وإقليم فولتا ، والشرقي الأعلى، والغربي الأعلى ، وإقليم اكرا الكبرى ، وإقليم برونق - اهافو . وفي غانا ٧٥ لغة ولهجة ، وفيها العديد من الجماعات العرقية ، وأهمها : الاكان Akan . ويشكلون ٥٢٫٤٪ من السكان ، والموسي Mossi وهم حوالي ١٥٫٩٪، الايوي Ewe حوالي ١١٫٩٪ ، والفور ٣٥٪ ، والقادانقي Qa Adanghe وهم حوالي ٧٫٨٪ من السكان حسب تقديرات عام ١٩٩١م .

وينقسم الاكان إلى مجموعتين كبيرتين هما :

١ - الأشانتي .   ٢ - الفانتي .

ويقطن الاشانتي المنطقة الشرقية ومنطقة الاشانتي - كما يسكن الفانتي المنطقة الوسطى والغربية .

ويكون النصارى في الاكان حوالي ٧٠٪ في حين يقدر المسلمون بحوالي

٢٠٪، أما قـا ادانقي فهم مـهاجرون جـاءوا من مدينـة الفى Ilefi في نيجـيريا، واستقروا فـي المناطق الشرقية، وكونوا سـلسلة من المدن على الساحل بما فـيها أكرا العاصمة، وأغـلبهم من النصارى، وفيهـم قلة من الوثنيين، ونسبة المسـلمين بينهم حوالي ٣٠٪. و«الايوي» يسكنـون جنوبي غانا ، ومعـظمهم وثنيون، والمـسلمون بينهم حوالي ٦٪. (محمد، ١٤١٥هـ ، ص ص ٣٩-٤٣) .

والمسلمـون في غانا مـركزون في « الفور » الذيـن يقطنون المنطـقة الشمـالية، ويكونون حوالي ٣٥٪ من السكان ، وأغلب أفرادها مسلمون إذ تبلغ نسبتهم حوالي ٩٨٪ من مجـموع السكان بيـنما النصـارى حوالي ٢٪ وهم من موظفـي الحكومة الوافدين إلى المنطقة .

أهـم المـدن :

العاصمـة أكرا ، وسكانها حوالي ثلاثة مـلايين نسمة ، يشكل المسـلمون منهم حوالي مليون ونيـف، ثم مدينة كوماسي ، وتقع في قلب المـنطقة الوسطى، وهي المدينة التـجارية الأولى في البلاد وتشـتهر بتجـارة الذهب والكاكاو، وبها مـصانع لتجـميع السـيارات وصناعـة المنسوجات والأخـشاب ، وسكانهـا حوالي ملـيونين ونصف المليون نسمة، معظمهم نصارى، وبها جماعات إسلامية ذات نشاط إسلامي سابق، وبها علمـاء درس عليهم الكثير. ثم هناك مدينة « تمـلى » العاصمة الإدارية الثالثة للدولة، وهي في المنطقة الشمالية، وتـعتبر مدينة المسلمين ، ويقطنها حوالي مليـون ونصف المليون نسـمة ٩٩٪ منهم مـسلمون، وتشـتهر بالمـنتجات الزراعـية المختلفة، ثم مدينة تيماء Tema على الساحل الجنوبي الشرقي.

ويلاحظ أن سكان المنـاطق الجنوبية أكثـر تأثراً بالغرب وحيـاته ودينه، ذلك أن الغربيين من بـرتغاليين وهولنديين وبريطـانيين جاءوا إلى البلاد عن طريق سـواحلها الجنوبية، في حين أن أهل الـشمال (حيث يتمركز المسلمـون) أقل تأثراً بالغرب،

وأكثر ارتباطاً بدينهم وحياتهم التقليدية . (Europa , 1996 , P. 435). (محمد، ١٤١٥هـ، ص ص ٤٤-٤٥) .

النشاط الاقتصادي :

يقوم أساساً على الزراعة ، وإن كان للتعدين دور مهم في تجارة البلاد الخارجية. ويعتمد اقتصاد غانا على الكاكاو الذي يسهم في صادرات البلاد بنسبة تتراوح مابين ٥٥ - ٦٠ ٪. وتنتج غانا إلى جانب الكاكاو ، الموز والأرز والذرة، واليام، وكذلك البن وزيت النخيل ، والمطاط ، والقطن ، وتأتي الأخشاب في المركز الثاني في تجارة غانا بعد الكاكاو ، وإنتاجها في القسم الغربي من أشانتي، والقسم الجنوبي من المنطقة الغربية، وتأتي الثروة المعدنية في المركز الثالث من حيث التصدير، وكان الذهب من أهم صادراتها. وتنحصر الصناعة في المناطق الجنوبية وهي صناعات صغيرة، تنحصر في مصانع لاستخراج زيت النخيل وتعليب الأسماك واللحوم وصناعة الصابون والمنسوجات. ومدينة « تيما » من أكبر مدن البلاد الصناعية.

تخلف غانا انعكس على المسلمين خاصة الزراع في الشمال ، حيث ظلت وسائل الزراعة بدائية ومحصورة في سد الحاجات الغذائية المحلية ، كما ظلت زراعة الكاكاو محصورة في مناطق الجنوب، وهي موطن النصارى، الذين يحتكرون زراعة هذا المحصول، حيث لايسمح للمسلمين القاطنين في تلك الأماكن بامتلاك مزارع الكاكاو (محمد، ١٤١٥هـ، ص ٦٧). وكذلك مناجم الذهب، والتجارة بأنواعها، وأثر كل ذلك أثراً سلبياً على المسلمين. إذ أن مناطق المسلمين في الشمال ، والمعروفة بوعورة طرقها متخلفة (Europa , 1996 , P.443) .

انتشار الإسلام

ليست لدينا معلومات تاريخية مؤكـدة عن قيام سلطنات إسلامية في ذلك الجزء المسمى غانا الحالية ولا عن قيام حركات إسلامـية بين قبائلها الوثنية ، ولكن الثابت أن وصول الإسلام إلى تـلك الجهات ، وبخاصة الأجـزاء الشمالية من غـانا مرتبط بحركة امتداد الإسلام من الشمال الأفريقي إلى منطقة غربي أفريقيا ، ولانستطيع أن نجزم أن الإســلام قد وصل تلك الأنـحاء في القـرن الأول الهجري ، ولـكن الذي لاشك فيه أن انهيـار امبراطورية غانا الوثنية أمام المد الإســلامي الذي قاده المرابطون بزعامة عبداللـه ابن ياسين، وتحرك أبي بكر اللمتوني جنوباً قـد ساعد على تسرب الإسلام إلى المـناطق الشمـالية من غـانا. (الغنيـمي ، « د.ت »، ص ٢٨١) ، وبذلك يمكن القول إن الإسلام قد وصل إلى غانا الحالية منذ القرن الخامس الهجري (العاشر الميلادي) من الأطراف الشمالية للقارة ، وأنه وُجدت جماعة إسلامية في تلك الأصقاع ولاسيما حول نهر الفولتا حيث تمركزت قبائل عربية وبربرية ، قامت بنشاط ملحوظ لنشر الإسلام بين القبائل الوثنية .

وقد ارتـبط انتشـار الإسلام في غانـا - كالعـادة - بتحرك الـتجار المسـلمين- المنحدرين من قبائل « ديولا » و « الماندي » والذين ربما جاءوا مع البرتغاليين، وربما قبلهم بغرض التجارة مع ساحل الذهب ، والثابت أن أولئك التجار كانوا موجودين في ذلك الساحل منذ أواخر القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، ولقد أقامت قبائل « الديولا » مستوطنات صـغيرة على طول الطريق التجاري الموصل بين مناجم الذهب في الشمال إلى الأسواق المزدهرة على نهر النيجر ، وكانت أهم هذه المراكز هي بيغو Begho، عند الحدود الغربية لغانا وكـانت من أهم المراكز التجارية في منطقة الفولتا، كما كانت ونقاره Wangara مركزاً إسلامياً آخر مهما في شمالي غانـا. وظهرت في الـقرن الثـاني عشـر الهجـري (منتـصف القرن الـثامن عـشر

الميلادي)، سلسلة من المستوطنات التجارية ، ربطت الاشانتي بمدن الهوسا في شمالي نيجيريا، حيث كان التجار المسلمون في دول الهوسا يزاولون نشاطهم التجاري في المنطقة. وبلغت هجراتهم تلك ذروتها مع توسع التجارة ، فوصلوا قلب غانا، وأقاموا مستوطنات مهمة لهم هناك، منها سالابا Salapa ، ويندي، وأصبحت تلك المستوطنات مراكز إسلامية انتشر منها الإسلام إلى الأماكن المجاورة لها.

وفي القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، اجتاز الإسلام مواقع المراكز التجارية للديولا والهوسا ، واستطاع بعض الدعاة من بيغو تحويل رجال الأسرة الحاكمة من قبائل المالينكة والبمباره في غونجا Gonja إلى الإسلام، واستمر الإسلام في الانتشار حتى أصبح لكل من ممالك غانا الثلاث حاكم مسلم، وهي ممالك غونجا وداغمبا و « بامبروسي » .

وفي أوائل القرن الثالث عشر الهجري (أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر الميلاديين) ، استقرت مجموعات من التجار المسلمين والمهاجرين القادمين من مناطق أعالي وأواسط النيجر (يقع معظم هذه المنطقة الآن في جمهوريات مالي، النيجر، ونيجيريا) في كوماسي عاصمة الاشانتي في غانا الحديثة. وقد وصلت كوماسي أيضاً مجموعات مسلمة أخرى قادمة من شمال غونجا وبامبروسي وداغومبا، وفي أحيان قادمة من الشمال الأفريقي مدفوعة بثروات الاشانتي من الذهب والكولا، وكان معظمهم من التجار والعلماء ذوي الكفاءة والخبرة ، وقد ألحقهم حكام كوماسي بخدمتهم كمستشارين، فأصبحوا يؤلفون مجلس الملك ، ويشرفون على القطاع الاقتصادي للاشانتي (Clarke , 1982 , P. 95 and 106-107) . فتوطد نفوذ الجماعات الإسلامية في جنوبي غانا .

وفي أواخر القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر الهجريين (النصف الثاني من

القرن التاسع عشر الميلادي) وصل الإسلام إلى شمال غربي غانا ، حيث أسلمت بعض القبائل الوثنية، مثل قبيلة « سيسالا » (محمد ، ١٤١٥هـ ، ص ٩٦).

وقد كان لحركة الجهاد التي قادها المصلح الديني عثمان دان فوديو في أوائل القرن الثالث عشر الهجري (أوائل القرن التاسع عشر الميلادي) ١٨٠٦م/ ١٢٢١هـ في شمالي نيجيريا وبلاد الهوسا أثر كبير في انتشار الإسلام بين قبائل شمالي غانا لاسيما مجموعة قبائل الفولتا المشتغلة بالرعي ، كما شهد القرن الرابع عشر الهجري (منتصف القرن العشرين الميلادي) نشاطاً اقتصادياً في المنطقة الجنوبية نتيجة لاستغلال موارد الذهب والموارد الغذائية، فهاجر إليها العديد من العمال المسلمين من شمالي البلاد، ومن البلاد المجاورة، (نيجيريا ومالي والنيجر والسنغال) بقصد العمل والتجارة، فقاموا بنشر الدعوة وبناء المساجد والمدارس. ولعل أوضح مثال لذلك المجموعة الإسلامية الموجودة في العاصمة أكرا ، والتي هي مجموعة متباينة عبارة عن خليط من جماعات عرقية وافدة ، ومن مسلمين محليين غانيين (Pellow (1985 , P.P.419-430 , فالمسلمون الوافدون هم الذين قدموا من نيجيريا ، وغربي أفريقيا الفرنسية في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، ويعيشون في قلب أكرا، مرتبطين بمسجدها القديم ، بعضهم يوروبا ، وبعضهم الآخر من الهوسا، والقارا وهم من السابقين إلى الإسلام، ويسمونهم أحياناً « بالشماليين» وأحياناً « بالغرباء » تربطهم رابطة اللغة والثقافة والتعليم ، فالهوساوية لغة رسمية لهم، ولهم زعاماتهم ومشيخاتهم التقليدية الخاصة بهم ، ويعيشون في أحياء خاصة بهم، يسمونها زنقور Zongos وإلى جانب هذه المجموعة هناك في أكرا الغانيون المسلمون الذين اعتنقوا الإسلام في فترة الثلاثين أو الأربعين سنة الأخيرة، وهم غالباً مجموعة عرقية جنوبية ، مختلفون عن « الغرباء » في لغتهم وثقافتهم، وبينهم خلافات، وصراعات ، ولكن هذه الفوارق غير ثابتة ومن ثمَّ فهي ليست نهائية .

وعليه فالأقلية المسلمة في غانا مجموعة ذات تباين عرقي ، وهم حالياً مسلمون أفريقيون (وافدين ومحليين)، ومسلمون غير افريقيين (لبنانيين وسوريين) والمسلمون الوافدون هم نيجيريون (هوسا، يوروبا، نوبي، كانوري، وفلاني). أما المسلمون المحليون (الغانيون) فهم شماليون وجنوبيون ، والشماليون هم (داغومبا، قورنشي، فرافرا) والمسلمون المحليون الجنوبيون هم: قا Ga واكان، وايوي Ewe. والمصادر تختلف في تقديراتهم ، فهم في نظر البعض حوالي ١٩٪ من مجموع سكان غانا، وفي نظر آخرين هم ٣٠٪ ، وتراهم فئة ثالثة ثلث السكان، ويبالغ آخرون في نسبتهم، فيقولون إنهم مابين٥٠ - ٦٠٪ والأصح أنهم حوالي٣٠٪ من السكان(Pellow,1985,P.425) و (بكر، ١٩٨٥م، ص ٣١٣)، و (World , Fact Book , 1995 , P.462) ، مجلة الأزهر، مجموعة ١٣٧٨هـ، ص ٦٩). وإذا ما قورنت نسبة المسلمين المئوية بالنسبة للديانات الأخرى ، فنجد أن المسلمين أكثر من النصارى بـ ٦٪ (هذا إذا اعتمدنا أن نسبة المسلمين ٣٠٪) وأقل من أصحاب الديانات التقليدية بـ ٨٪ ، ذلك أن نسبة النصارى ٢٤٪ من مجموع السكان، في حين أن أصحاب الديانات التقليدية يشكلون ٣٨٪ من مجمل سكان غانا (World , Fact Book , 1995 , P.P. 461-462) .

جاء المهاجرون الفولاني والهوسا إلى غانا في الفترة السابقة للعهد الاستعماري وهم مسلمون تماماً ، على غير حال اليوروبا و الزابراما Zabrama و الونقارا الذين لم يكونوا كلهم مسلمين ، ولكن معظمهم اعتنق الإسلام بعد وصولهم إلى غانا، وأصبح الإسلام هو رابطهم الجديد الذي حل محل العامل القبلي .

أحوال المسلمين التعليمية :

مستوى التعليم في غانا عموماً ضعيف ، شأنها في ذلك شأن كل بلد إفريقي نامٍ، فنسبة الأمية في تقدير بعض المصادر تبلغ ٦٠٪ في غانا (World , Fact

(Book , 1995 , P.P. 461-462 ، وحظ المسلمين من هـذا التعلـيم ضئيل ، فأكثرهم مهتم بالنواحي المعيشية ، مشغول بالزراعة والتجارة . والكتاتيب التي تعلم القرآن ومبادىء الدين لاتكفي لتثقيف المسلم تثقيفاً صحيحاً ، فالقائمون على أمرها تنقصهم الكفاية العلمية ، كما أن الموارد المالية ضئيلة. وللمسلمين تعليمهم الإسلامي الخاص بهم، وهو منتشر في شمالي غانا ووسطها حيث المدارس الإسلامية (الكتاتيب) المنتشرة في كل المدن والقرى بخاصة في الريف ، ويصعب حصرها إذ لاتخلو كل قرية أو مدينة في غانا من مسلمين ، وهي دائماً ملحقة بالمساجد ، ومنازل العلماء ، لتعليم الصغار القرآن بطريقة التكرار والحفظ. وهناك مجالس العلم التي تقام في المساجد والجوامع، أو في دور خاصة لتعليم الكبار العلوم الدينية بعد مدارس القرآن ، كالتوحيد والتفسير والفقه والفرائض . وهناك مدارس إسلامية حديثة ، هي تطوير لمدارس القرآن، وهي غير المدارس الحكومية ، يقوم بتأسيسها أفراد أو جمعيات خاصة أو أهلية، وتهتم بتعليم القرآن الكريم وعلومه واللغة العربية ، وتدرس باللغة العربية ، وبعضها يدرس اللغة الإنجليزية كلغة ثانية ، ولكنها تعاني من غياب التخطيط في المناهج، وطرق التدريس، وعدم تأهيل المعلمين ، ومن أهمها :

١ – معهد العنبرية الإسلامي : في مدينة « تمالي » ، أسسه الشيخ يوسف ابن صالح أجرا عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م ، وهو من أكبر المعاهد الإسلامية في البلاد وبه روضة للأطفال ، ثم مرحلة ابتدائية عدد تلاميذها ١٤٩٢ ، وعدد فصولها ٣٢ فصلاً وعدد معلميها ٦٤ وبعضهم من خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبه مرحلة متوسطة ، بها ١٥٦ تلميذاً ، ومنهجه يحتوي على التربية الإسلامية واللغة العربية والحساب ، ولا يدرس العلوم العصرية، ويقوم خريجوه بالتدريس في مدارس القرآن في القرى المحيطة بالمدينة .

٢ - معهد النورية الإسلامية : وهو في تمالي أيضاً ، أسسه الشيخ إبراهيم باشا في عام ١٣٩٣هـ/١٩٦٣م ، ويقوم بتدريس العلوم العصرية جنباً إلى جنب العلوم الإسلامية والعربية وبه ثلاث مراحل : روضة ، وابتدائي ، ومتوسط، ويفوق عدد طلاب مراحلة مجتمعة الـ ٨٠٠ طالب ، ولكن مبانيه ضيقة، إذ إن بعض التلاميذ يدرسون تحت الشجر .

٣ - معهد تحفيظ القرآن الكريم (نياكروم) : ويقع في مدينة نياكروم بالمنطقة الوسطى ، وهي منطقة واسعة بها عدد كبير من المسلمين ، أنشأه الشيخ عبدالناصر أبو بكر أحد خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م بتبرعات الأهالي ، ومساعدة السعودية ، والكويت، ويتكون المعهد من مرحلة ابتدائية، ومتوسطة وثانوية صغرى ، عدد تلاميذه ٦٤٠ تلميذاً ويدِّرس التربية الإسلامية واللغة الإنجليزية والعلوم العصرية ، وهو معترف به من قبل الدولة (محمد ، ١٤١٥هـ ، ص ص ٢١٣-٢٢٦) .

وفي هذه المعاهد والمدارس وحلقات المساجد يحافظ المسلمون في غانا على هويتهم وعقيدتهم الإسلامية ، وتقوم بعض الدول الإسلامية بتأسيس بعثات تعليمية في البلاد مثل بعثة الأزهر التعليمية الموفدة من مصر والتي تقوم بنشر الإسلام، ومثل العلماء والدعاة الموفدين من السعودية ، والذين يقومون بأمر الدعوة ، وتعليم الدين واللغة العربية في بعض معاهد المسلمين (بكر ، ١٤٠٥هـ ، ص ٣٢١). ويهتم المسلمون في غانا ببناء المساجد ، للعبادة وللتعلم فيها ، فهي كثيرة ومنتشرة في المدن والقرى. فمثلاً يقدر عدد المساجد في العاصمة أكرا وحدها بمائة وأحد عشر مسجداً منها أربعون تؤدي فيها الجُمع ، وأشهرها المسجد الجامع في حي « سابو ترنفو » الذي أسس عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) على يد تاجر لبناني ، كما أن بمدينة كوماسي حوالي تسعين مسجداً ، فالمسلمون فيها تجار أثرياء يتبرعون لبناء

المساجد ، وهناك مساجد مدينة « تمالي » العاصمة الإدارية للمنطقة الشمالية ، وهي الموطن الأصلي لأغلب مسلمي غانا ، وبهـا حوالي ١٤٠ مسجد ، وهناك عدد من المساجد القديمة في المنـطقة الشمالية، بعضها أثري مثل مـسجد لاربنغا الذي يرجع تاريخه إلـى القرن العاشر الـهجري (السادس عـشر الميلادي) ، وقد أسـسه أحد الدعاة القادمين مـن الحجاز، ويسمى أبو أيوب الأنصاري ، وهو مَـعْلَم سياحي . وتشكل هذه المساجـد المراكز التي درس فيها مـعظم علماء غانا ، كما أنـها حفظت للأمة دينها ، وتحافظ على اللغة العربية من الضياع، وهي مراكز للإرشاد والتوعية، ومكان للدروس والتعليم (محمد، ١٤١٥هـ ، ص ص ٢٠٢-٢١١) .

• • • • • •

الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية

لقد اعتبر البعض سياسة بريطانيا الاستعمارية في شمالي نيجيريا، وكذلك في شمالي غانا (حيث المسلمون)، سياسة متسامحة ومتعاطفة، وحتى سياسة «حامية»، ولكنها لم تكن كذلك في حقيقتها بالنسبة للمسلمين في كلا البلدين، فقد رأوا فيها هزيمة حقيقية للإسلام، بحسبان أن سياسة الحكم غير المباشر التي اتبعتها الإدارة الاستعمارية كانت سياسة ترمى إلى الهيمنة والسيطرة على الإسلام، لا حمايته. فقد خطط الاستعمار منذ وصوله لتنصير الشعب الغاني بأكمله، ففرض سيطرته على البلاد، وبسط وجوده الديني والثقافي والاجتماعي في أنحائها، وحارب الإسلام وأهله، وقضى على لغته العربية، ومهد للثقافة الغربية لتكون هي المهيمنة على المنطقة، وشوه صورة الإسلام، وضيَّق فرص التعليم الإسلامي، وسد الأبواب أمامه مما نفر من الإقبال عليه، مع إعطاء كل الفرص للتعليم الغربي الحديث، وبخاصة في المناطق النصرانية والوثنية، مما فوَّت فرص التقدم على المسلمين، كما أن المستعمرين عملوا على فرقة المسلمين بإدخالهم المذاهب والفرق الضالة لتغزو الفكر الإسلامي وتشتت أهله، وأصبح المسلمون في غانا بمعزل عن حضارتهم الإسلامية، كما أصبحوا بسبب عزلتهم وتخلفهم التعليمي الناتج عن تلك السياسات الإدارية، مهمشين سياسياً واجتماعياً واقتصادياً. (Clarke , 1982 ., P.P. 189-193)، ذلك على الرغم من الدور السياسي والاقتصادي البارز الذي كان للمسلمين (رغم قلة عددهم) في مجتمع الأشانتي - في كوماسي وغيرها - في فترة القرن التاسع عشر الميلادي.. فقد احتلوا عندئذٍ مكانةً عالية في بلاط حكام كوماسي، حيث استخدموهم في الإدارة، واستعانوا بخبراتهم كدبلوماسيين وإداريين، وتحدثنا المصادر أنهم لعبوا دوراً في المفاوضات التي جرت ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م - ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م بين البريطانيين والأشانتي، وكانوا يتمتعون بثقة

الملك فجعلهم ضمن بطانته الخاصة ، مثل الشيخ علي بابا الذي كان يجلس دائماً على يمين الملك في مجالسه الخاصة والعامة (Clarke , 1982 , P.175) .

كما أن تجارهم تمتعوا بنفوذ اقتصادي كبير إذ إنهم احتكروا تجارة المواشي وسيطروا على جزء كبير من تجارة التوزيع ، يشجعهم على ذلك موقف الملك الموالي والمتعاطف معهم ومع دينهم ، ولكن رغم كل هذه المشاركة السياسية والاقتصادية إلا أن أوضاعهم انقلبت على عهد الإدارة الاستعمارية ، والحكومات الوطنية التي خلفتها فأصبح المسلمون ، ماعدا بعض التجار الأفراد الأثرياء هنا وهناك - قوة هامشية لا وزن سياسي ولا اقتصادي لها - بفضل سياسة مرسومة كانت ترمي إلى تهميشهم وإبعادهم عن مناطق النفوذ والقرار .

وهي سياسة أيضاً ترمي إلى عدم إعطاء المسلمين حقوقهم، فغانا نصرانية في كل شيء، دستورها ينص على عدم انتساب الحكومة لدين معين، وأن الدولة لادين لها، وأن الدستور يكفل حرية الدين لكل مواطن، ولكن التوجيهات نصرانية، فيوم الأحد عطلة رسمية في غانا ، ويمنح المسلمون ساعة لأداء صلاة الجمعة، والغالبية العظمى من الموظفين والإداريين المسيرين لدولاب الدولة، من النصارى الذين تلقوا تعليمهم إما في مدارس الإرساليات التنصيرية أو مدارس الحكومة، المماثلة لمدارس الإرساليات.

تنظيمات المسلمين :

بدأت صحوة في أوساط مسلمي غانا في العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري (سبعينات القرن العشرين الميلادي) ، بسبب معاناة المسلمين من إهمال الحكومات لهم، وغمطهم حقوقهم، ثم بسبب ازدياد نشاط الجماعات الإسلامية، كما شهدت هذه الفترة ظهور دعاة وعلماء غانيين ، من أمثال الشيخ عبدالصمد بن حبيب المختار، قاموا بالدعوة لتصحيح العقيدة. ومن مظاهر هذه الصحوة تكوين منظمات شبابية إسلامية هدفها بث الوعي الإسلامي بين الشباب مثل:

١ – **رابطة الشباب المسلم** : كونها الشيخ محمد محمود عذل ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، بغرض توعية الشباب إسلامياً ، بتنظيم المحاضرات والندوات والمخيمات، وبغرض الدفاع عن قضايا المسلمين الكبرى ، مثل قضية هدم المسجد الكبير في أكرا، وهي من أنشط وأوعى الحركات الشبابية الإسلامية في غانا.

٢ – **المنظمات النسائية الإسلامية**: مثل منظمة الأخوات المسلمات، وهدفها بث المعرفة في أوساط النساء عن طريق المحاضرات . . وغيرها .

٣ – **مجلس التنمية وترجمة الكتاب الإسلامي**: أسسه الشيخ محمد مصطفى إبراهيم باكرا، ويهدف إلى القيام بكتابة وترجمة الكتب والبحوث الإسلامية وتوزيعها في غانا وفي غرب أفريقيا ، وقد قام المجلس بتأليف بعض الكتب حول المبادئ الأساسية للإسلام ، وحول توضيح الانحراف العقدي لدى الفرق الهدامة، وإذا ماطور هذا المجلس واعتُنِي به ، فسيكون حلقة وصل بين المجتمع الغاني المسلم والكتاب المسلمين والمراكز الإسلامية خارج غانا .

٤ – **الوحدة التعليمية الإسلامية**: يعد إنشاء هذه الوحدة من أبرز مظاهر الصحوة الإسلامية في غانا ، إذا استجابت وزارة التربية والتعليم لضغوط المسلمين فكونت وحدة للتعليم الإسلامي في عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م وذلك أسوةً بالوحدات التعليمية للفرق الأخرى في الوزارة مثل النصرانية ، وكان غرض هذه الوحدة إقناع المدارس الإسلامية بتبني المنهج الحكومي في الدراسات العصرية الحديثة، وإدخاله في منهجها على أن تتكفل الحكومة بتوفير الكتب الدراسية والمعلمين لهذه المواد، وكان هذا نصراً كبيراً للمسلمين، ولكن النية لم تكن خالصة إذ وضعت الحكومة هذه الوحدة في مدينة « تمالي » في المنطقة الشرقية، ولم تجعلها في العاصمة أكرا كمثيلاتها ، ربما في محاولة لتهميشها وإبعادها عن رئاسة الوزارة، كما أن علماء المسلمين ومثقفيهم لم يشتركوا في هذه الوحدة، ويرى بعض المسلمين أن إنشاءها

كان لمجرد امـتصاص الغضب الإسـلامي، ويمكن تنظيمـها والاستفادة مـن خبرات مثقفي المسلمين إذا أريد لها النجاح (محمد، ١٤١٥هـ،ص ص ١٢٣ - ١٤٦).

٥ - جماعة أهل السنة والجماعة : ترجع نشأتها إلـى أواخر القرن الرابع عشر الهجري (بداية الستينات من القرن العشرين الميلادي ، على يد بعض العلماء السلـفيين من أمـثال الشـيخ يوسف بـن صالح أجـرا - وبعض خريـجي الجامـعة الإسلامـية بالمدينة المنّـورة . وخطة عملهـا تشمل الدعـوة إلى التوحيـد الخالص، ومجانبة البـدع، وأخذ الدين من منبعيه : الكتاب والسـنة ، والوقوف بجانب الحق أينما يكون وممن يكون، ونـشر العلم ، ومحاربة المذاهب الهدامة، وتـربية الشباب وإعداده سنياً سلفيـاً ، وإقامة مجتمع إسلامي غاني معافى . ولـلجماعة مركز في أكرا، وهي تتولى مهـمة توزيع الدعاة الموفدين من السعودية، وقـد أنشأت الجماعة لها مجلـساً أسمته (المجلس الأعلـى للدعوة والبحوث الإسلامـية عام ١٤٠٦هـ (١٩٨٥م) بهدف تـوحيد كلمـة الدعاة بعد أن كـان الخلاف قد دب بين بعـضهم، ولإجراء الأمور على أسـاس الشورى ، وللوقوف ضد التعصب الـقبلي والوطني، ونصرة الحق . وتواجه الجماعة معارضة قوية من بعض الفرق الدينية، بسبب الجهل المتفشي بين المسلمين ، وقلة الإمكانات ، وجهل القـائمين عليها باللغة الإنجليزية ، مما يقف حاجزاً بينـهم وبين الوصول إلى الجماعات الوثنية ، ومـواجهة النصارى ، كما أنهم يعـانون من عدم خبرتهم بالأمور الإدارية، ومن الخـلافات التي تدب بين الدعاة . ورغم كل العقبات استطاعت الجماعة محاربة الكثير من البدع ، وتصحيح العـقيـدة لكن نشـاطها انـحصر فـي المدن الرئيـسة دون غـيرها ، أي فـي أكرا ، وكوماسي، وتمالي.

٦ - جماعة أهل التوبة : يقصد بأهل التوبة مجـموعة قبائل دخلت الإسلام مؤخراً، أي أنهم لم يولدوا من آباء مسلمـين . وتغطي هذه القبائل ست من مناطق

غانا العشرة هي: منطقة أكرا الكبرى ، المنطقـة لشرقية ، والمنطقة الغربية، والمنطقة الوسطى، ومنطقة الاشانتي، ومنطقة بـرنغ أهافو. وتعود هذه الجماعة إلى الخلاف الذي وقع في مدينة كوماسي عام ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م)، حـينما تنازع أبناء كوماسي الأصليون (وهم أفراد الجماعة) مع مسلمي « زنقو » الوافدين، حول تولي الإمامة ورعاية شؤون المسلمين ، فكونت الجماعة نفسها لترعى مصالح أفرادها، عن طريق الاهتمام بالتـعليم العصري ، وتوعيتـهم ، وبالوقوف أمام النشاط التنصـيري بشتى السبل، وهذا مـن أهم أهدافها ، وبإنشاء المـدارس والمعاهد الإسلاميـة على النمط الحكـومي (مـحـمد، ١٤١٥هــ، ص ص ١٥٠ – ١٦٨). ومن إنجـازاتهـا أنهـا استطاعت تعليم الكثير من الشباب المسلم تعليماً عصرياً، ومنهم من التحق بالجامعة وبالعمل الحكومي، ومنهم من برز في مجال الصحافة وغيرها .

٧ – **مجلس العلماء والأئمة** : تكوَّن هذه المجـلس من مشايخ وعـلماء ، وبعض أئمة مناطق غانا العشرة ، زائداً ست هيئات وجمعيات إسلامية غانية هي :

أ – جالية مسلمي غانا . ب – البعثة الإسلامية في غانا .

جـ – مجلس مسلمي غانا . د – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

هـ – مجلس ممثلي غانا . و – اتحاد المجالس الإسلامية .

وسبب تأسيس المجلس هو محاولة توحـيد جهود المسلمين ، وإيجاد حل لنزاع القيادة الذي كـانت تعاني منه أمة الإسلام في غـانا ، وذلك أن كل واحدة من هذه الهيئـات الستة كانت تحـتكر قيادة المسلمين في غـانا في فترة من الفـترات، وكانت تتـحد وتنـقسم حـسب الأهواء والمطـامع الشخـصيـة ، مما فرَّق المـسلمين وضـيَّع حقوقهم.

ظهر المجلس بعد مؤتمره التأسيسي في مدينة (سكندي) بالمنطقة الغربية في عام ١٤٠٢هـ (مايو ١٩٨١م) ، وقد حضره العلماء المحليون ورؤساء الأئمة، وبعض شخصيات الحكومة ، وانتخب المؤتمر لجنة تأسيسية من ٣٨ عضواً بواقع ٤ أعضاء لكل منطقة ، كما انتخب رئيساً للمجلس ، وأميناً عاماً ، ونائباً للأمين العام.

ويهدف المجلس إلى توحيد العلماء والأئمة في غانا ، وتكوين لجنة مهمتها توحيد الفتوى حول رؤية هلال رمضان ، وتحديد نصاب الزكاة . . . الخ وتوجيه الدعاة للمدن والقرى النائية للدعوة والإرشاد ثم توحيد صوت المسلمين والمطالبة بحقوقهم، مع توثيق الصلة مع الحكومة بحسبان أن المجلس هو الجماعة الوحيدة الممثلة للمسلمين. وللحكومة ثقة في الجماعة، حيث أوكلت إليها أمر تنظيم الحج، وأمر قانون الأحوال الشخصية، كالميراث والزواج. . .إلخ، وسمح للجامعة بإصدار جريدة خاصة هي جريدة (صوت العلماء والأئمة). وتضم الجماعة في عضويتها مسلمين بارزين ، أساتذة جامعيين وغيرهم، وقد تمكنت الجماعة من ضبط شؤون الحج ، وعقد دورات للأئمة بمشاركة رابطة العالم الإسلامي، والأزهر، ولكنها لم تهتم بأمر التعليم، وبوضع أسس ثابتة لنشاطها، الأمر الذي أدى إلى تدني نشاطها. (محمد ، ١٤١٥هـ ص ص ١٦٩-١٧٨).

وتجدر الإشارة إلى أن معظم هذه الجماعات الإسلامية متنافرة مع بعضها البعض، ومن ثمَّ فخلافاتها مستمرة، وهي إشارة واضحة إلى فرقة المسلمين وإلى أزمة القيادة بينهم.

المسلمون والعالم الخارجي

ظلت علاقات المسلمين في غانا بعالم الإسلام الخارجي ، وعلاقة ذلك العالم بهم محدودة جداً ، وذلك بسبب العزلة التي ضربها عليهم الاستعمار البريطاني، وبسبب البعد الجغرافي ، ثم بسبب الهيمنة الاستعمارية على معظم أجزاء العالم الإسلامي. ولكن رغم ذلك ، كان الأزهر الشريف من أسبق المؤسسات التعليمية التي قامت بتقديم خدمات تعليمية لمسلمي غانا ، بغرض سد الفجوة التعليمية التي فصلت أولئك المسلمين عن بقية شرائح مجتمعهم الغاني . فهو أول من فتح أبوابه لأبناء المسلمين الغانيين . ففي عام ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م ، قدم الأزهر لهم عشرين منحة دراسية في مختلف التخصصات ، كما فتحت الجامعة أول مركز ثقافي لها في أكرا عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م للاعتناء بتدريس اللغة العربية .

وكذلك كان للجامعات السعودية دور رائد في هذا المجال ، إذ بلغ الخريجون الغانيون من تلك الجامعات منذ السبعينات الميلادية حوالي ١٨٠ طالباً ، معظمهم في تخصصات دينية من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة أو من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، كما أرسلت هذه الجامعات وفوداً لزيارة غانا والتعرف على مسلميها ومشكلاتهم، وعقدت دورات لأئمتها وعلمائها .

وهناك أيضاً مجهودات لمؤسسات سعودية أخرى مثل الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة ، في مجال الدعوة ، فهي تقوم بكفالة حوالي ٤٠ داعية من خريجي جامعات المملكة من أبناء غانا ، وبإرسال دعاة آخرين، وكذلك تفعل رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، فهي تكفل دعاة محليين ، وترسل آخرين إلى غانا، فضلاً عن إرسال الكتب الإسلامية والمصاحف . وهناك بعثات البنك الإسلامي للتنمية لدراسة العلوم العصرية ، فقد ابتعث البنك أربعين طالباً إلى تركيا، كما يقوم بإنشاء المعهد الإسلامي للعلوم الطبية في شمالي غانا بمدينة «تمالي» .

ولجمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتية جهود أيضاً ، فقد فتحت لها مكتباً في أكرا عام ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، وهي تساعد في بناء المساجد ، والمدارس الإسلامية، وحفر الآبار، وفي المجال الاجتماعي بكفالة اليتامى ومساعدة الأسر الفقيرة، وقد أسست لها مزرعة (حوالي ١٧٠ فداناً) في مدينة « كاسوا ». وهناك محاولات أخرى لافتتاح مكاتب من قبل مؤسسات كهيئة الإغاثة العالمية بالسعودية، ولجنة مسلمي أفريقيا ، وبيت زكاة الكويتيين بغرض تخفيف معاناة المسلمين (محمد، ١٤١٥هـ، ص ص ٤٢٨ - ٤٣٥) .

المشكلات والتحديات :

تعرضنا فيما مضى للمشكلات التي تواجه المسلمين في غانا، مثل الفرقة، والقيادة، ثم مشاكلهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبقي أن نشير إلى التحديات الأساسية التي تواجههم وهي: النشاط التنصيري، ونشاط الفرقة الهدّامة.

١ - التنصير :

يتخذ النشاط التنصيري أشكالاً عدة، فهو يتم عن طريق العمل الإذاعي، وبث البرامج باللغات الإنجليزية والتوى والهوسا ، وعن طريق المؤسسات التنصيرية وأعمالها الخدمية والاجتماعية ، وعن طريق صحفها ومجلاتها وكتيباتها ، كما أضحت الكنيسة والمزرعة والمدرسة هي مراكز أساسية للتنصير . وفي غانا أكثر من ثماني عشرة كنيسة تقوم بمهمة التنصير (محمد، ١٤١٥هـ، ص ص٣٧١-٣٧٨)، وقد باشرت الكنيسة حملاتها التعليمية التنصيرية في غانا منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري(التاسع عشر الميلادي)، حيث لعبت ثلاث إرساليات دوراً خطيراً هي:

أ - جمعية وزليان التبشيرية Wisliyan Missionary Society .

ب- جمعية بازل Basil Missionary Society .

جـ - جمعية بريمان التبشرية Breman Missionary Society .

بدأت كلها في الساحل ، ثم تحولت إلى الداخل ، ثم تبعتها إرساليات أخرى، كاثوليكية وغيرها . وكانت ميزانية الكنائس في حقل التعليم تفوق بكثير ميزانية الحكومة تجاهه . وصارت مدارس الكنائس أفضل عطاءً من المدارس الحكومية، وكانت الكنيسة تمول المدارس التي تعجز الحكومة عن تمويلها ، وفي عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م بلغ عدد الطلاب في غانا مليون طالب ، كانت حصيلة مدارس الكنائس من هذا العدد حوالي ٧٠ - ٧٥٪ وهدفها من كل هذا الجهد هو إيصال النصرانية عن طريق التعليم (Mcwilliam , 1975 , P.P. 15-22) .

كذلك عملت الإرساليات على تأمين العلاج للفقراء المرضى من أجل التنصير، فأقامت المستشفيات والمستوصفات في المدن والأرياف . وللكنائس هيئات ومراكز طبية، فلـلكنيسة الكاثوليكية مثلاً « وكالة الصحة الكاثوليكية » ومقرها العاصمة أكرا، ولها مستشفيات، كما أن الكنائس تنشط في غانا لتأمين الغذاء للأسر الفقيرة عن طريق إقامة المزارع ومشروعات الري، وركزت نشاطها هذا في المنطقة الشمالية حيث المسلمون، ولها هيئات إغاثة مثل هيئة الإغاثة الكاثوليكية، وهي تستورد وتزرع المواد الغذائية، وتوظف المسلمين، وتساعد الأعيان بالمعدات والجرارات . . إلخ(الدوبي، ١٩٩٠م، ص ٨٥) ، أيضاً (مجلة الأزهر ، محرم ١٣٧٥هـ ، ص ٧١).

٢ - الفرق الهدَّامة :

دخلت بعض الفرق الهدَّامة إلى غانا بتشجيع من المستعمرين البريطانيين بهدف

خلق البلبلة والفرقة بين المسلمين . ولقد كان وصول أهم تلك الفرق في مطلع القرن العشرين الميلادي ولقد وجدوا مساندة ودعماً مادياً وأدبياً من الحكومة الاستعمارية فركزوا على التعليم فكان لهم عام ١٤١١هـ (١٩٩٠م) أكثر من مائة مدرسة بالإضافة إلى ثلاث كليات جامعية . ولقد خرَّجت هذه المؤسسات التعليمية أعداداً كبيرة مشبعة بالأفكار الهدَّامة ومكنتهم الحكومة الاستعمارية من احتلال المناصب الحكومية وأوكلت إليهم أمور المسلمين ، وأتاحت لهم الفرص للانتشار عن طريق إنشاء دور للنشر وبناء المساجد الخاصة بهم وتقديم الخدمات الصحية عبر مستشفيات خاصة موزعة في مناطق غانا العشرة .

ولاشك أن هذه الفرق تمثل خطراً جسيماً على المسلمين في غانا ، مما يتطلب الانتباه من كل من يعنيه نشر وتثبيت المعتقدات الإسلامية الصحيحة .

• • • • • •

الأقلية المسلمة في جنوب أفريقيا

الأقلية المسلمة

في جنـوب أفريقيـا

خلفية جغرافية وتاريخية مختصرة :

تقع جمهورية جنوب أفريقيا (ترد فيما يأتي جنوب أفريقيا) في أقصى الطرف الجنوبي من القارة الأفريقية ، وتحدها ناميبيا من الشمال الغربي، وبتسوانا وزمبابوي من الشـمال، وموزمبيق وسوازيلاند من الـشمالي الشـرقي، وفي الشرق يـحدها المحيط الهندي، ومن الجنوب والغرب المحيط الأطلسي، أما ليسوتو فتحيط بها تماماً أراضي الجمهورية وتقع داخل جزئها الشرقي.

وتبلغ مساحتها ١٫٣١٩٫٠٨٠ كيلو متـر مربع ، ويسكنها حسب إحصاء مارس ١٩٩١م ٣٧٫٩٤٤٫٠١٨ مليون نـسمة (World Fact Book , 1995 , P.467) ، وقد يصـلون إلى ٤٠٫٤٣٦٫٠٠٠ مليـون نسمة حـسب تقديرات يـونيو ١٩٩٥م. (Statesman Year Nook , 1996-1997 , P.P. 1156-1157) .

ويشكل السكـان الأفارقة ٧٦٫١٪ في حين يشكـل البيض ١٢٫٨٪ من جملة السـكان، والملـونون ٨٫٥٪ أمـا الآسـيويون فـهم ٢٫٦٪ من مـجـمل السـكان (Eunopa,1995,P.870)، وسمت السـكان في جنوب أفريقـيا هو التبايـن العرقي واللغـوي والثقافي -فـهم أفارقة وآسـيويون وأوروبيـون وهجين بين ذلك، وكثـافة السكـان حوالي ٣١ نسـمة للكيـلو متر الـواحد، ولكنـهم موزعون بـطريقة غـير متساوية، فأماكن التـعدين هي أكثر المناطق كثافة سكانية، تليهـا منطقة جوهانسبرج وماحولها، ثم الموانى ويتواجد الأوروبيون بكثـافة في المدن، أما الأفريقيون فحوالي ٦٠٪ منهم كانوا يـعيشون في المعازل القـبلية المخصصة لـهم، في حين أن الملونين يعيشون بكثرة في منطقة الكيب، والآسيويون في الناتال وماجاورها .

ولسكان جنوب أفريقيـا إحدى عشرة لغة رسمية، بما فيها لـغة الأفريكانا واللغة الإنجليزية، والبدي Pedi والسوازي والتسونقا والفندا والزولو . . إلخ .

المنـــاخ :

متعـدد السمات بسـبب ارتفاع أراضي الدولة ، وقـرب معظمهـا من المحيط ، واتساع رقعتهـا . وهو مناخ شبه جاف على طول الساحل الـشرقي ، وشبه مداري عموماً مع شيئ من الـتفاوت من منطقة إلى منطقة ، فالمناطق الجـنوبية الغربية ذات مناخ « بحر متوسط » تسقط أمطاره شتاءً ، في حـين تسود المناطق الشمالية الغربية مظاهر المناخ الصحراوي ، وتلطف الهضبـة التي تكوِّن معظم أراضي جنوب أفريقيا من مـعدل درجات الحـرارة في البلاد ، والتـي هي درجات معـتدلة طول الـعام، وتتفـاوت مابين ٢ر١٧ درجـة مئوية فـي برتوريا ، و٧ر١٦درجة مـئوية في مـدينة الكاب، كما أن معدل سقوط الأمطار يتـفاوت من منطقة إلى أخرى ، ويتساقط في بعض أجزائها صيفاً، وفي البعض الآخـر شتاءً . فالمعدل السنوي للأمطار هو ٥٦٤ ملـم في مـديـنة الـكاب، و ٥٠٨ ملـم في ديـربان وحـوالـي ٠٠٨ر١ ملـم في جوهانسبرج (Stafes man Yeanr Book , 1996 -1997 , P.1157) .

الأرض والسكان :

معظم أراضي جنوب أفريقيا هضبة مرتفعة ، يزيد ارتفاعها عن ألفي متر ويحيط بها مـن الجنوب والشرق نطاق جـبلي ، يفصل بـين الهضبة والـسهول الساحـلية، وأعلى ارتفاع لهذه الهـضبة يوجد في الشرق والجنوب الشرقي ، وتـنحدر تدريجياً نحو حوض كلهاري في الشمال الغربي ، أي أن الهضبة تشغل وسط البلاد . وتقع منطقة ترانسفال إلى شمال الهضبة ، وفي قسمها الشرقي يوجد إقليم الفيلد الأعلى ثم الفيلد المنخفض. وفي الشمال الغربي توجد صحراء ناميبيا وتنحرف مياه الهضبة إلى نهر الأورانج وأفرعـه، حيث يفرغها بدوره في المحيط الأطـلسي، وهناك أنهار أخرى صغيرة تصرف مياه الهضبة (Europa , 1995 , P. 858) .

الاقتصـاد :

الزراعة عنصر مهم من عناصر الاقتصاد في جنوب أفريقيا ، وإنتاجها هو القمح والذرة وقصب السكر والقطن . وفي البلاد ثروة حيوانية تزيد عن حاجة الاستهلاك

المحلي، وإنتـاج الذهب يجعلها فـي المركز الأول من حيث الإنتـاج العالمي، ودوره مهم في اقتصاد البلاد . وهناك أيضـاً الماس واليورانيوم والفحم . ورغم هذا الغنى فإن الأغلبيـة العظمى من السكان الأفريقـيين ظلت تعيش حالة من الـفقر المدقع ، ومن البطالة، بينما الأقلية البيضاء هي الـتي تستأثر بخيرات البلاد ، وتحظى بمستوى عال يضارع مستويات غربي أوروبا ، ولكـن هذه الأوضاع الآن آخذه في التغير بعد مجيئ الحكومة الوطنية.(World Fact Book , 1995 , P.P. 389-390) .

دخول الإسلام إلى جنوب أفريقيا والتوزيع المجالي للمسلمين :

على الرغـم من أن الإسلام قـوة لايسـتهان بهـا في القـارة الأفريقـية ، إلا أن وجـوده في جنـوب أفريقيـا ضئيل للدرجة التي جعلت سبنسـر ترمنجهام يقول «إن دخـول الإسـلام إلى أواسط وجنوب أفريـقيا كان ضـئيلاً لـلدرجة التي يمكـن بها تجاهلـه».(Trimingham , 1980 , P. 11) . ولكنـنا لا نتفق مـع ترمنجـهام، فرغم قلة عدد المسلمين في جنوب أفريقيا فـلا يمكن تجاهلهـم، أو تجاهل مساهماتهم الاجتماعية والاقـتصادية والسياسية في حياة بلادهم، والـدور الذي لعبوه، كأفراد، أو كمجموعات عرقية ، أو كأقلية دينية . فقد كان للمسلمين دور نشط في معارضة سياسة الفـصل العنصري مثلاً ، والتي حرمتـهم من حقوقهم الأساسية، فـجعلتهم لاوزن سيـاسي لهم ، ولايتـمتعون بـحق المواطنة كـالبيض ، وغيـر مسمـوح لهم بالتصويت. . ولكن - وعلى غير حال الأقليات المسلمة الأخرى فحالتهم الاقتصادية جيدة، وهم أكثر انضباطاً ووعياً وتنظيماً وحرصاً على هويتهم الإسلامية .

ويرجع تـاريخ الإسلام في جـنوب أفريقـيا إلى منـتصف القـرن الحادي عـشر الهجري (السابع عشر الميلادي)، وقد وردها عن عدة طرق هي :

استجلاب الأسرى والمستبعدين والزعماء السياسيين المنفيين من أرخبيل أندونيسيا ومن الملايو وسيلان، والعمال الذين استجلبوا من الهند للعمل في مزارع السكر في مقاطعـة الناتال، ثم المهاجـرين الآتين من شبه القـارة الهندية كتجـار وعمال . . . إلخ. ثم مجموعة الزنجباريين، وأخيراً العمال الآتين من البلدان المجاورة للعمل في مناجم جنوب أفريقيا.

مسلمو الكاب :

كانت منطقة الكاب هي المنطقة الأولى التي وصلتها طلائع المسلمين المستبعدين والسجناء المسلمين السياسيين في حوالي عام ١٠٧٨هـ (١٦٦٧م) من المستعمرات الهولندية في أرخبيل أندونيسيا . ومن بين المنفيين الأسرى كان الأمير عابدين «ناديا تيوسيوب »، والذي اشتهر في تاريخ جنوب أفريقيا بالشيخ يوسف ، وقد وصل معه ١٢ رجلاً من علماء وفقهاء الدين الإسلامي ، ويعتبر المؤسس الأول، والأب الروحي للإسلام في جنوب أفريقيا. وقد لقي أولئك المسلمون الأوائل صنوفاً من المعاملة السيئة، ومحاولات تغيير دينهم، ولكنهم عضوا عليه بالنواجذ، وظلوا يمارسون شعائره سراً في بيوت قادتهم، حتى أعلنت حرية الاعتقاد في عام ١٢١٩هـ (١٨٠٤م)، وتزايدت أعدادهم، فبعد أن كانوا حوالي ٧٫٨٣٠ مسلماً في عام ١٢٥٩هـ (١٨٤٣م) ، فقد بلغوا في عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) ٩٣٫٥٢٦ مسلماً، ثم صاروا في عام ١٤٠١هـ (١٩٨٠م) حوالي ١٦٣٫٧٠٠ مسلم وذلك حسب آخر إحصائية أجريت في عام ١٩٨٠م (Naude , 1985 , P.P. 21-22) ، وكانت قوانين جنوب أفريقيا العنصرية تصنف هذه المجموعة « بالملونين » ، ومسلمو الكاب الآن هم أحفاد أولئك الذين ثبتوا على دينهم ، وحوالي ٥٠٪ من المسلمين في جنوب أفريقيا ينتمون إلى هذه الجاليات الملونة .

مسلمو مقاطعة ناتال :

وصلت مجموعة ثانية من المسلمين إلى جنوب أفريقيا ، قادمة من شبه القارة الهندية، منذ عام ١٢٧٧هـ (١٨٦٠م) ، استجلبهم المستوطنون البريطانيون للعمل في مزارع السكر التابعة لهم ، وذلك لقلة الأيدي العاملة ، ومهارة الزراع الهنود، وقد وصلت أول دفعة منهم إلى ناتال في ١٦ نوفمبر ١٨٦٠م ، وقد تبع مجيءهؤلاء هجرتان للهنود، إذ هاجر بعض الزراع الهنود إلى مقاطعة ناتال حيث عملوا بالزراعة والوظائف والتجارة، كما هاجرت مجموعة أخرى من الهنود عرفت «بالمسافرين الأحرار» Free Passengers . وصلت إلى ناتال بموجب قوانين

الهجرة العادية، ومعظمهم من المسلمين ، والـذين استقروا في المقاطعة حيث تملكوا قطعاً صغيرة من الأراضي استغلوها فـي زراعة الفواكه والخضر . وقد بلغت أعداد المسلمين الـهنود الذين استـقروا في ديربان حوالـي أربعة آلاف مسلم ، ولحـرصهم على المحافظة على هويتهم أقاموا أول مسجد كبير في ديربان هو « مسجد الجمعة » الشهيـر، والذي يعتبر من أكـبر المساجد في القارة الأفـريقية ، وتلاه قيام مـساجد أخرى (The Islamic Council of South Africa , 1984 , P.P. 13-16) . .

الجماعة الزنجبارية :

وتزايدت أعداد المسلمين بوصول هذه الجماعة الأفريقية المسلمة ، وهم مجموعة من الأرقاء الزنجباريـين الذين حررهم الأسطول البريطاني في مـياه المحيط الهندي، ونقلـهم إلى منطقة ديربـان، حيث استـقروا فيها . وعلى الرغم من أنهم كانوا من قبائـل ماكوا في شمـالي موزمبيـــق إلا أنهم أطلقـوا على أنفسهم لقب الزنجباريين، وقد بلغت أعدادهم حتى الثمانينـات من القرن العشرين الميلادي حوالي ثلاثة آلاف مسلـم (Sicaid , 1980 , 1981 , P.P. 128-137) .

كمـا أن هناك عدداً من المسلـمين جاءوا من البـلاد المجاورة للعمل فـي مناجم جنوب أفريقيا بخاصة من موزمبيق وملاوي .

وقد وصل الإسلام إلى السكان البيض من ذوي الأصول الأوروبية ، ويبلغ عدد المسلمين بينهم حـالياً حوالي ألفي مسلم ولهم جـمعية خاصة بهم - اسمـها حركة الدعوة، ويتـبعها مـسجد ، ومركـزها جوهانسـبرج ، ولهم علاقـات مع المجالس والجمعيات الإسلامية في غـربي أوروبا وأمريكا الشمالية. (عودة ، ١٩٨٩م ، ص ص : ٩-١٢) .

توزيع المسلمين العرقي والجغرافي (جدول رقم ٢ ، ورقم ٣) :

تتفاوت أعداد المسلمين ونسبهم بين ٤٠٠ - ٥٠٠ ألف مسلم ، ونسبتهم المئوية بين ٤ر١ - ٦ر١ ٪ وفي أحـيان ٢٪ والجدولان رقـم (٢) ، ورقم (٣) يوضـحان أعدادهم وتزايدها في السنوات ١٩٦٠م ، و١٩٧٠م ، و١٩٨٠م (وهي السنة التي جرى فيها آخر احصاء) .

جدول رقم (٢) عدد ونسب المسلمين في جنوب أفريقيا في الأعوام

١٩٦٠ , ١٩٧٠ , ١٩٨٠م

	١٩٦٠م		١٩٧٠م		١٩٨٠م	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
البيض	٢٤٠	١٢ر	٩٤٥	٣٥ر	١ر٦٩٧	٤٨ر
الهنود + زنجباريون	٩٩ر٠٦٨	٥٠	١٢٥ر٩٨٧	٤٧	١٦٥ر٨٤٢	٤٧
الملونون	٩٢ر١٣٠	٤٧	١٣٤ر٠٨٧	٥٠	١٧٦ر٤٠٦	٥٠
الافريقيون	٥ر٥٩٩	٢ر٨	٨ر٨٩٦	٣	٩ر٠٤٨	٣
العدد الكلي	١٩٧ر٠٣٧	–	٢٦٩ر٩١٥	–	٣٥٢ر٩٩٣	–
جملة سكان جنوب أفريقيا	١٥ر٩٤٣ر١٧١		٢١ر٧٩٤ر٣٢٨	–	٢٥ر٠١٦ر٥٢٥	–
النسبة المئوية من سكان جنوب أفريقيا	٢ر١٪		٢٤ر١٪		٤ر١٪	

المصدر :

- Vawdas, Winter 1994, P. 535.

- Thw Emerging Islam in an African Town-ship, The American jonraul of Islamic Social Suienecs, Vol. 11, no, 4.

جدول رقم (٣) عدد ونسب المسلمين في جنوب أفريقيا حسب تقديرات

لجنة مسلمي أفريقيا (عام ١٩٨٠م)

الفئة	عدد السكان	المسلمون	نسبتهم	نسبة المسلمين
الأفريقيون	٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠	٢٠٫٠٠٠	١٫٠٪	
البيض	٦٫٠٠٠٫٠٠٠	٢٫٥٠٠	٤٫٠٪	
الملونون	٣٫٣٠٠٫٠٠٠	٢٥٠٫٠٠٠	٣٫٨٪	١٫٦
الآسيويون	١٫٠٠٠٫٠٠٠	٢٠٠٫٠٠٠	٢٠٪	
المجموع	٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠	٤٧٢٫٥٠	١٫٦٪	

المصدر : لجنة مسلمي أفريقيا ، مكتب جنوب أفريقيا «د.ت»، ص:٥).

ويستقر المسلمون بشكل مكثف في مقاطعات الكاب ثم ناتال وترانسفال الترتيب حسب أعدادهم ويقل وجـودهم في مقاطعة الأورانج الحرة لأسباب تاريـخية تتصل بهجرتهـم، وهناك مابين ٧٠٠-٨٠٠ مسلم تقريـباً يعيشون في المواطن الأفـريقية، ويعيش حوالي ٩٠٪ من المسلمين في المدن الكبرى كما هو موضح أدناه :

١ - كيب تاون ٢٠٠٫٠٠٠ مسلم أكثر من ٩٠٪ من ماليزينا .

٢ - ديربان ١٥٠٫٠٠٠ مسلم أكثر من ٩٠٪ من أصول هندية .

٣ - جوهانسبرج ١٠٠٫٠٠٠ مسلم حوالي ٧٠٪ من أصول هندية .

(عبدالله ، ١٩٨٦م ، ص ٩٤٩) .

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية للمسلمين

المسلمون في جنوب أفـريقيا جالية على درجة من الرخـاء على الرغم من الجو السياسي والاقتصادي والاجتماعي القاسي وعلى الرغم من القيود المفروضة عليهم، فهم يشاركون في شتى مجالات العمل ، ويلعبون دوراً رائداً في التجارة، وينافسون البـيض في هذا المجـال ، وأسواق مدينـة ديربان شاهـدة على ذلك، وفي الـكيب يشاركون في كل الحرف والأعمال التي تحتـاج إلى مهارات ، بخاصة أعمال البناء، والتجارة والحدادة ، والحياكة ، وصناعة السجاد . . . إلخ .

وحوالي ٣٠ ٪ من المسلمين يعملون في مجال التجارة (تجار جملة وتجار صغار) بخاصـة في ناتال وترانسفـال ، وحوالي ٤٠ ٪ يعملون كـصناع مهرة ، و ٢٠٪ كعمـال شبه مهرة أو غيـر مهرة ، و ١٠ ٪ يعملون في قطاع الخـدمات كالتدريس والطب والمحاماة والمحاسبة . ويتمتع المسلمون بشكل عام بمستوى معيشي أعلى من الجاليـات الملونة والهـندية (غير المسلمة) وهناك بـالطبع فوارق فـي الرواتب بين البيض وغيرهم ممن هم في خدمة الدولة ولـكنها الآن في طريقها إلى الزوال ، كما أن تطور المسلمين وغيرهم من غير البيض في المجالات الاقتصادية معاق سلباً بسبب القوانين العنصريـة والتي تنحاز إلى البيض كلية ، ولكن هـذا الوضع أخذ أيضاً في الزوال (Argyle , 1981 , P. 224) .

وعلى الرغم من معاناة المسلمين من قوانين البلاد العنصرية إلا أنهم أسعد حالاً من غيرهم (من غير البيض) فمجالات عملهم أفضل ، ودخلهم أكبر ، ويتمتعون نسبياً بمستوى أفضل في المجالات التعليمية ، كما أن خضوع المسلمين لتلك القوانين التي تقسم السكان إلى مجموعات عرقية حسب ألوانهم ، جعل التواصل بينهم أمراً صعـباً والتفـاعل بينهم أمـراً ليس باليـسير، ومن تلـك القوانين قانـون منع الزواج المختلط، وقـانون مناطق المجموعـات ، وقانون التوظيف ، والـقوانين التعليـمية،

وأدى كل ذلك إلى أن يصبح لكل جماعة مساجدها وجمعياتها ومطبوعاتها في مناطقها السكنية المنفصلة عن بعضها البعض . وغنى عن القول أن تلك القوانين العنصرية نفسها وضعت المسلمين وغيرهم من غير البيض في وضع اجتماعي متدن. فهم قاعدة الهرم الاجتماعي، والذي يقف على قمته البيض أصحاب الجاه والسلطان.

(The Islamic Council of South Africa , 1984 , P.P. 21-22)

وقد حاولت الحكومة العنصرية السابقة اتباع سياسة فرق تسد ، عندما حاولت القيام ببعض الإصلاحات الدستورية التي تعطى الملونين والآسيويين حق المشاركة في الجهاز التشريعي ، ولكن في قاعات برلمانية منفصلة ، وعزلت الأفارقة تماماً ، فليس لهم حق في الانتخاب ولا المشاركة ، وإنما العيش في انفصال تام ، حيث حاولت جعل الملونين والآسيويين جزءاً هامشياً معززاً لنظام التفرقة العنصرية ، وكان فعلها ذاك بسبب الضغوط العالمية عليها ، وذراً للرماد في العيون .

والدولة لاتعترف رسمياً بالدين الإسلامي ، ولكنها تسمح للمسلمين ببناء المساجد والمدارس . فجنوب أفريقيا بلد نصراني ، وجل أهله نصارى ، وللمسلمين شيء من الحرية في مجالات العمل الديني ، ولكن الدولة لاتسمح بالتدخل السياسي من أي جهة دينية، مالم يكن ذلك التدخل لمصلحة سياسة الفصل العنصري، ومتماشياً معها. والنظام القضائي في جنوب أفريقيا لايعترف بقانون الأحوال الشخصية الإسلامي بالنسبة للمسلمين ، ويرى أن الزواج حسب القانون الإسلامي سبيل لتعدد الزوجات، ومن ثمَّ على المسلمين إلى جانب زواجهم الإسلامي في المسجد أو في مكان خاص، عليهم إمضاء عقد زواج مدني . أما الميراث فيقسم حسب الشريعة الإسلامية إذا ما وصَّى المتوفى بذلك في وصيته ، وحدد نصيب كل من الورثة، وليس في هذا اعتراف بالشريعة في أمور الميراث وإنما

تنفيذ لوصية فقط . وماعدا ذلك فتقسيم التركة يكون حسب قوانين البلاد، والمحاولات جارية من المجلس الإسلامي الأعلى في جنوب أفريقيا لجعل الحكومة تعترف بجوانب من القانون الإسلامي .

التعليم الإسلامي :

السياسة العنصرية التعليمية في جنوب أفريقيا تعمل على إفراد برنامج تعليمي لكل مجموعة عرقية، تبدأ بالمرحلة الابتدائية وتنتهي بالجامعة ، والبرنامج التعليمي علماني عنصري يتجاهل التربية الدينية تماماً . فمدارس الحكومة والمعانة منها لاتدرس الدين الإسلامي . وقد تنبه المسلمون إلى خطر مثل هذا النظام فعملوا على نشر المعرفة الإسلامية من خلال عدة قنوات منها :

١ - **المدارس الإسلامية** : لتعليم النشء القرآن وحفظه، دون فهم لمعانيه، وهي تعلمهم أيضاً التوحيد، جوانب من تاريخ الإسلام الأول، التلاوة، الأخلاق، الفقه، واللغة العربية . وتعاني هذه المدارس من ندرة المعلمين المدربين تدريباً حديثاً، كما تعاني من رداءة الكتب المدرسية ، وضعف مادتها التربوية، كما أن وقت الدراسة فيها يبدأ بعد انتهاء اليوم الدراسي في المدارس الحكومية، مما يحد من مقدرة التلاميذ على الاستيعاب والاستفادة من تلك الدراسات الإسلامية، كما أنهم يتوقفون عن تلك الدراسات في المراحل التعليمية المتقدمة لانشغالهم بالدراسة العصرية في مدارس الحكومة . ولقد بدأت بعض المنظمات التعليمية الإسلامية تهتم بتطوير هذه المدارس بعد عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م، والنهوض بمستوياتها. ومن أهم تلك المنظمات « الأمانة الإسلامية المركزية في جوهانسبوج The CENTRAL ISLAMIC TRUST واتحاد مسلمي لناسيا LENASIA MUSLIM ASSOCIATION والمجلس الإسلامي في مدينة الكاب. ولعل العلاج الوحيد لمشاكل المدارس الإسلامية هذه هو إنشاء مدارس تعنى بالعلوم الإسلامية والعلوم

العصرية، من خلال منظور إسلامي (عبدالله، ١٩٨٦م، ص ٩٥٢)، و(NADAWI , 1993 , P.P. 46-47)

٢ - **المعاهد الدينية** : هناك عدد من هذه المعاهد يصل إلى ٣٠٠ THE ISLAMIC COUNCIL OF SOUTH AFRICA , 1984 , P. 26) و (NADUWI , 1993 , P.49) ولعل من أهم تلك المعاهد « دار العلوم في نيوكاسل (ناتال) ومعهد ديربان للسلام، ومعهد الدراسات الإسلامية في الكاب، ومعهد دراسات الشريعة الإسلامية في الكاب ، ومعهد وترفال الإسلامي في جوهانسبرج. وفي تلك المعاهد العليا يتلقى الطلاب المسلمون المزيد من المعرفة الإسلامية وتخرج بها الدعاة والأئمة، وقد يلتحق بعض هؤلاء بالجامعات الإسلامية في باكستان، والسعودية، ومصر ليصبحوا دعاة فيما بعد .

لم يهتم المسلمون بالتعليم الجامعي في أيامهم الأولى، ولكنهم الآن يهتمون به إذ يدرس طلابهم بعض المقررات الإسلامية الجامعية، فهناك خمس جامعات في جنوب أفريقيا تدرس اللغة العربية ضمن برامجها الدراسية، وخمس أخرى تدرس الدراسات الإسلامية. ففي جامعة ديربان (وستفيل) مثلاً هناك شعبة للدراسات الإسلامية حيث يدرس الطلاب جوانب متعددة من الإسلام (Haron,1988,P.P48-50)

٣ - **المساجد**: تنتشر المساجد في أحياء المسلمين ، وتقوم بنشر المعرفة الدينية بين الناس، وقد أنشئ أول مسجد في مدينة الكاب في عام ١٢٦٧هـ (١٨٥٠م، وتوالى إنشاء المساجد والمدارس بعد ذلك ، في ناتال وترانسفال والكاب، ولكل بلد أو قرية بها عدد معقول من المسلمين مسجدهم ومدرستهم، وأكبر المساجد هو مسجد الجمعة في ديربان والذي يسع حوالي خمسة آلاف مصلٍ. وهناك الآن حوالي ٣٠٠ مسجد ومئات المدارس المشيدة في أنحاء البلاد كلها شيدت وتتم

رعايتها من قبل المسلمين أنفسهم . ولقد أدت سياسات وممارسات الحكومة العنصرية السابقة في أحيان كثيرة إلى تحويل جماعة من المسلمين، من مكانهم إلى مكان آخر، مخلفين وراءهم مسجدهم ومدرستهم. وفي هذه تكلفة مالية ومعاناة على أولئك المسلمين .

تعليم المرأة المسلمة :

ظلت المرأة المسلمة في جنوب أفريقيا، تعاني من الجهل والإهمال، شأنها في ذلك شأن كثير من أخواتها المسلمات في شتى بقاع العالم الإسلامي، ولم يهتم بأمر تعليمها إلا حديثاً، إذ أنشئت أول مدرسة خاصة للبنات في عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٣م)، وهي كلية حبيبة الإسلامية للبنات، وقد تلى ذلك فتح ١٢ مدرسة خاصة أخرى. وقد اهتمت كل تلك المدارس إلى جانب اهتمامها بالمستويات الأكاديمية بأسلمة المناهج. وقد تجمعت كل هذه المدارس الثلاثة عشرة لتكوّن رابطة المدارس المسلمة، ومنها: مدرسة السلام الخاصة وبها ٣٧٠ طالبة ، و ٢٠ مدرساً، وكلية حبيبة الإسلامية للبنات وبها ٤٥٠ طالبة ويدرس بها ٣٠ مدرساً ومدرِّسة، ومدرسة لناسيا ٢٤٤ طالبة و ١٩ مدرِّسة. . إلخ . (Nadawi , 1993 , P. 51) .

المنظمات الإسلامية المحلية :

المسلمون في جنوب أفريقيا ، رغماً عن التباين العرقي والثقافي ، ورغماً عما وجدوه من قهر واضطهاد من جراء السياسات العنصرية القاسية ، متحمسون للإسلام، مهتمون بالحفاظ على هويتهم وذاتيتهم الإسلامية ، فلهم مثلاً حوالي عشرين تنظيماً إسلامياً تطوعياً تعمل من أجل حاجاتهم الثقافية والاجتماعية والروحية، ويعمل بعضها على توحيد المسلمين ولقد كانت نشطة ضد السياسات العنصرية السابقة الرامية إلى فصل العناصر بعضها عن بعض والتي كانت تحول دون اختلاط المسلمين وعيشهم سوياً، ناهيك عن توحدهم، وتجعل من الصلات

الاجتمـاعية والثقافـية بينهم أمراً صـعباً، مما نتج عنـه تشتت المسلمين. فـهم مثلاً مشتتون لغوياً، وتعدد اللغات بينهم يمنـع من توحيدهم لساناً . فهناك لغات رسمية عمل النظام العنصـري السابق على تمكينها ، وهناك لغات ثانويـة تنحصر في بعض الفئات، كـما توجد لغات تستعـمل في البيوت . وأمام هذا التـشتت ومن أجل لم شمل المسلمين، وربـطهم ثقافياً واجتماعـياً ، قامت عدة منظمات إسـلامية بهدف العمل في أوساط المسلمين، وتوعيتهم بأمور دينهم، ومساعدتهم على المحافظة على هويتهم ، وتشمـل نشاطات هذه المنظمات إلقاء المحاضرات ، وطـباعة النشرات ، وعقد الندوات للتعريف بالإسلام والرد على دعايات الإرساليات التنصيرية، وحمل الإسلام إلى غير المسلمين وذلك رغماً عـن قلة عدد المسلمين، وندرة الدعاة بينهم، والظروف الـصعـبة التـي تحيط بـهم، وقلة الإمـكانات الماديـة. ومن تلك المـراكز والمؤسسات الإسلامية، جمعية المسلـمين البيض، وهي أول جمعية تأسست في عام ١٩٧٦م في جوهانسبرج، ومركز الدعوة الإسلامية في ديربان ، الذي أسسه الداعية المعروف أحمد ديـدات والذي يقوم بطبع ونشر الكتب للرد عـلى دعاوي النصارى. ونشاط الداعية أحمد ديدات معروف في مجال المناظرات التي يعقدها مع القساوسة ورجال الدين النصراني ، وفي المؤلفات التي يـوزعها المركز. ولنشاطه دور ملحوظ في إبـراز نشاط المـسلمـين في جنوب أفـريقـيا، وتـعريف الـعالـم الخارجي بـهم وبأحوالهم.

المجلس الإسلامي لجنوب أفريقيا The Islamic Council of South Africa:

وهو التنظيم القومي الجامع للمسلـمين في جنوب أفريقيا، والذي ينضوي تحت مظلتـه حوالي ١٣٥ تنـظيماً إسـلامياً آخـر ، إما كأعـضاء فيـه، أو منتسـبين إلى عضويتـه، وقد تم تكوينه في ٢٩ نوفمبـر ١٩٧٥م ، حينما اجتمـع ممثلون لحوالي ١٠٩ تنظيم إسلامي يمثلون كل أنحاء البلاد فـي ديربان لغرض جمع كلمة المسلمين

وحمايـة مصالحهم ورعايـتهم والتحدث رسـمياً باسمهـم وطنياً وعالمياً ، وتـوجيه البرامج وتنسيقها، وحل مشكلات المسلـمين بالمشورة والتفاوض والتحكيم والتعاون مع المنظمات العالـمية من أجل ترقية العمل الإسلامي وتمثـيل المسلمين في المؤتمرات والندوات العـالمية وتنـظيم ندوات حول الإسـلام، والعمل من أجـل تحقيق كـرامة الإنسان والعدالةالاجتـماعية، وإشاعة المودة والوحدة بين المسلمـين من جهة وبينهم وبين أهل جنوب أفريـقيا من جهة أخرى. وتديـر المجلس لجنة أمناء ينتخبـها مؤتمر عام كل ثلاثة سنوات، وهـي مكَّونة من ٣٢ عضواً يمثلون الأقالـيم الثلاثة: الكاب وناتال وترانسفال، وتنتخب هذه اللجنة جهازاً تنفيذياً من ١٢ عضواً هو الذي يباشر الإدارة اليومية للمجلس. ويتـزعم المجلس رئيس يساعده ثلاثة نواب (الأمة، ع١، محـرم ١٤٠١هـ، The Islamic Council of South Africa , 1984 , P.P. 33-35).

المحكمة الشرعية في الكاب :

وتقوم بإنجار قضايا الأحوال الشخصية، من زواج وطلاق وميراث. . . إلخ.

حـركـة الـشبـاب المسـلـم. The Muslim Youth Movement of South Africa :

من ضمن الجمعـيات التي قامت من أجل الاعتناء بحاجـات الأطفال والنساء، وطلاب الجامعات والشباب العامة، ويعـتبر إنشاؤها في ١٦ ديسمبر ١٩٧٠م، حدثاً مهمـاً في تاريخ المسلمين في جـنوب أفريقيا ، وقـد قامت على مبـدأ أن المسلمين أخوة، وأن هدفها الأسـاس هو أسلمة جميع أوجه الحـياة الاقتصادية والاجتـماعية والثقافية وغيرها، وإبراز وترقية القيم الإسلامية في أوساط الأمة، ونشر الإسلام في القطاعات غـير الإسلامية. ولـكل مسلم الحق في الالتـحاق بعضويتـها، وقد أدى نشاطها إلى قيام عدد من المنظمات الفرعية التابعة، مثل :

١ – صندوق الزكاة الوطني في جنوب أفريقيا ، والذي يتولى جمع الزكاة وتوزيعها .

٢ – وكالة الإغاثة الإسلامية (أسرا) .

٣ – مراكز إسلامية دعوية ، مثل معهد السلام التعليمي وحركة الدعوة .

٤ – المؤسسة المالية الإسلامية .

٥ – مطبعة الدعوة الإسلامية .

٦ – صندوق التنمية الإسلامية لإيجاد المال اللازم للدعوة .

٧ – الجمعية الإسلامية الطبية .

٨ – جمعية المحاسبين والمحامين عن الشريعة الإسلامية (امل) .

٩ – جمعية العلوم الاجتماعية الإسلامية .

١٠– جمعية الطلبة المسلمين .

١١– حركة النساء المسلمات .

وللحركة جهد مقدر في المجال الإسلامي بإصدارها الكتيبات والمطبوعات الدورية، وبإصدارها مجلة إسلامية شهرية هي « القلم » ، وكذلك إنشاؤها هيئة الإذاعة الإسلامية لإصدار أجهزة سمعية وبصرية للدعوة ، ثم إنشاؤها أيضاً لخدمات الكتاب الدولية وهي عبارة عن شبكة من خمس مكتبات إسلامية كلها في جنوب أفريقيا (لجنة مسلمي أفريقيا – مكتب جنوب أفريقيا – غير منشور،«د.ت»، ص ص ٨–١٠).(Esack , 1988 , P.P 477-483)، و (العراقي وجريس، ١٩٩٧م، ص ص ١٣١–١٣٤) .

النشاط الاجتماعي والثقافي للمسلمين :

إلى جانب بناء المدارس والمساجد ورعايتها فللمسلمين في جنوب أفريقيا تنظيمات اجتماعية وثقافية عدة، منها :

منظمات الرعاية الاجتماعية والإغاثة - وهي تهتم بالفقراء والأيتام مثل :

أ - جمعية العون العالمي International في بريتوريا .

ب - دار الأيتام والفقراء في ديربان ، وهي تعمل من أمول الزكاة والصدقات والتبرعات وتصرف حوالي ٥ ملايين راند (العملة المحلية)، كل عام وقد يمتد عملها إلى غير المسلمين .

جـ - جمعيات تعمل على مساعدة أبناء المسلمن النابهين ، بدفع مصروفاتهم ، ومتابعة تعليمهم ، وقد يساعدون الآخرين من الملونين والإفريقيين غير المسلمين .

الإعـــلام :

هناك عدد قليل من الجرائد والمجلات التي يكتب فيها مسلمو جنوب أفريقيا من مسلمي الخارج ، وأهمها اثنتان :

١ - أنباء المسلمين (أخبار المسلمين) Muslim News ، وتصدر كل أسبوعين في مدينة الكاب .

٢ - القلم وتصدرها حركة الشباب المسلم في ديربان .

٣ - مجلة « المختار الإسلامي » Muslim Readers Digest وتصدر شهرياً عن دار مكي للنشر في ديربان ، وعمرها الآن أكثر من ستين عاماً .

هذا إلى جانب النشاط الثقافي والإعلامي الذي تقوم به جمعيات ومراكز أخرى مثل حركة الشباب المسلم Haron , 1995 , P. 317 FF .

المشكلات والتحديات

إلى جانب معاناتهم من قوانين وسياسـات الفصل العنصري التي اكتووا بنارها، كما اكتوى بها الآخرون من غير البيض ، والتي عطلت من نشاط ومشاركة المسلمين السياسية والاقتصادية في أمور بلدهم ، وفرقت بين جماعاتهم ، وحدّت من انتشار الإسلام، إلى جانب كل ذلك فإن المسلمين يواجهون مشكلات وتحديات أخرى من أهمها حركة التنصير والسند الكبير الذي يلقاه المنصرون ، وضعف إمكانات المسلمين وثانياً جهلهم باللغة العربية وضعف صلتهم بالعالم الإسلامي ، وقد ظلت اللغة العربية حبيسة المدارس والمساجد، وقد أدخلت مؤخراً كمادة اختيارية على مستوى المدارس الثانوية التابعة للهنود والملونين، كما أن هناك حركة من قِبَل الحكومة لتعليم اللغة العربية، فإذا وجد عدد مناسب من الطلاب حوالي ٣٠ طالباً، فإن الحكومة تقوم بتدريسهم اللغة العربية على حسابها، كما فتح قسم للغة العربية في جامعة ديربان، وغرض الحكومة من كل ذلك ليس غرضاً إسلامياً، وإنما تريد منافعها، وزيادة اتصالها بالعرب لتحقيق مصالح اقتصادية،(الأمة، ع١، محرم ١٤٠١هـ/ نوفمبر ١٩٨٠م)، وهناك مشكلات القيادة في أواسط المسلمين، وتباينهم العرقي والثقافي وتشتتهم وعدم وجود اتصال قوي بينهم، ولكن كل هذا آخذ في التغير والزوال بفضل ماتشهده جنوب أفريقيا من حركة بعث جديد بعد انهيار النظام العنصري فيها.

وأمر التنصير والتحدي الذي يشكله للمسلمين في جنوب أفريقيا يماثل ماعليه الحال في كل بقاع القارة الأفريقية ، بخاصة مواطن الأقليات المسلمة . وقد لخص الداعية الأستاذ: أحمد ديدات نشاط الإرساليات التنصيرية، وخطرها في مقابلة مع جريدة الأمة القطرية، فأوضح نشاطها الواسع في طباعة الكتب والنشرات النصرانية بأعداد ضخمة، وتوزيعها على المسلمين في بيوتهم بالمجان. فمثلاً تم في عام

١٣٩٥هـ (١٩٧٥م)، تم توزيع مليون نسخة من الإنجيل، وهناك ثمان ترجمات عربية للإنجيل، وعدد من الترجمات الأخرى بلغات جنوب أفريقيا، الأفريكانا والزولو وغيرهما، وقد وصل بهم الحد إلى طباعة كتب مضللة عن الإسلام مثل كتاب « القرآن يقول Quran Says » ومثل كتاب « لماذا تنصرت»، وكتاب « الهداية» وكل هذه الكتب تصل إلى المسلمين في بيوتهم وأماكن عملهم، وكلها كتب تشوش على المسلم تفكيره، وربما انطلت حيلها على ضعاف الإيمان، فأفسدت عليهم دينهم (الأمة، ع١، محرم ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م ، ص ٣١ ومابعدها) .

وفي وجه هذا النشاط التنصيري والإمكانات المادية الهائلة التي تتمتع بها المؤسسات التنصيرية ، كان لابد من دعم مراكز الدعوة الإسلامية مالياً وثقافياً وتعليماً ومن تزويد الأمة المسلمة في جنوب أفريقيا بالمعلمين والعلماء والدعاة، وبكل مايعين على نشر الإسلام ، ولابد أيضاً من دعم جهود تعلم اللغة العربية . فالمسلمون في حاجة إلى معلمين للغة العربية حتى يفهموا الإسلام ويقوموا بنشره بين سكان البلاد الإفريقية وغيرهم فيسدوا الطريق أمام المنصرين ، بخاصة وأن الإسلام - رغم ضعف إمكاناته- يلقى قبولاً متزايداً في جنوب أفريقيا ، ويعود ذلك إلى عوامل وأسباب ثقافية ودينية وسياسية وأخلاقية وسلوكية .

فالإسلام لم يرتبط في العقل الأفريقي العام بالدور الاستعماري الأوروبي، أو بالتسلط العنصري الأبيض ، في حين أن النصرانية والكنائس مرتبطة في عقول الأفريقيين بدور الرجل الأبيض في أفريقيا ، كما أن معارضة المسلمين كأفراد وجماعات للنظام العنصري وتحالفهم سياسياً مع الأفريقيين والملونين، رفعت من نظرة عامة الناس للإسلام والمسلمين . فعلى الرغم من أن قوانين البلاد وقفت عقبة في طريق مشاركة المسلمين في الحياة الوطنية إلا أنهم أسهموا بدور ملحوظ في ذلك المجال، فقد أسهم الرقيق المسلم في تنمية الزراعة في منطقة الكاب، وأثروا زراعة

قصب السكر، بخبراتهم ومهاراتهم ، كما أن المسلمين الهنود لعبوا دوراً في مجال التجارة والاقتصاد والأعمال ، كما ساهم المسلمون الأوائل في النضال من أجل المساواة والعدل. وهناك بعض الدراسات المفصلة حول دور المسلمين في النضال الوطني، منذ أيام الحركة التي بدأها المهاتما غاندي أثناء إقامته في جنوب أفريقيا في الفترة (١٨٩٣/ ١٩١٤م) حيث سجن الكثيرون من المسلمين في الأربعينات والخمسينات من هذا القرن (العشرين الميلادي) لمساهمتهم في حركة المقاومة السلمية (Esack,April . 1988 , P.P. 473-495) ، وقد اتخذت تلك المساهمات أشكالاً فردية في أطوارها الأولى ، ثم اتخذت طابع الجماعية ، إذ كان لحركة الشباب المسلم وجمعية الدعوة إلى الإسلام ، وجماعة القِبْلَة دور واضح ومقدَّر في ذلك الكفاح المناوئ لسياسة القهر والفصل العنصري .

مسلمو جنوب أفريقيا والعالم الإسلامي :

يرى البعض أن المسلمين في جنوب أفريقيا وصلوا إلى ماوصلوا إليه اليوم دون دعم من معظم دول العالم الإسلامي إذ إنها لم تهتم أو تكترث للتطورات التي كانت تمر بها أمة الإسلام في جنوب أفريقيا ، وكل مايجده الشخص في وسائل الإعلام العربية مثلاً هو استنكار وشجب لجنوب أفريقيا، لتعاونها مع الصهيونية دونما تركيز على وحشية نظامها العنصري السابق وعلى الرغم من ادعاءات الحكومة العنصرية أن بعض الحركات الإسلامية النشطة في جنوب أفريقيا تلقى دعماً من دول البترول الإسلامية إلا أن الواقع يكذب ذلك، ولبنك التنمية الإسلامي نشاط ومشروعات في جنوب أفريقيا، ولكنها ذات طبيعة دعوية، والغريب في الأمر أن الحركات الإسلامية والتي تعلم منها بعض قادة الشباب المسلم في جنوب أفريقيا الكثير، لم تهتم إلا عرضاً بأمر المسلمين في تلك البلاد (Esack , April , 1988 , P.P. 497-498) .

من ناحية أخرى فإن لمسلمي جنوب أفريقيا اهتماماً بالغاً بما يجري في العالم الإسلامي ويدللون على ذلك بالمقالات والافتتاحيات الصادرة في بعض المجلات والصحف الإسلامية مثل « أخبار المسلمين » News Muslim ، و «القلم» التي تؤيد قضايا الشعب الفلسطيني، وتدين بشدة السياسات الإسرائيلية التوسعية، وتقف مع أفغانستان المسلمة ضد الغزو الشيوعي لها . وهناك إشارات أخرى إلى أن بعض المنظمات الإسلامية في جنوب أفريقيا ، مثل حر نور الإسلام، في « لناسيا » تحاول خلق صلات مع بعض الدول العربية بغرض نيل بعض المساعدات المالية منها، وقد نتج عن تلك المحاولات أن المغفور له الملك فيصل عاهل السعودية طلب من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة إرسال وفد لتقصي أحوال المسلمين في جنوب أفريقيا، وقد أرسلت الرابطة في ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م)، وفداً مكونا من شخصين زار جنوب أفريقيا، وأوصى بضرورة دعم المسلمين هناك مادياً ، وبتوفير بعثات دراسية لطلابهم في جامعات السعودية، كما أوصى بضرورة تكوين مجلس يمثل كل مسلمي جنوب أفريقيا، ويكون صلة بينهم وبين الرابطة ، وكان هذا من أسباب قيام المجلس الإسلامي لجنوب أفريقيا .

إلى جانب هذه الصلاة الخارجية فإن المسلمين في جنوب أفريقيا يستقبلون العديد من العلماء والدعاة والشخصيات الإسلامية من بعض بلدان العالم ، بخاصة من الهند وباكستان، ويسهم المسلمون هناك إلى حد ما في المؤتمرات الإسلامية العالمية، كما أن بعض شبابهم الذي تعلم في جامعات السعودية وجامعات مصر بدأ يعود إلى البلاد، ويتخذ موقعه على الساحة الإسلامية . ولكن رغم عودة هؤلاء ، يظل معظم علماء المسلمين في جنوب أفريقيا علماء هنود وباكستانيون ، ولعل في كل ماذكرنا من صلات هو في الواقع إشارات إلى أن مسلمي جنوب أفريقيا بصدد إيجاد موقع لهم في منظومة العالم الإسلامي . (Naude , 1985 , P.P. 31-32)

(، و (عودة ، محرم ١٤١٠هـ / أغسطس ١٩٨٩م ، ص ص ١٢ - ١٣) .

لقد تزايد وعي الأمة المسلمة في جنوب أفريقيا بنفسها ، وقوي شعورها بهويتها في فترة العشرين سنة الماضية،وذلك بفضل عوامل عدة، منها أثر الاتجاهات الإسلامية العالمية، بخاصة في منطقة الشرق الأوسط، وفي شبه القارة الهندية ولاشك أن ظروف الحكومة العنصرية السابقة في جنوب أفريقيا والتطورات التي شهدتها قد لعبت دورها في تزايد وعي المسلمين. فقد عاش المسلمون لأكثر من ثلاثة قرون كأقلية مضطهدة تعيش جنباً إلى جنب مع الأغلبية التي اضطهدتها، ولكنها منفصلة عنها تماماً ، وقد تولد من ذلك الوضع إحساس المسلمين بذاتية ذات جوانب متعددة، فهم مسلمون ، وهم غير بيض ، وهم مواطنون جنوب أفريقيون، وكل جانب من هذه الذاتية يتفاوت عن الجانب الآخر في حدته ، وفي قيمته واستمراريته فشعور المسلمين بتدنيهم العرقي هو شعور مفروض عليهم من الخارج، ولكنه مرفوض من جانبهم - لأنه معارض لمبادئ دينهم الإسلامي الذي لايعرف الفوارق العرقية، مضافاً إلى ذلك فإن شعورهم بأنهم مواطنون جنوب أفريقيون ممزوج بولاءات قديمة قابعة في نفوسهم إلى مواطنهم الأولى - في الهند وجنوب شرقي آسيا وغيرها- والتي استجلبوا أو هاجروا منها . وقد بقيت في النهاية ذاتيتهم وانتماؤهم الإسلامي هو الذاتية الغالبة عليهم، والتي مكنتهم من الوقوف بنجاح في وجه كل ممارسات وسياسات الحكومة العنصرية في جنوب أفريقيا . والذي لاشك فيه أن هذه الهوية والذاتية الإسلامية أمر متطور غير جامد ، ومن ثمَّ فإن الأقلية المسلمة في جنوب أفريقيا اليوم لاتقف جامدة أمام التغيرات السياسية والاجتماعية التي تشهدها جنوب أفريقيا، فهي تتطور وتتفاعل معها ، فهم اليوم يشهدون تحولاً تاريخياً، من أقلية مضطهدة، تعاني سياسات الانفصال والقهر العنصري ، إلى فئة ذات مساهمة في مجتمع متباين جديد ، هو مجتمع جنوب أفريقيا الحالي . والدور

الذي سيلعبه المسلمون في ذلك المجتمع يشكل التحدي الأكبر لهم ، فإن هم أحجموا عن المشاركة والمساهمة في التطورات السياسية والاجتماعية التي يشهدها ذلك المجتمع، فإن مصيرهم إلى التخلف ، والعيش مرة ثانية في مؤخرة الركب ، في وقت ستتقدم وتتطور فيه الأقليات الأخرى في جنوب أفريقيا ، وإن هم ساهموا في حياة ذلك المجتمع، كجزء لايتجزأ منه ، مع المحافظة على ذاتيتهم الإسلامية، وعدم السماح بذوبانها في مجتمع الأغلبية العلماني ذاك ، فذلك هو الطريق الأسلم، والأحوط لبقائهم مسلمين جنوب أفريقيين ، يمثلون جزءاً من المجتمع له ذاتيته الخاصة التي لاتعيق تطوره، ولا تكون صوتاً نشازاً فيه ، وإنما هي عامل متمم له، يثريه ولا ينتقص من تقدمه وتطوره شيئاً . ويبقى القول إن بقاء أي أقلية وضمان استمرارها رهين بما تقدمه من إسهام وإعطاء في مجال الصالح العام لبلادها .

• • • • • •

المراجـــع

أولاً : المراجع العربية :

- أبو العلا ، محمود (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) جغرافية العالم الإسلامي ، طبعة ثالثة ، الكويت .
- أبو بكر ، علي الشيخ أحمد (١٤٠٥هـ) الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي ، طبعة أولى ، الرياض .
- أبو بكـر ، علي الشـيخ أحمد، (١٤١٣هـــ)، معالـم الهجـرتين إلى الحبشة.
- أبو زيـد ، أحمـد محـمود (١٤١٠هـــ / ١٩٩٠م) حوار مـع مفـتي أوغندا، مـشكلات المـسلمين فـي أوغندا منـار الإسلام عـدد ٨ شعـبان ١٤١٠هـ / فبراير ١٩٩٠م ، ص ص ٩٣ - ٩٨ .
- الأمة (١٤٠١هـ / ١٩٨٠م) المسلمون والتحـديات التي يواجهونها في جنوب أفريقيا، مقابلة مع أحمـد ديدات مؤسس حركة الدعوة الإسلامية في ديربان، الأمـة عدد ١ ، محـرم ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م، ص ص ٢٨- ٣٣.
- بشري ، عبدالغني بشري «د . ت» المسلمون المنسيون، ط ١، القاهرة.
- بكر ، سيد عبدالمجيد ، (١٩٨٥م) ، الأقليات المسلمة في أفريقيا .
- ترمنجهام ، سبنسر ، (١٩٧٣م) ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ترجمة وتعليق عاطف محمد النواوي ، طبعة أولى ، القاهرة .
- جريدة الرياض ، العدد ٦٤٢٧ بتاريخ ١٧/٥/١٤٠٦هـ .

- الجمل ، شوقي عطا الله ، «د . ت» ، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، ط ١، القاهرة .
- الدوبي ، بدر رشاد (١٤١٠خـ / ١٩٩٠م) الإسلام والمسلمون في زائير التضامن الإسلامي، ج ١٢، جمادى الآخرة ١٤١٠هـ / يناير١٩٩٠م، ص ص ٧٩ - ٨٢ .
- الدوبي ، بدر رشاد (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) الإسلام والمسلمون في جنوب أفريقيا التضامن الإسلامي ، ج ٤ ، شوال ١٤١٠هـ / مايو ١٩٩٠م ، ص ص ٨٣ - ٨٧ .
- الدوبي ، بدر رشاد (١٤١١هـ / ١٩٩٠م) الإسلام والمسلمون في غانا التاضمن الإسلامي ، ج ٩ ، ربيع أول ١٤١١هـ / أكتوبر ١٩٩٠م ، ص ص ٨١-٨٥ .
- ديكس ، جون (١٩٩٠م) جغرافية العالم الإسلامي ترجمة فوزي سهاونه، ط١ ، عمان .
- رابطة العالم الإسلامي (١٩٩٥م) تقرير : المسلمون في أفريقيا ، غير منشور (مكة المكرمة) .
- رضوان ، طه عبدالعليم ، (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) جغرافية العالم الإسلامي ، ج ١ ، ط ١ ، القاهرة .
- روكز ، يوسف (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) أفريقيا السوداء - سياسة وحضارة، ط١ ، بيروت .
- زين العابدين ، سيد (١٩٩٢م) أمة الإسلام والأقليات المسلمة في العالم النفس المطمئنة عدد ٣٢ ، أكتوبر ١٩٩٢م ، ص ص ٢٥ - ٢٩ .

- الشيخ ، عبدالرحمن عبدالله (١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م) دول الإسلام وحضارته في أفريقيا ، بحوث في التاريخ الحديث ، ط١ ، دار اللواء ، الرياض .
- عبدالرحمن ، محمود (١٤١٠هـ / ١٩٨٩م) ، الإرساليات المسيحية والمسلمون في شرق أفريقيا ١٨٤٤-١٩١٤م دراسة أولية عن تطور العلاقات المسيحية الإسلامية في أفريقيا في ظل الاستعمار الأوروبي ، دراسات أفريقية ، العدد الخامس ، ربيع الأول ١٤١٠هـ / أكتوبر ١٩٨٩م، ص ص ٥١-٦٨ .
- عبدالله ، عمر الصديق (١٩٨٦م) أضواء على أوضاع المسلمين واللغة العربية في جنوب أفريقيا، في الندوة العالمية للشباب الإسلامي الأقليات المسلمة في العالم، ج١، ط١، الندوة، الرياض، ص ص ٩٤٣-٩٦٥ .
- العبيدي ، عبدالعزيز بن راشد (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) وسائل انتشار الإسلام في أفريقيا ، دراسة تاريخية دراسات أفريقية ، العدد السادس، رجب ١٤١٠هـ/ فبراير ١٩٩٠م ، ص ص ٣٧-٦١ .
- العراقي ، السر سيد أحمد و جريس، غيثان بن علي(١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، تاريخ الأقليات الإسلامية في العالم ، الجزء الأول (أفريقيا ، ط١، نادي أبها الأدبي ، أبها .
- عمادة البحث العلمي ، ملف الأقليات المسلمة (غير منشور) .
- عودة ، عبدالملك (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) قضايا الأقلية المسلمة في جنوب أفريقيا الهداية ، عدد ١٤٣ ، محرم ١٤١٠هـ/ أغسطس ١٩٨٩م ، ص ص ٨-١٣ .

- الغنيمـي ، عبدالفتاح مـقلد (دون تاريخ) ، حركة المـد الإسلامي في غرب أفريقيا ، القاهرة .
- قاسم ، عـون الشريف (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) الـدعوة الإسلامـية في أفـريقيـا ، دراسـات أفريقـيـة ، العـدد السادس ، رجـب ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ص ١٩ - ٣٥ .
- سوار الـذهب ، عبـدالرحـمن محـمد حـسن (١٤٠٨هـ) ، أوضـاع الأقليات المسـلمة في القارة الأفريقـية ، من بحوث المؤتمر الحـادي عشر لمجمع البحوث الإسلامية، ط١ ، الأزهر ، القاهرة .
- شـاكر ، مـحـمود (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، العـالم الإسـلامي، ط١ ، دمشق.
- عبـاس ، محـمد جـلال (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) ، المد الإسـلامي في أفريقيا، ط١ ، القاهرة .
- مجلة الأزهر ، ١٣٧٨هـ ، يوليو ١٩٥٨م ، محرم ١٣٧٥هـ .
- محمد إبـراهيم (١٤١٥هـ/ ١٩٤٥م) ، الدعوة الإسلاميـة المعاصرة في غانا من ١٣٢٢هـ/ ١٤١١هـ (١٩٠١-١٩٩٠م) رسالة ماجستير ، كلية الدعوة والإعلام ، قسم الـدعوة والاحتساب ، جامعة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض (غير منشورة) .
- محـمود ، حـسن أحمـد (١٩٨٦م) ، الإسلام والثـقافـة العربيـة في أفريقيا، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- مـحمـود ، جـمال الـدين محـمـد (د.ت) ، الأقليـات الإسـلاميـة والمشكلات الثقافية والاجتماعية .

- مرسي ، محمد مرسي محمد (١٩٩١م) ، الأقليات المسلمة في القارة الأفريقيـة منار الإسلام ، العدد السادس ، جـمادى الآخرة ١٤١٢هـ / ديسمبر ١٩٩١م ، ص ص ٨٢ - ٩١ .
- مرقص ، يواقيم رزق ، العرب في الكونغو في النصف الأخير من القرن التاسع عشر: حامد ، رؤوف عباس (١٤٠٧هـ) ، العرب في أفريقيا، ط١ ، القاهرة ، ص ص ٢٢١ - ٢٤٥ .
- الندوة العـالمية للشـباب الإسلامـي (١٩٨٦م) ، الأقليات المسلـمة في العـالم - ظروفهـا ، آلامها ، آمـالها ، أبحـاث ووقائع النـدوة المؤتمر السادس الندوة العالمة للشباب الإسلامي ، ج٣ ، ط١ ، الرياض .
- يماني ، محـمد عبده (١٤١١هـ / ١٩٩١م) ، أفريـقيا - لماذا ؟ ، ط ١ ، القاهرة .

• • • • • •

ثانياً : المراجع الإنجليزية :

- Academic AMerican Enclopedia , (1981) .

- Argyle , Wij (1981) Muslims in South Africa : Origins , Development and present Economic Status Dtatus , Journal of the Instute of Muslim Minority Affairs , Vol . 111 , No 2 , P.P. 222-255 .

- Ayubi , Saheen and Mohyuddin , S. (1994) . Muslims in Kenya . An overview . Journal the Institute of Muslim Minority Affairs , Vol XV , Nos 1-2 , P.P. 142-154 .

- Azevedo , M. and Patel , P.S. (1991) . The Minority Status of Islam in East Africa , Historical Sociological Perspective , Journal the Institute of Muslim Minority Affairs , Vol . 12 . No. 2. , P.P. 490 .

- Badamana , M. and Mazrui , K. A. (1993) . Muslim Education in Kenya . paper presented at the educational conference on Muslim Contribution Towards Education development in East Africa , Arusha , Tanzania , P.P. 1-109 .

- Bakari, M. and Yahya. S (wds.) (1995). Islam in Kenya Proceedings of the National Seminar on Contemporary Islam in Kenya, 1st edition, Signal Press Limited, Nairobi .

- Europa, (1995) Africa South of the Sahara, Europa Publicationa Ltd, London .

- Europa, (1996) Africa South of the Sahara, Europa Publicationa

Ltd, London .

- Clarke, Peter B. (1982) West Africa and Islam, London .

- Esack, F, (1988), Three Islamic Strands in the South African Struggle for Justice , Third Wprld Quarterly, Vol,. 10, No. 2, pp. 473 - 498 .

- Europa World Year-Book (1996) Voll 11, Europa Publiccation Ltd .

- Islamic Council of South Africa (1984) . Meet the Muslims of S. Africa, 2 nd ed Durban .

- Haron, M. (1988) . Islamic Education in Suth Africa Muslim Education Quartrly, Vol.5m No2, pp41 - 54 .

- Haron, M. (1995), The Muslim News (1973 - 1986) Its Contribution Towards the Establishment of An Alternative Press at the Cape. The Muslim World, Vol. LXXXV, No 3 - 4, pp. 316 - 332.

- Kalisa, Anasi AbdooNoor, (1994), Leader-ship Crisis Among Muslime of Uganda (1950 - 1994) unpublished M.A. Thesis, Makerer University Nairobi .

- Kasozi, A. (1987) . The Uganda Muslim Supreme Council, Journal of the Institute of Muslim Minority Affairs, Vol. 6 m No. 1, pp. 34 - 52 .

- Kettani, A. (1982) . Muslim East Africa : An Overview Journal of the Institute of Muslim Minority Affairs, Vol. 4, Nos 1 - 2, pp. 104 - 187 .

- Khan, Inamullah (ed) -(1985) .WorldMuslim Gazetley Karachi .

- Kiymb, A. (1990) . The Muslim Community in Uganda Through one Hundred and Forty Years : The Triais and Tribulations of a Muslim Minority , Jourmal of African Religion and Philosophy, Vol 1. No. 2 pp. 84 - 120 .

- - Kritizeck, J. and Lewis, W.H. (eds) . (1969). Islam in Africa, Reinhold Company, New0York .

- Lewis, I.M. (ed.) (1969) . Islam in Tropical Africa, Studies Presented and discussed at the fifth international Seminar, Ahmadu Bello University, Zaria 2 nd edotion. Oxford Universty Press .

- Mazrui, Ali, (1988) . African Islam and Competitive Religion : Between Revivalism and expansion Third World Quarterly Vol. 10., No. 2 , pp 419 - 518 .

- Mc. William, K.P. (1975) . The Development of Education in Ghana, 1 st edition, London .

- Merrimar, A.P. (1961) . Congo, Background to Conflict. North Western, U.S.A .

- Mwangi, K. (1995) The Application and Development oof Sharia in Kenya. In Bakari and Tahya (eds.) Islam in Kenya .

- Naude, J.A. (1985) , Islam in South Africa . A general Survey, Journal of the Institute of Muslim Minority Afffairs Vol. 6., No. 1, pp. 21 - 33 .

- Naude (J.A.) (1992) South Africa : Role of a Muslim Minority in a Situation of Change, Journal the Instiute of Muslim Minority Afffairs Vol. XIII., No. 1, pp. 1 - 19 .

- Nadwi, Ali (1993) . Soth African Muslims and Education . Muslim Education Quarterly Vol. 10, Number 3 (spring Issue) pp. 43 - 55 .

- New Encyclopedia Britannica (1995) vol. 13 .

- Oded, Arye, (1974), Islam in Uganda-Ialamisarion through centralised State in pre-colonial Africa New-York .

- Pellow, D. (1985) Muslim Segmentation : Cohesion and Divisioness in Acci a. Journal of Modern African Studies, Vol. 23, No. 3, pp. 419 - 444 .

- Qureshi, M.I.(ed) (1993) World Muslim Minorities World Muslim Congress , Islamabad .

- Said, A.S. (1995) . An Outline History of islam in Nyanza,Province, In Bakart and Yehya (eds.) Islam In Kenya, Signal Press Ltd, Nairobi .

- Salim, A.1.(1978) Kenya, Ency. of Islam New ed. pp. 885 - 891 .

- Salim, Ahmad (1978) The Impact of Colonialism upon Muslim Life in Kenya, Journal the Institute of Muslim Minority Afffairs Vol. 1., No. 1, pp. 61 - 66 .

- Slade , Ruth (1966) . The Belgian Congo , 1 st ed Oxford University Press .

- Sicard, S.V., (1981) . The Zinzibaris, : in Durban South Africa, Journal the Institute of Muslim Minorty Affairs, Vol 1 - 2, Nos, Winter 1980 and Summer 1981, pp. 128, 137 .

- Son, Tamua, (1994) . Situation Report, Islamic Studiesin

South Africa, The American Journal of Islamic Social Sciences, Vol. 11, No. 2, pp. 274 - 281 .

- The Statesman Year-Book, A Statistical Poliical and Economic Account of the Atates of the World For the Years 1996 - 1997 . Macmillan. London .

- Trimngham in Africa, in Lewis, I.M. (ed.) , Islam in Tropical Africa, 2 nd edition, Oxford University press .

- Trimngham, S. (1980) The Influence of Islam upon Africa, Longmans, London , New-York .

- Vawda, Shahid, (1994) . The Emerhing Islam in An African Township . The American Journal of Islamic Social Sciences, Vol. 11, No. 4. pp. 532 - 547 .

- Wandati, AI Rahman, (1993) The Muslim Community of Kenua, their Experience of Christian Evanglization, Un-published Research Paper, Nairobi, Kenya .

- World Almanac and Book of Facts (1996) World Almanac Books, A K. 111, Comunication Co.

- World Fact Book (1995). Central Intelligence Agency (CIA) .

- Zein Abdin, S. (1990) . Muslim Minorities in the Eorld , The Islamic Times, Oct. Dec, 1990, pp. 24 - 31 .-

فهرس الأشكال

• • • • • •

فهرس الجداول

• • • • • •

الأقليات المسلمة في أستراليا ونيوزيلندة

الدكتور: إبراهيم بن حمد القعيد

فهرس الموضوعات

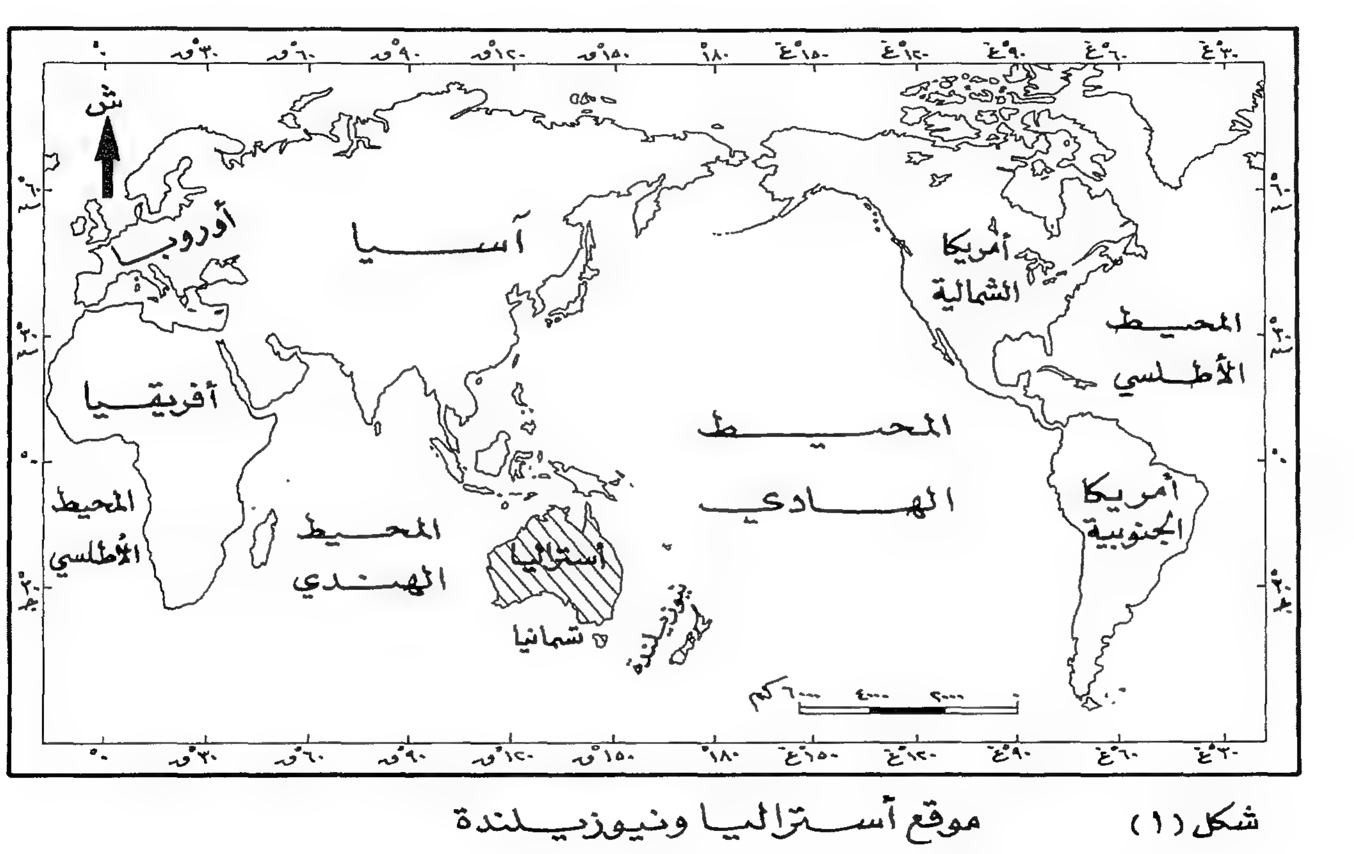
خلفية عامة

١ - الموقع والملامح العامة :

تقع أستراليا في الركن الجنوبي الغربي من المحيط الهادي ، فيما بين دائرتي عرض ١٠ ، ٤٠ درجة مئوية جنوباً وخطي طول ١١٣ ، ١٥٣ درجة مئوية شرقاً (شكل رقم ١) . وتبلغ مساحتها (مع جزيرة تسمانيا) ٧٫٦٨٢٫٣٠٠ كيلو متر مربعاً ، وهي بذلك تعد سادس قارات العالم مساحة، وحوالي نفس مساحة الولايات المتحدة الأمريكية (باستثناء الاسكا) أوضعف مساحة الهند وباكستان معاً .

وتشير بعض النظريات إلى أن أستراليا كانت جزءاً من كتلة جندوانا القديمة، ثم انفصلت عنها بفعل حركات شد هائلة ، ثم أخذت تتزحزح حتى استقرت في هذا الركن القصي من العالم .

وظلت قارة أستراليا مجهولة حتى القرن السابع عشر الميلادي حين وصل المستكشف الهولندي أبل تسمان (ABEL TASMAN) إلى سواحلها الجنوبية سنة١٦٤٢م ، وأكمل اكتشافها المستكشف البريطاني جيمس كوك (James Cook) سنة ١٧٧٠م فتحولت إلى مستعمرة بريطانية . وفي عام ١٧٨٨م ، بدأ وصول المستوطنين البريطانيين وظلت طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي تستخدم كمستعمرة للمعاقبين ، ثم أزالت بريطانيا عنها هذه الصفة وأعلنتها مستعمرة للأحرار ، وفتحت أبواب الهجرة إليها . وفي عام ١٩٠١م(١٣١٩هـ) ، اتحدت مستعمرات أستراليا الست مكونة الكومنولث الأسترالي، الذي اتخذ من مدينة كانبرا (Canberra) عاصمة له (Australian Government Publishing Services (A. G. P.S) . 1994 , 25) .



شكل (١) موقع أستراليا ونيوزيلندة

هذه الخريطة وجميع خرائط البحث الأخرى لا تعتبر مرجعاً للحدود السياسية.

أما جزر نيوزيلندة، فتقع شرق وجنوب شرق أستراليا ، فيما بين دائرتي عرض ٣٤٫٥٠، ٤٧ درجة مئوية جنوباً ، وبين خطي طول ١٦٦ ، ١٧٨ درجة مئوية شرقاً، وتتألف نيوزيلندة من جزيرتين رئيستين، هما الجزيرة الشمالية والجزيرة الجنوبية فضلاً عن مجموعة أخرى من الجزر الصغيرة أهما جزيرة ستيوارت (Stewart) (المعلومات، ١٩٩٤ - ١٩٩٥م ، ٦٩٩)، وتبلغ مساحة نيوزيلندة ٢٦٧٫٨٤٤ كيلو متر مربع ، أي قدر حجم اليابان أو الجزر البريطانية. وتشير الدراسات إلى أن اكتشاف نيوزيلندة كان قبل حوالي ألف عام على يد بعض القبائل البولينيزية (القبائل الأصلية التي تسكن جزر المحيط الهادي)، وهم أجداد قبائل الماوري(Maoris) ، السكان الأصليون لنيوزيلندة.

وظلت نيوزيلندة قابعة في جنوب المحيط الهادي تلفها العزلة حتى تم اكتشافها في العصر الحديث على يد المستكشف الهولندي أبل تسمان عام ١٦٤٢م، ثم أكمل اكتشافها المستكشف الإنجليزي جيمس كوك عام ١٧٦٩م، وفي عام ١٨٤٠م غزاها البريطانيون وخضعت لسيطرتهم بعد صراعات دامية مع سكانها الأصليين من قبائل الماوري ، الذين وقعوا اتفاقية مع البريطانيين ، تخلوا بموجبها عن السيادة لبريطانيا مقابل تأمين حياتهم وممتلكاتهم . وقد منحت بريطانيا إدارة البلاد لأحدى الشركات البريطانية التي استقدمت أعداداً كبيرة من المستوطنين لإعمار البلاد واستصلاح الأراضي . ونتيجة لبطش المستعمر البريطاني بالسكان الأصليين ، قامت مجموعة من الثورات ضد السيطرة البريطانية ، ولكنها انتهت بهيمنة بريطانيا ومد نفوذها على كامل الجزر. وبسبب موقع نيوزيلندة المنعزل وبعدها عن العالم ، أعلن الحكام البريطانيون المحليون عام ١٨٥٢م حكماً ذاتياً مستقلاً عن الحكومة في لندن. ولم تقبل حكومة بريطانيا هذا الاستقلال في بادئ الأمر ، ولكنها اضطرت

للموافقة علـى ذلك في عام ١٩٠٧م، فأصبحت منذ ذلك الحين دولـة مستقلة تحت التاج الـبريطاني، تتكون مـن اتحاد تسع ولايات، وعاصـمتها ولبـختون (المعلومات، ١٩٩٤-١٩٩٥م ، ٦٩٩).

٢ - التضاريس والمناخ :

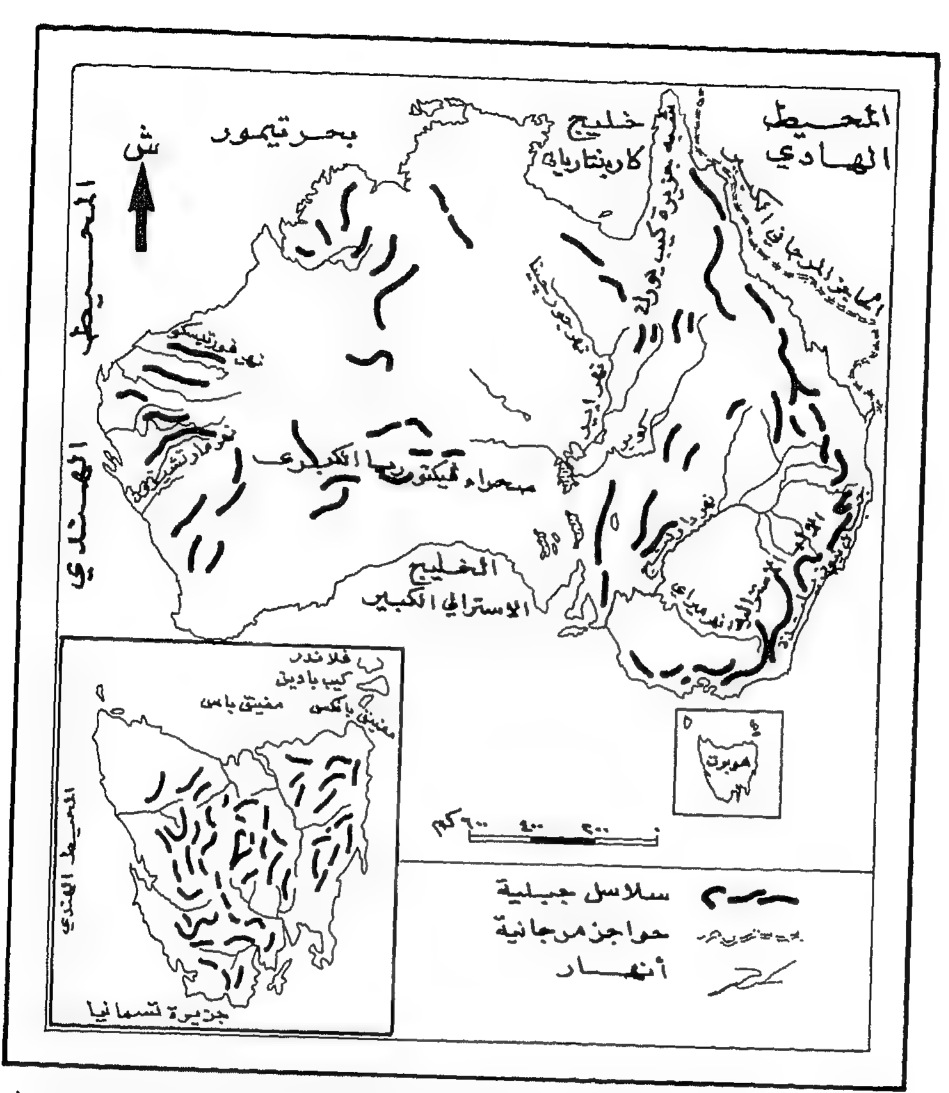
نظراً لاتساع مسـاحة أستراليا فإنهـا تجمع ألواناً مختلفـة من التضاريس . فقسمها الغـربي عبارة عن هضبة عظيمة الاتساع تضم سـلاسل جبلية عديدة، مثل جبال ماكدونالد (Mcdonald) وبالمر (Palmer) وفي شرقي أستراليا، توجد سلاسل المرتفـعات الشرقية وتمتد من الشمـال إلى الجنوب. وفي القسم الأوسط، توجد السهـول الوسطى وتضم مجموعـة من الأحواض ، كحوض مري (Murry) ودارلنج (Darling) والسهول الشمالية حول خليج كاربينتاريا (Carpentaria) والسهول الجنوبية التي تمتد إلى أقصى الجنوب (شكل رقم ٢) ويكاد مـدار الجدي ينصف هذه القـارة إلى قسمـين متساويين ، ولـذلك يقع مايقرب من نصف مساحتها فـي العروض المدارية الجافة، وأشد الشهور حرارة يناير وفبراير وفي الجـزء الجنوبي من القارة. أما شماليها فـأشد الشهور حرارة نوفمـبر وديسمـبر ، والأمطار موسـمية غـزيرة في الجنوب الشـرقي والجنوب الغـربي. والأطراف الجنوبيـة من القارة تـشبه إلى درجـة كبيـرة مناخ البـحر المتـوسط. أما الـقسم الـغربي والأوسـط من القـارة، فيـسيطـر عليـه المناخ الصحراوي.

وتعد أسـتراليا أكثـر القارات انبساطـاً وأشدها جفافـاً بعد القارة القطـبية الجنوبية (أنـتاركتيكا) ، ولهـذا يتركز ٨٠٪ من السكان في شـريط ساحلي منخفض وضيق في جنوب شرقي وجنوب غربي القارة ، ويزيد قليلاً عن ٣٪ من مساحة الأرض. ولايسـتغل من مساحة القارة إلا ثلثاهـا تقريباً، ومن هذا

الجزء المستغل ٩٠٪ تستخدم لـرعي الماشية و ١٠٪ للزراعة، أما الثلث الباقي فهو أرض قاحلة وشبه قاحلة غير مستغلة اقتصادياً .

أمـا جزيـــرة تسمانيـا التي تنفصل عن القـــارة الأم بواسطـة مضيــق بـاس(Bass) الضحل ، فهي تعد من حيث التـركيب الجيولوجي والتضاريس امتداداً للقسم الجـنوبي الشرقي من القارة ، ولذلك فالمظهـر الجبلي هو الغالب على سطـح الجزيرة ، كما أن الـصخور النارية تـؤلف القسم الأكبـر من هذه الأراضي الجبلـية التي يزيد مـتوسط منوسب ارتفـاعها عن ١٢٠٠ مـتر فوق مســتوى سطح البحـر . وفي ظل هذا المظهـر الجبلي السـائد ، يتركز مـعظم السكان (٤٧٢٫٢٠٠ نسمـة عام ١٩٩٣م) في السهول السـاحلية والأحواض النهرية الجبلية (شكل رقم ٢) .

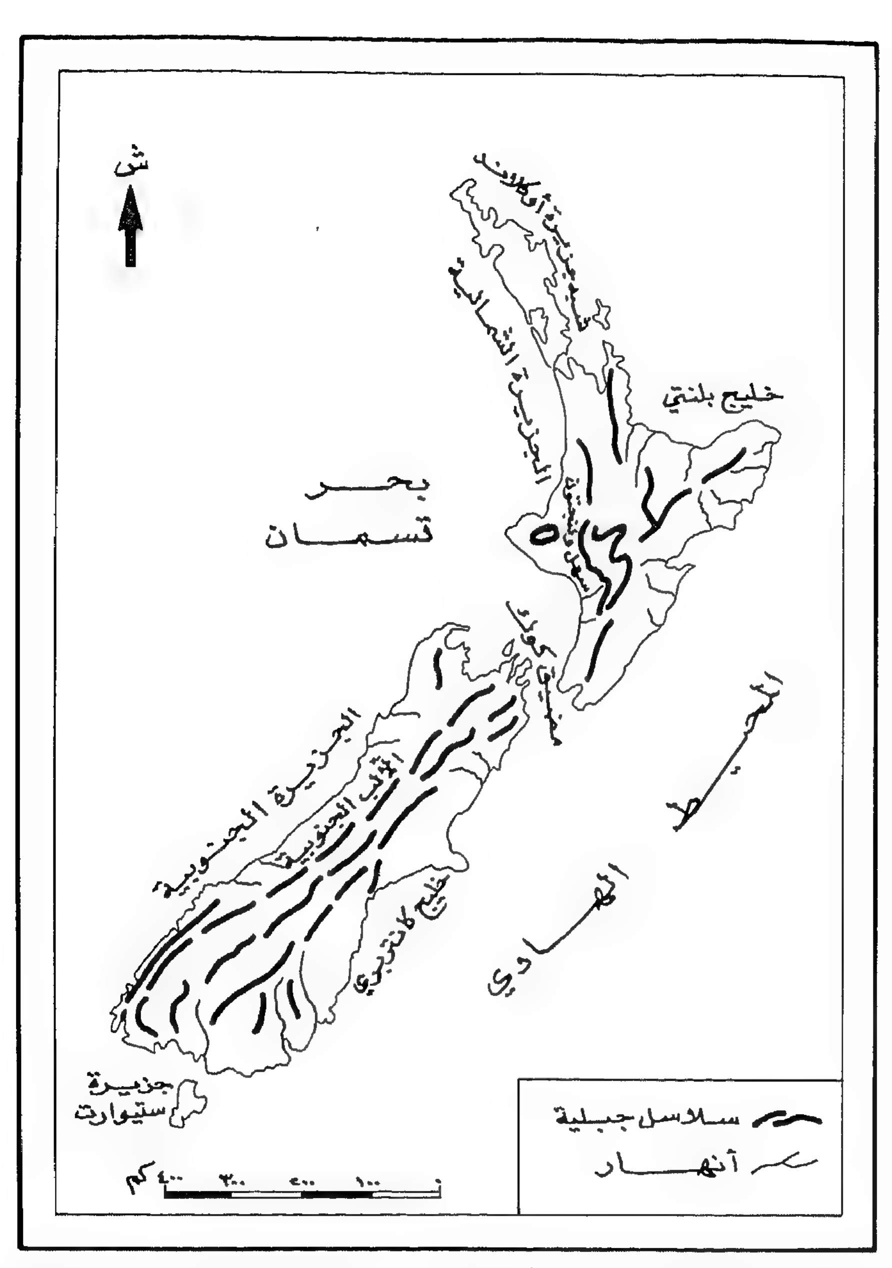
وتتكون تضاريس نيـوزيلندة من سهول واسعة وهضبة بـركانية في الجزيرة الشمـالية ، بيـنما تتكون الجـزيرة الجنوبيـة من سلسلة جـبال الألب الجنـوبية النيوزيلندية . وتتكون هذه السلسة من سبعة عشر جبلاً ، يقترب كل منها إلى ٣٠٠٠ متر (شـكل رقم ٣) . ويتميـز مناخ نيوزيلنـدة بأنه دافئ ورطب . ولكن نظراً لامتـداد البلاد طولياً ، فإنها تشـمل ظروفاً مناخية مخـتلفة ، من أمطار غزيرة في جبال الألب إلى ثلوج شبة دائمة في الجبال الشرقية . والقسم الشمـالي من الجزيرة الشمـالية ، وهو شبه جـزيرة أوكلاند (Auckland) ، ينتمي لنمط منـاخ البحر المتوسط ، وباقي الجزر تنتمي للـنوع المعتدل البارد . وتكاد تسقط الأمطار في معظم شهـور السنة ، وتزداد في المناطق الغربية وتقل فوق السهول الشرقية (المعلومات ، ١٩٩٤ ، ١٩٩٥م ، ٦٧٠) .



شكل (٢) المظهر العام لسطح الأرض في قارة أستراليا وجزيرة تسمانيا

المصدر:

The Times Atlas of The World , 1975.



شكل (٣) المظهر العام لسطح الأرض في جزيرة نيوزيلندة الشمالية والجنوبية

وكما هو الحال في أستـراليا ، تعتبر فصول السنة في نيوزيـلندة معاكسة لما هو موجـود في النصف الشـمالي للكرة الأرضـية، فأكثـر الأشهر دفئـاً يناير وفبراير، حيث يصل متوسط الحرارة إلى ١٧ درجة مئوية، وأكثرها برودة شهر يوليو، حيث يـصل متوسط الحرارة إلى ٨ درجات مئويـة . ويترواح المتوسط السنوي لسقوط الأمطار بين ٤٠٠ ملم فـي المناطق الداخلية وأكثر من ١٢٠٠ ملم في الجبال الجنوبية المعروفة بسلسلة الألب . وتغطي نيوزيلندة في معظمها المراعي والغابـات ، ففي الشمال غابات شـبه مدارية ونفضـية ، وفي الجنوب غابات الزان والبلوط والصنوبر .

٣ - السكان والنشاط البشري :

يبلغ عدد سكان أستراليا (بما فيها تسمانيا)حسب آخر إحصاء رسمي (يونيو ١٩٩٣م) ٥٠٠ر٦٦١ر١٧ نسمة . وتعتبر أستـراليا من أكثر الدول حضرية . حيث يعيش أكثر من ٨٥٪ من السكان في المدن (Encyclopedia Britannica , 554 , 1995) .. ويتمركز السكان في الأجزاء الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية للقارة. ويفـخر الأستراليون بأنهم أكـثر الأمم تنوعاً في العالم، حـيث ينتمي السكان إلى حوالي ١٦٠ دولة أو جنسية. وحسب آخر الإحصاءات الرسمية، فقد ولد ٢٥٪ من سكان أستراليا خارجـها، ومن هذه النسبة ٦٠٪ يأتون من بلاد لاتتحدث اللغة الإنجليزية . هذا وتـنحدر أصول أغلب الشعب الأسترالي من الأنجلو - كلت (Anglo - Clet) (الإنجليز والآيرلنديين والأسكتلنديين) ويمثلون ٧٥٪ من نسبة السكان . أما باقي التـركيبة السكانية ، فهي ٢٠٪ من أصول أوروبيـة أخرى ، ٥ر٣٪ من أصول آسـيوية ، ٥ر١٪ من الاستـراليين الأصليين (The Government of Australia , 1997 , 7) .

ويعيش الأستراليون الأصليون في الأصـقاع الشمالية من القارة وفي الجزر

المحاذية للأجزاء الشمالية منذ آلاف السنين . وتقدر بعض الدراسات أنهم استوطنوا القارة منذ ٥٠ إلى ٦٠ ألف سنة . كما تذهب بعض الدراسات إلى القول بأن استيطانهم كان قبل أكثر من مائة ألف سنة .

وتعتبر أستراليا المعاصرة بلداً متعدد الأديان والثقافات والأعراق ، ولكن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومظاهر الحياة الأخرى تتبع النموذج الغربي ولاتختلف عن الثقافة الغربية في غربي أوروبا وأمريكا الشمالية .

وتتنوع الأنشطة الاقتصادية في أستراليا بتنوع ثروات القارة وثرائها بالموارد الاقتصادية. وتحتل الزراعة، ولاسيما الحبوب، المركز الأول من هذه الأنشطة وذلك لاتساع رقعة الأراضي الصالحة للزراعة، حيث تمثل ٦ر٧٪ من جملة مساحة القارة (١٩٩٢م). ويلي الاشتغال بالزراعة، نشاط تنمية الثروة الحيوانية ومايتبع هذا النشاط من صناعات، وذلك لوفرة المراعي وامتدادها على مساحات شاسعة تقدر بـ ٥٤ر٣٪ من جملة المساحة (Encyclopedia BritannicaInc., 1995 , 555) وبالإضافة إلى ذلك ، تتنوع الثروات المعدنية في القارة كخامات الحديد والنحاس والزنك والفحم والذهب والفضة(Hunter,1996,107) .

وقد وصلت أستراليا بفضل هذه الثروات والموارد الاقتصادية الضخمة إلى مصاف الدول المتقدمة صناعياً. فعلى الرغم من أنها كانت أقل نمواً في السنوات الأخيرة من أغلب الدول التي عرفت باسم النمور الآسيوية السبعة، إلا أنها تأتي في المرتبة السابعة من بين دول العالم المتقدم في مستوى المعيشة، كما تعتبر من أهم الدول المصدرة للمواد الغذائية(A. G. P. S. , 1994 , 5) .

أما نيوزيلندة ، فيبلغ عدد سكانها حسب إحصاء ١٩٩٦م حوالي ٣ر٦٦٠ر٤٠٠ نسمة . ويعيش ٧٤٪ من السكان في الجزيرة الشمالية ،

ويعيش أكثر من نصف السكان في ثلاث مناطق حضرية رئيسة : أوكلاند ويسكنها حوالي ٢٠٠ر٠٧٣ر١ نسمة ، وكانتربري ٧٠٠ر٤٧٧ نسمه و ولنجتون ٦٠٠ر٤١٢ نسمة ، ويعيش باقي السكان في المدن الكبيرة والصغيرة، وقليل جداً يعيش في الأرياف. ونيوزيلندة مع ذلك قليلة الكثافة السكانية حيث لايزيد معدل الكثافة عن ٢ر١٣ شخصاً في الكيلو متر المربع الواحد .

وينحدر ٨٠٪ من السكان من أصول أوروبية وبخاصة البريطانية و ٩ر١٢٪ من أصول الشعب الماوري (الشعب الأصلي لسكان نيوزيلندة) و ٥٪ من سكان جزر المحيط الهادي ، مثل ساموا الغربية وجزر كوك، ينوي، توكيلاو، تونغا وفيجي. وقد تعاقبت الهجرات من مختلف الأعراق والأزمنة الماضية على نيوزيلندة، فوصل إليهالاجئون من أوروبا في الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي ، وخلال الحرب العالمية الثانية وبعدها ، مثل اليهود والبولنديين . كما وصل إليها المزيد من المهاجرين من المجر وتشيلي وروسيا وأوربا الشرقية وسوريا (وزارة الشؤون الخارجية والتجارة ، ١٩٩٥م ، ٢٢). كما وفدت هجرات من بلاد جنوب وجنوب شرقي أسيا في السبعينات الميلادية.

وتتميز نيوزيلندة بغناها بالنبات الطبيعي . ففي الشمال ، توجد غابات شبه مدارية ونفضية ، وفي الجنوب غابات الزان والبلوط والصنوبر ، بالإضافة إلى الأعشاب التي تغطي مساحات واسعة من الأرض . كما توجد مساحات قابلة للزراعة ، غير أن الاقتصاد المبني على رعي الأغنام والماشية يجذب أغلب السكان المشتغلين بالزراعة ، ومع ذلك يزرع القمح والشعير والذرة (بكر ، ١٩٨٣م، ٤٩)، ويعتمد اقتصاد نيوزيلندة بدرجة كبيرة على التجارة

الخارجية، حيث اشتهرت بمنتجاتها الزراعية التي تسوَّق في بريطانيا وأوربا . وفي السنوات الأخيرة ، تحوَّلت البلاد من مصدرة للألبان والصوف واللحوم والأسماك إلى الصناعات الغذائية التحويلية والسياحية .

٤ - نظام الحكم :

تأثر تشكيل نظام الحكم في أستراليا بنظامين ديمقراطيين ، النظام البريطاني (نظام وست منستر Westminster) والنظام الأمريكي . فعقب الاستيطان البريطاني عام ١٧٨٨م، تم اتخاذ النظام البريطاني كأساس للحكم في المستوطنات الست المنفصلة التي أقيمت عبر القارة في القرن التاسع عشر الميلادي. وعندما اجتمعت هذه المستوطنات لبحث تشكيل حكومة وطنية فيدرالية عام ١٨٩٠م ، اختارت أن تكون العلاقة بين الحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات مشابهة لما هو قائم في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي الوقت نفسه اختارت الاحتفاظ بالنظام البريطاني كأساس للسلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية على المستوى الفيدرالي وعلى مستوى الولايات. وقد تم التعبير عن التقليد الأمريكي من خلال دستور يحدد صلاحيات الحكومة الفيدرالية.

وفي إطار النظام البرلماني الفيدرالي القائم في أستراليا ، تتمثل السلطة التشريعية في ملكة بريطانيا[1] ممثلة في الحاكم العام ومجلسي الشيوخ والنواب. أما السلطة التنفيذية، فتتمثل في الحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات الست وحكومات المحليات التي تتألف منها كل ولاية ، بالإضافة إلى سلطتي الحكم الذاتي في كل من إقليم العاصمة الأسترالية والإقليم الشمالي .

ويتشكل مجلس النواب من ممثلين عن كل ولاية أصلية ، يتحدد عددهم

بالنسبة لإجمالي سكان كل ولاية ، على ألا يقل عدد نواب كل منها عن خمسة . وقد بلغ عدد أعضاء المجلس ١٤٨ نائباً عام ١٩٩١م ، بما في ذلك ممثلي إقليم العاصمة والإقليم الشمالي . أما مجلس الشيوخ ، فيضم ١٢ مثلاً عن كل ولاية واثنين عن كل من إقليمي الحكم الذاتي . وتبلغ مدة التمثيل في هذا المجلس ست سنوات (Hunter , 1991 , 1032) .

ويتكون التشكيل الإداري لأستراليا من الولايات والأقاليم التالية (شكل رقم ٤) :

١ - ولاية نيوساوث ويلز (New South Wales) . و عاصمتها سدني (Sydney) .

٢ - ولاية فيكتوريا (Victoria) . وعاصمتها ملبورن (Melbourne) .

٣ - ولاية كوينزلاند (Queensland) . وعاصمتها برزبين (Brisbane) .

٤ - ولايةجنوب أستراليا(South AustrAlia)وعاصمتها أدليد(Adelaide) .

٥ - ولاية غرب أستراليا(Western Australia) . وعاصمتها بيرث (Perth) .

٦ - ولاية تسمانيا (Tasmania) . وعاصمتها هوبرت (Hobart) .

٧ - الإقليم الشمالي(Northern Territory) . وعاصمته دارون(Darwin) .

٨ - إقليم العاصمة الأسترالية (Austrlian Capital Territory) . وفيها عاصمة الاتحاد كانبرا (Canberra) .

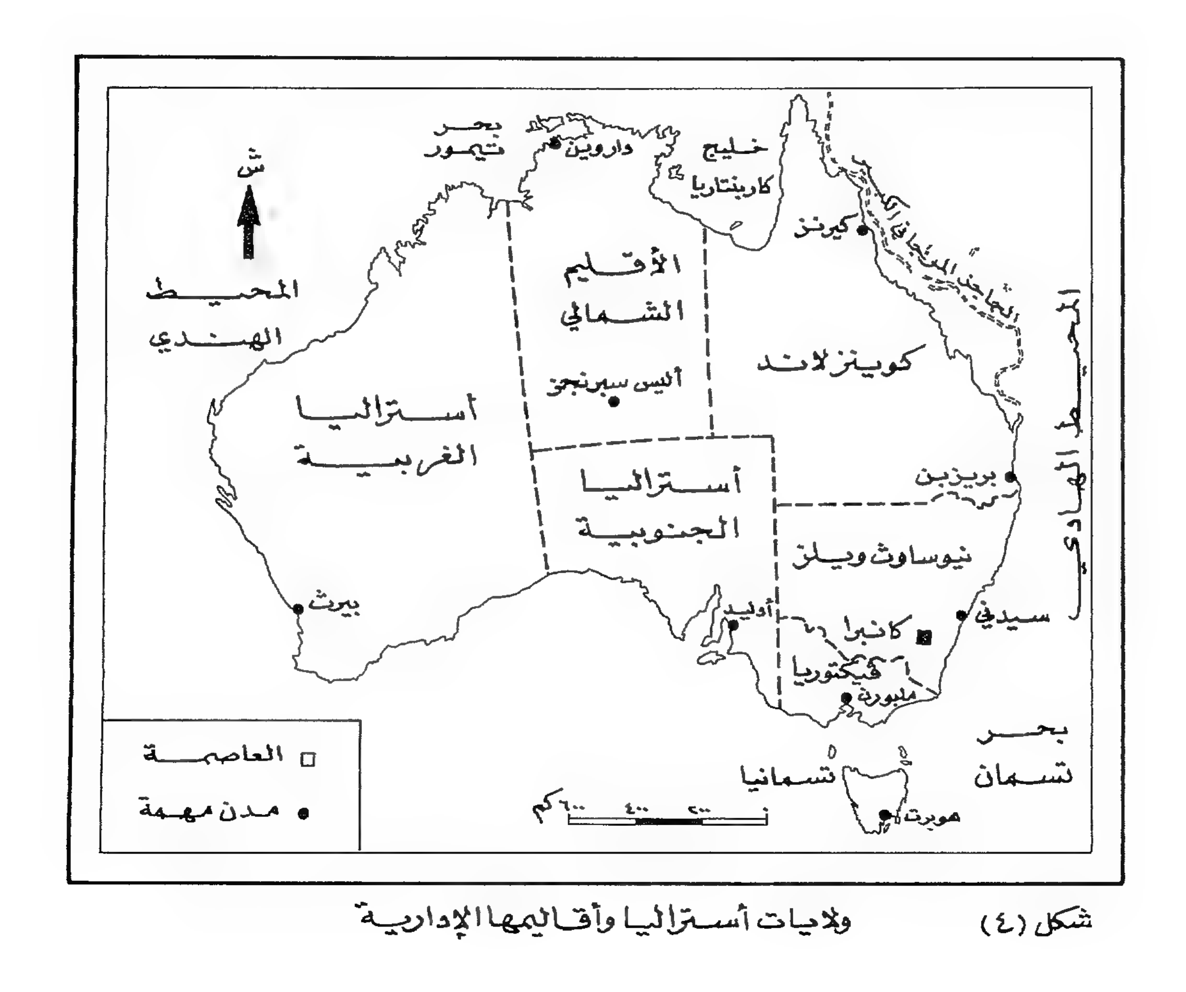
وتتميز أستراليا بسياستها السكانية المفتوحة . ففي غضون الخمسين سنة الماضية، استوطن فيها حوالي خمسة ملايين نسمة من حوالي ١٦٠ دولة . والآن من بين كل عشرة أستراليين هناك أربعة يعتبرون مهاجرين أو أبناء

لمهاجرين. وفي عام ١٩٩١ - ١٩٩٢م جاء ٤١٪ من المهاجرين من بلاد جنوب شرقي وشمال شرقي آسيا، وتتبع أستراليا بصفة عامة سياسة مرنة وغير متحيزة لاستقطاب المهاجرين ، فتمح بالهجرة لمن يوجد لهم أقارب في البلاد، كما تسمح بالهجرة لأصحاب رؤوس الأموال وأصحاب الخبرات والمؤهلات. وقد قبلت البلاد هجرة ٨٠٫٠٠٠ شخص حسب أنظمة وبرامج الهجرة لعام ١٩٩٢م-١٩٩٣م. كما تسمح أستراليا بالهجرة والاستيطان للاجئين من بلاد مختلفة، وقد استوعبت ١٣٫٠٠٠ لاجيء في عام ١٩٩٣ - ١٩٩٤م (A . G . P . S . , 1994 , 14-15).

ويمنح الدستور الأسترالي الجنسية الأسترالية للسكان الذين ولدوا خارجها لأبوين أستراليين أو من جرى تبنيهم في أستراليا في تاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٨٤م أو بعد ذلك. وكذلك تمنح الجنسية للمهاجرين حسب الشروط الموضوعة. وقد منحت الجنسية الأسترالية عام ١٩٩٣م لـ ١٢٨٫٥٤٤ شخصاً .

وينتمي الأستراليون إلى أعراق وثقافات مختلفة كما يختلفون في دياناتهم. فحسب الإحصاء الرسمي الأخير (يونيو ١٩٩٣م) ، فإن ٧٥٪ من الأستراليين ، نصارى ، و ١٢٪ لادين لهم ، وباقي السكان يتبع ديانات مختلفة، من أهمها الأديان السماوية الإسلام واليهودية وأديان غير سماوية أهمها البوذية (A . G . P . S . , 1994 , 15).

أما نيوزيلندة ، فقد تشكلت من اتحاد تسع ولايات عام ١٩٠٧م ، ومنذ ذلك الحين وهي دولة مستقلة تحت التاج البريطاني (رئيس الدولة ملكة بريطانيا ويمثلها الحاكم العام). وهي اليوم من أهم أعضاء دول الكومنولث الأكثر ارتباط ببريطانيا. ويتكوّن البرلمان من ١٢٠ عضواً يتم انتخابهم ديمقراطياً



شكل (٤) ولايات أستراليا وأقاليمها الإدارية

ممثلين للولايـات والأحزاب السياسية لـفترة ثلاث سنوات. والنظام الـسياسي بمجمله مبني على الـنمط البريطاني. واللغة الرسمية هي الإنجلـيزية وتستعمل الماورية (لغة السكان الأصليين) كلغة محـلية. والعملة هي الدولار النيوزيلندي (في مارس ١٩٩١م، الدولار الأمريكي يعادل ٦ر١ دولار نيوزيلندي) .

وينتمـي النيوزلنديون إلـى أعراق وثقافات مـختلفة ، كـما يختلـفون في ديانتهم. فحسب إحصاءات عام ١٩٩٣م ، فإن ٨١٪ من الشعب النيوزيلندي نصارى، و ١٨٪ لادينيون، و ١٪ يدينون بالإسلام أو عقـائد أخرى كالبوذية (المعلومات، ١٩٩٤-١٩٩٥م، ٦٩٩-٧٠٠).

وتتسم نيوزيلنده كـأستراليا ، بسياسة سكانية مرنـة. وتصلها سنوياً أعداد كبيرة من المـهاجرين المؤقتين أو الدائمين. وقد وصلـت أعدادهم في السنوات القليلة الماضـية كالآتي: في عام ١٩٩٤م وصل ٢٥٧ر٧٥ مهـاجراً، وفي عام ١٩٩٥م زاد العـدد إلـى ٥٩١ر٦٧، وفي عـام ١٩٩٦م، وصـل العـدد إلـى ٣٨٨ر٨٠ مهاجراً.

ويتكوّن التقسيم الإداري في نيوزيلندة من الأقاليم التالية :

١ - نورثلاند (Northland) .
٢ - ولينجتون(wellington) .
٢ - أوكلاند (Auckland) .
٤ - تسمان (Tasman) .
٥ - ويكاتو (Waikato) .
٦ - نلسون (Nelson) .
٧ - بي أوف بلنتي (Bay of Plenty)
٨ - مارلبرا (Marlborough) .
٩ - جسبورن (Gisborne) .
١٠- وست كوست(West Coast)
١١- هيك بي (Hake's Bay) .
١٢- كانتربري (Otago) .
١٣- تاراناكي (Taranki) .
١٤- أوتاجو (Otago) .
١٥- ماناواتو وانجايو(Manuwatu - Wangaui)
١٦- ساوث لاند(Southland) .

وصول الدعوة الإسلامية
إلى أستراليا ونيوزيلندة

طرق وصول الدعوة إلى أستراليا :

وصلت الدعوة إلى أستراليا بطرق مختلفة أهمها :

١ - **الطريق الأول** : عن طريق اتصال السكان الأصليين واختلاطهم ببعض المسلمين القادمين من جزر الملايو وغيرها، والذين كانوا يفدون إلى السواحل الشمالية للقارة للصيد وللتجارة، وربما أقاموا لفترات طويلة، وبعضهم استوطن القارة. وقد ظهرت آثار هذه العلاقات في لغات السكان الأصليي ، التي تنتشر في تلك المناطق، وفي رسوم المراكب الإسلامية المنقوشة على جدران بعض الكهوف. كما تدل الدراسات الإثنية على وجود بعض الملامح والمفاهيم والعادات المتأثرة بالإسلام بين الأستراليين الأصليين، بخاصة سكان جزر مضيق تورس، المحاذية للطرف الشمالي الشرقي للقارة الأسترالية (الخميس، ١٤١١هـ ، ٤) .

٢ - **الطريق الثاني** : عن طريق الهجرات الأولى للمسلمين في القرن التاسع عشر الميلادي . فبعد أن أعلنت بريطانيا فتح باب الهجرة إلى أستراليا عام ١٨٤٠م ، بدأت أفواج المستوطنين البريطانيين في الوصول إلى أستراليا عبر أطرافها الجنوبية . وأخذ المستوطنون مع مرور الزمن بالامتداد نحو شمالي القارة، ولكن حملاتهم الاستكشافية منيت بالكثير من الفشل ، وذلك لطول المسافات والطبيعة الجافة الصحراوية للأرض ووعورة المسالك ، فاستقدمت بريطانيا عام ١٨٥٠م اثني عشر جمّالاً افغانياً ومائة وعشرين جملاً لاكتشاف مجاهل الصحراء الاسترالية . وقم تم اختيار الجمّالين (الأبالة) لمعرفة

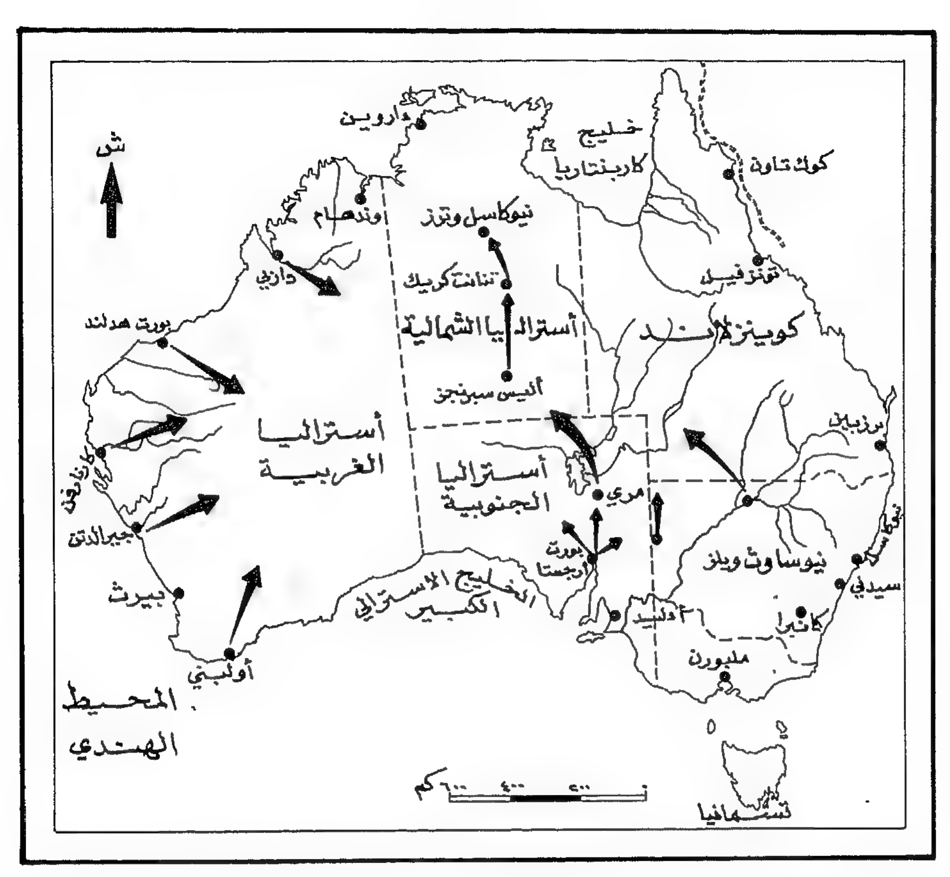
البريطانيين بطبيعة الشعب الأفغاني المسلم ، كما اختارت الجمال لمناسبتها للطبيعة الصحراوية الجافة .

وأطلق الأستراليون على المسلمين الأوائل لقب غان (Ghan) اختصاراً لكملة أفغان. وأصبحت هذه كلمة دارجة تعني كل من يأتي مع الجمال ، ثم بعد ذلك صارت تشير للمسلمين الأوائل الذين استوطنوا أستراليا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ومع هذه القوافل وحراسها ، دخل الإسلام أستراليا . وكان المستوطنون الأستراليون ينتظرون هذه القوافل بصبر نافذ ويهرعون لاستقبالها ، فهي تحمل إليهم البريد والطعام والصحف وحاجياتهم من مطالب الحياة الأخرى وقد كان منظراً مألوفاً للأستراليين أن يروا المسلمين بجانب القوافل وقد أذنوا للصلاة وأقاموها[٢] (خان ، ١٩٩١م/ ب، ٩) .

وحملت لقوافل الدين الإسلامي معها إلى كل بلدٍ سافرت إليه وإلى كل طريق سارت فيه (شكل رقم ٥) .

ولقد شيد المسلمون الأوائل العديد من المصليات والمساجد عبر طرق القوافل التي سلكوها داخل أستراليا في مدن أدليد وفرينا (Freena) ومري(Murry)، وبلغ عدد المساجد التي شيدوها عشرة . كما زاد عدد المسلمين في أستراليا من ١٢ نسمة عام ١٨٥٠م إلى ٦٦١ نسمة في عام ١٨٦١م، ٥ر٠٠٣ نسمة عام ١٨٨١م، وأصبح ٦٠١١ نسمة عام ١٩٠١م(طاشقندي، ١٩٩٢م، ١٦٣).

وقد كانت مدينة أدليد في جنوبي القارة هي مركز تجمع المسلمين ، ولكن مع مرور الزمن وتقدم وسائل المواصلات ، بدأت فرص العمل تقل أمامهم ،



شكل (٥) محاور حركة القوافل في قارة أستراليا

المصدر: بكر، سيد عبد المجيد: الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا، مكة المكرمة، دعوة الحق، ١٩٨٢م، ص ٢٢٥

فانتشروا في بقية أنحاء القارة واتخذوا أعمالاً أخرى غير قيادة الأبل ، فاشتغلوا في التجارة والزراعة والعمل في المناجم والبحث عن الذهب ، ووضعوا بذلك لبنات الاستقرار الأولى للجاليات الإسلامية في غربي أستراليا وفيكتوريا وكوينتزلاند ونيوساوث ويلز وتسمانيا . .

ولكن الأمور تغيرت بعد ذلك، وأصدرت أستراليا عام ١٩٠٢م قانون "حافظوا على أستراليا بيضاء" فحظرت دخول الآسيويين والملونين إلى أستراليا. وقد أدى هذا إلى توقف تدفق الهجرات، مما أثر تأثيراً بالغاً على حياة المسلمين فانقطعت صلتهم بأوطانهم الأصلية، وهو ما حدى بالكثير منهم إلى ترك أستراليا والعودة إلى أوطانهم. ثم أخذت أعداد المسلمين في التناقص، فانخفض العدد من ٦٫٠١١ ملسماً في عام ١٩٠١م إلى ٢٫٠٢٠ مسلماً في عام ١٩١١م.

وبدأت بذلك فترة من أصعب الفترات التي مرت على المسلمين في أستراليا، حيث حل الركود والضعف والتفكك بالجاليات المسلمة، نتيجة لمجموعة من العوامل السلبية؛ فبالإضافة إلى التناقص في الأعداد، فشل المسلمون في المحافظة على هوية أبنائهم الإسلامية، حيث لم يتمكنوا من تعليمهم الإسلام أو إنشاء المدارس لهم، ومن ثمَّ استحكم النقص في الثقافة الإسلامية، وانقطعت الصلة بالعالم الإسلامي، وتأثرت الأجيال الجديدة بالثقافة الأسترالية ذات الطابع الغربي، وفقدت هويتها الإسلامية بالذوبان والزواج من الأوروبيين، بل وتخلى البعض عن دينه (خان، ١٩٩١م/ ب، ١٣) .

٣ - الطريق الثالث : يتمثل في الهجرات المتعاقبة للملسمين والتي بدأت بعام ١٩٢٤م ، وازدادت في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، ثم

وصلت إلى ذروتها في الستينات والسبعينات الميلادية ، ففي عام ١٩٢٤م ، سمحت أستراليا لعدد من الأوروبيين ممن شردتهم الحرب العالمية الأولى بالهجرة إليها ، فجاء مع هذه الهجرة أعداد من المسلمين من ألبانيا ويوغسلافيا، كما جاءت مجموعة من المسلمين الروس الذين فروا بدينهم من الثورة الشيوعية . وفي هذه الفترة ، جاء إلى أستراليا عدد من المسلمين الألمان واليونانيين والبلغار ومن بعض بلاد البقلان الأخرى . ولم تكن معرفة المهاجرين في هذه الفترة بالإسلام والتزامهم به أحسن حالاً ممن سبقهم ، ولكنهم على الأقل كانوا محافظين على هويتهم الإسلامية العامة في أوروبا قبل هجرتهم . وتعتبر هذه الفترة امتداداً للركود الذي بدأ في عام ١٩٠٢م (خان ، ١٩٩١/ب ، ١٤) .

وفي الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، فتحت أستراليا الباب على مصراعيه للهجرات من أوروبا وآسيا لتخرج من عزلتها التي كانت تهدد موقعها بين الدول ، بسبب قلة سكانها وضخامة مواردها ، وموقعها بالقرب من مناطق قريبة منافسة ، مأهولة بالسكان . وفي هذه الهجرات ، جاء مسلمون مهنيون ومتخصصون وخبراء في شتى التخصصات من بلدان متعددة، مثل لبنان وسوريا وتركيا وفلسطين وألبانيا وقبرص ومصر وروسيا ويوغسلافيا وباكستان والهند وسريلانكا وأندونيسيا وماليزيا وأفغانستان . وعن طريق هذه الهجرات المتتالية المؤهلة علمياً والتي يوجد عند بعضها الحماس والخلفية الدينية الجيدة والرغبة في الحفاظ على الهوية الإسلامية ونشر الإسلام ، أمكن إنقاذ الوجود الإسلامي في أستراليا من الانقراض .

٤ - **الطريق الرابع** : يتمثل في الطلبة المسلمين الذين جاءوا إلى أستراليا لمواصلة التعليم الجامعي والعالي في الجامعات والمؤسسات التعليمية الأسترالية .

وقد ظهر وجود هؤلاء الطلبة منذ السبعينات الميلادية ، حيث بدأ توافدهم من الهند والباكستان والملايو وأفغانستان وأندونيسيا والفلبين وتايلند وغيرها من الدول الآسيوية ، وبعض الدول العربية والأفريقية . وقد برز دور هؤلاء الطلبة في قيادة العمل الإسلامي وتأسيس الجمعيات الطلابية الإسلامية ، كما امتد هذا الدور ليؤثر تأثيراً إيجابياً على الجاليات المسلمة ويبعث فيها روحاً من الانتماء والالتزام بالإسلام .

طرق وصول الدعوة الإسلامية إلى نيوزيلندة :

أما بالنسبة لنيوزيلندة ، فيوجد هناك بعض التشابه مع أستراليا في الطرق التي وصلت بها الدعوة الإسلامية إليها ، باستثناء الطريق الأول وهو علاقة الشعوب المسلمة في جنوبي شرقي المحيط الهادي بالسكان الأصليين لنيوزيلندة، حيث لم يظهر أي سند تاريخي كما هو الحال في أستراليا . وتبقى الطرق الثلاثة الأخرى لوصول الدعوة متشابهة ، بل ومتزامنة إلى حد كبير وذلك على النحو التالي :

١ - **الطريق الأول** : يتمثل في الهجرات الأولى للمسلمين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى للقرن العشرين الميلاديين. فقد بدأ التواجد الإسلامي منذ سنة ١٨٧٤م، كما دلت على ذلك بعض الإحصاءات الرسمية. وفي الفترة من ١٩٠٧-١٩١١م، وصل ثلاثة رجال مسلمين من منطقة كجرات في غربي الهند كجزء من هجرة هندية صغيرة. واستقر أحد هؤلاء الرجال ويدعي محمد سليمان كارا (Muhammad Suleiman Kara) في مدينة كرايست شيرش (Christ Church) بينما استقر الآخران وهما إسماعيل بهيكو (Ismail Bhikoo)، وعيسى موسى (Esa Musa) في منطقة نورث آيلند (North Island) . وقاما بعد فترة وجيزة بفتح

محلات صغيرة لهما في مدن شمالي أوكلاند ، وتمكنا فيما بعد من استقدام عائلاتهم . وأعقب مجيء هؤلاء الرجال ، هجرات متتالية ولكنها صغيرة من منطقة كجرات في الهند (Shepard , 1996 , 212) .

٢ - **الطريق الثاني** : يتمثل في هجرة عدد قليل من المسلمين من تركيا ودول البلقان بعد الحرب العالمية الثانية ، وقد تروواح عددهم مابين ٢٠ إلى ٣٠ مهاجراً ، استوطنوا منطقة أوكلاند . ثم ازدادت أعداد المهاجرين حتى وصل العدد إلى ٢٦٠ فرداً حسب التعداد السكاني لسنة ١٩٦١م . وبعد ربع قرن ، زاد هذا العدد عشر مرات (حسب الاحصاءات الرسمية) ، وخمسة عشر مرة (حسب تقدير الجالية ذاتها) ، وزاد العدد ثلاثين مرة في سنة ١٩٩١م) (Shepard , 1996 , 223 .

٣ - **الطريق الثالث** : يتمثل في الطلاب الذين وفدوا للدراسات الجامعية والعليا من كثير من البلدان الأسيوية . وكان لهؤلاء الطلاب أثر مشابه لزملائهم الذين وفدوا إلى أستراليا . فعن طريق جهودهم ، تم تنظيم قيادة العمل الإسلامي ، وبمساعدتهم ودعمهم المعنوي والمادي ، تم بناء العدد من المراكز والمساجد والمدارس للجالية المسلمة في نيوزيلندة ، كما تم عن طريقهم المساعدة في تنظيم جهود الدعوة ، ودخل في الإسلام الكثير من أبناء البلاد الأصليين على أيديهم .

وبالإضافة إلى هذه الطرق التي وصلت بها الدعوة الإسلامية إلى أستراليا ونيوزيلندة ، يجب ألا نغفل دور بعض البعثات الرسمية وسفارات بعض البلاد العربية والإسلامية ، كسفارات السعودية ومصر وباكستان وماليزيا وغيرها في جهود الدعوة الإسلامية ومساعدة الجاليات المسلمة وتبني بعض مشروعاتها كبناء المراكز الإسلامية والمدارس والمساجد .

توزيع الأقليات المسلمة
وأصولها في أستراليا ونيوزيلندة

حسب الإحصاء الرسمي الأسترالي لعام ١٩٩٣م ، قدر عدد المسلمين بنحو ١٤٧ر٤٨٧ نسمة. وتقدر بعض المصادر الإسلامية بأن هذا العدد يبلغ ٢٨٠ر٠٠٠ نسمة (الداود ، ١٤١٣هـ ، ١١٣). وتشير تقديرات الاتحاد الإسلامي للمجالس الأسترالية - الممثل الرسمي للمسلمين في أستراليا - بأن العدد يقارب ٣٠٠ر٠٠٠ نسمة. وتشير تقديرات أخرى مقربة من الجالية الإسلامية هناك، بأن العدد يقارب ٣٤٤ر٠٠٠ نسمة(الخميس، ١٤١١هـ، ٥). ويعود السبب في تضارب التقديرات إلى أن البيانات الخاصة بالدين متروكة للاختيار عند تعبئة بيانات الإحصاء السكاني . والطريقة الوحيدة المتوافرة لمعرفة أعداد المسلمين التقديرية ، هي الرجوع إلى البيانات المتعلقة بالأصول العرقية أو المواطن الأصلية التي جاء منها المهاجرون ، ومعروف أن هذه لاتقدم معلومات كافية. وعلى كل حال ، حسب هذه الإحصاءات المتفاوتة، يشكل المسلمون في أستراليا نسبة تتراوح بين ١ر٥ - ٢ ٪ من جملة عدد السكان.

وإمام اختلاف التقديرات ، فإنه لا مناص من الاعتماد على الإحصاء السكاني الرسمي لعام ١٩٩٣م على مافيه من أوجه قصور لإعطائنا فكرة عامة عن أعداد المسلمين وتوزيعهم الجغرافي ونسبتهم إلى الشعب الأسترالي . فحسب هذا الإحصاء ، يشير جدول رقم (١) إلى توزيع المسلمين على الولايات الأسترالية ، ويشير جدول رقم (٢) إلى توزيع المسلمين حسب بلد الميلاد، كما يشير جدول رقم (٣) إلى التوزيع النسبي لأعمار المسلمين .

جدول رقم (١) توزيع المسلمين على الولايات والأقاليم الأسترالية (١٩٩٣م)

الولاية / الإقليم	عدد المسلمين	النسبة من جملة السكان المسلمين (٪)
نيوساوث ويلز	٧٧٫٨٢٥	٥٢٫٧٧٪
فيكتوريا	٤٩٫٦١٧	٣٣٫٦٤٪
كوينزلاند	٥٫٦٠٥	٣٫٨٪
جنوب أستراليا	٣٫٠٩٢	٢٫٠٩٪
غرب أستراليا	٨٫٢٢٧	٥٫٥٨٪
إقليم أرضي العاصمة	١٫٨٦٨	١٫٢٧٪
الإقليم الشمالي	٦٣٠	٠٫٤٣٪
تسمانيا	٦٢٣	٠٫٤٢٪
المجموع	١٤٧٫٤٨٧	١٠٠٪

بتصرف من العمري ، ١٩٩٧م ، ص ٤ .

جدول رقم (٢) توزيع المسلمين في أستراليا حسب بلد الميلاد (١٩٩٣م)

البلد	العدد	النسبة من جملة السكان المسلمين (٪)
أستراليا	٥١٫٣٢١	٣٤٫٨٪
لبنان	٢٥٫٥٠٧	١٧٫٢٩٪
تركيا	٢١٫٣٠٦	١٤٫٤٥٪
يوغسلافيا(سابقاً)	٥٫١٦٠	٣٫٥٪
إندونيسيا	٤٫٧٨٢	٣٫٢٤٪
قبرص	٣٫٦٦٩	٢٫٤٩٪
إيران	٣٫٥١٤	٢٫٣٨٪
باكستان	٣٫٣٣٩	٢٫٢٦٪
فيجي	٣٫٢٥٣	٢٫٢١٪
مصر	٢٫٣٢٩	١٫٥٨٪
بلاد أخرى	٢٣٫٣٠٧	١٥٫٨٪

بتصرف من العمري ، ١٩٩٧م ، ص ٤ .

جدول رقم (٣) توزيع المسلمين في أستراليا حسب فئات العمر العريضة(١٩٩٣م)

العمر	أقل من ١٤ سنة		١٥ – ٦٤ سنة		+ ٦٥ سنة	
إحصاء	العدد	النسبة من جملة السكان المسلمين	العدد	النسبة من جملة السكان المسلمين	العدد	النسبة من جملة السكان المسلمين
١٩٩٣م	٥٢٫٣٠٧	٣٥٫٤٦٪	٩٢٫٤٢٥	٦٢٫٦٧٪	٢٫٧٥٥	١٫٨٧٪

بتصرف من العمري ، ١٩٩٧م ، ص ٤ .

ويتبين من المؤشرات الإحصائية التي يتضمنها الجدول رقم (١) بأن غالبية المسلمين تتركز في ولاية نيوساوث ويلز، وبخاصة في عاصمتها سدني وولاية فيكتوريا وبخاصة في عاصمتها ملبورن، حيث يعيش حوالي ٨٦٪ من مسلمي أستراليا، وتتركز في هاتين المدينتين وضواحيهما أغلب المساجد والمدارس وغيرها من المؤسسات التابعة للجاليات المسلمة .

ويتضح من الجدول رقم (٢)، بأن حوالي ٣٥٪ من المسلمين في أستراليا هم من مواليدها، مما يدل على أن الجاليات المسلمة في أغلبيتها مكونة من مجموعات من المهاجرين. وينتمي هؤلاء المهاجرون إلى جنسيات عديدة وأصول عرقية متنوعة ولكن معظمهم (٧٥ - ٨٠٪) من اللبنانيين والأتراك. وفيما يتعلق بالتوزيع النسبي لأعمار المسلمين في أستراليا، يتضح من الجدول رقم (٣) أن أكثر من الثلث (٤٦ر٣٥٪) هم من صغار السن (أقل من ١٤ سنة) وأقل من الثلثين بقليل (٦٧ر٦٢٪) يتركزون في الفئة العمرية (١٥ - ٦٤ سنة)، بينما لاتمثل نسبة كبار السن فوق ٦٥ سنة إلا ٨٧ر١٪ فقط من العدد الكلي للمسلمين. وهذا يدل على أن المسلمين في أستراليا يشكلون بصفة عامة مجتمعاً منتجاً قادراً على تجديد أجياله .

وتتكون الجاليات الإسلامية في أستراليا من ثلاث مجموعات رئيسية، وهي كالتالي :

١ - المسلمون الذين حملتهم الهجرات المتعاقبة التي استوطنت منذ القرن التاسع عشر الميلادي حتى يومنا هذا . وقد بلغت ذروة هذه الهجرات في الفترة ١٩٤٥ - ١٩٨٨م ، وجاءت من بعض البلاد الإسلامية والعربية على فترات وتحت ظروف مختلفة .

٢ - مجموعة من المسلمين تعيش في أقصى شمالي القارة الأسترالية ،

أستوطنت منذ أزمنة طويلة قبل اكتشاف أستراليا .

٣ - المسلمون الجدد من أصل أسترالي ، سواء من الأوروبيين أو من أهل البلاد الأصليين .

وفيما يلي دراسة موجزة لهذه المجموعات :

١ - مجموعة المسلمين المهاجرين :

وتمثل هذه المجموعة الأغلبية من عـدد السكان المسلمين في أستراليا والتي تتولى قيادة أغـلب المؤسسات الإسلامية والمراكز والجـمعيات والمدارس . وعن طريق جهود هذه المجموعة ، يعتبر المسلمون أكـبر مجموعة دينية غير نصرانية في أستـراليا. فأينمـا وُجهت ،وتلحظ الوجـود الإسلامي الذي تعـبر به هذه المجموعة عن نفسها من خلال المساجد والمدارس العربية والإسلامية والجمعيات والمراكز والمؤسسات الاقتصادية .

وتتكون الغالبية العظمى من هذه المجموعة من الأشخاص الذين جاءوا في هجرات متتالية وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية . وتنتمي هذه الهجرات إلى جنسيات عديدة وأصول عرقيـة متنوعة ، ولكن معظمهم (٧٥ - ٨٠٪) من اللبنانيين والأتراك ، والباقون جاءوا من يوغسلافـيا السابقة وأندونيسيا وقبرص وإيران وباكستـان وفيجي ومصر وبلاد أخـرى، مثل أفغانستـان وبنجلاديش، وحديثاً من الـبوسنة والهرسك والصومـال . وهناك صعوبة في معـرفة العدد الكلي لجنسيات المسلمين في أستراليا وخلفياتهم العرقية ، لأن المصادر الرسمية لاتربط بين الخلفية العرقية أو جنسية المهاجر وديانته ، وتترك الأمر اختيارياً في البيـانات الإحصائية . ولكـن تشير بعض مـصادر الجاليات الإسلامـية إلى أن المسلمين ينتمون لست وسبعين جنسية (العمري ، ١٩٩٧م ، ٢) .

٢ – مجموعة المستوطنين الأصليين :

وهي مجموعة من المسلمين تعيش في أقصى شمالي القارة الأسترالية ، قرب دارون (Darwin) عاصمة الإقليم الشمالي وفي الجزر المجاورة لها ، كجزر كوكوس (Cocos) ، وناروو (Narou) وأغلبهم من الجنس الملاوي ويعملون في صيد اللؤلؤ . وقد جاءوا إلى هذه المنطقة منذ زمن بعيد ، قبل اكتشاف الأوروبيين لأستراليا ، وقد انقطعت صلتهم بالعالم الإسلامي وفقدوا هويتهم الإسلامية المميزة ، فتحولت حياتهم إلى مزيج من تعاليم الإسلام المندثرة وبقايا عادات وتقاليد سكان أستراليا الأصليين . وهذه المجموعة صغيرة وليس لها تأثير يذكر في حياة الجاليات الإسلامية في أستراليا . وقد تعرضوا كغيرهم من السكان الأصليين الأستراليين لعمليات تطبيع قسرية من قبل المستوطنين الأوروبيين .

٣ – مجموعة المسلمين الجدد :

وهذه مجموعة صغيرة ولكنها واعدة . وتتكون من الأستراليين الذين يرجعون لأصل أوروبي أو للسكان الأصليين الذين اعتنقوا الإسلام عن اقتناع تام، بفضل جهود الدعوة ونشاط بعض الأفراد والجاليات الإسلامية . وقد تحول بعض أفراد هذه المجموعة إلى عناصر نشطة للغاية وبخاصة في مجال الدعوة والتعليم[٣] .

وفيما يتعلق بالتوزيع العام للأقليات المسلمة في نيوزيلندة ، فهو يتفق إلى حد كبير مع التوزيع القائم في أستراليا ، حيث إن أغلب المسلمين من المهاجرين بينما القلة منهم ممن اعتنق الإسلام من أهل البلاد، سواء من الأوروبيين أو السكان الأصليين. وتشير التقديرات الإحصائية الحكومية في نيوزيلندة بأن عدد المسلمين يبلغ حوالي عشرة آلاف نسمة, (Khawaja , 1997)

(1 ، بينمـا تشـير مصادر المسلمـين إلى أن العدد يتراوح بين ١٥ – ٢٠ ألف . (Rasheed , 1997 , 1

وتتكون الأقليات المسلمة في نيوزيلندة من مجموعتين رئيستين :

المجموعة الأولى ، تتمثل في المهـاجرين الذين حملتهم الهجـرات المتتالية التي وصلت إلى البـلاد ، بينما تتمثل المجـموعة الثانية فـي المسلمين من أهل البلاد .

١ – مجموعة المسلمين المهاجرين :

على الرغم من أن الوجود الإسلامي بدأ في الظهور في النصف الثاني من القرن التاسع عشـر الميلادي ، إلا أن الجالية المسلمة لم تأخذ شـكلها المميز إلا في الخمسـينات الميلادية من هذا القرن . وكـان أول التجمعات الإسـلامية في مدينة أوكـلاند ، التي لاتزال موطن أغلب المسلمين في البلاد ، حيـث تشير الإحصاءات الرسمية إلى أن نصف عدد المسلمين يسكنون فيها . وتشير مصادر أخرى أن العدد قد يصل إلى ٨٠٪ (Shepard , 1996 , 213) . وينتمي أغلب المسلمـين في نيوزيلندة إلـى جزيرة فيجـي وهم من أصول هندية . وقـد قدم هؤلاء في الأصل إلى فـيجي للعمل في مزارع قـصب السكر التابعة لـلشركة التجارية البريطانية ، إبان فترة الاستعمار البريطاني للمنطقة ، أي قبل أكثر من مائة عام . وقـد هاجرت هذه المجموعة على فـترات متتالية إلـى نيوزيلندة ، ولكن الهجرة الكـبرى حدثت بعد الانقلاب العسكري الذي حـصل في فيجي في بداية الـتسعينـات الميلادية . كمـا جاءت هجرات مبـاشرة من شبـه القارة الهندية ، من الهند وباكستان وبنجلاديش وسريلانكا .

وقدم فريق من المهاجـرين من شرقي أوروبا(ألبانيا ويوغسـلافيا –سابقاً– ،

وتركيا) ، كما قدم فريق من منطقة جنوب شرقي آسيا (أندونيسيا ، ماليزيا، سنغافورة ، كمبوديا وميتمار - بورمـا سابقاً -) ، كما قدم البعض من البلاد العربية كسوريا ومـصر وليبيا والمغرب (Rasheed , 1997 , 2) وأخيراً جاءت بعض الهجرات من البوسنة والهرسك والصومال .

وتشير الإحصاءات الرسميـة أن أغلب المسلمين يسكنون في أوكلاند وهي أكبر مدن نيوزيلندة والتي يتميز جوها بالاعتدال ومناسبته لسكان الجزر المجاورة والبلدان الأسيوية . كما تتميز بـوجود أغلب المصانع والشركات والمؤسسات. وتليـها من حيث عـدد المسليمـن، مدينة ولنجـتون (Wellington) عاصمة البلاد، ويعيش فيها حوالي ١٢٪ من المسلمين ، وأغلبهم من فيجي . وتليها مدينة كرايست شيرش (Christchurch) عاصمة الجزيرة الجنوبية وأكبر مدنها، ويعيش فيها حوالي ٩٪ ، أغلبهم من طلاب البلاد الإسلامـية المختلفة. كما يوجد مـسلمون بأعـداد أقل في مدن همـلتون (Hamilton) (حوالي ٥٪) وبالمرستون نورث (Palmerston North) (٣٪)، ودينذن (Dunedin) (١٪) (خان ، ١٩٩١م/ ١،) .

٢ - مجموعة المسلمين الجدد :

وهي تتكون من أفراد اعتنقوا الإسلام من النيوزيلنديين ، سواء من أصول أوروبية أو من أصـول قبلية لشعـوب المنطقة . وهذه مجـموعة صغيـرة لكنها نشطة ، وتُرى بعض مساهماتها في خدمة الجالية والدعوة في المراكز الإسلامية والمساجد والمدارس .

وبالإضافـة إلى هذه المجموعـات من الأقليات في أسـتراليا ونيـوزيلندة ، هناك مجموعة مؤقتة ولكنها مؤثرة وفاعلة وبخاصة في قيادة العمل الإسلامي، وهي الطلاب الذيـن قدموا إلى المنطـقة للدراسة من الـبلاد الإسلاميـة . فقد

حفظ لنا التاريخ مساهمة هذه المجموعة في بناء المساجد والاتحادات الطلابية الإسلامية ونشر الوعي الإسلامي وبث روح من الحماس والتنظيم في الأقليات المسلمة. وبالإضافة إلى ذلك ، يجب ألا نغفل دور البعثات الرسمية لبعض البلاد الإسلامية مادياً ومعنوياً .

• • • • • •

المؤسسات الإسلامية
والنشاط الدعوي في أستراليا

يتمتع المسلمون في أستراليا نسبياً بنوع من التنظيم الشكلي ، حيث يوجد في كل ولاية من الولايات الأسترالية مجلس إسلامي منتخب ، يضم في عضويته أغلب الجمعيات والمراكز الإسلامية الموجودة في الولاية . ومن أكبر هذه المجالس الإقليمية ، المجلس الإسلامي في نيو ساوث ويلز والمجلس الإسلامي في فيكتوريا والمجلس الإسلامي لغربي أستراليا وغيرها . وتتكون هذه المجالس من مجموعة كبيرة من الجمعيات والمراكز الإسلامية قد تصل في بعض الأحيان إلى ٢٥ جمعية أو أكثر في المجلس الواحد . وعلى مستوى أستراليا ، هناك اتحاد يضم جميع هذه المجالس الإقليمية وهو الاتحاد الأسترالي للمجالس الإسلامية The (AFIC) Australian Federation of Islamic Councils(٤) . ويتمتع هذا الاتحاد باعتراف الحكومة الأسترالية وهو يعتبر المعبِّر عن المسلمين في أستراليا .

المؤسسات المحلية :

أنشأ المسلمون العديد من الجمعيات على أسس إسلامية تحاول أن تجمع المسلمين على اختلاف خلفياتهم العرقية ، ولكن الغالبية العظمى من الجمعيات تم إنشاؤها على أسس قومية أو لغوية ، مثل الجمعيات الإسلامية اللبنانية والمصرية والتركية والهندية والباكستانية . . . إلخ . وأغلب هذه الجمعيات لها دستور معترف به من قبل حكومة الولاية ، ولها لجنة تنفيذية منتخبة ، تضم رئيس اللجنة أو الجمعية ونائباً للرئيس وسكرتيراً وأميناً للصندوق وأعضاء تنفيذيين آخرين . وتشير بعض التقارير الإسلامية إلى أن هناك مائة وخمسين هيئة وجمعية أنشأها المسلمون في أستراليا (العمري ، ١٩٩٧م ، ٥) .

كما تم إنشـاء العديد من المساجد والمؤسـسات والجمعيات الإسـلامية في أستراليا في العـقدين الأخيرين . وتقدر بعض المصادر الإسـلامية ، بأن هناك الآن حوالي مائة مسجد ومصلى على مستوى البلاد (العمري، ١٩٩٧م، ٦)، كما تقدر مصادر إسلامية أخرى بأن العدد بلغ مائة وخمسة عشر (الخميس ، ١٤١١هـ ، ٦) . وتنتـشر هذه المساجـد والمؤسسات والجمـعيات في جـميع ولايات ومدن أستـراليا ، إلا أن أغلبها في ولاية نيـو ساوث ويلز ، وبالذات عاصمتها مدينة سدني ، وولاية فيكتـوريا وعاصمتها ملبورن وذلك لكثرة عدد المسلمين في هاتـين المدينتين . وأكبر مسجـد في أستراليا ، هو مـسجد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في مدينـة سدني ، التي يعيش فيها حوالي نصف المسلمين في أستراليا ، ويقـع في ضاحية ليكامبا (Lakemba) ويتسع لحوالي خمسة آلاف مصلٍ . والمسؤولون عن إدارته من أصل لبناني وهم أيضاً أغلب رواده. وهناك مسجـد آخر قام بإنشائه حديثاً مـسلمون من أصل تركي في منطـقة أوبرن (Auburn) بمدينة سـدني ، ويتسع لحوالـي ألف مصلٍ . وبالإضافة إلى ذلك، تنتشر المساجـد في ضواحي سدني، مثل ساري هلس) (Surry Hills، إرسكينفل (Erskinville) ، ريدفرن (Redfren) ، أبرن) (Aburn، هريستفل(Hurstville) ، كبرامنت، سانت ماري(St. Marys) ، أرنست(Arnest)، كامبل تاون(Campbeltown)، روتي هيل (Rotty Hill) ، وماونت درنت (Mount Drunt) وتوجـد كذلك بعـض المساجـد في المدن الأقليـميـة، مثـل نيوكـاسل (New Castle)، وولونجونج(Wollongong) ويوجد في ولاية فيكتوريا العديد من المساجد والمصليات ، حيث تعتبر المنطقج الثانية بعـد مدينة سدني وضواحيـها من حيث عدد السكان المسلـمين وانتشار مؤسساتهم. وقد أنشأت الجمعية الإسلامية بـفيكتوريا مسجداً كبيراً في ضاحية برستون (Priston) في مديـنة ملبورن عـاصمة الـولاية، وذلك في أكتـوبر

١٩٧٦م، بتكلفة بلغت ...ر٠٠٥ دولار. كما قامت الجمعية الإسلامية التركية في فيكتوريا ببناء مسجد في ضاحية إيست كوبرج (East Coburg) في مدينة ملبورن، وهو يتسع لحوالي ستمائة مصلٍ .

وتدير الجمعية الإسلامية الألبانية مسجداً في ضاحية كارلتون(Carlton) . أما باقي المساجد ، فتنتشر في الولاية في أماكن تجمع المسلمين في مناطق، مثل نوبل بارك (Noble Park) ، بروميدوز (Broamedows) ، داندونج (Dandong) ، دير بارك (Deer Park) ، دونكاستر (Doncaster)، ميدستون (Maidstone) ، وفي مدينة شبرتون (Shepparton) وهي مركز لزراعة الفواكه في شمالي الولاية ، قام المسلمون المنحدرون من أصل ألباني ببناء مسجد في عام ١٩٦٠م .

وفي ولاية كوينزلاند ، يوجد مسجد كبير في مدينة برسبين (Brisbane) عاصمة الولاية ، أسسه أحد المسلمين الباكستانيين في عام ١٩٠٧م ، وقد تقرر في الستينات الميلادية إزالته وتجديد بنائه بطراز صممه أحد الطلبة الدارسين للعمارة في جامعة كوينزلاند . وتم البناء بجهود المسلمين المتطوعين، وأُكمل بناؤه في عام ١٩٧٠م بتكلفة ٠٠٠ر٣١ دولار . كما أنشئ بعد ذلك مسجدان على موقع كنيستين في إحدى ضواحي المدينة . وهناك مسجدان آخران تحت الإنشاء، يقعان في جولد كرست (Gold Coast) شمالي برسبين. وتوجد مساجد أخرى في مدن مثل ماكي (Mackay) وتاونسفيل (Townsville) ومدينة ماريبا (Mareeba) في شمال غربي كوينزلاند . وفي ولاية غرب أستراليا يوجد مجموعة من المساجد بعضها قديم قدم الجالية المسلمة في أستراليا، وبعضها حديث . وتجدر الإشارة هنا إلى أن في الولاية مسجد يعتبر من أول المساجد التي أنشئت في أستراليا ، ويقع في مدينة بيرث

(Perth) عاصمة ولاية غرب أستراليـا. وقد تم تأسيسه عام ١٩٠٥م ولايزال قائماً حتى الآن.

ويوجد في ولاية غرب أستراليا المجلس الإسلامي لغرب أستراليا والذي يتكون من مجموعات ثلاث :

١ - اتحاد بـيرث الإسلامـي ويوجد لديـه مسجـد ومدرسـة في ضاحـية ريفرفيل (Rivervale) .

٢ - الجاليـة الإسلامية في كتـيننج (Katanning) وهي مركـز ريفي في جنوب غربي الولاية ، وتشمل مناطق كوكوس (Cocos) ، وجزر كرسماس (Christmas Islands) ويؤدي المسلمون في هذه المناطق صـلاتهم في مسجد تم تأسيسه بمساعدة إخوانهم من البـلاد العربية ، وبخاصة من السعودية ودول الخليج الأخرى .

٣ - الاتحاد الإسلامـي لشمالي غـربي أستراليـا ، ويشمل مسلـمي الجزر العديدة التي تنتشر أمام السواحل الشمـالية الغربية ، وقد بنوا مسجداً لهم في مدينة بورت هيدلاند (Port Hedland) بمساعدة من السـعودية ودول الخليج العربـية. وأنشأت سـتون عائلـة من مسلمي الأتـراك اتحاداً يسمـى بـ (الاتحاد الإسـلامي التركـي). وأقامـت هذه المجموعـة مسجداً لهـا في ضاحيـة فيثبـول (Veithboul) في بيرث.

وفي جنوبي أستراليا ، يعتبر مـسجد أدليد الواقع في عاصمة ولاية جنوب أستراليـا من أقدم المساجد المعـروفة ، حيث أنشئ عام ١٨٩٩م ومـازال قائماً حتى الآن، وتوجد في هذه المنطقة ثلاث مجموعات إسلامية :

١ - الجمعية الإسلامية لجنوبي أستراليا، وقد أنشأت مسجداً في المنطقة.

٢ - الجمعية الإسلامية في أدليد بجنوبي أستراليا ، وهي مسؤولة عن مسجد أدليد وتشرف عليه.

٣ - الجمعية الإسلامية في هويلا (Why alla) وهي مدينة صغيرة تقع على خليج سبنسر في جنوبي أستراليا . وهذه الجمعية تابعة للجمعية الإسلامية لأستراليا الجنوبية ، والتي ترتبط بدورها بالاتحاد الإسلامي للمجالس الإسلامية وهناك مسجد في مدينة رينمارك (Renmark) على نهر موري (Murray) .

وفي تسمانيا (Tasmania) ، تم إنشاء مسجد ومركز إسلامي في هوبرت عاصمة ولاية جزيرة تسمانيا .

وفي منطقة عاصمة أستراليا ، تم إنشاء مسجد في كانبرا عاصمة البلاد في عام ١٩٦٠م ، وقد شارك في تمويل إنشائه كل من حكومة إندونيسيا وماليزيا وباكستان.

وفيما يتعلق بالولاية الشمالية ، فقد تم تأسيس الجمعية الإسلامية للولاية الشمالية عام ١٩٧١م . وفي عام ١٩٧٨م ، تبرعت الحكومة الأسترالية للجمعية بأرض في دارون (Darwin) لبناء المركز الإسلامي ، الذي أكمل في ١٩٧٩م.

كما تم إنشاء الجمعية الإسلامية في آليس سبرنج (Alice Apring) ، جنوب دارون . وتمت موافقة مجلس المدينة على التبرع بأرض للجمعية والموافقة على بناء مسجد عليها .

وفي المحيط الهندي ، وعلى بعد ٢٨٠٠ كيلو متر شمال غرب أستراليا ، تقع جزر كوكوس Cocos (كيلنج Keeling) ، التي أصبحت أحد أقاليم

أستراليا الخارجية منذ عام ١٩٨٤م . ويعيش في هذه الجزر المرجانية الصغيرة مايقرب من ١٢٠٠ نسمة ، نصفهم تقريباً من المسلمين ، وهي تضم ثلاثة مساجد، تتركز في هوم لاند Home Land . ويعتقد بأن أقدم هذه المساجد يعود تاريخ إنشائه إلى الأربعينات من القرن التاسع عشر الميلادي . أما المسجدان الآخران، فقد أنشئا عام ١٨٩٠م . كما توجد مدرستان تم إنشاؤهما في الفترة نفسها(Foreign Affairs and Trade Ministry , 1992,2) .

وبالإضافة إلى هذه الجمعيات والمساجد المذكورة هناك عدد كبير منها تم إنشاؤه في السنوات الأخيرة في أستراليا ويصعب حصره .

المؤسسات الأقليمية :

يوجد في أستراليا مجموعة من المؤسسات والجمعيات والهيئات الإسلامية التي تعمل على مستوى أستراليا . ومن أهم هذه الهيئات التالي :

١ - الاتحاد الإسلامي للمجالس الإسلامية :

(The Australian Federation Of Isalmic Councils - A. F. I.C)

ويمثل هذا الاتحاد إلى حد كبير ، أهم وأكبر هيئة إسلامية عامة في أستراليا، وقد تم إنشاؤه عام ١٩٦٤م في مدينة سدني . ويضم الاتحاد ممثلاً عن كل ولاية أسترالية ويتبعه اتحاد المجالس والجمعيات المحلية في كل ولاية ويضم في عضويته حتى الآن سبعين هيئة وجمعية (منار الإسلام، ١٩٩٣م، ٦٢). وقد تم إنشاء الاتحاد ليمثل المسلمين أمام السلطات الأسترالية ويجسد آمالهم واحتياجاتهم . وقد حظي الاتحاد بسمعة جيدة واحترام كبير كواجهة إسلامية في المجتمع الأسترالي ، لأنه يدار عن طريق هيئة منتخبة، ويمثل المسلمين على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم وميولهم السياسية. ويتشكل

الهيكل الإداري للاتحاد من رئيس وسبعة نواب للرئيس ، هم ممثلو الولايات، بالإضافة إلى سكرتير وأمين للصندوق وجهاز إداري.

ويقوم الاتحاد بمجموعة من الأنشطة الدعوية والتعليمية والاجتماعية، مثل تزويد مختلف مناطق أستراليا بالأئمة والدعاة والمعلمين، وتشجيع الصلات والعلاقات الإيجابية مع المسؤولين الرسميين على المستوى المحلي والفيدرالي في أستراليا. كما أسس الاتحاد مجلساً للطعام الحلال لمساعدة المسلمين على الحصول على اللحم الحلال ومعرفة القواعد الشرعية في ذلك، ونشر منشورات وكتيبات عن الموضوع ، وإنتاج وتسويق الطعام الحلال للمسلمين وغيرهم (وكالة الأنباء الإسلامية ، ١٩٩٥م ، ٦٣٢). وبالإضافة إلى ذلك، ينبثق من الاتحاد الإسلامي للمجالس الإسلامية مجموعة من الهيئات والمراكز المتخصصة مثل المركز الإسلامي الذي يصدر مجلة شهرية ، ويرعى برامج للناشئة في مركز الشباب الإسلامي ، ويدير " دار رعاية المرأة المسلمة " ، وهي دار مخصصة لإيواء المطلقات وحماية الفتيات والنساء اللائي حدث شقاق بينهم وبين أزواجهن ، حيث يتعهدهن بالرعاية والنصح حتى يتم إرجاعهن إلى بيت الزوجية. كما أنشأ " المركز الإسلامي " مغسلة للموتى . . . إلخ . والواقع أن الاتحاد يعتبر الممثل الرسمي لمسلمي أستراليا لدى الحكومة الأسترالية وحكومات الدول العربية والإسلامية . وقد نجح في الحصول على العديد من المساعدات وحظي بأوجه متعددة من التعاون .

٢ - اتحاد الطلبة والشباب المسلمين في أستراليا : ويجمع هذا الاتحاد في عضويته جماعات وروابط وجمعيات الطلبة المسلمين الدارسين في الجامعات والمؤسسات التعليمية والتقنية والفنية. كما يضم في عضويته، منظمات الشباب على مستوى أستراليا. ويدخل في عضوية هذا الاتحاد الطلبة

المسلمون الذيـن جاءوا من خارج أستراليا ويـعيشون مؤقتاً لـلدراسة . وللاتحاد دستور وهيـئة إدارية يتم انتخـابها بصفة دورية، ويـتمتع بعضـوية نشطة، وله أنشطة فاعلة، وبخاصة في مجال المخـيمات واللقاءات والمحاضرات والأنشطة الثقافية الأخرى.

٣ - جـمـعـيـة المـسـلـمـين المـهـاجـرين: وقـد أنشـئت في عـام ١٩٨٥م (١٤٠٥هـ)، وتهـدف إلى القيـام ببعض النشـاطات الإسلامـية ذات الصبـغة الثقافـية والاجتماعيـة ، والاهتمام بالتعلـيم الإسلامي ، وتسهيل سـبل إقامة الشعائر الإسلامية ، وخدمة الطلبـة المسلمين الوافدين ، وتوفير فرص التعارف والتفاهم بين المسلمين والجاليات الأخرى في استراليا . ويبدو أن نشاط هذه الجمعية محدود نسبياً مقارنة بالهيئات الإقليمية الأخرى .

٤ - جمعية النساء المسلمات في أستراليا : وتهدف هذه الجمعية إلى الدفاع عـن المرأة المسلمة وتوضـيح الرؤية الإسلامـية الصحـيحة تجاهـهـا ضد حملات التشويه والتشكيك التي قد تنشر في وسائل الإعلام . كما تهدف إلى توعية المرأة المسلمة والأسـرة المسلمة بتحقيق الأحكام الشرعيـة ، وبمسؤوليتها تجاه أسرتها ومجتمعها المحلي والمجتمع الأسترالي . وقد تم إدخال الجمعية في بعض الحوارات والمشاورات بشـأن المناسبات الدولية والمؤتمرات العـالمية الخاصة بالمرأة والأسرة . وتصدر الجمعـية نشرة خاصة بها ، كما تقيم مـركزاً تعليمياً وترفيهـياً للنساء المسلـمات . وتقوم عضوات الجمـعية بإلقاء مـحاضرات عن الإسلام لغير المسلمات في المنتديات والجمعيات النسائية .

٥ - أمـانـة الـوقـف الإسـلامـي : وقـد تم تأسـيس هذا الـوقف في عـام ١٩٨٤م، تعـبيراً عن الاهـتمام بهـذا الجانب في حـياة الجالـيات المسلمـة في أستراليا، ومـركزه في ولاية فيكتوريا . ويهدف هـذا الوقف إلى تنظيم وإدارة

الأوقاف للصرف منها على النشاطات الإسلامية . وأغلب مايتضح فيه نشاط هذا الوقف الجانب التعليمي حيث تم تخصيصه بأولوية كبيرة .

٦ - **المركز الثقافي الإسلامي في أستراليا** : وقد تم إنشاء هذا المركز في مدينة سدني ، والتي تضم أكبر التجمعات الإسلامية في أستراليا . ويقوم المركز بنشاط جيد في مجال الدعوة الإسلامية والتعليم والإعلام الإسلامي. ويذكر بأن المركز استطاع الحصول على موافقة الحكومة الأسترالية لتعليم الإسلام لساعة واحدة أسبوعياً في المدارس الحكومية في عام ١٩٩٠م . ويقوم المركز بافتتاح المدارس الإسلامية وتوفير المعلمين وإعداد الأئمة والدعاة .

وبالإضافة إلى هذه الجمعيات والهيئات، هناك عدد آخر له صبغة إقليمية ويقدم خدمات مطلوبة في حياة الجاليات المسلمة في أستراليا .

المؤسسات العالمية :

وفيما يتعلق بالمؤسسات العالمية العاملة في أستراليا فإن أهمها :

١ - **مكتب الدعوة في أستراليا** : ويتبع وزارة الشؤون الإسلامية في السعودية . وقد بدأ المكتب نشاطه في عام ١٤١١هـ ، ويهدف إلى خدمة القضايا الإسلامية ودعم الجاليات الإسلامية وحماية الأجيال المسلمة التي ولدت في أستراليا من التيارات الوافدة . ويقوم المكتب بجهود طيبة في طباعة وتوزيع الكتاب الإسلامي وتوزيع المصحف الشريف وترجمة معانيه باللغات الإنجليزية والبنغالية والتركية وغيرها .

٢ - **الندوة العالمية للشباب الإسلامي**: وهي هيئة إسلامية عالمية مستقلة ومركزها الرئيس في مدينة الرياض ، وتهدف إلى خدمة العقيدة الإسلامية ونشرها ورعاية الشبيبة المسلمة . وتقوم الندوة بنشاط مميز في العديد من

المجالات، ومن ذلك: طباعة الكتب وترجمتها وتقديم المنح الدراسية وتنظيم المخيمات والدورات التدريبية وقوافل الدعوة ... إلخ. وتقوم الندوة بتنسيق جهودها في أستراليا عن طريق ممثلها والهيئات والجمعيات المتعاونة معها .

٣ - **جماعة التبليغ**: وهي جماعة معروفة بنشاطها على مستوى العالم، ومقرها الرئيس في شبه القارة الهندية، وتعمل في أستراليا في ضوء منهجها الداعي إلى تجنب القضايا الخلافية وعدم الخوض في القضايا السياسية، والتركيز على الجانب الروحي والعبادات والذكر. وعلى الرغم من بعض التحفظات المثارة حول فكر الجماعة وتعاليمها، فقد نفع الله بها خلقاً كثيراً حتى أنها وصلت إلى مناطق ومجتمعات لم تستطع غيرها من الهيئات الوصول إليها. وعلى الرغم من عدم وجود مكتب أو منظمة رسمية معترف بها في أستراليا للجماعة ، إلا أنها منظمة تنظيماً جيداً وتتخذ من المساجد ومراكز الدعوة منطلقاً لنشاطها . كما أقامت مدرسة بنظام اليوم الكامل في مدينة ملبورن.

٤ - **الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية** : وهو هيئة إسلامية عالمية مستقلة، تعمل بين الشباب والطلاب، وتضم في عضويتها الاتحادات الطلابية الإسلامية النشطة على مستوى العالم. ويقوم الاتحاد عن طريق الجمعيات التي تمثله بجهود طيبة في العديد من المجالات، وبخاصة الطباعة والنشر والترجمة وتنظيم المخيمات واللقاءات الطلابية.

وبالإضافة إلى هذه الهيئات العالمية في أستراليا، هناك بعض الهيئات الأخرى والبعثات الرسمية التي لها بعض النشاط والتأثير على حياة الجاليات المسلمة، مثل الأزهر وبعض الهيئات الحكومية وغير الحكومية التي تقدم الإرشاد والتوجيه وتأتي من بلاد عديدة، مثل ماليزيا وباكستان وبعض البلاد العربية.

المؤسسات الإسلامية
والنشاط الدعوي في نيوزيلندة

المؤسسات المحلية :

تعيش أقدم الجاليات الإسلامية وأكبرها عدداً في مدينة أوكلاند أكبر وأشهر مدن البلاد وتشير آخر الإحصاءات بأن عدد المسلمين في المدينة قد يصل إلى ٨٠٪ من بين عدد المسلمين في نيوزيلندة (Shepard , 1996 , 213) وفيما يلي أهم الهيئات الإسلامية في المدينة .

١ - اتحاد المسلمين في نيوزيلندة: وقد تم إنشاؤه في عام ١٩٥٠م وشهد نشاطاً ملحوظاً في منتصف الخمسينات الميلادية بفضل جهود بعض المهاجرين المسلمين من أصل أوروبي . وحصل الاتحاد على جزء من مقبرة خصصت لدفن موتى المسلمين ، كما عيّن الاتحاد مأذوناً شرعياً مرخصاً لإبرام عقود الزواج ضمن إطار القانون النيوزيلندي .

وفي منتصف السبعينات الميلادية ، تشكلت ثلاث مجموعات إسلامية أخرى في أوكلاند، وهي جمعية أنجومان حماية الإسلام (Anjuman Himayat Al-Islam) ،والمجلس النيوزيلندي للمؤتمر الإسلامي العالمي (New Zealand Council of The World Muslim Congress) ، ومجموعة ثالثة عرفت بميولها الصوفية تحت قيادة مسلم من أصل نيوزيلندي أوروبي. ولقلة عدد أفراد الجالية ورغبة في عدم بعثرة الجهود ، تمَّ في عام ١٩٧٦م اتحاد أنجومان والمجلس النيوزيلندي في اتحاد أخذ مسمى الاتحاد القديم نفسه، أي "اتحاد المسلمين في نيوزيلندة" ، وكان أكبر مشروع تولاه الاتحاد الجديد، بناء مسجد أوكلاند الذي اكتمل عام ١٩٨٣م، ويتسع لحوالي ٤٠٠ مصلٍ . ويقوم الاتحاد بتنظيم نشاطات دينية واجتماعية وبالإشراف عليها، كما يقدم دروساً

مسائيـة يومية لحوالي ٨٠ طفـلاً ، وحصص مسائية أسـبوعية منتظمـة للنساء والأطفـال كل يوم أحـد (Shepard , 1996 , 222) والجـدير بالذكـر ، أن الأعضاء الناشطين في الاتحاد من أصل فيجي أو من منطقة كجرات الهندية مع بعض المسـلمين من جنوب شرقـي آسيا ، وقليـل من النيوزيلنـديين من أصل أوروبي ، الذين اعتنقوا الإسلام.

وأن مدينة أوكلاند تغطي منـطقة جغرافية واسعة، فقد نشـأت مجموعتان صغيرتان تحت رعاية اتحاد المسلمين في أوكلاند لخدمة مناطق معينة من المدينة، إحداهما في ضاحـية مانجير (Mangere)سنة ١٩٧٩م، والأخرى في منطقة روسكل (Roskill) في عـام ١٩٨٨م . وتقوم هاتـان المجموعـتان بتـقديم خدماتهما الاجتماعية والتعليمية للمسلمين في المنطقة .

٢ - اتحاد المسلمين في ولنجتون : تم إنشاء الاتحاد في عام ١٩٦٤م ثم غير اسمه إلى الاتحاد العالمي للمسلمين في نيوزيلندة (International Muslim Association of New Zealand) وعرف اختصاراً باسم (Iman) وقد ارتبط إنشاء هذا الاتحاد بقـربه من جامعة فيكتوريا وتأثـره بجوها الأكاديمي. وتمارس معظم أنشطة الاتحـاد الدينية والتعليمـية والاجتماعية فـي المقر الذي تم شراؤه وتجديده عـام ١٩٧٨م . وتتمـيز عضـوية (إيمان) بأنهـا عالمية الـطابع وذات مستوى تعليمي أعلى من الاتحادات المـوجودة في منطقة أوكلاند، وقد أنعكس هذا في بروز مظاهـر الالتزام بالسلوكيات الإسـلامية وتوافر النشـاط والحماس لدى أعضـاء الاتحاد . ويتأثر الاتحـاد بنوعية الطـلاب المغتربين الموجـودين في أوقات مـختلفـة وقد اتضح هذا الأمـر في أوائل الثـمانينات المـيلادية حيـنما تخرجت مجموعات نشطة من طلاب الجامعة، مما أضعف نشاط الاتحاد لبعض الوقت، استطاع بعدها استعادة قوة نشاطه من جديد .

٣ – اتحاد المسلمين في وايكاتو بي أوف بلنتي : وقد أنشئ هذا الاتحاد في مدينة هاملتون (Hamilton) ، ويضم في عضويته مجموعات من المهاجرين قدم أغلبهم منذ عام ١٩٧٣م . ويرجع هؤلاء في غالبيتهم إلى أصول هندية ، إلا أن هناك مسلمين من أوغندا وماليزيا وسنغافورة وألبانيا وقليلاً من المسلمين النيوزيلنديين من أصل أوروبي . كما يضم الاتحاد في عضويته مجموعات من الطلبة المغتربين ، الذين قدموا مع عائلاتهم للدراسة في جامعة وايكاتو .

٤ – اتحاد المسلمين في ماناواتو : وقد تم إنشاء هذا الاتحاد في منطقة بالمرستون نورث(Palmersto North) عام ١٩٧٦م .ويضم في عضويته جالية إسلامية قليلة العدد، بالإضافة إلى الطلاب المغتربين في جامعة ماسي(Massey) .

٥ – اتحاد المسلمين في كانتربري: تم إنشاء هذا الاتحاد عام ١٩٧٦م، ويضم المسلمين في مدينتي كرايست شيرش(Christchurch)، ولنكولن(Lincoln) في الجزيرة الجنوبية لنيوزيلندة، حيث يعيش معظم المسلمين في المنطقة. وتتكون الجالية من مهاجرين جاءوا في أواخر الستينات الميلادية من بعض البلاد الإسلامية وجزيرة فيجي واستوطنوا المنطقة ، ومن بعض الطلاب المغتربين الدارسين في جامعة كانتربري .

٦ – اتحاد المسلمين في أوتاجو : وقد تم إنشاء الاتحاد في عام ١٩٨٨م على أيدي مجموعة من المسلمين ، أغلبهم من منطقة دنيدن (Dunedin) وتدار نشاطات هذا الاتحاد من قبل مركز الطلاب الماليزيين .

المساجد والمراكز الإسلامية في نيوزيلندة :

يوجد في نيوزيلندة مسجدان ، المسجد الجامع في أوكلاند ويقع في وسط المدينة وهو أول جامع يؤسس في نيوزيلندة وتم الشروع في بنائه في أواخر السبعينات الميلادية وانتهى في بداية الثمانينات . وقد جاءت أغلب التكلفة من التبرعات التي وصلت من السعودية .

والمسجد الثاني في نيوزيلندة، هو مسجد النور في مدينة كرايست شيرش، وتم بناؤه في أواسط الثمانينات الميلادية، وتبرع بتكلفة البناء خادم الحرمين الشريفين، واجتهد في سبيل إتمام بنائه أحد الطلبة السعوديين، الذي كان يدرس في المدينة، وربما يعد هذا المسجد آخر المساجد على وجه الأرض ناحية القطب الجنوبي، وهو قلعة إسلامية من ناحية الفن المعماري والمحتويات، يجذب أنظار الزوار من الأوروبيين والأمريكيين .

وبالإضافة إلى هذين المسجدين، هناك سبعة مراكز إسلامية تؤدى فيها الصلاة وتمارس فيها مجموعة من الأنشطة الاجتماعية والثقافية والرياضية، وهي كالآتي :

١ - المركز الإسلامي في مانجري في جنوبي أوكلاند، ويشرف عليه اتحاد المسلمين في أوكلاند الجنوبية، وهو عبارة عن بيت متوسط الحجم .

٢ - المركز الإسلامي في مدينة هاملتون ، ويشرف عليه اتحاد المسلمين في وايكاتو بي أوف بلنتي ، وهو عبارة عن بيت كبير تم شراؤه وتحويله إلى مركز إسلامي .

٣ - المركز الإسلامي في مدينة بالمستر نورث ، ويشرف عليه اتحاد المسلمين في ماناواتو ، وهو عبارة عن بيت ضخم يقع في وسط المدينة قريباً من السوق الرئيس .

٤ - المركز الإسلامي في مدينة ولنجتون العاصمة، ويشرف عليه الاتحاد العالمي لمسلمي نيوزيلندة والمعروف باسم (إيمان) ، وهو عبارة عن بيت كبير قريباً من السوق الرئيس للمدينة .

٥ - المركز الإسلامي في مدينة كرايست شيرش، ويشرف عليه الاتحاد الإسلامي في كانتربري ، وهو عبارة عن بيت عادي على شارع رئيس في المدينة .

٦ - المركز الإسلامي في هويرا (Hawera) إحدى مديريات ولنجتون، ويشرف عليه اتحاد إيمان ، وهو مكان مستأجر ، وقد تم شراء الأرض لبناء مركز إسلامي عليها .

٧ - المركز الإسلامي في مدينة دنيدن في الجزيرة العربية ويشرف عليه اتحاد المسلمين في أوتاغو ، ويقع المركز في مكان مستأجر نتيجة لقلة المسلمين ، وأغلبهم من الطلاب المغتربين الدارسين في جامعة أوتاغو (خان ، ١٩٩١م/أ ، ٢-٦) .

المؤسسات الإقليمية :

وترتبط الاتحادات الإسلامية والمراكز والجمعيات على مستوى نيوزيلندة باتحاد إقليمي هو اتحاد الجمعيات الإسلامية في نيوزيلندة ، وقد تم تأسيس الاتحاد في أبريل عام ١٩٧٩م ، وهو يضم في عضويته مجموعة من الاتحادات والجمعيات الإسلامية على مستوى نيوزيلندة ، مثل الاتحادات والجمعيات الإسلامية في أوكلاند وجنوب أوكلاند وهاميلتون وبالمرستون نورث وولنجتون وكرايست شيرش ودنيدن . ويهدف الاتحاد إلى توحيد كلمة المسلمين وجمعهم والتحدث باسمهم والحفاظ على هويتهم الإسلامية ونشر الإسلام . وللاتحاد

دستور وهيئة منتخبة ويعقد اجتماعاً مرة كل ستة أشهر واجتماعاً سنوياً عاماً .

ويقوم الاتحاد بمجموعة من الأنشطة ، ومنها على سبيل المثال :

- توفير مرجعية دينية وسياسية للمسلمين في نيوزيلندة .
- بناء المساجد والمدارس والمراكز الإسلامية .
- إصدار المطبوعات والكتب .
- دعوة غير المسلمين .
- مراقبة اللحوم المصدرة إلى العالم الإسلامي .
- تحديد رؤية هلال رمضان والعيدين ومواقيت الصلاة .
- مساعدة العائلات الفقيرة وتقديم النصح والتوجيه .
- مساعدة اللاجئين من المسلمين القادمين إلى نيوزيلندة من بلاد أخرى .

وعلى المستوى الإقليمي ، تم إنشاء مجلس للنساء المسلمات في نيوزيلندة عام ١٩٩٢م ، وله نشاطات ثقافية ودعوية تهدف إلى تنسيق نشاطات النساء المسلمات على مستوى البلاد ، والتعاون مع المنظمات الإسلامية ، ونشر المعلومات المتعلقة بالإسلام .

المؤسسات العالمية :

وفيما يتعلق بالهيئات الإسلامية العالمية العاملة في نيوزيلندة، فإنها تتشابه إلى حد كبير مع ماهو موجود في أستراليا. فعلى المستوى المحلي، تنشط الدعوة عن طريق جهود الاتحادات المحلية. وعلى مستوى البلاد، يقوم اتحاد الجمعيات الإسلامية في نيوزيلندة بدوره في ذلك. ولكن مسؤوليات الدعوة بصفة عامة، تتم عن طريق جهود جماعة التبليغ. وبالنسبة لدعوة غير

المسلمين، نشطت عن طريق جهود مكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي في أوكلاند خلال العشر سنوات الماضية . وقد أنشئت مؤخراً جمعية للمهتدين بدعم مباشر من مكتب الندوة. وبالإضافة إلى ذلك، هناك بعض الجهات العالمية، مثل وزارة الشؤون الإسلامية في السعودية ورابطة العالم الإسلامي وبنك التنمية الإسلامي، التي تقوم بجهد واضح في الدعوة والدعم المادي والمعنوي للمسلمين في نيوزيلندة .

• • • • • •

التعليم الإسلامي
في أستراليا ونيوزيلندة

يقدم لنا إحصاء عام ١٩٩٣م بعض المؤشرات عن مستوى التعليم لدى الجاليات المسلمة ، مقارنة بغيرها من فئات المجتمع الأسترالي . ومن هذه المؤشرات أن المسلمين فوق ١٥ عاماً تقل فيهم نسبة الحاصلين على شهادات علمية جامعية عن بقية الشعب . كما أن أصحاب الخبرات أو الشهادات المهنية بين المسلمين أقل بكثير أيضاً عن ماهو موجود لدى فئات المجتمع الأسترالي الأخرى . ومع ذلك ، توضح المؤشرات الإحصائية بعض الاتجاهات التعليمية التي تدل على اهتمام الفئات المتعلمة من المسلمين بالتعليم فوق الجامعي ، حيث تصل نسبة المسلمين الذين يحملون شهادات فوق الجامعية ضعف النسبة في بقية الشعب (العمري ، ١٩٩٧م ، ٤) .

وقد اهتمت الجاليات المسلمة في أستراليا ونيوزيلندة في السنوات الأخيرة بموضوع التعليم الإسلامي وجعلت له أولوية عالية في برامجها، وذلك رغبة منها في حماية النشء المسلم من تأثيرات الحضارة الغربية، وحفظ الهوية الإسلامية، وربط الجيل الجديد بدينه وقيمه. وعملت الجاليات المسلمة على محورين في هذا السياق، المحور الأول: إدخال تدريس الدين الإسلامي كمادة في المدارس الحكومية، والمحور الثاني بناء المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية التي تدرس المنهج الحكومي، وتدرس بالإضافة إليه اللغة العربية والدين الإسلامي. ومن الامتيازات التاريخية للجاليات المسلمة في أستراليا الحصول على حق تدريس الدين الإسلامي في المدارس الحكومية التي يوجد بها طلبة مسلمون، وقد تم ذلك بصدور قرار لهذا الغرض في تاريخ ٢٢/ ١/ ١٩٩٠م. كما أدخلت اللغة العربية في المنهج الدراسي كلغة ثانية بعد

الإنجليزيـة لمن يرغب في تعلمـها . والجدير بالذكـر ، أن الحكومة الأستـرالية أعطت الموافقة للمجالس الإسلامـية في الولايات بإرسال المعلمين إلى المدارس التي تـضم عدداً من أبـناء المسلـمين لتعـليمـهم الدين الإسـلامي لمدة سـاعة أسبوعـياً. كما تسـمح للمجالس والجـمعيات الإسـلامية باستعـمال المدارس الرسمية بعـد الدوام وفي يومي الإجازة الأسبوعية (السبـت والأحد) لتعليم العربية والإسلام .

ويوجد حالياً خـمس عشرة مدرسة ابتدائية وإعدادية وثانـوية في أستراليا، معظمها في ولايتـي نيو ساوث ويلز وفيكتوريا . وأكبر مـدرسة إسلامية، هي مدرسة الملك فهد في مدينة سدني ويـدرس فيها أكثر من ألف طالب وطالبة، ويعمل فيها ٥٦ معلماً ومعلمـة بنظام الدوام الكامل. وثاني أكبر مدرسة، هي ثانوية الملك خـالد في فيكتوريا بمـدينة ملبورن . وقد تم بناء هـاتين المدرستين بواسطة التبرعات السخية التي قدمتها السعودية .

وتدرس المدارس الإسلامية المنهج الأسترالي حـسب متطلبات وزارة التعليم في الولايـة، بالإضافـة إلى تدريـس مواد الديـن الإسلامي والـقرآن واللـغة العربيـة. ويتم الالتزام بالشعـائر والآداب الإسلامية في هذه المـدارس، كتأدية الصلـوات وتشجـيع الطلـبة على الالـتزام باللـباس الإسـلامي وبخاصـة بين الفـتيات. وتحـصل معظـم هذه المدارس على تمـويل من حكومـات الولايات والحكومة الفيدرالية ، كما يتم تحصيل الرسوم الدراسية من أولياء الأمور، كما تجمع التـبرعات من المسلـمين وغيرهم. وبالإضـافة إلى ماتقـدمه المدارس من خدمات تعليميـة، فإن معظم المساجد والمراكز الإسلامية تـنظم دروساً إسلامية في العلوم الدينية والقرآن واللغة العربية في إجازة نهاية الأسبوع أو بعد الدوام الرسمي اليومي.

ومن المبشرات على الساحة الأسترالية ، إنشاء الكلية الإسلامية في ويربي (Werribee) ، حيث أنشئت لتخدم الجالية الإسلامية النامية في مناطق ملبورن الغربية، وقد أسسها مجموعة من المسلمين المنتمين إلى جنسيات مختلفة ، عن طريق صندوق إسلامي ، أنشئ خصيصاً لتمويل المدارس الإسلامية في فيكتوريا. وبلغ عدد المسجلين في الكلية ٣٦٥ طالباً وطالبة عام ١٩٩٥م، موزعين على ٢٣ فصلاً ، ويتبع الكلية مسجداً يتسع لنحو ٨٠٠ مصلٍ وتدرس الكلية إلى جانب العلوم الإسلامية ، اللغة الإنجليزية والرياضيات. وقد تم اختيار مجموعة من الأساتذة المسلمين المؤهلين تأهيلاً جيداً لتعليم القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه الإسلامي واللغة العربية (وكالة الأنباء الإسلامية ، ١٩٩٦م ، ٦٣٧).

وفي نيوزيلندة ، تعتبر المدرسة التي أنشأها اتحاد الجمعيات الإسلامية في نيوزيلندة أول مدرسة في البلاد . وقد بدأت المدرسة بداية بسيطة في عام ١٩٨٦م وانتقلت إلى مبنى مستأجر في عام ١٩٩١م، ثم انتقلت في بداية عام ١٩٩٥م إلى المبنى الجديد الذي تم بناؤه على نفقة المسلمين والمؤسسات الإسلامية في نيوزيلندة وبعض الدول الإسلامية. وقد حصلت المدرسة على ترخيص من وزارة التربية والتعليم النيوزيلندية ، بحيث تقوم بتدريس المنهج النيوزيلندي، إضافة إلى التربية الإسلامية واللغة العربية (وكالة الأنباء الإسلامية، ١٩٩٦م ، ٦٣٧) . وتتوافر في أغلب الجمعيات والاتحادات الإسلامية خدمات التعليم البسيط للأطفال ، مثل دروس تحفيظ القرآن الكريم والتربية الإسلامية واللغة العربية ، وذلك بعد ساعات المدرسة العادية .

المظاهر العامة لنشاط الأقليات المسلمة في أستراليا ونيوزيلندة

١ - المظهر الاجتماعي :

ازداد في الثمانينات والتسعينات الميلادية وعي الجاليات الإسلامية في أستراليا ونيوزيلندة بأهمية المحافظة على هويتها الإسلامية، وقد أنعكس هذا في الأعداد الكبيرة من الجمعيات والاتحادات الإسلامية والمساجد والمراكز والمؤسسات التي تم إنشاؤها ، وكذلك في ازدياد عدد المدارس الإسلامية وانتشارها وتدريس القرآن والتربية الإسلامية واللغة العربية . كما نعكس ذلك في جهود الجاليات الإسلامية ممثلة باتحاداتها الرئيسية في العمل مع الحكومات المحلية والحكومة الفيدرالية لتذليل العقبات الاجتماعية التي تواجه حياتهم. وتتمتع كل من أستراليا ونيوزيلندة ببيئة متسامحة . تتبنى التعددية الثقافية على الرغم من أن الأغلبية من سكانها يأتون من أصول أوروبية غربية. ولهذه البيئة أثر كبير في فتح المجال للمسلمين للحركة والنشاط والتعبير عن هذه الحرية بالدعوة إلى الله، وتنظيم الاجتماعات واللقاءات، ونشر الكتب، وإصدار المجلات، والتمتع بحقوقهم السياسية والاجتماعية والدينية التي كفلها الدستور. وقد وافقت الحكومة الأسترالية على اعتبار الزي الإسلامي والحجاب الشرعي حقاً مكفولاً للفتاة المسلمة، فلها أن ترتدية بكل حرية داخل المدارس والجامعات، وذلك على الرغم من بعض مظاهر العنصرية من بعض فئات الشعب (عبدالفتاح ، ١٩٩١م ، ١٤٠٦) .

وتقوم الاتحادات والجمعيات والمساجد والمراكز وغيرها بتقديم الكثير من الخدمات الاجتماعية للمسلمين في أستراليا ونيوزيلندة، ومن ذلك على سبيل المثال :

أ - إنشاء المساجد ورعايتها وإقامة صلوات الجماعة والجمعة وتأمين الأئمة والمعلمين .

ب - فتح فصول تدريس القرآن الكريم واللغة العربية والتربية الإسلامية للأطفال والكبار .

جـ - توفير الكتب والنشرات وأشرطة التسجيل والأفلام الإسلامية .

د - إقامة المناسبات الاجتماعية والاحتفالات وتنظيم الرحلات والمخيمات.

هـ - إقامة الأنشطة الترفيهية والرياضية .

و - توفير شهادات اللحم الحلال وتنظيم إمدادات وصوله إلى المسلمين داخل وخارج أستراليا ونيوزيلندة .

ر - تقديم الخدمات الأخرى كالمشورة والإصلاح والتوجيه والإشراف على مقابر المسلمين وغيرها .

وتتطلع الجاليات المسلمة في أستراليا ونيوزيلندة لتأهيل وتدريب أئمة يجمعون بين ثلاثة عناصر : المعرفة الشرعية الجيدة ، والطلاقة في اللغة الإنجليزية، والوعي بثقافة البلاد الأصلية ، وذلك لأن مثل هؤلاء الأئمة يساعدون في نشر الإسلام وزيادة معتنقيه ، وكذلك يساعدون في نقل صورة الإسلام الصحيح بشكل أدق وأصدق لأطفال الجاليات الإسلامية.

٢ - المظهر الاقتصادي :

يمثل الجانب الاقتصادي محوراً رئيساً في حياة الجاليات المسلمة في أستراليا ونيوزيلندة ، وذلك لأنه في الغالب هو المبرر الذي أدى إلى هجرات الجاليات الإسلامية من مواطنها الأصلية منذ زمن بعيد . وتتسم الهجرات الأولى

للمسلمين إلى استراليا ونيوزيلندة بأنها من الحرفيين والعمال وصغار التجار. ولاتزال هذه الطبقة تمثل الأغلبية بين أفراد الجاليات الإسلامية حتى وقتنا الحاضر. وبالإضافة إلى ذلك ، اهتمت الجاليات بالتعليم ودفع أبنائها للدراسة والانضمام إلى المدارس الاسترالية والنيوزيلندية ، مما أدى إلى ازدياد نسبة المتعلمين الذين يدخلون سوق العمل كل عام ، فأصبحنا نرى أبناء الجيل الثاني والثالث في الوظائف الحكومية وفي المهن الحرة ، كما نراهم في ذوي التخصصات المرموقة ، كأطباء ومهندسين ومحامين وباحثين متميزين وأساتذة في الجامعات .

وكما تم الإشارة إليه سابقاً ، فإن المؤشرات الإحصائية توضح أن العائلة المسلمة العادية التي تمثل غالبية المسلمين في أستراليا في الغالب من أصل لبناني أو تركي، ومكونة من زوجين، وطفلين أو أقل، والوالدان بدون مؤهلات وأعمارهما بين ١٥ - ٦٤ عاماً، والأب يعمل والأم قد تكون عاملة أيضاً، والعمل غالباً مايكون في مصنع على خط تجميع أو ما شابهه . وتنتشر البطالة بين بعض فئات المسلمين وبخاصة طبقة العمال اعتماداً على الدورات الاقتصادية وتوافر الفرص الوظيفية (العمري ، ١٩٩٧م ، ٣).

وأغلب المسلمين في نيوزيلندة من العمال والحرفيين ، وبينهم مجموعة في ملكية وإدارة البقالات الصغيرة، كما تنتشر بعض المهن الصغيرة بينهم، مثل قيادة سيارات الأجرة والعمل على خطوط التجميع في المصانع. وتوجد بطالة بين بعض المسلمين، الذين يعيشون على الضمان الاجتماعي (Rasheed , 1997 , 2) .

وتقوم بعض الاتحادات الرئيسة والجمعيات الإسلامية والأفراد في أستراليا ونيوزيلندة بحيازة وإدارة بعض الملاحم لضمان توافر اللحم الحلال والإشراف

على تسويقه داخل البلاد وخارجها . وتدل المؤشرات على أن أكثر من نصف المسلمين في نيوزيلندة يستهلكون اللحم الحلال (Shepard , 1996 , 218) .

وبصفة عامة ، عند مقارنة مستوى المسلمين الاقتصادي بغيرهم من فئات المجتمع الأسترالي والنيوزيلندي ، تجد أن وضعهم ضعيف وقد انعكس ذلك في عدم قدرتهم الذاتية على إنشاء مؤسساتهم ، كالمساجد والمدارس، بدون دعم إخوانهم المسلمين من الخارج .

٣ – المظهر السياسي :

على الرغم من وجود البيئة الاجتماعية المتسامحة والظروف السياسية والقانونية الملائمة في أستراليا ونيوزيلندة إلا أن المسلمين أقل من غيرهم حصولاً على حقوقهم السياسية. والسبب في ذلك يعود إلى تدني مستواهم الاقتصادي وانشغالهم بتأمين معيشتهم وضروريات حياتهم، كما يعود إلى قلة الوعي وانخفاض نسبة التعليم والنزاعات والفرقة بينهم، ومن ثمَّ لم يكن للمسلمين الوزن الذي يناسب عددهم، وليس لديهم نائب أو ممثل واحد على المستوى الفيدرالي أو المحلي في البرلمان أو المجالس المحلية أو في وظائف الدولة الكبيرة. وتبعاً لذلك، ليس غريباً ألا تتم موافقة الدولة رسمياً حتى الآن على إقرار أبسط حقوق المسلمين، مثل الحصول على إجازة لأداء صلاة الجمعة أو الاحتفال بالعيد، وعلى المسلم أن يرتب مثل هذه الأمور على المستوى الشخصي. والحديث عن مستوى أعلى من الحقوق، مثل تطبيق الشريعة في الأحوال الشخصية في الزواج والطلاق والميراث، يبدو أمراً بعيد المنال في هذه المرحلة.

وفي أستراليا ، تم إنشاء العديد من الجمعيات والاتحادات على أسس عرقية وذلك لكثرة الجاليات هناك. ولكن الأمر في نيوزيلندة مختلف، حيث حافظ المسلمون على الصبغة الإسلامية العامة في إنشاء الجمعيات والاتحادات.

علاقات الأقليات المسلمة في أستراليا ونيوزيلندة

١ - العلاقات مع الأكثرية :

كانت أستراليا في الماضي ترتبط بأصولها كمستوطنة أوروبية أكثر من ارتباطها بموقعها في منطقة آسيا والمحيط الهادي. ولكن مع مرور الزمن ووجود حوالي ١٥١ جنسية، وتغير التركيبة السكانية، تمَّ إدخال تغييرات أساسية في مختلف سياسيات وتوجهات الحكومة والشعب الأسترالي، حيث أسست مفاهيم المساواة وسياسة التعدد الثقافي والحرية الدينية وعدم التمييز العنصري. وقد وضعت قوانين لحماية هذه الحريات والحقوق لمختلف الأفراد والجماعات.

ويتمتع المسلمون في أستراليا ونيوزيلندة بصفة عامة بظروف سياسية واجتماعية متسامحة، والعلاقة بينهم وبين الأكثرية علاقة إيجابية، يسودها التفاهم والاحترام المتبادل لتقاليد وعادات وثقافات وديانات مختلف الأطراف. ولدى المسلمين كامل الحرية في إعمار المساجد وممارسة العبادة والعمل الاجتماعي والسياسي، كما أن لديهم أيضاً حرية التنظيم وإقامة المؤتمرات وإصدار المطبوعات، وإلى غير ذلك من الحريات المعروفة في الأنظمة الديمقراطية والتي يكفلها الدستور للجميع . ومن المظاهر الإيجابية في العلاقة مع الأكثرية مشاركة بعض المسؤولين الأستراليين والشخصيات المرموقة مناسبات وحفلات المسلمين. ومن المشاهد المألوفة أن يشارك بالحضور بعد صلاتي عيد الفطر وعيد الأضحى من كل عام بعض كبار المسؤولين الأستراليين في الحكومة والمعارضة ونواب البرلمان ورؤساء البلديات وغيرهم ، ممن يتولى مناصب قيادية في الدولة على المستوى الفيدرالي أو المحلي، ليعبروا عن مشاركتهم للمسلمين فرحتهم في هذين العيدين (عبدالفتاح ، ١٩٩١م ، ١٤٠٦) .

كما تقوم الحكومة الأسترالية بتوفير بعض التسهيلات للجمعيات والاتحادات والمدارس الإسلامية ، وتقديم الدعم المادي والفني لضمان استمرار هذه الهيئات . وهناك على وجه التحديد مخصصات مالية حكومية لدعم ميزانيات المدارس الإسلامية ، والتأكد من أن نوعية التعليم المقدمة تتناسب مع المستوى التعليمي السائد في أستراليا .

ويعمل المسؤولين الأستراليون من أصل أوروبي في الحكومات والوزارات والأجهزة الرسمية على عدم إظهار العداء أو التمييز ضد المسلمين. وقد قامت العديد من الوزارات والمؤسسات والشركات، بشكل منفرد، بإجراء تغييرات مختلفة في أنظمتها لتناسب احتياجات موظفيها المسلمين، مثل الحق في التعطيل للاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى، وحضور صلاة الجمعة وغير ذلك (العمري ، ١٩٩٧م ، ٤) .

ومع توافر الحريات ووجود القوانين التي تكفلها ، تحدث أحياناً بعض التجاوزات والمضايقات الفردية ، كما توضع بعض العقبات أمام المسلمين عند ظهور أي قضية تتعلق بهم أو عند بناء المساجد أو المدارس الإسلامية . وبالإضافة إلى ذلك ، تعتمد الصحف الأسترالية والنيوزيلندية إلى حد كبير ، على وسائل الإعلام العالمية ووكالاته الأخبارية في الحصول على معلوماتها ، بما قد تشيعه هذه الوسائل أحياناً من معلومات غير صحيحة عن الإسلام والمسلمين . ويتمتع المسلمون في نيوزيلندة بالظروف السياسية والاجتماعية والقانونية المماثلة لمسلمي أستراليا ، بل إن وضعهم أفضل بقليل ، حيث أفادت بعض الأحداث بأن وسائل الإعلام والجهات الرسمية النيوزيلندية أكثر استجابة لاهتمامات المسلمين (Shepard , 1996 , 224) ، وقد أنشأ اتحاد الجمعيات الإسلامية في نيوزيلندة في عام ١٩٨٩م مركزاً خاصاً للمعلومات ،

أطلق عليه "الخدمة المـركزية للمعلومات الإسلامية"، ويتـولى مسؤولية توزيع المواد المرئية والمسموعة ، ويخدم المسلمين وغير المسلمين على حد سواء.

وقد أظـهر الاتحاد اهتـماماً بـالطريقة الـتي يعرض بهـا الإسلام للشـعب النيوزيلندي فـي وسائل الإعلام وقد سلّم الاتحاد مع مجـموعة من الاتحادات والأفراد التمـاساً لهيئة الإذاعـة والتلفزيون النيوزيـلندية لوقف بث فيلم مـثير للجدل عن الإسلام، وفعـلاً كانت نيوزيلندة هي الدولة الغربيـة الوحيدة التي أوقفت بث ذلك الفيلم. وقد تمكـن الاتحاد حتى الآن من اتخاذ إجراءات ضد وسائل الإعلام في ثلاث مناسبات. وكانت إحداها عندما نشرت مجلة واسعة الانتشار مقالاً غير منصف وغير صحيح عن الإسلام .

وتتولى لجنة حقوق الإنسان في نيوزيلندة التحقيق في الشكاوي التي تصدر من المسلـمين وغيرهـم ، وهي عادة ماتـوصي بقرارات منـصفة وفي صـالح المسلمين وغيرهم من الأقليات (Shepard , 1996 , 224) .

٢ - العلاقات مع الأقليات الأخرى :

تمثل علاقات المسلمـين مع الأقليات الأخرى في أستراليا ونيـوزيلندة جانباً مشرقاً آخر من حـياتهم ، حيث يسود التفاهم والاحتـرام بين الجميع في ضوء قوانين البـلاد . وللمسلمين في أسـتراليا ممثلون في المـنظمة الوطنية لمـناهضة التمييز العـنصري والتي تمثل مختلف الأجناس والأعراق غيـر البريطانية. ومن أعمال هذه المنظمة، دراسة ومتابعـة أي شكاوي يتقدم بها الأفراد أو الجماعات أو الهيئات بخصوص قضايا تتعلق بالـتمييز العنصري أو الاعتداء على الحريات بسبـب الدين أو اللون أو العـرق أو الجنس . ومن أعمـال هذه اللجنـة أيضاً إسداء النصـح للحكومات المتتـالية والضغط عـليها ، إذا لزم الأمر، لتـعديل بعض القوانين وإدخال قوانين جديدة (العمري ، ١٩٩٧م ، ٤).

ومن أكبر المشكلات في العلاقة مع الأقليات هو أن هذه الأقليات تتأثر بالصورة السائدة عن الإسلام والمسلمين التي تنشرها وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها ، مما يجعل لدى هذه الأقليات تصورات خاطئة قد تضر أحياناً عند تعاملهم مع المسلمين أو في مواجهة قضاياهم ، وهذا بلا شك يضع الكثير من الأعباء والمسؤوليات على المسلمين لتصحيح هذه التصورات الخاطئة وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين .

وتقوم الهيئات والاتحادات المحلية والإقليمية الإسلامية بجهود جيدة في تعزيز التعاون والتعايش مع الطوائف والجاليات الأخرى في المجتمع الأسترالي والنيوزيلندي، وقد أفرز هذا بعض العلاقات الإيجابية والأنشطة المشتركة. ومن أمثلة ذلك ماتلقاه الاتحاد العالمي للمسلمين في نيوزيلندة من تعاطف وتضامن من الكنائس المحلية ومن بعض قيادات الطوائف الأخرى ، عندما وضعت كتابات ورسومات تهكمية على جدار مبناه إبان غزو العراق للكويت في أغسطس ١٩٩٠م (Shepard , 1996 , 215) .

٣ - العلاقات مع العالم الإسلامي :

مع ازدياد سهولة الاتصالات والمواصلات في عصرنا ، أصبح للجاليات الإسلامية في أستراليا ونيوزيلندة علاقات وثيقة بالعالم الإسلامي. وهناك اتصال دائم عن طريق الزيارات المتبادلة وحضور ممثلي الهيئات والمنظمات والجهات الرسمية الإسلامية من خارج أستراليا ونيوزيلندة لما يعقد من مؤتمرات ولقاءات إسلامية ومخيمات ودورات تدريبية تعقد سنوياً أو بشكل دوري. كما أن ممثلين للهيئات والاتحادات الإقليمية في أستراليا ونيوزيلندة يتم دعوتهم للمشاركة في المؤتمرات واللقاءات الإسلامية الي تنظم في مناطق متعددة من العالم الإسلامي.

وتقوم مجموعة من الجهات الرسمية الإسلامية بإرسال المبعوثين والدعاة والمعلمين. ومن هذه الجهات وزارة الشوون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية (التي أنشأت مركزاً متخصصاً للدعوة في أستراليا) والأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلامي. ولم تتوافر معلومات عن جهود بعض الجهات الرسمية الإسلامية في المواطن الأصلية التي جاء منها أغلب المهاجرين، مثل تركيا ولبنان وباكستان وماليزيا وغيرها. ويقوم البنك الإسلامي للتنمية في السعودية بتقديم بعض الدعم المالي لإنشاء المدارس والمراكز والمساجد، ومساعدة المسلمين في استكمال مشروعاتهم التي يصعب إكمالها بالجهود الذاتية.

ويؤكد واقع الحال ، بأن أكثر المساعدات التي وصلت إلى الجاليات الإسلامية جاءت من السعودية، فأكبر ثلاثة مشروعات تمت في أستراليا ونيوزيلندة موّلت مباشرة من السعودية، وهي: مدرسة الملك فهد في سدني وثانوية الملك خالد في ملبورن ومسجد مدينة كرايست شيرش في نيوزيلندة، ويعتبر هذا المسجد تحفة معمارية رائعة وأبعد مسجد في الأرض عن مكة المكرمة، وهو يقع في مدينة يعني اسمها بالعربية « كنيسة المسيح ».

وتستقطب بعض الجامعات الإسلامية في السعودية ومصر وماليزيا والباكستان وغيرها بعض الطلاب المسلمين من أستراليا ونيوزيلندة ، الدارسين للغة العربية والعلوم الإسلامية . وتقديم بعض الهيئات والجمعيات الإسلامية المحلية والإقليمية والعالمية المنح الدراسية لمثل هؤلاء الطلاب، وتقدم لهم الرعاية الكافية لتأهيلهم لقيادة الجاليات الإسلامية.

وتشير مصادر المعلومات القريبة من أستراليا ونيوزيلندة، إلى أن المنظمات الإسلامية العالمية الرئيسة التي لها علاقات قوية وأنشطة واضحة بالتعاون مع

الاتحادات والمنظمات الإسلامية في أستراليا هي: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، المجلس الإسلامي للدعوة لمنطقة جنوب شرقي آسيا، جمعية دار الأرقم في سنغافورة، رابطة مسلمي فيجي، وحركة شباب مسلمي فيجي (العمري ، ١٩٩٧م ، ٤).

• • • • • •

المشكلات والتحديات

التي تواجه المسلمين في أستراليا ونيوزيلندة

١ - المشكلات الاجتماعية :

تواجه المسلمين في أستراليا ونيوزيلندة مجموعة من المشكلات الاجتماعية من أهمها التالي :

أ - الآثار العميقة المترتبة على الحياة في المجتمع الغربي، وهذه من أكبر التحديات التي تواجهها جميع الجاليات الإسلامية في بلاد الحضارة الغربية. ومن المظاهر المباشرة لهذه الآثار ، قضية الذوبان وفقدان النشء المسلم لمقوماته الإسلامية، وتبنيه لأساليب الحياة الغربية ، وتأثره فكرياً وسلوكياً بسبب الاحتكاك والدراسة في مؤسسات التعليم غير الإسلامية. ومن مظاهر هذا التأثر، العلاقة بين الذكور والإناث في المجتمع، حيث إن نمط الحياة الغربية لايضع فواصل أو حواجز في العلاقات بين الجنسين، بما يخالف القيم الإسلامية. والألبسة النسائية السائدة في الغرب غير مقبولة بالمقاييس الإسلامية، وكذلك بعض الألبسة الرجالية ويزداد الأمر خطورة عندما تفرض هذه الألبسة في المدارس على الفتيات المسلمات، الأمر الذي يترك آثاراً عميقة في حياة الشبيبة المسلمة .

ويواجه المسلمون في هذا السياق معضلة رئيسة : إذ كيف يمكن أن يحافظوا على إسلامهم وعلى هويتهم الدينية والثقافية ويقوموا بدورهم كمواطنين لا كمهاجرين ؟ . أي كيف يتم توطين الإسلام لتتحول الجاليات الإسلامية من كونها ملجأ ثقافي يأوى إليه المهاجرون

ويتجـمعون حوله إلـى عنصر فاعل مـن المواطنين المستـوطنين ، الذين يقدمون أنفسهم ودينهم بطريقة مقبولة ، تتكيف مع الأوضاع الجديدة .

ب - تفشي الجهل بأمور الدين بين الجاليـات الإسلامية ، وذلك لقلة المتعلمين أصلاً بين المجموعات المهاجرة التي جاءت لطلب الرزق . وقد أدى هذا الأمر إلى ظهور العـديد من المشكلات والتحديات ، منها انـتشار البدع والخرافات ، وتحكم العصبيات الجاهلية ، والتأثر ببعض الفرق الضالة ، ويعاني قادة العـمل الإسلامي من هذا الجهل ويعطونه أولويـة كبيرة في برامجهم وخططهم للمستقبل .

جـ - وجود فجوة بين الجيل القـديم من الآباء والأجداد المهاجرين وبين الأبناء والأحفـاد الذين ولدوا وتربوا في أسـتراليا ونيـوزيلندة. الجيـل القديم يرغب في المحافظة على هويته وتقاليده ولغته وبعض صلاته مع مواطنه الأصليـة، أم الجيل الجديد فظـروفه مختلـفة تماماً، يريد أن يـندمج بل ويذوب في المجـتمع الجـديد، المجتـمع الذي ولد وتربـى وتعلم فـيه. وتسبب هـذه الفجوة هاجسـاً اجتماعـياً مزعجاً لـلجيل القديم جـعلته يتحرك لـبناء المدارس الإسلامية، وإنشـاء المساجد والمراكز الإسـلامية، ودعم الجمعيـات والاتحادات الإسلامية. ولكن ضغوط المجـتمع الغربي ومغـرياته ونمط حيـاته، تجعل من هذه الـفجوة أمـراً لايمكن مواجهـته بالإمكانات الحالية المتوافرة لدى المسلمين.

د - وجود إعلام غـير منصف لقضـايا الإسلام والمسلمين ، فوسـائل الإعلام المتنوعـة في أستراليـا ونيوزيلنـدة تأخذ معلـوماتها من وسـائل الإعلام ووكالات الأنباء الغربية الأخرى . ومعروف أن هذه الوسائل والوكالات ليست منصفـة دائماً وتحركها في كثير من الأحـيان دوافع العداء والكره

للإسلام والمسلمـين. وقد أثر ذلك في حياة المسلمـين في تلك البلاد ، حيث يجـدون أنفسهم في موقـف الدفاع وفي حصار الأفكـار المغلوطة والمفاهيم الخاطئة والأفكار المشوهة، التي تنشر صباح مساء. ولاشك أن لهذا تأثيرات نفسية عميقة على المسلمين، وبخاصة النشء المسلم، الذي قد يجد نفسه مـبتعداً عن الإسلام لينفي التهم عن نفـسه، وليكون أكثر قبولاً اجتماعياً .

هـ – قلة المدارس الإسلامـية وتركزها في بعض المدن الكبـيرة . وعلى الرغم من أن الوضع في فترة الثمانينات والتسعينات الميلادية، قد تحسن كثيراً، إلا أن عدد المدارس الإسـلامية لا يزال أقل بكثـير من حاجـة المسلمين وازدياد أعـداد أبنـائهم مـن الذكور والإنـاث. وبالإضـافة إلـى ذلك، لايتـوافر العـدد الكافي من المدرسـين المؤهلين . كـما أن المناهـج التي تدرس ليس هناك اتفاق عليها حيث إنها تختلف تبعاً لاختلاف الأعراق والثقافـات. وقد أدى هذا الأمر إلى نوع من الفوضى وتبـديد الجهود، وربما أدى في المستـقبل إلى زيادة تهميش الجـاليات الإسلامية وفـقدانها لهويتها المميزة .

و – عدم اكتراث البعض من الآباء بنشأة وتربية أبنائهم تربية إسلامية . وذلك بسبب تفشي الجهل والانشغال في العمل وتحسين المستوى الاقتصادي ، مما أفرز العديد من المظاهر السلبية .

٢ – المشكلات السياسية :

أ – شعور الأقليات المسـلمة في أستراليا ونيوزيلندة بالعـزلة ، وذلك لبعدها عن مراكز الحضارة الإسلامية . وعـلى الرغم من أن مشاعر هذه العزلة تخف مع الزمن لـتطور وسائل المواصلات والاتصـالات ، إلا أن البُعد

الجغرافي للمنطقة وقلة عدد المسلمين وكذلك تناثر المسلمين على مناطق شاسعة، وبخاصة في أستراليا لايزال يمثل مشكلة كبيرة. فهذا التناثر مع القلة العددية، يجعل من الصعب بناء المؤسسات الإسلامية، وبخاصة المدارس والمراكز.

ب - قلة الوزن السياسي، وهذا نتيجة لما ذكرناه من مشكلات اجتماعية، ولايمثل قلة العدد في حد ذاته المشكلة الرئيسة في هذا السياق، ذلك أن هناك مجموعات أخرى من الجاليات والطوائف في البلاد أقل عدداً من المسلمين ولكنهم أكثر تنظيماً وأثقل وزناً سياسياً في الحياة العامة. وبالإضافة إلى الأسباب الاجتماعية التي ذكرناها والتي أدت إلى هذا الوضع، هناك أسباب أخرى مثل تفرق المسلمين على جمعيات وهيئات تم إنشاؤها على أسس عرقية ولغوية، وعدم توافر الوعي الكافي لدى المسلمين بالعمل المنظم للحصول على حقوقهم التي كفلها الدستور. وقد أدى هذا إلى قلة التمثيل السياسي وعدم وجود ممثلين في المجالس البلدية والبرلمان، وعدم الاكتراث بأصواتهم كناخبين لتفرقهم.

جـ - عدم وضوح الرؤية حول المستقبل لدى الكثير من أفراد الجاليات الإسلامية في أستراليا ونيوزيلندة. إذ هل المستقبل يتمثل في المحافظة على الجاليات الإسلامية فيما يتعلق بهويتها وعاداتها وتقاليدها كمجتمع مهاجر روابطه قائمة ومستمرة مع مواطنه الأصلية ؟ . أم أن المستقبل يجب أن يركز - بالإضافة إلى ماذكر - على المواطنة في المجتمع الجديد، ومايتبع ذلك من تغييرات في بعض العادات والتقاليد والاتجاهات، تجعل البلاد وطناً جديداً للإسلام ؟ .

٣ – المشكلات الاقتصادية :

أ – ضعف الإمكانات المادية لدى المسلمين بصفة عامة، وعدم القدرة على بناء المراكز والمساجد والمدارس بدون الاستعانة بمصادر تمويل من خارج البلاد. وعلى الرغم من أن مساعدة المسلمين في أستراليا ونيوزيلندة واجبة على إخوانهم القادرين في البلاد العربية والإسلامية، وأنها كانت حاضرة ووصلت لبناء العديد من المشروعات، إلا أن المسؤولية الكبرى تقع على عاتق الجاليات الإسلامية نفسها، ولابد من الاستفادة من الفرص العظيمة التي يقدمها الاقتصاد الأسترالي والنيوزيلندي في هذا المجال. وقد أوضحت بعض التجارب في السنوات القليلة الماضية أن ضعف الإمكانات المادية أمر يمكن معالجته بالطرق الذاتية، فقد تمكن المسلمون مع قليل من التنظيم والعمل وتوظيف الموارد المتاحة أن يبنوا مؤسساتهم بأنفسهم.

ب – ارتفاع نسبة العمال والحرفيين الذين يعملون على خطوط التجميع في المصانع وفي الورش والحرف الصغيرة وقلة عدد المتعلمين والمتخصصين ورجال الأعمال ومهن الحرة، كالمهندسين والأطباء وغيرهم. ولهذا تأثيره على حياة المسلمين، حيث تقل مشاركتهم وظهورهم في الحياة العامة وتصنف الجاليات المسلمة على أنها من الطبقة الفقيرة الدنيا، ولهذا فهي تعد ذات وزن اجتماعي وسياسي واقتصادي منخفض.

جـ – وجود بطالة كبيرة، بخاصة في السنوات الأخيرة، حيث يتأثر المسلمون قبل غيرهم بتقلبات الدورات الاقتصادية ويكونوا عرضة للتسريح من المصانع والوظائف. وعلى الرغم من أن النظام الاجتماعي في البلاد يقدم أجوراً للعاطلين، إلا أن هذه تبقى دون المستوى للحياة الكريمة

التي ينشدها المسلم، بخاصة الذي هـاجر من موطنه الأصلي طلباً لرفع مستواه الاقتصادي.

٤ - المشكلة الدينية :

أ - ظهور بعض الخلافات الشخصية والتنظيمية بين بعض الهيئات الإسلامية وبروز هذه الخلافـات على السطح مما يـؤثر على أهداف هذه الهـيئات وعلى أنشطـتها وسمعـتها. وهناك أسبـاب كثيرة لمثل هـذه الخلافات، بعضها يتعلق بالمنافسة الشخـصية على المناصب، والبعض الآخر يتعلق بتنوع الخلفيات الاجتماعية واللغوية والعرقية والطائفية.

ب - وجود الكثير من القصور لدى بعض المتصدرين للعمل الإسلامي. ومن مظاهر هـذا القصور قـلة التأهيل والـعلم الشرعي، وفـقدان الثـقة في النفس، وقلة التجـربة والخبرة في العمل التنظيـمي، وعدم توافر روح العمل الجماعي. وفي الجهة المقابـلة ، هناك بعض الدعاة يتوافر لديهم العلم الشرعي ولكن تنقصهم المعرفة الحـقيقية بظروف الجاليات المسلمة ومعـرفة المجتـمع الغربي، وكـذلك تنقصـهم وسيلـة التفاهـم، حيث لايجيدون الاتصال باللغة الإنجليزية.

جـ - اعتمـاد بعض الدعاة والعاملين للإسـلام على بعض العادات والتـقاليد والممـارسات المجلوبـة من المواطن الأصـلية للـمعاجـرين في الـدعوة والتعليم والإدارة. وهذا أمـر له آثاره السلبية على الجاليـات الإسلامية وعلى انتـشار الإسلام، ذلك أن البـيئة الغـربية لهـا طرقها ووسائـلها وتقاليدهـا الإدارية والتنظيمية، ويمـكن عند تفعيل هذه الجـوانب تحقيق إنجازات إسـلامية جيـدة. فعلى سبـيل المثال تنص دسـاتير الجمعـيات والاتحادات على أن الهيئة الإدارية أو المجلس أو اللجنة التنفيذية منتخبة

ولكن الطريقة الانتاخبية التي تتم في الـكثير من الهيئات لا تتمشى مع الأعراف والتقـاليد الديقراطية الغـربية أو الشورى الإسلاميـة، مما يثير الحزازات الشخصية ويعزز مشاعر البغضاء والعداوة بين الأخوة.

د - عدم توافر التـنسيق بين الجمعيـات والهيئات الإسلامـية، مما يؤدي إلى بعثرة الجـهود وتعزيز مظاهر الفرقـة. وهذه المشكلة نتيجـة للمشكلات التي قبلها.

هـ - وجود جمعيات غير إسلامية كثـيرة بين المسلمين -وبخاصة في أستراليا - قائمة على أسس علـمانية أو قومية أو عرقية وتنـص هذه الجمعيات في دساتيرها عـلى فصل الدين أو استبعاده أو إغـفاله ، وقد أدت هذه الجمعيات إلى نشر الفتن وإفساد الجاليات الإسلامية وتهميش دورها في الحياة العامة في البلاد. وتتلقى هذه الجـمعيات الدعم الكثير من داخل وخارج أستراليا .

و - ظهـور بعض الفـرق الباطنيـة، مثل الأحـباش والقـاديانية والـبهائـية وانتشارهـا بين المسلمين لقلة الوعـي الإسلامي الصحيح، والـبعد عن مراكز الإسلام ومعاقله، ولعدم توافر البرامج الإسلامية الموجهة لمكافحة هذه الفرق، ولانشغال كثير من الدعاة بخلافاتهم.

ز - وجود بـعض العـداء للإسلام لدى بـعض فئـات المجتـمع الاستـرالي والنيـوزيلندي، تـغذيه وسـائل الإعلام الخـارجيـة والمحليـة ووكالات الأنباء. وقد ظـهرت في السنوات الأخيرة هيـئة أسترالية مـتطرفة تحت اسم «هيئة مكافـحة انتشار الإسلام»، وتقوم هذه الهيـئة بشن حملات مسعـورة ضد الإسلام والمسلـمين. وقد نشرت بيـانات، طالبت فيـها بترحيل جمـيع الدعاة والأئمة والمواطنين المسلمين من أستـراليا، زاعمة أنهم يشكلون خطراً على أستراليا وأنهم عنوان للجهل والتخلف.

الهوامش

١ - تنتـمي أستراليـا لعضـوية رابطة الشـعوب البريـطانية (الكـومنولث) Commonweath ، وتعتبر ملـكة بريطانيا ملكة لأستراليـا بصفة رمزية ويمثلـها الحاكم الـعام . وتدرس أسـتراليا حـالياً الـتحول إلى الـنظام الجمهوري مع بداية القرن الحادي والعشرين الميلادي .

٢ - سجـل التاريـخ قصص بـعض الأبَّالة (الجـمَّالـة) ، حتى أن بـعض الروايـات تشـير إلـى أن صوت الأذان قـد ارتـفع في أرجـاء القـارة الأستراليـة قبل أن تدق أجراس الكنائس. للمزيد يمكن مراجعة (خان، ١٩٩١م/ ب، ١٢).

٣ - ومن هذه النماذج ، صـاحب ومدير مدرسة النور في مـدينة سدني ، حيث يـقوم هو وزوجتـه بتعليـم أبناء المسلـيمن ، مسـتعيـناً في ذلك بمجموعة من المعلمين المسلمين .

٤ - هذا المصطلح عبارة عن اختصار للعبارة التالية :

The Australian Federation Of Islamic Councils .

• • • • • •

المراجع

أولاً : المراجع العربية

- بكر ، سيد عبدالمجيد (١٩٨٣م) ، الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة
- خان ، شفيق (١٩٩١م/أ) ، موجز عن المسلمين في نيوزيلندة ، المركز الثقافي في أستراليا ، سدني .
- = خان ، شفيق (١٩٩١م/ب) ، الإسلام والمسلمون في أستراليا ، المركز الثقافي في أستراليا ، سدني .
- الخميس ، وليد (١٤١١هـ) ، تقرير عن الجمعيات الإسلامية في أستراليا ، مكتب الدعوة في أستراليا ، سدني .
- الداوود ، عبدالمحسن (١٤١٣هـ) ، المملكة العربية السعودية وهموم الأقليات المسلمة في العالم ، الرياض .
- طاشقندي ، عبدالجليل (١٩٩٢م) ، المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات المسلمة في العالم ، جدة .
- عبدالفتاح ، عبداللطيف (١٩٩١م) ، " القارة الأسترالية بين الماضي والحاضر" ، في: مجلة الأزهر، الجزء الثاني، السنة الثالثة والستون، ص ص ١٤٠٦-١٤٢٠ .
- العمري ، مصطفى (١٩٩٧م) ، تقرير عن المسلمين في أستراليا ، مكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي في أستراليا والباسفيكي، سدني.

- مكتب الآفاق المتحدة (١٩٩٤م) ، المعلومات ١٩٩٤-١٩٩٥م ، الرياض .
- منار الإسلام (١٩٩٣م) ، " ٣٠٠ ألف مسلم في أستراليا " ، العدد ١٠ ، ص ص ٦٢ - ٦٧ .
- وزارة الشؤون الخارجية والتجارة النيوزيلندة (١٩٩٥م)، كل شيء عن نيوزيلندة .
- وكالة الأنباء الإسلامية (١٩٩٥م) ، أستراليا: اتحاد إسلامي ، في: أحداث العالم الإسلامي: شؤونه وقضاياه، الكتاب الخامس، جدة.
- وكالة الأنباء الإسلامية (١٩٩٦م) ، " أستراليا ، كلية إسلامية " ، في: أحداث العالم الإسلامي: شؤونة وقضاياه ، الكتاب الخامس ، جدة .

• • • • • •

ثانياً : المرجع الأجنبية :

- Australian Government Publishing Services (A. G. P. S.), (1994) ' Australia in Brief , Canberra .

- Encyclopedia britannica Inc . (1995) ' Britannica Book of the Year .

- Foreign Affairs and Trade Ministry (1992) ' Islam in Australia ' Fact sheet on Australia , Overseas Information Branch , Australia .

- The Government of Australia (1997) ' Australia in The World National Capital Printing , Canberra , Australia .

- Hunter , B. (1991) ' The Statesman's Year-book 1991-1992 .

- Hunter , B. (1996) ' Statistical and Historical Annual of the Ststes of the World .

- Khawaja , M. (1997) ' " Chief Demographer of Statistics New Zealand " , Report on Muslim Youth Magazine , V.XI , No. 55 .

- Rasheed , A. (1996) ' Muslims in New Zealand , Journal of Muslims . Minorty Affairs , Vol . 16 , No. 2 , PP. 211-232 .

- Rasheed , A. (1997) ' Report on Muslims in New Zealand , World Assembly of Muslim Youth , Pacific Regional office .

- Shepard , W. (1996) ' Muslims in New Zealand , Journal of Muslims . Minorty Affairs , Vol . 16 , No. 2 , PP. 211-232 .

فهرس الأشكال

فهرس الجداول

• • • • • •

The Deanery of Academic Research
P.O.Box 18011 Riyadh 11415
Fax. (01) 2590261
Kingdom of Saudi Arabia

Editiorial Board

Contents

The First Edition
1999 A.D / 1419 H

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
Al-IMAM MUHAMMAD BIN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY
DEANARY OF ACADEMIC RESEARCH





The Geographical Encyclopedia Of The Islamic World

Volume 14

THE MOSLIM MINORITIES
(Part One)
[Asia, Africa, Australia and Newzealand]

1419 H. - 1999 A.D

Issued on the occasion of Centennial Anniversary of
The Kingdom of Saudi Arabia Foundation

Published Under The Supervision of the
Department of Culture And Publications

THE GEOGRAPHICAL ENCYCLOPEDIA

THE MOSLIM MINORITIES